

درر للمسلمين

تأليف

أحمد محمد عركز

الطبعة الأولى

2014

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس : 5404480 – الإسكندرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

❖ اهدي هذا الكتاب : درر للمسلمين إلى الشيخ العلامة المحقق
والدي الشيخ / محمد عركز الذي علمني وعلم العلماء فأرشد
إلى كل خير .
❖ وإلى والدتي التي ربّنتي وهذبتني بالقرآن الكريم .
❖ وإلى كل من يريد أن يسير في طريق الحق والحقيقة .
❖ أرجو من الله عز وجل أن ينفع به وأن يجعله خالصاً لوجهه
الكريم وهو حسبي ونعم الوكيل .

المؤلف

أحمد محمد عركز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر واجب

الشكر كل الشكر لله عز وجل واهب النعم وموفق العباد

ثم إلى كل من :

الأستاذ : محمود أحمد محمود

الأستاذ : ياسين جابر

الأستاذ : حسام السيد الفرماوي

على جهودهم المشكورة في إخراج هذا الكتاب

المؤلف

أحمد محمد عركز

درر للمسلمين

جمع الشمائل فوق كل مال
فالبدر نوراً من طياه الغالي
بقدوم أحمد تحتفي بجلال
ومكارم الأخلاق بالأفعال
كرم وبذل فاق كل خيال
كل الخلائق ترتوي بضلال
أنته وحيأ بالغار دون سؤال
يدعو لها بالحل والترحال
وفتح مكة دون أي قتال
للعالمين من نسوة ورجال
حتى هداها لقومه والآل
لما رأوها سهلة بمنال
للسالكين وليس للجهال
لم تمس قلباً نابضاً بضلال
درر الرسول فحازوا كل كمال

جاء الرسول بشرعة وخصال
إن قلتُ بدرا لا تراني وصفته
إن قلتُ شمساً فالشموس تضاءلت
قبل الرسالة حاز كل فضيلة
صدق وعدل غير كل أمانة
قد كان أهلاً للرسالة دونه
لكن أحمد قد هدانا لفطرة
يرجو الهداية والنعيم لأهله
حتى استقام الأمر داخل يثرب
راح الرسول يثبت كل شمائل
كم كانت الأخلاق تهفو لمثله
درر تحلى المسلمون بنورها
السنة الغبراء فاح عبيرها
حمت قلوب من الموت عزيزة
المسلمون السابقون تتأقلاوا



المقدمة بقلم المؤلف الدعوة إلى الإسلام

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد ...
يقول القائل :

تعلم العلم يا فتى تحوز فخر النبوة

فأله قال ليحيى خذ الكتاب بقوة

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال لي رسول الله ﷺ يا أبا هريرة تعلم القرآن وعلمه للناس - طلب منه أن يتعلمه أولاً وذلك لأن فاقد الشيء لا يعطيه فإن الإنسان إذا أراد أن يعلم الناس وليس عنده أدوات العلم فإنما هو يضلهم ولا ينفعهم فقال له تعلم القرآن ثم علمه للناس - فإنك إن مت على ذلك طافت حول قبرك الملائكة كما يُطاف حول البيت العتيق - كانت تلك هي الجائزة يكون ذلك قبر من تعلم القرآن ثم علمه للناس مزاراً للملائكة وكأنه الكعبة يطوف حولها الحجيج في كل وقت وحين في بيت الله الحرام - ثم قال له يا أبا هريرة إذا أردت ألا تقف على الصراط طرفة عين - والصراط حده مثل حد السيف مشدود على شفا جهنم من يجتازه يصل إلى الجنة - علم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك " رسول الله ﷺ يعلم أن الدعوة إلى الجنة إنما هي ثقيلة على النفوس فإن النار حفت بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره فنجد أن النار تدعو لها الملهي والعري وكل ما يزينه الشيطان للناس أما الجنة فإن لها تكاليف من صلوات وصيام وزكاة وحج وصدقات وأعمال الخير كلها

لذلك قال رسول الله ﷺ حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره " وعن العرياض بن سارية ؓ قال وعظنا رسول الله ﷺ موعظة دمعت منها الأعين ووجلّت منها القلوب - ذلك الصحابي الجليل كان في مجلس من مجالس رسول الله ﷺ يلقي عليهم موعظة وصفها من شدة تأثيرها بأن دمعت منها العيون واهتزت لها القلوب - فقالوا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فبما تعظنا فقال تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك فعليكم بكتاب الله وسنتي عضوا عليها بالنواجذ " تركنا رسول الله ﷺ على الصراط المنير الذي بدايته عندنا وطرفه في الجنة وكأنه طريق بدايته تحت أرجلنا وبين أيدينا ونهاية ذلك الطريق إن التزمناه ولم نحيد عنه جنة رب العالمين فمن أراد أن يسلكه فهو من السالمين الغانمين وأما من تنكب الطريق وأراد أن يسلك طرقاً غيره فلا يلومن إلا نفسه ، لأن الطريق الذي مهد لنا رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام يدعوهم إلى النجاة وإلى طريق الله المستقيم ، ورسول الله ﷺ أخذ يدعو الناس إلى كل خير فمن تعامل به كان من السعداء في دنياه قبل سعادته في الآخرة فقد أمر بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال فقد مر رسول الله ﷺ وهو يدعو إلى دين الله عز وجل بناس من بني شيبان وكان معه الصديق ؓ كان من هؤلاء الناس ثلاثة هم القادة فيهم المفروق بن عامر والمثنى بن حارثة الشيباني والنعمان بن شريك قال لهم الصديق ؓ من أين أنتم قالوا من بني شيبان فجلس إليهم رسول الله ﷺ فقال له مفروق إلى ما تدعو يا أخا قريش قال رسول الله ﷺ أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله وأن تتصروني وأن تمنعوني - كان هنا المطلوب أن تقول الشهادة التي هي الأساس ثم بعد هذا الأساس أن تتصر وتمنع ، تتصر دين الإسلام وتمنع عنه كل ما يشينه وينتقص منه ويضر به كانت هذه

الأولى - قال مفروق وإلى ماذا تدعو أيضاً يا أبا قريش قال رسول الله ﷺ قول الله عز وجل ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ ۚ لَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۚ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنٌ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.﴾ الأنعام 151 فإن هذه الخمسة التي وردت في هذه الآية لو أردنا أن نتكلم في كل واحدة منها لا يسعنا فيها كتاب بذاته كان أولها لا تشركوا بالله شيئاً فإن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يا أبا ذر جاءني جبريل فبشرني قال يا محمد من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة " فكان ذلك هو شرط دخول الجنة فمن مات وهو عليها كانت له الجنة وأصحاب رسول الله ﷺ كانوا يسألون حتى يزدادوا علماً فقال أبو ذر رضي الله عنه يا رسول الله من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قال نعم قال وإن سرق وإن زنى قال وإن سرق وإن زنى - لأن من يقترب هذه الموبقات يكون له عليها عقاب إما في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معاً ثم بعد أن يأخذ جزاءه يدخله الله الجنة لذلك كررها عليه أبو ذر ثلاث مرات ويجيبه بنفس الإجابة ثم قال له رسول الله ﷺ وإن سرق وإن زنى وإن شرب الخمر رغم أنف أبي ذر " ورسول الله ﷺ يقول شارحاً لها في حديث رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي - إذا دعوت الله أن يغفر لك ذنوبك ويطهرك منها استجاب لك ولا يبالي - يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي - وذلك تشبيهه بأن تتراكم الذنوب بعضها فوق بعض حتى تصل إلى عنان السماء ثم تستغفر الله عز وجل لوجدت الله غفاراً ويقبل التوبة على كل هذه الذنوب - يا بن آدم إنك إن جئتني بقرب الأرض خطايا ثم

جئتني لا تشرك بي شيئاً غفرت لك ولا أبالي " فكان في كل ما سبق الشرط هو عدم الشرك بالله عز وجل، يقول رسول الله ﷺ لمن يموتون على لا إله إلا الله ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند موتهم ولا وحشة في قبورهم وكأنني بأهل لا إله إلا الله يوم القيامة ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن " أهل لا إله إلا الله الـ

لا يشركون بالله شيئاً والله لم يكن في هذه الموعظة غير هذه لكفت وقد قال الله عز وجل إن الله يغفر الذنوب جميعاً إلا أن يُشرك به قال له هذه الآية ثم قال له الآية التي بعدها ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ ۚ لَّا تُكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۚ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۚ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۚ﴾ الأنعام 152 – 153 فكما كانت خمسة في الآية الأولى كانت كذلك خمسة في الثانية فإن هذه الآيات من الآيات المحكمات في أم الكتاب كما قال عبد الله بن عباس ؓ قال آيات في سورة الأنعام محكمات لم ينسخن شيء وتلا هذه الثلاث، وعبد الله بن مسعود ؓ قال من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي ختمها بخاتمه فليقرأ هؤلاء الثلاث من سورة الأنعام – فقال له مفروق بعد أن تلا عليه الآية وإلى ما تدعو أيضاً يا أخا قريش فتلا عليه رسول الله ﷺ قول الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل 90 وتلك الآية التي قد نمر عليها ونحن نقرأها أو نسمعها ولا نلقي لها بالاً قد سمعها رجل من أهل الشرك من

رسول الله ﷺ فرجع إلى قومه يصف بها القرآن فقال إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول بشر، فإن هذه الآيات إنما تجمع دين الإسلام كله من أول ما نعبد الله عز وجل وحده ولا نشرك به شيئاً مروراً بكافة المعاملات في الحياة مع الناس من الأقرب مثل الوالدين إلى ما دونهما وحتى الامتناع عن قتل الولد مخافة الفقر إلى عدم الاقتراب من الفواحش ما ظهر منها وما بطن وذلك يشمل كل ما يقال عنه فاحشة سواء في الفعل أو في القول سواء في السر أو العلن لأن رسول الله ﷺ قال لأصحابه ذات يوم خمس أعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهم قال ما ظهرت الفاحشة في قوم قط يُعمل بها علانية إلا سلط الله عليهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم - ذلك كما نرى من تفشي أمراض لم تكن نعلمها من قبل وكما تغلبوا على مرض أصابهم الله عز وجل بغيره - وما يخس قوم في المكيال والميزان إلا أخذهم الله بالشدة ونقص المؤنة وجور السلطان وما منع قوم زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يُمطروا وما لم يعملوا بكتاب الله عز وجل وسنتي إلا جعل الله بأسهم بينهم شديد وما لم يحكم أمراؤهم بشرع الله إلا سلط الله عليهم عدوهم فاستقصوا بعضاً مما في أيديهم"

رسول الله ﷺ بعد هذه الموعظة التي ورد فيها ما سبق قال مفروق بن عامر لرسول الله ﷺ إنك لتدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال بئس قوم كذبوك وظاهروا عليك - بئس قوم كذبوا هذه الآيات الفاصلة يكذبون هذا الخبر ويصدون عنه عندما طلب منهم رسول الله ﷺ النصر كان مكان هؤلاء القوم قريباً من العراق ومن بلاد فارس لذلك قالوا لرسول الله ﷺ أما العرب تنصرك ولكن بيننا وبين دولة فارس عهد

ومواثيق لا نستطيع أن نقطعها ، فكان هنا النصر في موطن حيث القوم ضعفاء والامتناع في موطن آخر حيث القوم أقوياء ، لذلك ما قبلها منهم رسول الله ﷺ فيما أن يكونوا مع الإسلام قلباً وقالباً من أوله إلى آخره لا يفرق بين شيء من أشياءه أو آية من آياته أو يفضل شيئاً على شيء لا بد أن يكون الإنسان المسلم مع كتاب الله عز وجل من أوله إلى آخره ومع سنة رسول الله ﷺ ما علم منها من أولها إلى آخرها لا يختار الإنسان ولا ينتقي ما يناسبه ويترك آخر لذلك عندما قال هذا الوفد ذلك الكلام قال لهم رسول الله ﷺ ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق وإن ذلك الدين لا ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه - ذلك دين الإسلام لا ينصره إلا من كان مسلماً كاملاً يعمل بكل ما جاء به دين الإسلام وكل ما أمر به الله في كتابه وفي سنة رسوله - قال لهم رسول الله ﷺ ألا تروا أنه لا يمر عليكم غير قليل حتى يورثكم الله عز وجل أرضهم وديارهم ويطنكم فرشهم أتسبحون الله وتقدسونه " في ذلك الوقت الذي كان محمد ﷺ يطلب فيه النصرة يعلم أن الله عز وجل ناصر ذلك الدين وأنه لن يمر على هؤلاء القوم إلا قليل حتى يدكوا دولة الفرس ويحطموا عرش كسرى وفي هذا الوقت أتسبحون الله وتقدسونه وتكونوا من أهل الإيمان قال له النعمان بن شريك لك ذلك أي لو حدث كان لك ما تريد أن نسبح الله ونقدسه فتلا رسول الله ﷺ قول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً. وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا﴾ الأحزاب 45 - 46 ولم يمض غير قليل من السنين على هذا الموقف لا يزيد عن عشر سنين وإذا بالأنباء تأتي في ولاية أبي بكر الصديق رضي الله عنه بأن هناك رجالاً يدك حصون كسرى ويفتح العراق ويجعلها من أرض دولة الإسلام ويقول الصديق رضي الله عنه من هذا الذي تأتينا عنه الأخبار فأخبروه أن هذا القائد هو المشي بن حارثة الشيباني رضي الله عنه فتذكر قول رسول الله ﷺ

وقت أن بشرهم بها ، وذلك لنعلم أن مع العسر يسرا وأنه كلما ضاقت الحلقة اقترب وقت انفراجها ولكن الله عز وجل هو الذي سوف يمكن لدينه في الأرض ويفتح له قلوب الناس ، ونقول كما قال مُحمد ﷺ بإذن الله عز وجل لم يمض علينا إلا قليل حتى نكون أعزة في بلادنا وترتفع راية الإسلام خفاقة عالية وحتى تدخل أمريكا وأهلها في دين الله أفواجاً لأنه لن تقوم الساعة إلا وقد أظهر الله عز وجل هذا الدين على الدين كله على اليهودية وعلى النصرانية وعلى المجوسية وعلى كل دين ولن يكون إلا دين الإسلام ، والناس تقول أن عيسى بن مريم عليه السلام سوف ينزل ويحكم ولكنه سوف ينزل بالإسلام ويحكم بشرع الله وكتابه ، ولن تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فيختبيء اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر وينادي يا مسلم وراءي يهودي تعال فاقتله ولكننا يجب أن نعلم كما قال رسول الله ﷺ إن هذا الدين لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه لا يأخذ منه شيء ويترك شيئاً .

المؤلف /

أحمد محمد عركز ، ، ،

اصطلاحات فقهية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، يقول
القائل :

دع الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقي

واصنع كماشي فوق أرض الشوك واحذر ما ترى

ولا تحقرن من الذنوب صغيرة فإن الجبال من الحصى

يقول إياك والذنوب وإن كان صغيراً فعليك بالتقى فإن الذي يتقى
لا يظأ على الشوك في الأرض التي بها شوك ويقول الآخر :

تعص الإله وتزعم حبه هذا محال في القياس منيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

إذا كنت تحب الله عز وجل فيجب عليك ألا تعصيه وألا يراك في
الأماكن التي حرمها عليك وأن يراك في الأماكن التي أحلها لك وزينها
لك .

علم الفقه هو علم الحياة وأن تعلم النفس ما لها وما عليها ورسول
الله ﷺ يقول من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " والفقه إنما هو علم
الدين ودين الله هو الدين الحق وقول الله عز وجل هو قول الفصل
وحكم الله هو الحكم العدل والحق أحق أن يتبع وإذا كنا بصدد درس
من دروس الفقه ومقدمة من مقدماته فيجب عليك أن تعلم أن هناك
اصطلاحات فقهية لابد أن يحصلها من يرغب في هذا العلم وأن يصبر
على تعلمها لأنها هي القواعد التي تيسر الطريق إلى عبادة الله عز وجل
كما يحب ويرضى فإن الله عز وجل لا يقبل العبادة إلا بما شرعه هو

فالعبادة لله يجب أن تكون موافقة لشرع الله وأن يخلص العبد في أدائها
لرب العالمين، تلك الاصطلاحات جمعها رسول الله ﷺ وهو الذي أوتي
جوامع الكلم في حديث واحد قال رسول الله ﷺ إن الله عز وجل فرض
فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا
تنتهكوها وسكت عن أشياء فلا تبحثوا عنها " ذلك الحديث قال لنا
فيه أن هناك فرائض ومحرم والمحرّم بعده مكروه وقريباً منه ويتبعه
متشابهه وقريباً منه وأن هناك حلالاً ومباحاً والفرائض التي فرضها الله
عز وجل على كل مسلم وما أمره بها في شرعه وجعل الثواب لمن أتاها
وجعل العقوبة لمن لم يؤدها، والفرض له قسمان فرض عين وفرض
كفاية وأمثلة فرض العين كالصلاة والصيام والزكاة والحج وفرض
الكفاية مثل صلاة الجنازة وكذلك تعلم أبواب العلم في كل المجالات
هو فرض كفاية إذا تعلمه فريق وضع الإثم عن الباقي، والفرض إما
يكون فرضاً مستقلاً بذاته وإما يكون داخلاً في أمر آخر مثلاً الصلاة
هي فرض مستقل في ذاته وهناك فرض داخل في أمر الصلاة تلك التي
هي ذاتها فرض إنما فيها فرائض وسنن فمن الفرائض فيها تكبيرة
الإحرام والركوع والسجود ومن السنن فيها الجلوس بين الركعتين،
وكذلك يسمى الفرض ويسمى اللازم ويسمى الحتم والواجب والركن
فإذا اتيت بأي اسم منها فهو بمعنى الفرض ولكن في الحج والعمرة
كان هناك فرقاً بين الركن والواجب فهو أمراً مخصوصاً للحج والعمرة
هناك ركن وهناك واجب والركن غير الواجب في الحج والعمرة فقط
أما في باقي الأمور فإن الركن والواجب والحتم واللازم والفرض كلها
أسماء لشيء واحد، والسنة هي ما أمر به الشارع ولكنه لم يشدد عليه
ومن فعلها أثابه الله ومن تركها كان عليه اللوم ولكن لا عقوبة في
تركه، والسنة هي كل ما تم أخذه عن رسول الله ﷺ من فعل أو قول أو

إقرار مثل أن يقر رسول الله ﷺ عمل إنسان فكان إقراره لذلك الفعل من هذا الرجل هو سنة أيضاً عن رسول الله ﷺ ومن أسماء السنة النافلة والمستحبة والتطوع، وهى تنقسم إلى قسمين سنة مؤكدة وسنة غير مؤكدة والتطوع ينقسم إلى قسمين تطوع مطلق وتطوع مقيد فإن السنة المؤكدة هى ما فعله رسول الله ﷺ وحبب فيه وكان ملازماً لفعله، وغير المؤكدة هى السنن التي عملها رسول الله ﷺ أحياناً وتركها أحياناً أخرى، والتطوع المطلق هو أداء السنة عن رسول الله ﷺ كأن يصلي الناس ركعتين ركعتين منفصلتين في غير أوقات النهي ورسول الله ﷺ ما صلاها فإنما هذه تطوع مطلق وهناك تطوع مقيد وهو الإلتزام بفعل رسول الله ﷺ في التطوع مثل أن يصلي أربع ركعات قبل الظهر وركعتين بعدها أو أربعة فيكون ذلك التطوع مقيد بفعل رسول الله ﷺ له، والله عز وجل إنما حرم أشياء والتحريم في دين الإسلام هو أمر شديد فإن القاعدة فيه أنه لا تحريم إلا بنص من كتاب الله عز وجل أو من سنة رسول الله ﷺ فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله عن الجبن وعن السمن حلال أم حرام فكانت إجابة رسول الله ﷺ الحلال ما أحله الله عز وجل في كتابه والحرام ما حرمه الله عز وجل في كتابه وما سكوت عنه فهو مما عفا عنه ثم قرأ رسول الله ﷺ وما كان ربك نسياً " والتحريم قد يكون على لسان رسول الله ﷺ فإنه هو الذي يقول لا تجلسن أحدكم متكئاً على أريكته ويقول إن الله لم يحرم إلا ما جاء في القرآن ألا إني أمرت ونهيت عن أشياء هى مثل ما في القرآن أو أعظم " ثم يقول رسول الله ﷺ في حديث رواه عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال إن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار " لماذا لأن كلام رسول الله ﷺ الصحيح تشريع وتحريمه تحريم وتحليله تحليل لذا على المسلم أن يتحرى الكلمة التي يقولها عن

رسول الله ﷺ فإن علماء أمة محمد ﷺ ما كان يستطيع الواحد منهم أن يقول هذا حرام إلا بنص صريح لا اعوجاج فيه فإن الحرام ما حرمه الشارع وجزم على تحريمه وجعل لفاعله عقوبة في الدنيا وفي الآخرة فإذا كان الأمر كذلك فإن تحريم الحلال أو تحليل الحرام إنما هو الشرك يقول الله عز وجل ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ ۚ ذَا حَلَالٍ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ النحل 116 وأما المكروه فهو أقل من المحرم فهو الأمر الذي نهى عنه الشارع من غير أن يشدد فيه والمكروه إما يكون مكروه كراهية التحريم وإما مكروه كراهية تنزيهه، وبعدها المتشابه وكان ذكره في حديث رواه النعمان بن البشير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابها لا يعلمهن كثير من الناس " فكان هناك أمر ثالث غير الحلال والحرام فالحلال كل لم يأت به نص بتحريم فهو مباح لأن الأصل في الأشياء الإباحة، والحرام هو ما عرفناه مسبقاً وأما المتشابه هو الأمر الذي لا يعلمه إلا قليل من الناس لا يعلمه إلا العلماء منهم فلا يتكلم فيه الإنسان من رأسه أو بالإستحسان إنما يعود به إلى عالماً فإن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال الأمور ثلاثة أمر تبين رشده فاتبعوه وأمر تبين غيه فاجتنبوه وأمر اختلف فيه فردوه إلى عالمه " المتشابه من الأمور يظن الظان أن فيه إباحة ويظن الآخر أن فيه تحريم لذلك يجب عرضه على عقول أهل العلم حتى يتبينوا ما فيه، ثم يقول رسول الله ﷺ فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه " فمن تعامل مع هذه العناوين التي ذكرناها فقد حصل على الورع والورع له أربع درجات الأولى هي درجة العدول الذين يعملون الحلال ويجتنبون الحرام ثم الدرجة التي بعدها درجة أهل الصلاح الصالحون الذين يجتنبون المتشابه والدرجة الثالثة هي درجة المتقون والتقي كما عرفه

رسول الله ﷺ فقال لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما به بأس حذراً
أن يقع فيما فيه بأس " هؤلاء هم أهل التقوى في الشيء الحلال يختارون
أعظمه حل والذي لا غبار عليه يخافون أن يقعوا في شيء فيه بأس،
والصديق ﷺ قال كنا نترك سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب
من الحرام " هؤلاء هم أهل التقوى، وكانت الدرجة الرابعة هي درجة
الصديقين وهذه الدرجة لا يبلغها إلا القليل من الناس فإن الصديق هو
الذي يكتفي بما يسد الرمق ويستتر العورة ولا يفعل إلا ما يدخله الجنة،
لذلك يجب أن ينظر كل واحد هو مع أي درجة من درجات الورع وحتى
يبلغ ذلك لا بد أن يتعلم الفقه في الدين ويكون على علم به فإن الإمام
الشافعي رحمه الله يقول من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه
بالعلم ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم .

العبادات والمعاملات

يقول علي بن أبي طالب عليه السلام الناس من جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم وأمهم حواء وإن كان لهم نسب يفخرون به فالطين والماء - الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أحمر إلا بتقوى الله عز وجل وإلا بالعلم والفقه في دين الله عز وجل - ثم يقول علي بن أبي طالب عليه السلام وما الفضل إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء " وكذلك نجد الجاهل يعادي أهل العلم ويضادهم وقد كان عليه أن يتعلم حتى يكون عالماً له قدره فقد قيل كن عالماً أو متعلماً ولا تكن الثالثة فتهلك أي لا تكن جاهلاً فتكون من الهالكين، ورسول الله ﷺ قال لدرة رضي الله عنها يا درة إن أكرم الناس عند الله أتقاهم وأقرأهم وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم " فكان بذلك أكرم الناس في دين الإسلام التقي وبعد التقي العالم الذي يعلم ما له وما عليه في دين الإسلام حتى يكون على بصيرة من أمره ثم الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولكن كيف يتعامل بها فإن فاقده الشيء لا يعطيه لابد أن يحصلها أولاً ثم بعدها يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ثم أوصلهم للرحم، ورسول الله ﷺ لم يغادر الدنيا حتى بين لنا كل أمر في هذا الدين كل صغيرة وكبيرة فيه ولم يغادر الدنيا حتى نزل عليه قول الله عز وجل «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ» المائدة 3 هذه الآية من سورة المائدة التي تقول في حقها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إنها آخر ما نزل من القرآن فما

وجدتموه فيها حلالاً فأحلوه وما وجدتموه فيها حراماً فحرّموه " وذلك لأنها آخر ما نزل من القرآن ولم ينسخها شيء وإذا لم يكن فيها إلا تلك الآية لكفتنا ، وقد جاء أحد اليهود إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال يا أمير المؤمنين إن عندكم آية في كتابكم لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا يوم نزولها عيداً وعمر رضي الله عنه كان فطناً لماحاً قال إني لأعلمها وإنها نزلت في يوم عيد نزلت في يوم عرفة وهو عيد سنوي ونزلت في يوم الجمعة وهو عيد اسبوعي إنه قول الله عز وجل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً " وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: الله عز وجل أكمل دين الإسلام فلا يحتاج لزيادة أبداً - أي لا يأتي واحداً من الناس مهما بعدت السنين وإلى يوم القيامة ويقول أن دين الإسلام يحتاج إلى زيادة لأن الله عز وجل أعلمنا أنه أكمله - ثم يقول : وأتمه الله فلا ينقص أبداً - الله عز وجل أتم النعمة وإذا كانت النعمة تامة فإنها لا تنقص أبداً لأن الذي أتمها هو الله عز وجل رب العالمين الذي يعلم كل صغيرة وكبيرة في كونه وهو خالق كل شيء وهو القادر على أن يخلق ما يشاء بكلمة كن فيكون فإذا قال الله عز وجل أنه أتم دين الإسلام فلن ينقص أبداً - ثم يقول : ورضيه الله عز وجل فلا يسخطه أبداً "

دين الإسلام إنما هو أمرين عبادات ومعاملات ، عبادات نعبد بها الله عز وجل ومعاملات نتعامل بها في حياتنا وتلازمنا من يوم مولدنا حتى انتهاء آجالنا ويقول الله في حق العبادات ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ الذاريات 56 - 57 الله عز وجل هو الرزاق وما أمرنا بالعبادة لكي نرزقه فهو الغني عن كل خلقه ولكن معناها كما قال علي بن أبي

طالب ﷺ أي ليقروا لله عز وجل بالعبادة طوعاً أو كرهاً فإن هناك في الخلق الملحد الذي يقول بعدم وجود إله وهناك المشرك الذي يجعل لله نداً ، ويقول الله عز وجل في الحديث القدسي " أنا والجن والإنس في نبأ عظيم أخلق ويُعبد سواي وأرزق ويُشكر سواي وخيري للعباد نازل وشرهم إليّ صاعد أتقرب إليهم بالنعيم ويتبغضون إليّ بالمعاصي " وهذا هو حال كثير من الناس مع الله عز وجل ، وكذلك يقول الله عز وجل " يا بن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تلعب فاطلبنى تجدني فإن وجدتنى وجدت كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء "

إن العبادة في دين الإسلام هي التي أمر بها الله عباده والتي علمنا إياها رسول الله ﷺ لذا في دين الإسلام وفي الفقه فيه أن عبادة الله أمور توقيفية لا يعبد الله أحد على هواه وبما يحب ويرتضي ولكن بالكيفية التي يحبها الله ويرتضيها وأمر بها وعلمها لرسوله ﷺ وأمره أن يعلمنا إياها فالعبادات كما يقول الشافعي رحمه الله لا استحباب فيها لا يعبد الله بالهوى والاستحسان ، إنما يعبد الله بالاتباع فإن الله أمرنا في صلاة الظهر مثلاً أن نصلي أربع ركعات فلو قال إنسان أزيد عليها ركعة كي أتقرب إلى ربي فصلى خمسة متعمداً فقد بطلت صلاة الظهر كلها أو أن يجعل الركوع لله ركعتين بدلاً من واحدة فإن صلاته باطلة وكذلك إذا زاد أو نقص في أي ركن من الصلاة على هواه فإن صلاته كلها مردودة عليه لا يقبلها الله عز وجل منه لأن العبادات في دين الإسلام بالاتباع وهذا معنى توقيفية يقول قائل :

عبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابد هما قطبان ، فإن العبادة لكي يقبلها الله عز وجل لابد لها من جناحان الأول أن تكون موافقة للشرع أي جاء بها وعلمنا إياها رسول الله ﷺ والثاني أن يكون فيها

الإخلاص لله عز وجل فإن كانت العبادة موافقة للشرع ولكن بدون إخلاص في أدائها لله عز وجل فهي مردودة على من عملها وكذلك إن كانت النية صادقة والإخلاص موجود لله ولكن العمل مخالف لشرع الله فإنها أيضاً مردودة على صاحبها ، ثم يقول القائل ومدارهما بالأمر أمر محمد ﷺ لا بالهوى والنفس والشيطان ، ليس بهوى إنسان أو بنفسه أو شيطانه فإن الشيطان يأبى أن يعبد الله فإذا استحسنت في العبادة فقد عبدت شيطانك وعبدت الهوى وعملك مردود ، ورسول الله ﷺ جاء أمام الناس وصلى أمامهم وبعد أن صلى قال صلوا كما رأيتموني أصل ، وأبو هريرة ؓ بعد أن فارق رسول الله ﷺ الدنيا بسنين وقف يصلي بالناس إماماً وبعد أن سلم قال والله لقد صليت بكم صلاة رسول الله ﷺ فما أعلمنا رسول الله ﷺ أعلمناكم وما أخفاه عنا رسول الله ﷺ أخفيناه عنكم " فرسول الله ﷺ علم الصحابة وهم علمونا كيف نعبد الله عز وجل ، وكذلك عندما خرج رسول الله ﷺ حاجاً ومعتماً ومن حوله أهل الإسلام عن يمينه وشماله ومن أمامه ومن خلفه فقال لهم أيها الناس خذوا عني مناسككم " هذه العبادة وكيفية أدائها إنما هي أمور توقيفية كما فعلها رسول الله ﷺ نفعلها وكما أمر بها نأتيها وقد أجمع أهل الفقه في دين الإسلام على أن العبادات لا اجتهاد فيها ، كل المذاهب الإسلامية تقف عند العبادة ولا تتكلم فيها بقليل أو كثير ولكن أهل الفقه يصفون ويقولون كان رسول الله ﷺ يصل كذا ويفعل كذا وذلك لأن رسول الله ﷺ في العبادة إنما هو مأمور وهو الذي كان يقول لنا نُهَيْت أن اقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً فقراءة القرآن تكون في الوقوف في الصلاة فمن قرأ في ركوع أو سجود فقد خالف العبادة التي أمر بها الله عز وجل رسوله والتي أمرنا بها رسول الله ﷺ لأنه قال نُهَيْت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً أما الركوع فسبحوا الرب فيه وأما السجود فأكثرُوا

فيه من الدعاء قمن أن يُستجاب لكم " من الذي علمه الذي علمه الله عز وجل فلا أحد يعبد الله على هواه وإذا نظرنا إلى أقوال أهل العلم فإن الإمام الشافعي رحمه الله يقول إذا صح الحديث فهو مذهبي واضربوا بكلامي عرض الحائط " وذلك حتى لا يأتي واحداً من الناس يقول قال الشافعي كذا وكذا وأمر ونهى ولكن إذا وجدت حديثاً صحيحاً فخذ به واضرب بكلام الشافعي عرض الحائط، وكذلك الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كان إذا عُرض عليه مسألة أو أمر ليقول فيه فتوى بعد أن يجيب المسألة يقول هذا ما وصل إليه علمي فإذا رايتم ما يخالفه في كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضربوا بكلامي عرض الحائط، هذا ما وصل إليه علم الإمام أحمد بن حنبل فمن وجد في كتاب الله أو حديثاً لرسول الله يخالف قوله فلا يقول أحد قال الإمام أحمد بن حنبل وإنما بناءً على وصيته يأخذ الناس بما وجدوه في كتاب الله أو سنة رسوله ولا يأخذوا بما قاله هو، وأيضاً قال ما هو أبعد من ذلك العبادات الأمر فيها توقيفي لا اجتهاد فيها بينما المعاملات فيها اجتهاد لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنتم أعلم بأمور دنياكم، وعبد الله بن عباس رضي الله عنه كان يقول توشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء إذا قلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تقولوا قال أبو بكر أو قال عمر " إلى هذا المدى إن كان هناك حديثاً صحيحاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عمل قام به أو فعل فعله أو إقراراً منه بفعل فإنه ليس لقائل حتى وإن كان هذا القائل هو أبو بكر أو عمر رضي الله عنهما، وكذلك يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كل إنسان يؤخذ من كلامه ويُرد عليه إلا المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم، وعن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب ودمعت منها الأعين فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فبما تأمرنا قال تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك فعليكم بسنتي

وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة " كل محدثة في العبادات بدعة وهى مردودة على صاحبها ، وعن جابر بن عبد الله الأنصاري ؓ قال قال رسول الله ﷺ إن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار " وكذلك يقول رسول الله ﷺ اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم " أي إنه هو كفانا أمر ديننا وعلمنا كيف نعبد الله عز وجل هذا كله في العبادات ، وأما المعاملات فكما قال معاذ بن جبل ؓ عندما بعثه رسول الله ﷺ قاضياً على اليمن حيث قال له يا معاذ بما تحكم إذا عُرض عليك القضاء قال أحكم يا رسول الله بكتاب الله فقال له فإن لم تجد قال - هو يريد أن يبطل حجج من سيأتون من بعده وإلى يوم القيامة الذين يتصلون من الشرع - قال فبسنة رسول الله ﷺ قال له فإن لم تجد قال أجتهد ولا آلو " إذن متى يكون الاجتهاد يكون في المعاملات عندما لا يكون هناك حكماً قاطعاً لها في كتاب الله عز وجل أو في سنة رسوله ﷺ له أن يجتهد أما العبادات فإن الأمر فيها كما أجمع أهل العلم في دين الإسلام وأجمعت المذاهب كلها أنها توقيفية ذلك لمن أراد أن يعبد الله عز وجل كما يحب ويرضى .

عبادة الله عز وجل

يقول الله عز وجل ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾
الذاريات 56 - 58 ما خلق الله خلقاً إلا لعبادته إلا أنه غني عن عبادتهم
أجمعين بل إن كل الخلق في حاجة إلى رب العالمين وما كان الله محتاجاً
إلى أحد من خلقه، لذلك جعل العبادة التي أمر بها وحض الناس عليها
وجعل الطاعة في أوامره منهاجاً وطريقاً إلى الجنة وجعل المعصية فيها
وعدم الانقياد من الجرائم التي تؤدي إلى جهنم والعياذ بالله فقد جاء في
حديث قدسي عن المولى عز وجل نقله إلينا رسول الله ﷺ قال " يا عبادي
كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع
إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من
كسوته فاستكسوني أكسكم - فمن يريد الهداية يطلبها من الله عز
وجل ومن يريد الطعام والكساء فليطلب من الله عز وجل الذي يملك
الملك والملكوت - يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم
كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ولو أن
أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كان على قلب أفجر رجل ما نقص
ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم
قاموا في صعيد واحد فسألني كل واحد منهم مسألة فاعطيت لكل
واحد مسألته ما نقص ذلك في ملكي شيئاً إلا كما ينقص المخيط إذا
وضع في البحر " هذا هو ملك الله عز وجل وقدرته لأنه يقول ﴿يَا أَيُّهَا
النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ. إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ
وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ. وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ فاطر 15 - 17 الله

عز وجل غني عن عباده بل إنه هو الذي يفتح عليهم بالنعيم وإذا شاء قبضها فيقول ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. فاطر2 إذا فتح الله خزائنه فإنها لا قوة مهما كانت تستطيع أن تصد خير الله إذا نزل وإذا أمسك الله عز وجل خزائنه فإنه لا قوة مهما علت تستطيع أن تفتحها إلا بإرادة المولى عز وجل، فإذا كان الأمر كذلك فمن الحكمة أن نطلب ونسأل صاحب هذه الخزائن ولذلك يجب أن نسأل أنفسنا هذا السؤال لماذا أمر الله بعبادته وبالصلاة والقيام لماذا أمر بالصوم وبالزكاة والحج ؟ لنعلم أن الله عز وجل ما حملنا هذه العبادات وما أمرنا بها إلا لمصلحتنا قبل كل شيء إلا لأن يكون الفرد المسلم محبوباً في المجتمع الذي يعيش فيه إلا لأن يكون نوراً ربانياً هادياً مهدياً يسير في الأرض كأنه من ملائكة الرحمن المقربين، الله عز وجل أمرنا بصيام رمضان فصمنا وأمرنا بقيام ليله فقمنا ولكن رسول الله ﷺ يحذرنا فيقول رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، هو صام ولكنه ما تقرب بصيامه إلى الله رب العالمين فما حصل من صيامه إلا الجوع والعطش لأنه لم يأتي بالمعنى الذي أراده الله من الصيام ولكي نفهم ذلك نقرأ حديث آخر لرسول الله ﷺ قال من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " فكان هنا أن الصيام إذا لم يمنع صاحبه عن ارتكاب المعاصي والآثام فما نفعه الصيام بشيء وما حصل أجره وكل ما حصله هو الجوع والعطش وذلك لأن قول الزور من شأنه أن يعطي حقاً لمن لا حق له ويسلب حقاً ممن يستحقه لذلك فكأنه لم يصم، ورسول الله ﷺ يقول إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب وإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم إني صائم " كانت هذه المعاني التي تجعل المسلم من الصائمين حين يمتنع عن الغيبة ولا يرد سباً بسباب لأنه

يصوم طاعة لله عز وجل ، وعن جابر رضي الله عنه قال إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الغيبة والكذب ودع أذى الناس ولا تجعل يوم فطرك ويوم صومك سواء " كان ذلك في عبادة الصيام وكذلك الأمر في القيام الذي هو الصلاة لله عز وجل يقول فيها ﴿ ائْتِلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ العنكبوت 45 كانت تلاوة القرآن طوال شهر رمضان وفي القراءة تخرج الألفاظ من بين الفكين واللسان يخرج منهما كلام الله فهل يحل أن يكون الفكين واللسان مخرجاً أيضاً للقبیح من القول إنه لا يحل ذلك فإن صحابة رسول الله كانوا يطهرونه بالسواك قبل تلاوة القرآن فما بالنا فيمن يخوض في أعراض الناس ثم يتلو كتاب الله ومنهم من يكذب بهذا اللسان، وفي الآية أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فإن عمران بن حصين رضي الله عنه قال يا رسول الله أخبرنا عن قول الله عز وجل إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فقال رسول الله ﷺ من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له " فهناك من يستقبل القبلة ويقول الله أكبر ويرفع يديه مكبراً ويقرأ الفاتحة ويركع ويسجد ويسبح ويحمد ويدعو حتى ينتهي من الصلاة ولكنه ما صلى وما أدى صلاة إذا كان من الذين يصنعون الفاحشة والمنكر فما تقبل له صلاة رغم إنها عبادة لله عز وجل التي هو غني عنها ولكن العبد ما أدها بمعناها الذي أراده الله عز وجل لأن الله أراد بها أن يكون مؤديها نوراً يمشي بها بين الناس ولكن من أتى بالفاحشة والمنكر فكأنه شيطان بين الناس فكيف يكون مصلي والذي قالها هو محمد ﷺ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً " وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا صلاة لمن لم يطع

الصلاة " إذن هنا الصلاة لها طاعة فما هي طاعتها قال وطاعة الصلاة
النهي عن الفحشاء والمنكر "

ثم يقول في الآية ولذكر الله أكبر، كان ذكر الله يجعل
اللسان رطباً لمن يلزمه ليل نهار بأن يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله
إلا الله والله أكبر كل هذا من ذكر الله عز وجل أما الصلاة فإن لها
أوقاتاً محددة فكان ذكر الله أكبر من الصلاة في النهي عن الفحشاء
والمنكر وبالمنع عن المعاصي والذنوب، وفي حديث قدسي نقله إلينا
رسول الله ﷺ عن رب العزة يقول " إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها
لعظمتي ولم يستطل بها على خلقي ولم يبت مصراً على معصيتي ورحم
الأرملة والمسكين وابن السبيل ذلك نوره كنور الشمس استحفظه بعزتي
وأكلته بقوتي وأجعل له في الظلمة نوراً وفي الجهالة حلماً ومثله في خلقي
كمثل الفردوس في الجنة " يقبل الله عز وجل الصلاة من كل متواضع
وليس من متكبر على الناس حتى وإن تكبر عليهم بهذه العبادة لأن
المتواضع يعلم أن الله هو خفي الألفاف، ولم يبت ليله وهو مصراً على
معصية إنما يستغفر الله عز وجل ويتوب إليه وينيب إليه دائماً من كل
ذنب ومعصية ويبرأ إلى الله من كل قبيح وكل فاحش أو منكر، وقد
كان رسول الله ﷺ يكره كل فاحش متفحش ويكره كل بذيء من
القول أو العمل، ويقبل الله الصلاة ممن يتصف بالرحمة خصوصاً مع
الضعفاء مثل الأرملة والمسكين وابن السبيل فإن الصلاة تجعل صاحبها
رحيماً بهؤلاء فمن كان مصلياً ولا يرحم فما صلى وما أدى العبادة لله
عز وجل وما تقبلها الله عز وجل منه وكل ما حصله هو حركات ليس
له بها أجراً إلا إذا أراد الله عز وجل أن يعفو عنه بها أو أن يرحمه بها،
ومن أداها كما أرادها الله منه فإن الله وعده بأن يكون له نوراً يمشي

به في الناس وأن يحفظه بعزته ويجعل الملائكة معه ثم كان مثله بين الخلق كمثل الفردوس وهي أعلى وأفضل مكان في الجنة فكان ذلك أجر الصلاة كما أَرادها الله عز وجل من عباده .

والله عز وجل عندما أمر الناس بأداء الزكاة وبذل الصدقة قال في كتابه ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَى ۖ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَى ۚ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ البقرة 263 - 264 جعل الصدقة التي ينفقها صاحبها وفيها أذى للناس عدم إخراجها أولى لأنها سوف تكون وبالاً على المعطي لأنه ما جعلها قرينة إلى الله عز وجل وأن تلقى أخاك ووجهك له طلق خير لك من أن تعطيه وأن تؤذيه إنما الصدقة التي يقبلها الله عز وجل عبادة هي التي كانت فيها تواضع لأنه يعلم أن الذي رزقه إياها هو الله عز وجل ولو شاء الله لمنع عنه الرزق وجعل ذلك الفقير الذي يأخذ الصدقة هو الغني الذي يعطيه فإن الله عز وجل يقلب الأمور وإنها بين اصبعي الرحمن يقلبها كيف شاء .

إن الله عز وجل أمرنا بالعبادة لنكون أحسن الخلق وبيننا وبين أنفسنا ليكون ذلك المجتمع سالماً سعيداً وحتى تكون الأمة كلها مترابطة يرحم بعضها بعضاً .

الحج هو المدرسة التي تربي هذه الأمة فإذا عاد الحاج من حجته وهو يحمل أخلاقاً قبيحة وهو يحمل أحقاداً في صدره فلنعلم أنه ما حج أو اعتمر لأن رسول الله ﷺ يقول من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه " وذلك لأن الله عز وجل جعل هذه العبادات من حج وعمرة وصيام وصلاة وزكاة لكي تربي الناس فإن الصيام كما ينبغي أن يكون والقيام كما ينبغي أن يكون يجعل من أداهما وكأنه ملك

الخير كله بل وتعود عليه فلا يترك ما خرج به منه من أخلاق ومعاملات وصبر ورحمة طوال العام فإنه قد انتهى عن المعاصي في رمضان وأخذ هذه الشحنة الإيمانية من عبادة الله عز وجل التي أمر بها فكانت هذه الشحنة هي السبيل في التعامل مع الناس حتى يأتي رمضان التالي ويكون المسلم على الجادة على الطريق الذي رسمه الله عز وجل وأمرنا به رسوله فقد قال رسول الله ﷺ من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه " وقد جاءه رجل وقال يا رسول الله إني أصوم الشهر ولا أزيد وأصل الخمس ولا أزيد - هو رجل مؤمن تقي يصل ويصوم بمعنى الصيام والصلاة - وليس في مالي صدقة ولا حج ولا عمرة فاين أنا إذا مت ؟ فقال له رسول الله ﷺ أنت معي في الجنة إذا حفظت من نفسك ست أن تحفظ القلب من الحقد والحسد - أن يحفظ قلبه فلا يكون حاقداً ولا حاسداً لأحد فيحبه الناس لأن قلبه نقياً طاهراً فمن يحقد على الناس ويحسدهم تراه مكروهاً منهم لذلك قال له أن تحفظ قلبك من اثنين الحقد والحسد - وأن تحفظ لسانك من اثنين الغيبة والكذب وأن تحفظ عينك من اثنين أن تنظر بهما إلى حرام أو تزدرى بهما مسلماً " أن يحفظ لسانه عن الغيبة والخوض في أعراض الناس وأن يحفظه كذلك من الكذب وأن يحفظ العين من النظر إلى كل ما هو حرام وكذلك من أن يحتقر بهما مسلماً فيؤذيه فإن رسول الله ﷺ يقول رب مدفوعاً بالأبواب لو أقسم على الله لأبره " أي قد يكون هذا الذي تحتقره أعظم منك شأنًا عند الله عز وجل حتى إنه لو سأل الله لأعطاه رغم هوانه على الناس ولكنه عند الله أتقى وأعظم رتبة من الكثير من الناس ثم يقول له رسول الله ﷺ أنت إن فعلت ذلك فأنت معي في الجنة تدخلها على راحتى هاتين أي على كفى رسول الله ﷺ وذلك إذا عبدت الله عز وجل كما ينبغي حتى يجعل الله لك نوراً تمشي به بين الناس

وليست العبادة التي تجعل الناس يطلقون عليك الألفاظ مثل شيخنا أو مولانا أو سيدنا ،

من يعبد الله عز وجل حق عبادته تكن له هذه العبادة هي الزاد الذي يدخله الجنة فإن رسول الله ﷺ يقول ألا أخبركم بدرجة هي أعلى من درجة الصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة قالوا بلى يا رسول الله قال إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة ولا أقول تحلق الشعر وإنما تحلق الدين " أن تصلح بين الناس هي أعلى الدرجات في الأجر والثواب عند الله وذلك لأن فساد العلاقات بين الناس من شأنه أن تكثر الشرور والآثام وتعم الفوضى وينسى الناس بسببها دينهم لذلك كان التشبيه من رسول الله بأنها تحلق الدين أي تقتلعه من قلوب العباد والعياذ بالله فيصبح لا دين ولا عبادة لهم والله عز وجل يقول ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۚ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ وَمَا ذِكْرُكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ فاطر 15 - 17 وعلى الفقير أن يلجأ إلى الغني الكريم الواحد الأحد حتى يحصل على السعادة في الدنيا والآخرة فإن عبادة الله حق عبادته تعود بالنفع والمغفرة والسعادة والخير كله على العباد لأن رب العباد غني عن العالمين .

الوضوء

يقول رسول الله ﷺ طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل نفسه من غير مسألة وأنفق مالا جمعه من غير معصية ورحم أهل الفقر والمسكنة وخالط أهل العلم والحكمة " كانت مخالطة أهل العلم والحكمة كما قال رسول الله ﷺ من الأمور التي تجعل الإنسان من رواد الجنة ويقول قائل :

كل العلوم سوى القرآن مشغلة والأحاديث من دون الدواوين
العلم ما كان فيه حدثنا وما سواه فوساوس الشياطين

وقال لقمان الحكيم وهو يعظ ابنه يا بني إذا أتيت مجلساً فارهم بسهم الإسلام أي قل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم اجلس ناحيتهم فإذا رأيتهم خاضوا في ذكر الله فادلو بدلوك معهم أي إذا وجدت هؤلاء الناس في ذلك المجلس يذكرون الله عز وجل فانضم إليهم ثم يقول له الحكمة من الانضمام فيقول فإنك إن كنت جاهلاً علموك وإن كنت عالماً ازددت علماً وإن ينزل عليهم من الله رحمة تصيبك، عندما تنتزل الرحمات من الله على مجالس العلم وذكر الله فإن رحمة الله عز وجل تصيب كل من يجلس في هذا المجلس ثم يقول له وإذا رأيتهم خاضوا في أمور أخرى فاهرب منهم فإنك إن كنت عالماً لم ينفعك علمك وإن كنت جاهلاً ازددت جهلاً وإن ينزل عليهم سخط من الله عز وجل يصيبك منه .

رسول الله ﷺ قال لأصحابه ذات يوم هل أدلكم على ما يرفع الله عز وجل به الدرجات ويمحو به الخطايا قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ

الوضوء على المكروه وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط " فكان هنا إسباغ الوضوء على المكروه أي إجادته حتى في أوقات الكره من استعمال الماء كأن يكون شدة البرودة أو أي سبب يجعل استعمال الماء صعباً عسيراً فيكره الإنسان ذلك فإنه إن أسبغ وضوءه على ذلك الكره كان من عوامل رفع الدرجات ومحو الخطايا والذنوب من الله عز وجل، والوضوء عبادة لذلك هو من الأمور التي يكفر الله عز وجل بها الذنوب يقول رسول الله ﷺ الخصلة الصالحة في الرجل يصلح الله بها عمله كله أو شأنه كله - عندما يكون في إنسان خصلة صالحة من خصال الخير يصلح الله بها شأن وأمر هذا الإنسان - ووضوء الرجل لصلاته يكفر به الله عز وجل عنه ذنوبه وتبقى صلاته له نافلة " والذنوب هنا هي صفائر الذنوب التي قد يقع فيها كل إنسان وعليه اجتنبها أما الكبائر منها فلا يقربها المسلم وبعد أن يحسن الوضوء ويغفر الله ذنوبه تكون بعدها الصلاة التي يؤديها نافلة له عند ربه وقرباناً إليه، وإذا توضأ الإنسان خرجت منه الذنوب والخطايا حتى كأنها تخرج من بين أظافر يديه وقدميه، ومعنى كلمة الوضوء فهي مشتقة من الوضأة أي الحسن والجمال الملفت للنظر فإن الوضوء يجعل في صاحبه نور وبشر وسرور لذلك كان الوضوء من الأمور التي دلنا عليها رسول الله ﷺ لكي تطرد الشياطين فقد قال رسول الله ﷺ إنما الغضب من الشيطان والشيطان خلق من نار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ " عندما يتوضأ الإنسان فإنه تخرج منه الكآبة والغم وتهدأ أعصابه حتى إن كان هناك غضب وثورة ذهب هذا الغضب وتلك الثورة لأن رسول الله ﷺ هو صاحب هذه الروشة وهذا العلاج، ولنعلم أن الوضوء هو العلامة التي تميز أهل الإسلام وأمة محمد يوم القيامة فتكون ميزة لهم عن سواهم من كثرة

الوضوء يكون الوجه مضيئاً كما هو في الدنيا مضيئاً في الآخرة فيُعرف بها المسلم عن بعد تخبر عنه وتدل عليه هذه الجبهة المضيئة، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال دخل رسول الله ﷺ المقابر يوماً فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون ونحن إن شاء الله بكم لاحقون ثم قال وددت لو أنا رأينا إخواننا فتعجب الصحابة من هذه فقالوا يا رسول الله أو لسنا إخوانك قال أنتم أصحابي أما إخواننا فإنهم لم يأتوا بعد " إذن فمن هم إخوان رسول الله ﷺ قالوا يا رسول الله كيف تعرف من لم يأتي بعد فقال أرايتم إن كان لرجل خيل محجلة بين ظهراي خيل بهم دهم ألا يعرف خيله - كان هنا التشبيه بالمثل حتى ييسر لهم الفهم قال لو أن لأحدكم خيل محجلة أي بها بياض في جبهتها وأرجلها وهي مميزة بذلك عن باقي الخيل التي تسير معها ألا يعرفها صاحبها - قالوا بلى يا رسول الله قال إنهم يأتوا يوم القيامة غراً محجلين من أثر الوضوء وأنا فرطهم على الحوض " إخوان رسول الله ﷺ وإخوان هؤلاء الصحابة يتميزون يوم القيامة بأنهم غر محجلين من آثار الوضوء كان الوضوء هو سبب تميزهم عن غيرهم من البشر، وللوضوء شروط قبل أن تبدأ به أولاً أن يكون بالماء فإن الوضوء طهارة بالماء على أعضاء مميزة والله عز وجل هو الذي أمر به في كتابه وأمر به رسول الله ﷺ في سنته فقد قال في حديث له لا يقبل الله عز وجل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ" وأجمعت الأمة منذ أيام رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا على أنه لا تصح العبادات التي يشترط فيها وضوء إلا به إلا إذا كان هناك عذراً يمنعه، والشروط التي يجب أن تتوافر قبل الوضوء أن يكون بالماء الطهور والماء الطهور له ما يميزه عن باقي الماء أبسطها ألا يكون به نجاسة ثم بعد ذلك ألا يكون هناك حائلاً بين الماء وأعضاء الوضوء حتى يصل إليه الماء ويعممه ومن هذه الحوائل الشحوم والدهون التي تمنع وصول الماء إلى

الأعضاء فيجب إزالته قبل الوضوء ومنها الطلاء الذي قد تضعه بعض النساء في الأظافر وكل ما شابهه يجب أن يُزال قبل الوضوء حتى يصح الوضوء وذلك لأن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يصلي وهناك لمعة على ظهر قدمه بمقدار الدرهم فقال له وأمره أن يعيد الوضوء والصلاة لأن هذه اللمعة كانت حائلاً بين الماء وبين قدمه فلم يصح له وضوء وبالتالي لم تصح له صلاة فأمره أن يزيل هذا الشيء ثم يتوضأ ، وهناك أمر ثالث من الشروط وهو أن يحدث لك ما ينقض الوضوء أثناء الوضوء هنا يجب إعادة الوضوء من أوله لذلك يجب أن نتعلم فرائض الوضوء والسنن فيه فإن فرائض الوضوء لا يصح إلا بها وأما السنن فإن فعلتها أثابك الله عليها وإن لم تفعلها فإنه لا وزر عليك ولكن يعاتبك رسول الله ﷺ على تركها ، من هنا نقول أن للوضوء فرائض ستة أولها النية فإن الله عز وجل لا يقبل عبادة بغير نية لأن هذه العبادة قريبة إلى الله عز وجل وامتنالاً لأوامره لأن الأعمال بالنيات فإن أردت الوضوء تكون نيتك موجهة له وقد قال فيها أهل الفقه في التلفظ بها أنه مكروه أو بدعة لأن رسول الله ﷺ يقول النية محلها القلب فنية الوضوء أنه عبادة تعبد بها الله عز وجل وهو شرط للعبادات التي لا تصح إلا به ويكون خالصاً لهذه العبادة فإذا توضأ إنسان وأدى فيه كل الفرائض والسنن ولكن كانت نيته أن يبرد به جسده من الحر فهذا ما كانت نيته أن يتعبد به للصلاة أو غيرها وقد أجمع أهل الفقه أنه لو صلى بذلك الوضوء لم تصح صلاته والإمام أبو حنيفة رحمه الله قال إن الصلاة تصح به ولكن لا ثواب له بهذا الوضوء لأنه ما نوى أن يعبد به الله عز وجل ، وثني الفرائض بعد النية غسل الوجه فقد قال الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ المائدة 6 الله عز وجل هو الذي رتبها هذا

الترتيب فكانت هذه الأربعة أعضاء بعد النية خمسة فرائض، وغسل الوجه يكون بكامله من أعلى الجبهة حتى أسفل اللحية طويلاً ومن شحمة الإذن يميناً إلى شحمة الأذن شمالاً كان ذلك غسل الوجه كما فعل رسول الله ﷺ ثم غسل اليدين إلى المرفقين وهما الكوعين وأن يصل الماء إلى نهاية الكوعين كان هذا هو الفرض الثالث والرابع مسح الرأس وقد ورد فيه عن رسول الله ﷺ ثلاثة أفعال من أخذ بأيهم فقد أصاب فقد جاء في حديث عن عبد الله بن زيد ؓ أن رسول الله ﷺ توضأ فمسح رأسه بيديه أقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما إلى خلفها ثم رجع بهما إلى المكان الذي بدأ منه، وفي حديث مقدار بن معد أن رسول الله ﷺ توضأ فمسح رأسه بيديه ثم مسح على أذنيه ظاهرهما وباطنهما لأن الأذنين من الرأس أي أدخل أصبعيه في أذنيه وفي مذهب الإمام الشافعي أن رسول الله ﷺ توضأ فمسح على العمامة ولم يخلعها ومسح على الخفين من هنا قال الإمام الشافعي ؓ بجواز المسح على شعرات من الرأس فإن ذلك يجزيء عن باقي الشعر وأما الثالثة في مسح الرأس فقد جاء عن المغيرة بن شعبه ؓ أن رسول الله ﷺ توضأ فمسح على ناصيته والعمامة على مقدم الرأس فقال الإمام أبو حنيفة ؓ أن المسح على الرأس يجوز بمسح ربع الرأس لأن رسول الله ﷺ مسح على الناصية هذه كأنها ربع الرأس والباقي على العمامة، كانت هذه الثلاثة أفعال في مسح الرأس، والفرض الخامس من فروض الوضوء هو المسح على الرجلين حتى الكعبين ورسول الله ﷺ مسح على القدمين وأمر بغسلهما فعن عبد الله بن عمر ؓ أن رسول الله ﷺ مر عليهم وهم يتوضأون فقال لهم ويل للأعقاب من النار " ومعناها أن لا يكتفي المتوضأ بوصول الماء إلى الكعبين فقط ولكن يجب أن يصل الماء إلى ما بعدهما لأن رسول الله ﷺ قال ويل للأعقاب أي هذه البروز إذا لم يصلها الماء،

كان ذلك في الفرض الخامس وأما الفرض السادس فهو ان تكون هذه الفروض السابقة متتابعة يتبع بعضها بعضاً بهذا الترتيب، هذه الأمور هي الفرائض التي لا يصح الوضوء إلا بها وإذا سقط منها شيء فإنه لا يصح الوضوء وبعدها تكون السنن في الوضوء وهي التي فعلها رسول الله ﷺ وأولها التسمية بسم الله الرحمن الرحيم فإن رسول الله ﷺ قال لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه " ثم ثاني السنن غسل الكفين إلى الرسغين وتلك السنة يجب اتباعها في كل وقت ليس فقط للوضوء فإن رسول الله ﷺ قال إذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يديه ثلاثاً قبل أن يغمسهما في الإناء فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده، وأما الثالثة فهي المضمضة فقد قال رسول الله ﷺ للقيط بن صبره إذا توضأت تمضمض " وكانت الرابعة الإستنشاق والإستنثار فإن رسول الله ﷺ قال اسبغ الوضوء وبالغ في الإستنشاق .

الوضوء 2

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ ثلاثة أحلف عليهن لا يجعل الله عز وجل من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له - لأن الله عز وجل لا يجعل أهل الإيمان مثل أهل الفجور فقال ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ. مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ القلم 35 - 36 هذه لا تكون أبداً لأن الله عز وجل وضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا يُظلم عنه أحد فإن أهل التقوى والإيمان مقربون عند الرحمن وأهل الفجور والعصيان هم أعوان الشيطان - وأسهم الإسلام ثلاثة الصلاة والصيام والزكاة - تلك هي الأعمدة الثلاثة في دين الإسلام أما الحج فمن استطاع إليه سبيلاً وأما الشهادتين فإنها سهلة ميسرة على كل إنسان، ثم قال عن الثانية التي يحلف عليها

- ولا يتولى الله عز وجل عبداً في الدنيا فيؤليه غيره يوم القيامة - إذا كان الله عز وجل تولى إنسان وكان من أولياء الله الصالحين فإنه في معية الرحمن أيضاً يوم الدين، والثالثة - ولا يحب رجل قوماً في الدنيا إلا جمعه الله عز وجل معهم يوم القيامة " في هذه الثالثة إذا أحب إنسان قوم صالحين وأهل تقوى وإيمان جمعه الله معهم يوم القيامة وكان منهم وإذا أحب قوم ضلال أيضاً جمعه الله معهم يوم القيامة وكان منهم، وذلك مصداقاً لحديث رسول الله ﷺ يُحشر المرء مع من أحب " وعندما سمعها أصحابه قالوا ما فرحنا بشيء كما فرحنا بهذه، والإمام الشافعي رحمه الله قال أحب الصالحين ولست منهم لعلني أنال بهم شفاعته أي إنه يحب الصالحين حتى وإن كان هو غير صالح رغم إنه من أهل التقوى والصلاح ولكنه يقولها لنا لنأخذ بها ونتعلمها ونحرص عليها ثم أوضح النتيجة فقال لعلني أنال بهم شفاعته احتمال أن يشفعوا له عند الرحمن، ثم يقول وأكره من تجارته المعاصي ولو كنت شريكاً في البضاعة أي يكره كل مرتكب للمعصية ويتاجر بها حتى وإن كان هو شريك في هذه البضاعة ولكنه يكرههم ذلك قول الإمام الشافعي رحمه الله - ثم يقول رسول الله ﷺ والرابعة لو حلفت عليها أرجو ألا آثم ولا يستر الله عبداً في الدنيا إلا ستره في الآخرة " وعن مجاهد رحمه الله قال كنا أصحاب عبد الله بن عباس رضي الله عنه في المسجد طاووس وسعيد بن جبيرة وعكرمة كان هؤلاء من التابعين ليسوا من الصحابة دخل عليهم رجل فقال لهم فيكم من يفتي قالوا سل قال إني كلما بُلْتُ تبعه الماء الدافق قالوا الذي يكون منه الولد قال نعم قالوا عليك الغسل، وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنه يصلي فتعجل في صلاته ولما انتهى سألهم رأيتم الذي أحبتم الرجل به في كتاب الله عز وجل قالوا لا قال أي سنة رسول الله ﷺ قالوا لا قال فممن إذن قالوا من رأينا، ولأن في دين الإسلام أن العبادات ليس فيها

بالرأي إنما دين الإسلام دستور وقواعد نُقلت إلينا عن رسول الله ﷺ فيجب أن نتبعها إذا كان شيئاً في كتاب الله أو سنة رسوله أخذنا به وقلنا به وإذا كان فعلاً من أفعال الصحابة أخذنا به لأنهم كانوا أصحابين له وهم ألق الناس به فهم لا يعملون شيئاً يعلمون أن رسول الله ﷺ سوف يضاديه ، قال لهم عبد الله بن عباس ؓ لذلك قال رسول الله ﷺ فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد لأنه قد يأتي واحداً من الناس إلى هؤلاء الأف ويسأل سؤال فيجيبوه فتكون الإجابة وبالأعلى عليه وعليهم لأنهم ليس عندهم من الفقه شيئاً ثم قال عبد الله بن عباس ؓ إليّ بالرجل ولما حضر إليه الرجل قال له إذا كان منك ذلك الذي تشتكي تجد له شهوة في قلبك قال لا قال له أتجد له خدراً في جسدك قال لا قال له إنما هذه ابردة يكفيك منها الوضوء أي أن هذا مرض عندك وعليك أن تعالج نفسك منه ولكن ليس عليك الغسل إنما يكفيك الوضوء .

وكما قلنا سابقاً في الوضوء أن له فرائض وسنن والفرائض النية ثم غسل الوجه ثم اليدين إلى المرفقين ثم مسح الرأس ثم مسح القدمين إلى الكعبين ثم أن يكون بذلك الترتيب لأن رسول الله ﷺ قال ابدأوا بما بدأ به الله عز وجل ، وكانت هناك سنن للوضوء أولها التسمية ثم غسل الكفين إلى الرسغين ثلاثاً ثم المضمضة ثم الإستنشاق فإن رسول الله ﷺ جاءه لقيط بن صبره وقال يا رسول الله أخبرني عن الوضوء قال إذا توضأت أسبغ الوضوء وبالغ في الإستنشاق إلا أن تكون صائماً وخلل بين الأصابع " فكان هنا الإستنشاق سنة من السنن التي أمر بها رسول الله ﷺ وكذلك التخليل بين الأصابع من السنن التي أمر بها رسول الله ﷺ كما جاء في حديث رواه عبد الله بن عباس ؓ قال قال رسول الله ﷺ إذا

توضأت فخلل بين أصابع يديك وقدميك " أي أدخل الماء بين الأصابع حتى قيل أنه إذا كان إنسان يلبس خاتماً فإن عليه تحريكه حتى يدخل الماء تحته ، فكان ذلك التخليل من السنن ومنها أيضاً البدء باليمين أن تغسل اليد اليمنى أولاً ثم اليسرى حتى تعتاد على البدء باليمين في كل شيء فقد كان رسول الله ﷺ يحب التيمن في تنعله وترجله وفي وضوءه وفي شأنه كله ، ومن السنن أيضاً أن يتم غسل العضو ثلاث مرات فإنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ليعلمه الوضوء فعلمه الوضوء ثلاثاً ثلاثاً ، ومن السنن تدليك العضو الذي تغسله والتدليك لكي تتطمئن أن الماء قد انتشر وعم العضو كله ، وكذلك مسح الأذنين .

وفي سنن الوضوء إطالة الغرة وهي غسل مقدم الرأس زائداً عن المطلوب وكذلك التحجيل وهو غسل ما فوق الكعبين ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن أمتي يأتون يوم القيامة مغراً محجلين من آثار الوضوء " قال أبو هريرة رضي الله عنه فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل .

فإذا فرغت من الوضوء فادعوا الله عز وجل بهذا الدعاء ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول بعد أن يفرغ من وضوءه اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في داري وبارك لي في رزقي فقلت يا رسول الله سمعتك تدعو بكذا وكذا فقال هل تركت من شيء ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رب اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء .

أخي وحببيي المسلم إذا عبدت الله عز وجل وتوضأت كما علمت
وكان إمامك رسول الله ﷺ فهيا إلى مزيد من عبادة ربك والقرب منه
بصلاة ركعتين بعد الوضوء فإن أبا هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ
لبلال ؓ يا بلال ما أرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دف نعليك
بين يدي في الجنة - رسول الله ﷺ يقول أنه سمع وقع أقدام بلال في الجنة
فسأله عن سبب ذلك - قال : ما عملت عملاً أرجى عندي
من أني لم أتطهر طهراً في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور
ما كتب لي أن أصلي، أخي صل ركعتين بعد الوضوء خير لك من كل
خير .

عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ لا يقبل الله عز وجل
صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ قالوا يا أبا هريرة ما الحدث قال
فساء أو ضراط - إذا كان هذا هو الأقل يفسد الوضوء فالأعلى من باب
أولى أعظم، كذلك ما الذي يخرج من السبيلين وينقض الوضوء المذي
والودي، علي بن أبي طالب ؓ قال كنت رجلاً مذاءً فاستحييت أن
أسأل رسول الله ﷺ لمكانة ابنته فأمرت رجلاً أن يسأله فقال له رسول
الله ﷺ اغسل مذاكيرك وتوضأ كان هنا الأمر الوضوء، وسهل بن
حنيف ؓ قال كنت اعاني من المذي شدة وعناء وكنت أغتسل له
فسألت رسول الله ﷺ فقال إنما يكفيك الوضوء " لم يكن يعرف
الحكم فكان يخرج منه السائل الذي يخرج عند الشهوة ويخرج بعد
المني فكان يغتسل له فذهب إلى رسول الله ﷺ يشكو إليه فقال عليك
الوضوء، وكذلك مما ينقض الوضوء النوم المستغرق أما إذا كانت
إغفاءة قصيرة فلا شيء فيها وهو يشعر بما حوله ويذكر ما به وكان
جالساً وليس مستلقياً فإن فيها التخفيف لأن أنس بن مالك ؓ قال كان

صحابه رسول الله ﷺ ينتظرون العشاء تخفق رؤوسهم ثم يصلون ولا يتوضأون " هم جلوس ينتظرون الصلاة ما كان نومهم فيه استغراق إنما اغفاء فقط وهو جالس أما النوم المستغرق فإنه ينقض الوضوء وكذلك المغمي عليه وذهاب العقل كل ذلك ينقض الوضوء ومنها أيضاً أن يمس الإنسان ذكره فقد جاء في حديث عن يسر بنت صفوان رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ من مس ذكره فلا يصل حتى يتوضأ " وفي هذا الحديث نجد الكثير من الإسهامات الفقهية فمنهم من قال ليس كل مس إنما يباطن اليد وبالأصابع الذي تجد منه شهوة وتجد له تأثيراً في جسدك ولكن هناك من عمموا الأمر على المس فقد جاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ أيما رجل مس فرجه فليتوضأ وأيما امرأة مست فرجها فلتتوضأ " فكان من هنا التشديد في المس بأن فيه الوضوء وهناك حديث ثالث قال فيه أنه من مس ذكراً ليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء " هنا ما قال ذكر انسان أو غيره الذي تساهل وقال أن المس إذا كانت تتبعه شهوة ينقض الوضوء سببه أنه جاء حديث لطلق بن علي رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وسأله عن مس الذكر فقال وهل هو إلا بضعة منك ولكن قالوا أن حديث يسر بنت صفوان هو الأقوى وهو ناسخ لحديث طلق ولكن مذاهب الإسلام فيها سعة وذلك جاء عن رسول الله ﷺ الذي ينقض الوضوء هو مس القبل أو حلقة الدبر ذاتها وليس الشيء الذي يحيط بهما ، المس جاء فيه أنه العضو ذاته أما غير ذلك فلا شيء فيه ، ثم بعد ذلك المسألة المختلف عليها وهي مس المرأة أو الزوجة ينقض الوضوء أم لا ، وقد وصلت إلينا أحاديث كثيرة في هذا الشأن منها عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قبلني رسول الله ﷺ ثم قال أن القبلة لا تنقض الوضوء ولا تفطر الصائم " وفي حديث آخر قالت كان رسول الله ﷺ يقبل إحدى نساءه ثم يخرج يصل ولا يتوضأ

" وفي حديث ثالث قالت كنت أنام قبلة رسول الله ﷺ فكان إذا سجد غمزني في قدمي ثم يتم صلاته " وهناك ناس من أهل العلم في دين الإسلام قالوا من هذه الأحاديث أن المس للمرأة لا ينقض الوضوء وقال آخرون أي مس ينقض الوضوء وقال غيرهم إذا صاحب المس شهوة نقض وضوء من أثر فيه اللبس .

الغسل أولاً

إن دين الإسلام دين الخير كله وجُعِلَت النظافة فيه لها شأن عظيم فإنها عبادة يتقرب بها المسلم إلى الله عز وجل ورسول الله ﷺ يقول في حديث له خذوا من شعوركم واغسلوا ثيابكم واغتسلوا واستاكوا وتنظفوا وتزينوا فإن بني إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساءهم " ورسول الله ﷺ يقول في حديث حق على كل مسلم أن يغتسل كل سبعة أيام يوماً يغسل رأسه وجسده " وهذا أقل ما يجب كل سبعة أيام يغسل رأسه وجسده فكان ذلك الغسل عبادة لله عز وجل فأنت تنظف نفسك وتزين وتجعل المسام في جلدك تتنفس طبيعياً كل ذلك يعود عليك أنت بالانفع ولكنه إذا كان طاعة لرب العالمين كان لك فيه أجرا ، والاعتسال يجب مع أمور ويكون مستحباً في كل الأحوال ومع كل الأيام ولكن الذي يجعله واجباً أمور شرعها الله في دين الإسلام لا يصح للمسلم عبادة الله عز وجل حتى يغتسل كان أول هذه الأمور خروج المني من الرجل المسلم وإذا كان خروجه خروج طبيعى في حال نوم أو صحو ومن رجل أو امرأة كان ذلك الخروج فيه الغسل لأن رسول الله ﷺ قال إنما الماء من الماء أي الغسل من خروج الماء وخروج الماء يكون من الرجل ويكون من المرأة على السواء ، ورسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام إذا نضخت فاغتسل أي أنه إذا خرج منك الماء دافقاً أي بشهوة فيجب عليك الغسل ، وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قالت أم سليم لرسول الله ﷺ يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق هل على إحدانا غسل إذا احتلمت قال نعم إذا رأت الماء " وكذلك جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وسأله في حديث لعائشة رضي الله عنها قالت جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله رأيت بطلاً ولم أذكر حلاً فماذا عليّ قال عليك الغسل " وذلك

لأنه رأى الماء، وجاءه رجل آخر وقال يا رسول الله إني احتلمت ولم أرى بللاً فماذا عليّ فقال له لا شيء عليك " وذلك لأن الماء من الماء الغسل من رؤية الماء ومعاينته - قالت أم سليم رضي الله عنها يا رسول الله وإن رأّت المرأة مثل ذلك هل عليها غسل قال نعم إنما النساء شقائق الرجال " وأما إن كان خروج هذا الماء لمرض أو علة في الإنسان فإنه لا غسل عليه وذلك كما قال عبد الله بن عباس ؓ للرجل الذي استفتى من وجدهم في المسجد في خروج المني منه كلما بال فأفتوه بوجوب الغسل ولكن عبد الله بن عباس ؓ نهرهم لتسرّعهم في الفتوى وقال للرجل وسأله حتى يتيقن بأنه مريض أم لا فسأله هل يكون هذا الخروج بشهوة وهل تجد في جسدك خدراً بعدها فلما أجاب الرجل بالنفي هنا علم عبد الله بن عباس ؓ أن الرجل مريض لذلك أفتاه بعدم وجوب الغسل عليه بل يكفيه الوضوء، لأن الأمر في دين الإسلام إنما هو بالاتباع عن رسول الله ﷺ فقد قال علي بن أبي طالب ؓ لو كان الأمر في الدين بالرأي لكان مسح أسفل الخف أولى من وجهه، ولذلك قال لهؤلاء الذين أفتوا للرجل لقد صدق رسول الله ﷺ عندما قال فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، وأما الشيء الثاني هو التقاء الرجل بزوجته فإن التقاء الختان يوجب الغسل، وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ إذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل أنزل أو لم ينزل " والختان هو المكان الذي تُختن فيه المرأة وهو المكان الذي يُختن فيه الرجل ولا يشترط إنزال أم لا من الرجل أو من المرأة فيجب عليهما الغسل، وفي حديث لأبي هريرة ؓ إذا جلس بين شعبها الأربع وأجهدها فقد وجب الغسل أنزل أم لم ينزل وجب الغسل على الرجل والمرأة، ثم الأمر الثالث الحيض والنفاس إذا انقضت الحيضة وذهبت وإذا انقضى النفاس وذهب فإنه يجب الغسل ولا تصح عبادة ولا يكون صلاة ولا صوم

ولا قراءة قرآن إلا بعد الإغتسال فعن فاطمة بنت أبي حبيش رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال إقدي أيام حيضتك ثم اغتسلي " وذلك لمن كانت مريضة تجد الدم باستمرار فقال لها رسول الله أنت أدري بأيام حيضتك مقدارها وعددها فإذا انقضت فاغتسلي وأدي الفرائض فإن ذلك الدم لا يمنع صلاة ولا صوماً ولا قراءة قرآن، ولنعلم أن الجنب والمُجامع وأن صاحبة الحيض والنفاس إذا لم يغتسل الواحد منهم فإنه يحرم عليه أشياء أولها الصلاة فإن الصلاة لا تُقبل بغير طهور والصدقة لا تُقبل من غلول، وكذلك الطواف حول بيت الله الحرام فإن رسول الله ﷺ قال الطواف صلاة إلا أنكم تتكلمون فيه فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير " الطواف هذا صلاة لا بد لها من طهارة ويحرم ذلك على الجنب والحائض والنفساء إذا لم تغتسل، وكذلك أجمع أهل الفقه في دين الإسلام على أنه يمنع مس المصحف من الحائض والنفساء ومن الجنب ولكن قراءة القرآن أجازوها للحائض والنفساء في حالة واحدة فقط هي أن تخشى على نفسها من نسيان ما تحفظ من القرآن أما الجنب فإنه لا يحل له قراءة ولو آية واحدة من كتاب الله عز وجل والقراءة غير مس المصحف فإنها عن ظهر قلب ولكن لا يجوز مس المصحف إلا بحافظة أو داخل حقيبة فعن علي بن أبي طالب عليه السلام يقول كان رسول الله ﷺ لا يحجبه شيء عن القرآن إلا الجنابة " وفي حديث آخر له قال توضع رسول الله ﷺ ثم قرأ آية من القرآن ثم قال يا علي هذا لمن ليس جنب أما الجنب فلا ولا آية " وقد يسأل سائل يقول فما بال الحائض والنفساء تقرأ القرآن؟ تقرأه من الذاكرة من حفظها له ولا تمس المصحف بينما الجنب لا يقرأ ولا حتى من الذاكرة وذلك لأن الحائض والنفساء لها مدة قد تطول في حيضتها أو في نفاسها وهذه المدة مع طولها قد تنسى أما الجنب فإنه يستطيع أن يغتسل ويتحلل من الجنابة في وقت قصير فإنه ليس له

ذلك إذا اغتسل انتهى الأمر فإن الله عز وجل لا يكلف نفساً إلا وسعها وتلك الإجازة ما أجازها الله عز وجل وما أجازها رسول الله ﷺ أو أحد من الصحابة ولكن الذي أجازها مع الضرورة ابن تيمية رحمه الله وأفتى بها الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي المملكة العربية السعودية كان سبب الإجازة هو الضرورة خوفاً من النسيان أما الجنب فلا آية، وكذلك يحرم علي الحائض والنفساء المكث في المسجد والجلوس فيه فإن رسول الله ﷺ في حديث لأم سلمة رضي الله عنها قالت دخل رسول الله ﷺ فناء المسجد ثم نادى بأعلى صوته لا أحل المسجد لجنب ولا لحائض " المسجد حرام على الجنب وعلى الحائض رغم إن المسلم ليس بنجس ولكن هذه أمور تعبدية نعبد بها الله عز وجل كما يريد ويرضى وكما علمنا رسول الله ﷺ فإن المسلم ليس بنجس سواء كان جنباً أو لا وسواء كانت المرأة حائضاً أو نفساء ليست بنجسة لأن أبا هريرة رضي الله عنه قال أنه رأى رسول الله ﷺ وكان أبو هريرة جنب فانطلق عن رسول الله ﷺ ثم عاد فقال له أين كنت يا أبا هريرة قال يا رسول الله كنت جنباً فكرهت أن أجلس معك وأنا جنب فاغتسلت وعدت فقال سبحانه الله إن المؤمن لا ينجس " وأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها قالت في حديث لها كان رسول الله ﷺ يدخل علي إحدانا فيضع رأسه في حجرها ويقرأ القرآن وهي حائض " فإن كان بها نجاسة لم يكن رسول الله ﷺ ليفعل ذلك الفعل مع زوجاته بهذه الكيفية وبذلك نختلف نحن أهل الإسلام عن اليهود الذين يعتبرون المرأة الحائض والنفساء في نجاسة حتى إنهم لا يؤازرونها ولا يشاركونها طعاماً ولا شرباً وإن استطاعوا أن يخرجوها من البيت لفعلوا ويعتزلونهم في النوم، ولكن دين الإسلام دين فيه الوسطية لا تفريط ولا تشدد ولا إفراط لذلك كان دين وسط، فكان رسول الله ﷺ يأمر عائشة رضي الله عنها أن تتاوله غطاء الرأس فكانت تقول وهو في المسجد يا رسول

الله إني حائض فكان يقول لها إن حيضتك ليست في يدك ناويليني ،
 ولكن الحائض والجنب له أن يجيز المسجد أن يمر به لضرورة فعن جابر
 ؓ قال كان الواحد منا يمر بالمسجد إجازة أي أنه يصل لغرض معين
 ولضرورة ما فكان يدخله ويمر منه فقط كانت هذه هي الإجازة ولا
 يجوز غيرها وأجمع أهل العلم في دين الإسلام على أن الحائض والجنب لا
 يحل له أن يجلس في مسجد لأن رسول الله ﷺ دخل المسجد يوماً وتذكر
 أنه جنباً فقال للناس امكثوا ثم خرج واغتسل وعاد إليهم وإن الماء
 ليتساقط عن جبينه ، ولنعلم جميعاً أن الغسل لكي يكون مقبولاً عند
 الله عز وجل لأنه عبادة يجب تعميم الماء للجسد كله مع نية الخروج من
 الحدث فإذا كان أمني فإن النية تكون التطهر من ذلك المني وإذا كان
 مجامعاً فإن النية التخلص من الجنابة وكذلك من كانت حائضاً أو
 نفساء تكون النية كذلك ، وإن كان الآغتسال في يوم الجمعة أو في يوم
 العيد فإن غسل الجمعة وغسل الجنابة يكون واحداً وذلك من التيسير
 على الناس وكذلك الذي يغتسل ليس عليه وضوء فإن رسول الله ﷺ
 كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت إذا اغتسل رسول
 الله ﷺ فلا يتوضأ ، وكذلك قالت لنا كيف كان يغتسل رسول الله ﷺ
 فقالت كان إذا اغتسل غسل يديه ثلاثة ثم يغسل فرجه ثم يتوضأ وضوءه
 للصلاة ثم يدخل أصابعه في الماء ويخلل بها شعره حتى إذا أنقى أفرغ على
 رأسه ثلاثة ثم عمم الماء جميع جسده ، ذلك هو الغسل الذي كان يغتسله
 رسول الله ﷺ والغسل له سنن منها التسمية والبدأ بالأيمن من كل عضو
 وأن نبداً بالأعلى منها قبل الأسفل وأن ندلك الجسد والأعضاء وأن نغسل
 كل عضو ثلاث مرات فعن أم هانئ رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ
 كان إذا اغتسل غسل كل عضو ثلاثة ثم يخلل شعره بالماء فإن رسول
 الله ﷺ في حديث لأبي هريرة ؓ قال تحت كل شعرة جنابة فخللوا

الشعر وأنقوا البشرة " الرجل والمرأة سواء بسواء ولكن المرأة إذا كانت حائضاً أو نفساء فيجب عليها في الإغتسال أن تزيل الدم وتمحي آثاره ويكون بعدها وضع مسكاً أو شيء من ذلك حتى تذهب الرائحة وليس عليها فك شعرها المصفور ولكن عليها أن تخلل الماء فيه حتى يمس جلد رأسها وإذا لم يصل الماء إلى جلد رأسها كان عليها فك الضفائر .

إن الغسل عبادة أمرنا بها الله عز وجل فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ المائدة 6 فكان الطهور هنا هو الغسل وكذلك يقول الله عز وجل ﴿وَيُنَزَّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهَبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ الأنفال 11 جعل الله عز وجل ذلك الغسل ليذهب عنا رجز الشيطان ووساوسه كما أن فيه راحة للأبدان، ولكن هل يجوز للجنب أن ينام وهو جنب نعم ولكن عليه أن يتوضأ وأن يغسل موضع الأذى منه فإن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ وغسل مذاكيره كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولكن سرعة الإغتسال هي الأفضل لأنك تستطيع أن تقرأ القرآن وتتلوه لأن رسول الله نهى عن قراءة القرآن ولو آية للجنب .

الغسل ثانياً

تكلمنا عن كيفية الغسل والفرض فيه الذي هو تعميم الجسد كله بالماء مع نية رفع الحدث الأكبر، والنية ليس شرطاً فيها التلفظ ولكن النية محلها القلب والأصل فيها عدم التلفظ بها لأن رسول الله ﷺ ما تلفظ بنية في عبادة من العبادات إلا الحج أو العمرة لأن في هذه العبادة يترتب على النية أفعال وأعمال التي لا تكون في غيرها من العبادات

ورسول الله ﷺ يقول في حديث له إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى " وفي حديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض أخذ بأولهم وآخرهم قالت يا رسول الله يؤخذ بأولهم وآخرهم وفيهم من ليس منهم قال يؤخذ بأولهم وآخرهم ثم يُبعثون على نياتهم "

والعمل في دين الإسلام لا أجر فيه إلا بنية فإن العمل والنية متلازمان فإذا جاء رجل وقال إني نيتي سليمة وقلبي ممتليء بالإيمان ثم لا يكون لهذا الإيمان وتلك النية نصيب من العمل فإنه لا أجر له وكذلك إذا عمل المسلم عملاً والنية غير متوفرة فيه أن يكون هذا العمل خالصاً لله عز وجل يتعبد به الله ويتقرب إليه به فلا أجر له فيه فإذا اغتسل إنسان ولم يجعل مع غسله النية فإن ذلك الغسل يُعتبر مجرد استحمام ونظافة وليس عبادة، وقد قلنا إن الغسل المفروض هو غسل رفع الجنبات أو الحيض والنفاس وقد يشترك معه غسل السنة كأن يكون الغسل من الجنبات موافقاً ليوم الجمعة فيكون غسلًا واحداً للجنبات كفرض وللجنة أيضاً، والماء الذي تم به الغسل سواء كان للرجل أو المرأة لا يتأثر بالجنبات فإنه يصلح أن تستعمل الزوجة نفس الماء الذي استعمله زوجها في الغسل من الجنبات فإن رسول الله ﷺ كان يغتسل وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من إناء واحد تختلط فيه أيديهما فكان يقول لها دعي لي وتقول له دع لي " وعن ميمونة رضي الله عنها أنها اغتسلت من جنبات بجرة ماء ثم جاء بها رسول الله ﷺ ليتوضأ أو يغتسل منها فقالت يا رسول الله إني اغتسلت فيه من الجنبات فقال رسول الله ﷺ إن الماء لا يجنب " والجنب له قبل أن يغتسل أن يقلم أظافره أو أن يقص شعره وله أن يغدو

ويروح ولكن يتجنب ما قلناه مسبقاً والأفضل أن يسرع من التطهر من الجنابة قدر الإمكان حتى لا تمنعه الجنابة من أي عمل ممنوع بسببها .

غسل الميت

وهناك غسل آخر الفرض فيه فرض كفاية إذا قام به بعضاً من أمة محمد ﷺ سقط عن الباقي منهم وإذا لم يقم به ذلك البعض أثم الجميع ألا وهو غسل الميت لمن توفاه الله عز وجل سواء رجل أو امرأة في غير ميدان القتال فإن على أمة محمد ﷺ أن تتدب له من يغسله وهو ليس عبادة لله من الميت وإنما عبادة للذين يقومون بالفعل والتغسيل لذلك كانت هذه العبادة لها أمور يجب أن تتوافر فيها ويجب أن نتعلمها فإن رسول الله ﷺ أمر الذين يقومون بتغسيل الموتى أن يكونوا مؤتمنين على ما يشاهدونه وأن يحفظوا الأسرار التي قد يرونها من الموتى أثناء الغسل لذلك كان رسول الله ﷺ يقول ليغسل موتاكم المؤتمنون " والذي يتصدى لذلك العمل عليه أن يتعلم كيفية الغسل فإنه يبدأ بالضغط على بطنه ويعصرها حتى يخلصها مما فيها من الأذى ويغمض عينيه ويغلق فكيه ثم في قول الإمام الشافعي إذا كان المتوفى عليه ثوباً رقيقاً ينفذ منه الماء كان من الأفضل أن يجرده منه مع ستر عورة المتوفى ثم يغسل تحت ذلك الساتر وذلك لأن رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام يا علي لا تنظر إلى فخذ حي أو ميت " ثم يغسله ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً وإذا رأى أن الجسد يحتاج لأكثر من ذلك فعل فعن أم عطية رضي الله عنها قالت دخل علينا رسول الله ﷺ يوم وفاة ابنته فقال لنا غسلنها ثلاثاً أو خمساً أو سبعة أو أكثر من ذلك إذا رأيتم بماء وسدر واجعلوا في الأخيرة كافوراً ثم إذا فرغتم فاذنني " كانت تلك الوصايا لهن من رسول الله ﷺ في كيفية الغسل ، الأصل هو تعميم الماء ذلك الجسد كما هو في غسل الفرض ولو

مرة واحدة وكانت تلك الزيادة من السنة والغرض منها الأخذ بالأحوط
وهى سنة عن رسول الله ﷺ وكما هو في غسل الفرض أن لا يترك
مكاناً في الجسد إلا عمه الماء لأن رسول الله ﷺ قال في حديث له تحت
كل شعرة جنابة فخللوا الشعر وانقوا البشرة " ورسول الله ﷺ اغتسل
يوماً وبعد أن أتم وجد مكاناً في جسده لم يصبه بلل فأخذ من ماء لحيته
ووضعه على ذلك المكان الذي لم يصبه بلل فهنا تعمم الجسد بالماء هو
الأولى يقلبه يميناً ويساراً حتى يتأكد ويتيقن من تعميم الماء سائر
الجسد ، وللرجل أن يغسل زوجته كما أن لها أن تغسل زوجها لأن رسول
الله ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها يا عائشة لو مت قبلي لغسلتك " وعن
أسماء بنت عميس رضي الله عنها أنها غسلت أبو بكر الصديق ﷺ يوم
موته ثم خرجت على جمع من المهاجرين وقالت لهم إني غسلت صاحبكم
وإني صائمة واليوم برد فهل عليّ غسل قالوا لها لا عليك من غسل . وذلك
لأن من غسل ميتاً من السنة أن يغتسل بعدها وليس من الفرض فإن كان
هناك ما يضر من أداء السنة فتركها أولى وهذه السنة وردت في حديث
ولكنه ليس قوياً بالدرجة الكافية أن رسول الله ﷺ قال من غسل ميتاً
فليغتسل ومن حمل جنازة فليتوضأ " فكان هنا الأمر فيه استحباب وإذا
لم يغتسل فلا شيء عليه لأن المهاجرين صحابة رسول الله ﷺ قالوا لأسماء
بنت عميس رضي الله عنها عندما غسلت الصديق ليس عليك غسلًا ،
وعلي بن أبي طالب ﷺ غسل زوجته فاطمة رضي الله عنها ولكن قد لا
يجد الرجل من نفسه شجاعة على غسل زوجته المتوفاة فمن لم يستطع
فلا يكلف نفسه فوق طاقتها وكذلك الزوجة إذا لم تقوى على ذلك
الفعل تركته لغيرها ، وإذا كان هناك إنسان مات ولا يمكن تغسيله
كأن يكون مات محترقاً إذا تم الغسل تمزعت الجثة فهنا يجوز التيمم
ويغني عن غسلها وكذلك إذا توفيت امرأة وسط رجال أو توفي رجل

وسط نساء يجوز هنا التيمم للجثة بمسح الوجه واليدين بضرب التراب باليد ثم المسح بهما على الوجه واليدين وهو يجزي عن الغسل . هذا الغسل هو فرض كفاية .

الأغسال السنونة

وهناك غسلاً مسنوناً أي سنة عن رسول الله ﷺ منها غسل العيدين وغسل الإحرام وغسل الوقوف بعرفة فهذه أغسال مسنونة وأهمها غسل يوم الجمعة فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ غسل الجمعة واجب على كل محتلم وأن يلبس من صالح ثيابه وأن يمس طيباً " فكان بذلك على كل محتلم أي بالغ ذكر كان أو أنثى أن تغتسل للجمعة وأن يرتدي أفضل ثيابه وأن يمس طيباً ، وفي حديث لرسول الله ﷺ يقول فيه لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر أحسن ما يكون من طهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يروح إلى الجمعة لا يفرق بين اثنين - ومعناها أن يذهب مبكراً للمسجد قبل أن يزدحم فيضطر إلى تخطي الرقاب أو أن يزيح بين اثنين ليجلس وهذا كله كناية عن الذهاب للمسجد مبكراً - ثم يصل ما كتب له الله ثم أنصت إذا تكلم الإمام إلا غفر الله له ما بين الجمعتين " وكذلك في حديث رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال من أتى الجمعة فليغتسل رجلاً كان أو امرأة ومن لم يأت الجمعة فلا غسل عليه " ووقت غسل يوم الجمعة من بعد صلاة فجر يوم الجمعة وحتى قبل صلاة الجمعة وكلما كان الإغتسال أقرب إلى ميعاد الصلاة كان أفضل لأن رسول الله ﷺ قال في حديث لعبد الله بن عمر من أتى الجمعة فليغتسل " وهذا الغسل هو سنة ليس بواجب أو فرض فمن أراد أن يغتسل فقد أصاب السنة لأنها عبادة قد تقرب بها إلى الله عز وجل ومن لم يستطع لأي سبب من الأسباب

فليس عليه إثم والذي جعل العلماء في دين الإسلام يذهبون أن غسل يوم الجمعة سنة وليس فرض حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت إذا تكلم الإمام غفر له ما بين الجمعتين وثلاثة أيام " ذلك الحديث صحيح ولم يطعن فيه أحد لذلك قال أهل العلم في دين الإسلام أن غسل يوم الجمعة سنة وليس فرض، ورسول الله ﷺ ما أمرنا إلا بكل شيء يقربنا إلى الجنة ويبعدنا عن النار فعلينا أن نطيع رسول الله ﷺ ونتأسى به في أفعاله وأن نعمل بأقواله ولنعلم أن هذه عبادة نعبد بها الله عز وجل بينما نحصل نحن بها على الفائدة والخير كله .

ما يحل للجنب

قال علي بن أبي طالب عليه السلام الناس من جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم والأم حواء وإن يكن لهم من نسب يفخرون به فالطين والماء .

الناس خلقهم الله عز وجل على هيئة واحدة جسد وأطراف وكل الخلق من ولد آدم وحواء فإنهم في تماثل وتكافؤ والله عز وجل يقول ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات 13 فكان التفاضل بين خلق الله ليس بجمال الهيئة ولا بقوة البنية ولا بسعة الأموال فإن رسول الله ﷺ قال إن الله عز وجل لا ينظر إلى صوركم ولا أموالكم ولكن ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم التقوى ها هنا التقوى ها هنا " وأشار إلى قلبه ، وعلي بن أبي طالب عليه السلام يقول فإن كان لهم من شيء يفخرون به فإنما هو العلم . والعلم إنما يعرف به صاحبه كل ما يحيط به في دينه ويهديه به الله عز وجل إلى اليقين ويعلم كيف يعبد الله عز وجل كما يحب الله ويرضى وذلك بالكيفية التي أنزلها على رسوله محمد ﷺ فإنما هو ارتضاها لنفسه ، وما الفضل إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء ، أي يهدون الناس إلى الطريق المستقيم ، ورسول الله ﷺ يقول لا يجلسن أحدكم على أريكته ويقول إن الله لم يحرم إلا ما أنزل في القرآن ألا إنني أمرت ونهيت عن أمور هي مثل ما في القرآن أو أعظم – وذلك لأن الذي فسر لنا القرآن إنما هو محمد ﷺ .

وفي استكمال الحديث عن الغسل فقد انتهينا إلى أن الغسل الواجب يكون من الجنابة ومن الحيض والنفاس ، والله عز وجل رحمة بعباده أمرهم بأن يغتسلوا من هذه الأمور فإنها تجعل الجسد منهكاً

وبالغسل يستعيد الجسد نشاطه فيكون طهوراً ورحمة بالنفس وسرور، وللجنب أو الحائض والنفساء أن تمارس شؤونها العادية كلها إلا ما ثبت تحريمه فلا مانع من قص الشعر أو تقليم الأظافر أو نتف شعر الإبط أو العانة وكل أمور الحياة العادية ما كانت الجنابة تمنعها وقد سأل عمر رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أينام أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ "وهنا تأخير الغسل من الجنابة قد يكون لسبب مثل البرد أو غلبة النوم على الإنسان أو لمرض أو عذر يمنعه من سرعة الغسل من الجنابة ولأن دين الإسلام ليس دين تعنت وتشدد إنما يأخذ الناس بالرفق واللين والرحمة لذلك أمر رسول الله ﷺ من كان جنباً إذا أراد أن ينام وهو جنب أن يتوضأ .

وهناك أمور تحرم على الجنب أو الحائض أو النفساء منها أهم شيء في دين الإسلام وهي الصلاة والتي هي عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين إلا أن رسول الله ﷺ قال في حقها لا يقبل الله عز وجل صلاة بغير طهور " لا يقبلها الله عز وجل من العبد ولما جاءت إحدى الصحابييات إلى رسول الله ﷺ وهي فاطمة بنت حبيش رضي الله عنها تسأله عن الحيض والصلاة فقال لها إذا أقبلت حيضتك فدعي الصلاة فإذا أدبرت فصل " فكان هنا الغسل يبيح الصلاة ومن صلى وهو جنب فإن ذلك الفعل حرام، وكذلك الجنب لا يطوف حول الكعبة لأن رسول الله ﷺ قال الطواف حول البيت صلاة إلا أنكم تتكلمون فيه فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير"، وكذلك من من كان جنباً فلا يمس المصحف قبل أن يغتسل لأن الله عز وجل يقول ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ. لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الواقعة 77 - 79 كان ذلك أمر من الله عز وجل ولكن أجاز أهل العلم

لمن أراد أن يتعلم أن يمسك بالمصحف ولكن يجعل له حافظاً أو جراباً حتى لا يمس ذات المصحف لمن كان جنباً أما غير ذلك فلا يحل له أن يقرأ ولا آية من القرآن وكذلك قال بعضهم ولا حرفاً واحداً فإن علي بن أبي طالب عليه السلام قال أن رسول الله ﷺ ما كان شيئاً يحجزه عن القرآن إلا الجنابة "أي لم يكن يمنعه شيء عن قراءة القرآن إلا الجنابة، وقال علي عليه السلام توضأ رسول الله ﷺ ثم قرأ آية من القرآن ثم قال كذلك لمن ليس جنب أما الجنب فلا ولا آية "وذلك لأنه يريد أن يتطهر المسلم من الجنابة سريعاً حتى لا يُحرم من قراءة القرآن وممارسة نشاطه العادي فجعل قراءة القرآن ممنوعة حتى تغتسل الحائض أو النفساء وقد أباح لهما أهل العلم في دين الإسلام أن تتلو مما حفظته من الآيات حتى لا تتسى فكانت هنا الإجازة لعله وضرورة تبيح هذا المحظور، وكذلك الجنب لا يعتكف في المسجد ولا يمكث فيه إنما يجوز له فقط أن يعبر منه أو يمر فيه فقد كان جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه يقول كنا نجتاز المسجد جنباً "وفي حديث روته أم سلمة رضي الله عنها قالت دخل رسول الله ﷺ صرحة المسجد فنأدى بأعلى صوته لا يحل المسجد لحائض ولا لجنب "وعن ميمونة رضي الله عنها قالت كان يدخل علي رسول الله ﷺ وأنا حائض فيضع رأسه على حجري ويقرأ القرآن "وتلك هي المرأة في دين الإسلام التي يقول عنها الغرب إنها مهانة ومهضوم حقها في دين الإسلام كيف كرمها رسول الله ﷺ فإن اليهود يعتزلونها ولا يأكلون معها ولا يشربون بينما رأينا كيف كان فعل محمد ﷺ مع أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها وهي حائض، وكانت تقول وكنت أدخل المسجد وأضع الخمرة لرسول الله ﷺ وأنا حائض "أي كانت تدخل مسجد المدينة ثم تفرش لرسول الله ﷺ فرشاً كأنه سجادة للصلاة ثم تخرج من المسجد .

الأغسال المستحبة

ومنها الغسل للعديد فقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يغتسل للفطر والأضحى " كذلك الغسل للفطر والأضحى يكون من بعد صلاة الفجر وكلما كان قبل الخروج مباشرة يكون أفضل وأحب، ومن الغسل المستحب أيضاً إذا ارتكب إنسان ذنباً ثم تاب واستغفر منه فليغتسل فيكون زيادة في التطهر من الذنب وزيادة في التقرب إلى الله عز وجل، وهناك أمر آخر نادراً ما يتعامل به الناس ولكن وجب علينا أن نتمه فإن رسول الله ﷺ قال في حديث له من غسل ميتاً فليغتسل ومن حملة فليتوضأ " هنا ليس فرضاً إنما هو سنة مستحبة لمن غسل ميتاً والوضوء لمن شارك في حمل الجنازة، وعمر رضي الله عنه قال كنا نغسل الميت فمنا من يغتسل ومنا من لا يغتسل " فمن هنا كان المعنى أن الغسل ليس بواجب إنما هو سنة، وأسماء بنت عميس رضي الله عنها قامت بغسل الصديق رضي الله عنه يوم وفاته وهي زوجته وبعدها خرجت على جمع من المهاجرين وقالت لقد غسلت صاحبكم وإن اليوم برد شديد وإني صائمة فهل عليّ من غسل فقالوا لها لا ليس عليك غسل، والصديق الذي كان من الأغنياء في أمة محمد عندما توفاه الله وهو على سرير الموت يترك وصيته فقال كفنوني في ثوبي هذين فإن الحي أولى بالجديد ما أمرهم أن يشتروا له كفناً جديداً غالباً لأنه يعلم أن ذلك الثوب سوف تأكله الأرض وأما الجديد فابحثوا عن فقير يحتاج إليه ويكتسي به .

ولنعلم أن الله عز وجل لا يقبل من العبادة إلا ما كان خالصاً له وما كان موافقاً لشرعه الذي أنزله على محمد ﷺ فمن عبد الله وهو غير مخلص في عبادته لله فإنها مردودة عليه ومن كان مخلصاً في عمل ما لله ولكن ذلك العمل يخالف ما أنزل على محمد ﷺ فعبادته وعمله ذلك مردود عليه لذلك يجب علينا أن نحصر على أن نتعلم كيف نعبد الله عز وجل حتى يرضى عنا ويتقبل منا أعمالنا وعبادتنا .

التيمم

يقول رسول الله ﷺ الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تقسم ظهره والتودد في العلم والتحابب في الله يقطع دابره " هذه الأمور قال فيها رسول الله ﷺ فإن فعلتم ذلك تباعد عنكم الشيطان كبعد مشرق الشمس إلى مغربها أي بهذه الأربعة الصلاة والصدقة والمودة في العلم والحب في الله عز وجل ، ورسول الله ﷺ يقول طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل نفسه من غير مسألة وأنفق مالاً جمعه من غير معصية ورحم أهل الذلة والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة " فكانت مخالطة أهل الفقه والحكمة من الأمور التي تقربك إلى الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، ورسول الله ﷺ يقول من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت تقول يرحم الله عز وجل نساء الأنصار لم يمنعن الحياء أن يتفقهن في دين الله "

كانت حياة رسول الله ﷺ كلها تشريع لهذه الأمة فكل حركاته وسكناته وأفعاله وأقواله وكل ما يتعامل به تشريع لهذه الأمة فإنه قال في حديث له حياتي خير لكم وموتي خير لكم أما حياتي فإني أسن لكم السنن وأشرع لكم الشرائع - ولذلك بموت رسول الله ﷺ يتوقف التشريع ولا سنة من بعده فقد كمل الدين والله عز وجل يقول ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة 3 قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه إن الله عز وجل أكمل الدين فلن ينقص أبداً ورضيه فلا يسخطه أبداً ، وفي السنة السادسة من الهجرة وبعد أن قفل راجعاً من غزوة بني المصطلق إذا بعقد لأم المؤمنين عائشة

رضي الله عنها يتوه منها وتفقدته وقد كانت هي مع رسول الله ﷺ في هذه الغزوة وأخذت تبحث عن هذا العقد فلا تجده وظل الناس يبحثون معها عنه فلم يجدوه حتى دخل عليهم الليل وجاءتهم الصلاة فاتجهوا يبحثون عن الماء فلم يجدوا ماءً فكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يؤنب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ويقول لها لقد حبست الناس وحبست رسول الله ﷺ ولا ماء حتى يتوضأ الناس منه أو يشربون، ورسول الله ﷺ حينما كانوا يبحثون عن العقد ولم يجدوه فأمرهم بالرحيل وقبل أن يرحل نزل حكم ذلك الأمر من السماء من عند رب العالمين وكانت تلك القصة سبباً فيه، أراد الناس أن يصلوا ولا وجود للماء وكان منهم الجنب الذي لم يغتسل ومنهم من يريد أن يشرب فما هو الحكم هل كان حكم محمد ﷺ لا بل حكم الله رب العالمين فقد نزل قول الله عز وجل ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ النساء 43 نزل حكم هذه المسألة من عند رب العزة وكان فيه التيسير والتوسعة على الأمة لأن ذلك الدين دين الرحمة والسماحة فكان الحكم عند عدم وجود الماء بالتيمم وبعد أن نزلت هذه الآية وصلى الناس وأمر رسول الله ﷺ الجيش بالرحيل وعندما همت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالركوب على البعير إذا بها تجد عقدها الذي كانت تفقدته أسفل البعير فكانت إرادة الله عز وجل من هذا الأمر وحكمته منه الرحمة والشفقة بهذه الأمة وأسيد بن حضير رضي الله عنه قال لأم المؤمنين ما كانت هذه أول بركاتكم فأنتم أهل بركة، كان والدها الصديق رضي الله عنه ثم قال لها ما نزل بك شيء إلا جعل الله عز وجل منه مخرجاً وجعل للأمة فيه بركة، فكان حكم التيمم في دين الإسلام في حالة عدم وجود الماء وإذا كان

وجوده صعباً عسيراً لا سبيل للوصول إليه فهنا وجب التيمم، وهناك سبباً آخر للتيمم كان الدليل عليه في غزوة ذات السلاسل بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه وكانت في مكان البرد فيه شديد لم يألفه هؤلاء الناس الذين اعتادوا على جو المدينة ومكة في شدة حرارتها وعندما حانت صلاة الفجر أراد عمرو بن العاص أن يغتسل بالماء فوجده بارداً كأنه الثلج فلم يحتمله وأشفق على نفسه أن يغتسل به لأنه كان قد أصبح جنباً لو أنه اغتسل به فقد يكون فيه موته فلجأ إلى التيمم وصلى بالناس الفجر فصلى وراءه الناس ولما رجعوا إلى رسول الله ﷺ قالوا يا رسول الله صلى بنا عمرو بن العاص وهو جنب بعد أن تيمم فسأله رسول الله لما فعلت ذلك يا عمرو فقال يا رسول الله قرأت آية في كتاب الله عز وجل فتيممت بسببها يقول الله عز وجل ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النساء 29 وقلت يا رسول الله إن الله عز وجل حرم علينا قتل النفس وإني عندما لمست ذلك الماء علمت أن فيه هلاكي " لذلك كانت شدة برودة الماء وعدم القدرة على استعماله أو احتماله سبباً في إجازة التيمم أما إذا استطعت أن تدفع ذلك الماء بأي وسيلة ففي هذه الحالة لا يجوز التيمم، وهناك سبب ثالث للتيمم جاء على لسان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو من الذين نأخذ عنهم التشريع لأنه كان من أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ في حياته وأعلم بمراده من غيره لذلك كان رسول الله ﷺ يقول عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي فكان علي بن أبي طالب من هؤلاء الخلفاء الذين أمرنا أن نأخذ عنهم ديننا وقد سأله رجل عنده قليل من الماء لشربه ولا يعلم متى يجد ماءً غيره فقال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أن ذلك الماء الذي عنده يكفيه لشربه وقد أجنب فقال له تيمم ولا تغتسل وجنب ذلك الماء للشرب، وذلك لأنه إذا اغتسل بالماء نفذ ولم يجد ما يشربه فيهلك فكانت رحمة في دين

الإسلام بأهله وكان التخفيف وليس التشدد هو سمة هذا الدين وكان ذلك الأمر سبباً من أسباب جواز التيمم، هناك سبباً رابعاً للتيمم وقد ورد على لسان جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه فقد حدث أن رجل ألقى عليه حجر فشج رأسه وتسبب في جرح عميق وعندما نام الرجل استيقظ فوجد نفسه وقد احتلم والله عز وجل يجعل هذه الأمور تحدث حتى يبين لنا حكمها في ذلك الدين لأنها لو لم تحدث أيام رسول الله ﷺ فمن أين كان يأتينا حكم الله عز وجل وحكم رسوله فيها، جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال شج رجل في رأسه لأي سبب من الأسباب ثم نام واحتلم وعندما استيقظ قال لمن معه من الصحابة رضوان الله عليهم هل لي أن أتيمم فقالوا له لا ينبغي لك التيمم في وجود الماء لأن الحكم الذي يعرفونه هو لا تيمم مع وجود الماء فقالوا ليس لك إلا الغسل وعندما اغتسل ذلك الرجل وغمر الماء رأسه فأصاب ووصل إلى هذا الجرح الغائر فكان سبباً في موته ولما رجعوا إلى رسول الله ﷺ قال قتلوه قتلهم الله إذ لم يسألوا إن شفاء العي السؤال قتلوا لأنهم أفتوا بغير علم وهم كذلك لم يسألوا أهل العلم وكان ذلك خطأ تسبب في وفاة الرجل فقال رسول الله ﷺ قتلوه إذ لم يسألوا إن شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه التيمم ثم يصلي أو يجعل على ذلك الجرح ساتراً ويمسح عليه بالماء . فكانت هذه الأربع حالات يجوز فيها التيمم ليتطهر ويقيم صلاته بالصعيد الطيب فهو يكافيء الغسل بالماء عندما يتعذر الماء لما سبق من أسباب .

ولكن كيف يتيمم إذا لم يجد الماء أو كان في استعماله ضرراً لمرض أو أن الماء الموجود لا يكفي إلا لشراب وكيفية التيمم عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال أصابتني الجنابة فتمعرت الصعيد الطيب، أي أنه كان لا يعرف كيفية التيمم من الجنابة فألقى جسده على الأرض على التراب

وأخذ يتمرغ فيه ليظهر نفسه وعندما ذهب إلى رسول الله ﷺ قال له فعلت كذا وكذا فقال له إنما كان يكفيك أن تضرب الأرض بكفيك ثم تنفخ فيهما أي تتلف ما علق بهما من تراب ثم تمسح بهما وجهك وذراعيك إلى المرفقين فكان ذلك هو كيفية التيمم لا إجهاد فيه ولا مشقة وكان ذلك التيمم طهور فإن رسول الله ﷺ كما جاء في حديث لأبي ذر رضي الله عنه قال فيه الصعيد الطاهر طهور المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين " ذلك حتى ولو أنك مكثت مدة عشر سنين لا تستطيع أن تستعمل الماء للأسباب التي أوردناها فإن التيمم هو طهور ووضوء وغسل ، وجاء في حديث آخر لجابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ التيمم أن تضرب الصعيد بكفيك ثم تمسح بهما وجهك ثم تضربه بكفيك وتمسح بهما ذراعيك " ولنعلم أن ذلك دين ويجب علينا أن نتعلم ديننا وإن التيمم قد يحتاج إليه الكثير من الناس في هذه الأيام رغم وجود الماء فهناك المرضى في المستشفيات لا يستطيعون حراكاً وهناك مرضى بالحساسية وغيرها من الأشياء التي يصعب معها استعمال الماء فيصبح هنا فريضة فعلية قبل أن يبدأوا التيمم أن يسموا الله عز وجل وأن تكون النية بذلك التيمم أن يباح لهم الأمور التي يعبدوا بها الله بوضوء وغسل ثم يكون الترتيب كما بدأ به الله في الآية فلا يبدأ الإنسان بذراعيه قبل وجهه حتى لا يخالف الترتيب فيسقط التيمم ويجب كذلك أن تكون المولاة أي لا يضرب الأرض ثم يمسح وجهه ثم يذهب لعمل ما ويعود فيكمل التيمم إنما يجب أن لا يقطع بعمل غيره ، وإذا تيمم الإنسان صلى ثم بعدها وجد الماء أو استطاع أن يستعمله فإنه لا يعيد صلاته فإنها صحيحة بالتيمم فقد جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كان رجلين في سفر وافتقدا الماء فتيما وصليا ثم بعد مدة قبل أن يفوت وقت الصلاة إلى وقت صلاة أخرى وجدا الماء فأحدهما لم يصل ولم

يتوضأ ولم يعيد الصلاة والآخر توضأ وأعاد الصلاة ولما رجعا إلى رسول الله ﷺ وقصا عليه القصة قال للذي لم يتوضأ ولم يعيد صلاته أصبت السنة وأديت صلاتك وطيب خاطر الرجل الآخر وقال له لك أجرك مرتين " أما إذا علمت الحكم فإن كل العبادات التي تعبدها بالتيمة صالحة لا شيء فيها لأنك كنت تصليها في الطهور الذي أمرك الله عز وجل به ، وقد أراد الله بهذا التخفيف على هذه الأمة وكانت إرادته أن تستجيب لأمره مطيعاً له يجدك حيث أمرك ويفتقدك حيث نهاك لا تسأل ما هي الحكمة ولا تسأل وماذا يفعل هذا التراب ولماذا نضرب الأرض أو الحجر أو الزلط ثم نمسح على الوجه والذراعين ولكن لنعلم إنها عبادة أمرنا به الله عز وجل كما يحب ويرضى ، ثم يأتينا بعد مرور الأيام وفي عصرنا هذا ويكتشف أهل العلم أن الصعيد الطيب ذلك سواء كان من الأرض أو من الحجر إنما هو قاتل للجراثيم بطبيعته وكان حديثاً لرسول الله ﷺ فيه تلك المعجزة التي وصل إليها العلم الحديث قالها محمد ﷺ النبي الأمي عندما قال إذا ولج الكلب في إناء أحلكم فاغسلوه سبعاً إحداهن بالتراب " فكان التراب بإرادة الله عز وجل فيه مادة تقضي على الجراثيم التي يسببها لعاب الكلب وقد اكتشفوها هذه الأيام وما كان محمد ﷺ لينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى ، كان الله عز وجل هو معلمه نسأل الله أن يرزقنا علماً نافعاً .

المسح على الجوب

يقول رسول الله ﷺ فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد "وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول يرحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في دين الله عز وجل" ويقول قائل : وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابد هما قطبان ومدارهما بالأمر أمر محمد لا بالهوى والنفس والشيطان .

عبادة الله عز وجل يجب أن تكون باتباع رسول الله ﷺ فإن الإمام الشافعي رحمه الله يقول من استحسن فقد شرع ومن شرع فشرعه مردود ، لأن الذي نقل إلينا الشرع عن رب العالمين إنما هو رسول الله ﷺ الذي لم يغادر الدنيا حتى نزل عليه قول الله عز وجل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة 3 لم يغادر رسول الله ﷺ الدنيا إلا ودين الإسلام كاملاً لا نقص فيه وقد رضيه الله عز وجل لعباده ، وأبو هريرة رحمه الله قال قال لي رسول الله ﷺ يا أبا هريرة إذا أحببت ألا تقف على الصراط طرفة عين فعلم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك " وذلك لأن رسول الله ﷺ يعلم أن تلقي العلم هو ثقل على الكثير من الناس فنجدهم يفرون منه فراراً بينما هو فيه كل الخير لهم في دنياهم وآخرتهم وإن لم يكن فيه خيراً إلا حديثاً لرسول الله ﷺ أو آية من كتاب الله فإنه المغنم كله ، ولكن رسول الله ﷺ يعلم إنها شاقة على النفوس لذلك قال لأبي هريرة علم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك .

ومن العلم في دين الإسلام نفقه كثيراً من الأمور التي قد تغيب عن الكثير منا فمن المهم بل والواجب على كل مسلم أن يعرف كيف يؤدي شعائر دينه حتى يؤدي العبادات فيه كما يجب أن تكون ويقبلها الله عز وجل منه ومن أهم هذه العبادات الوضوء إلا أن هناك جانباً في هذه العبادة يسأل عنه الناس وهو المسح على الجورب عند غسل القدمين في الوضوء، فإن الجورب هذا الذي نلبسه قد يكون صناعة فلان أو علان ولكن الشراب الذي أجازته الفقهاء للمسح عليه له شروط والأصل في المسح على الجورب مأخوذ بالقياس على ما أمر رسول الله ﷺ به في المسح وما ورد عن مشاهدته مما نقله إلينا الصحابة وهو المسح على الخفين، والمسح على الخفين في دين الإسلام إنما هو اتباع لمحمد ﷺ بالسنة المنقولة عن ثمانين من صحابته منهم العشرة المبشرين بالجنة، والمسح على الخفين معلوماً بالتواتر، وكان الحديث الذي رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه يجمع كل الأحكام التي أثرت عن رسول الله ﷺ في المسح على الخفين يقول علي رضي الله عنه لو كان الدين بالرأي لكان مسح أسفل الخف أولى من ظهره "ومن هنا نعلم أن الدين ليس بالرأي ولا بالهوى إنما هو نصوص وردت في كتاب الله عز وجل وأحاديث رسول الله ﷺ وكذلك نعلم أن للخف ظهر وأرضية فإن الأرضية هي التي نسير عليها وتستقبل نجاسات من الأرض والتراب وغيرها فلو كان الأمر بالرأي كان المسح على الجهة التي تتعرض للأوساخ والتراب أولى من المسح على ظهره، وجعل ذلك المسح مجازاً ثلاثة أيام بلياليها للمسافر ويوماً بليلاً للمقيم، من هنا لم يرد في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ مسح على الخفين بسبب علة فكان المسح يجوز سواء بسبب علة أو من غيرها، والمسح يكون للرجال كما يكون للنساء، ولنعلم أن المسح هو في داخل عبادة الوضوء فهو عبادة لذلك لا نأخذ عبادة إلا عن رسول الله ﷺ فقد

جاء في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال توضأ رسول الله ﷺ فأهويت أنزع خفيه فقال دعهما إني أدخلتهما طاهرين فمسح رسول الله ﷺ على خفيه بلل يديه ومسح بيده اليمنى على خفه الأيمن ومسح بيده اليسرى على خفه الأيسر مسحة واحدة" قال له دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين أي أنه أدخل قدميه في ذلك الخف بعد وضوء وطهارة كان ذلك أول شرط ثم طريقة المسح ببلل يديه معاً ثم يمسح بهما معاً القدمين في توافق من عند الأصابع إلى أعلى الخفين، كان ذلك فعل رسول الله ﷺ ولكن هناك من الفقهاء من أجاز أن يكون المسح من أعلى إلى الأصابع ولكن السنة أن المسح باليدين اليمنى على الخف الأيمن واليسرى على الخف الأيسر ومسحهما يكون مرة واحدة إلى أعلى وله أن يستمر بذلك المسح في كل وضوء لمدة يوم وليلة فهب أنك توضأت عند صلاة الظهر وأدخلت القدمين في الخف وهما طاهرتين ويبدأ الحساب متى انتقض الوضوء وحتى صلاة الظهر في اليوم التالي وليس له بعدها أن يمسح على الخفين إذا كان مقيماً وأما إن كان مسافراً بعد ميعاد المسح الأول على الخفين ما نسخه شيء وكيف علمنا أنه لم ينسخه شيء لأن هناك صحابي وقد كان آخر الصحابة إسلاماً يسمى جرير بن عبد الله رضي الله عنه تبول في يوم من الأيام ثم توضأ ومسح على الخفين فقالوا تفعل ذلك قال لقد رأيت رسول الله ﷺ بال ثم مسح على خفيه فكان ذلك آخر التشريع، ولنعلم ما هية الخف فقد كان مصنوعاً من الجلد الخفيف وليس له نعل ولا كعب كأنه الجورب ولكنه مصنوعاً من الجلد يداري القدم حتى أعلاها من هنا الفقهاء تكلموا في المسح على الجورب فإن الإمام مالك رحمته الله ما أجاز المسح على الجورب إلا أن يكون مجلداً كأنه خف، والإمام أبو حنيفة رحمته الله قبل موته بسبعة أيام قال أنه لا مسح على الجورب والأئمة الأربعة اجتمعوا على أن الجورب له ثلاثة شروط حتى يجوز المسح عليه أن يكون

الجورب سميكاً يمكنك ان تسير به مسافة لا تقل عن برد أي خمسة كيلومترات ذلك أول شرط واتفق عليه الأئمة الأربعة وكان الشرط الثاني ألا يكون به مسام تنفذ منه الماء فإذا كان به مسام يدخل من خلالها الماء إلى القدم فقد شرط الإجماع وذلك لأنهم يقيسون الجورب على الخف الذي كان يتعامل به الناس في عهد رسول الله ﷺ والشرط الثالث قالوا أنه يجب أن يكون مرتفعاً فوق الكعبين لأن رسول الله ﷺ وقف في يوم من الأيام أمام الناس وهم يتوضأون وقال ويل للأعقاب من النار " فالعقب لابد أن يعمم بالماء فأجمع الفقهاء على أن الجورب لابد أن يكون ساتراً للكعبين والعقبين، وقد اختلف الفقهاء في أمرين هل إذا كان في ذلك الجورب خرق يجوز لك المسح عليه أم لا يجوز قال بعضهم أنه لا يجوز لأن ذلك أفقده شرط من شروط الإجماع ومنهم من أجازة وهناك إختلاف آخر إذا كان الجورب شفاف أي إنه يظهر لون البشرة تحته قال أبو يوسف في كتاب الفقه المسمى المبسوط أنه لا يجوز المسح على الجورب الشفاف وقال آخرون أنه يجوز إذا كان لا ينفذ الماء منه، والخلاصة من أراد أن يمسح على الجورب ويأخذ بالرخصة ويتبع السنة فيه فعليه أن يتحرى تلك الشروط التي أجمع عليها الفقهاء وأما إن خالف تلك الشروط فلا مسح عليه، ولكن لك أن تمسح على الجورب إذا كنت ترتدي حذاء فلك أن تمسح على الحذاء والجورب فعن بلال رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ يمسح على الموق وقال امسح على النظيف والموق، وعنه أيضاً قال عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال رأيت رسول الله ﷺ يمسح على الجورب والنعلين، والموق هو شيء كان يلبسه الصحابة وكذلك رسول الله ﷺ فوق الخف كأنه الحذاء في عصرنا فمن أراد أن يمسح عليه فبالكيفية التي أوردناها، وكذلك من كان يخشى من ضرر يصيبه من الماء بسبب المرض فله أن يمسح أما بلا عذر فالأولى أن لا يمسح كما

ورد عن الإمام أبي حنيفة رحمته الله الذي كان مذهبه لا يجيز المسح على الجورب فعندما أصابه مرض في قدميه يضره الماء مسح على الجوربين وقال فعلت ما كنت أنهي الناس عنه، فإذا كان هناك ضرورة فإن الضرورات تبيح المحظورات وأما من كان سليماً معافاً فإن الوضوء ومسح القدمين أولى وأحسن له لأن في الوضوء ثواب كبير فإن رسول الله ﷺ يقول ألا أدلكم على ما يمحو الله عز وجل به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء على المكاره " فمن توضأ وهو يكابد فإن في ذلك تكفيراً للذنوب ورفعاً للدرجات حتى يصل إلى درجة المجاهدين والشهداء الذين هم عند ربهم أحياء يُرزقون، إن الدين يسر ولكن ليس معنى اليسر فيه أن يفرط الناس في أداء الفريضة فإنه يكون يسرا ما أنزل الله به من سلطان .

السواك

يقول رسول الله ﷺ الحرام بين والحلال بين وبينهما أمور متشابهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام كراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا إن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله محارمه " رسول الله ﷺ إنما أوحى إليه هذا الدين من الله رب العالمين فإن الله هو الذي حرم الحرام وأحل الحلال ولكن هناك بينهما أمور تشبه على الناس لابد أن يسألوا فيها أهل الذكر والعلم حتى يتعلموها ولا يكون ذلك إلا بالحرص على مجالس العلم فإن رسول الله ﷺ يقول إنما العلم بالتعلم والحلم بالتعلم " وليس هناك إنسان وُلد عالماً إنما هو بالدراسة والتحصيل ، ثم رسول الله ﷺ يقول فمن وقع في شيء من هذه الأمور بسبب أنه لم يسأل فيها ولم يحرص على تعلمها فقد وقع في الحرام ويضرب لنا المثل براعي الغنم الذي يرعاها حول حمى يوشك أن يرتع فيه ورسول الله ﷺ يضرب الأمثلة للناس حتى يفهموا ويتعلموا فقال لو أن هناك راع يرعى غنماً فهو يذهب بها إلى الصحراء لتأكل الغنم وهناك قصر للملك حوله سور من الأسلاك فلو أن ذلك الراعي أهمل في رعيه فإن تلك الغنم قد تدخل قصر الملك وتتخطى ذلك السور فتقع في المحظور فإن الملك إما يأمر بذبح هذه الغنم وإما أن يعاقب هذا الراعي وقد شبه السور الذي حول القصر بالأمور التي حرمها الله عز وجل فالذي يقع فيها فقد وقع في الحرام وهو على خطر عظيم .

إن دين الإسلام هو دين رباني جعله الله لسعادة البشر لكي يصون حياتهم ويحفظ أبدانهم وعقولهم من كل ما يصيب هذا الجسد بالخلل والإعتلال والضعف لذلك شرع الحرام وكذلك شرع الحلال لأن

من شأنه أن يفيد ذلك الجسد وهذا العقل فيحفظه صحيحاً معافاً قوياً ،
والعبادات في دين الإسلام كما قلنا من قبل هي أمور توقيفية نأخذها
عن رسول الله ﷺ ، ومن الناس من يظن أن العبادات هي فقط الصلوات
والصيام والزكاة والحج والعمرة ولكن هناك أمور أخرى تعبدية لله عز
وجل فيها الخير كل الخير لمن أداها وله الثواب العظيم ومن هذه الأمور
التي نتقرب بها إلى الله عز وجل النظافة ونتقي من هذه النظافة نظافة
الأسنان والفم فمن حرص على نظافة فمه وأسنانه بنية التقرب إلى الله
عز وجل واتباعاً لسنة رسول الله ﷺ فيها فقد أقام عبادة لله عز وجل
وكان له أجراً وثواباً عظيماً على ذلك العمل كما أنه يحصل على
خيرها بأن يحافظ على جسده سليماً معافاً ورائحته زكية لا ينفر منه
الناس ففي حديث رواه الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ السواك
مطهرة للفم مرضاة للرب " أي أن تنظيف الأسنان بالسواك فيه تطهير
للفم وتنظيف للأسنان فإذا فعله الإنسان كان بذلك العمل مرضياً لربه
لأنه قد أدى به عبادة فيها رضى الله عز وجل وإذا رضى الله عز وجل عن
عبد فهو في الجنة ، وكذلك يقول رسول الله ﷺ وما جاءني جبريل إلا
وأوصاني بالسواك حتى خشيت أن يُفرض على أمتي " إذن ذلك الأمر من
الله عز وجل والذي نزل به هو جبريل عليه السلام عندما كان يأتي
لرسول الله ﷺ في كل مرة إنما كان يوصيه بذلك الأمر حتى أن رسول
الله ﷺ خشى من كثرة الأمر أن يُفرض على الأمة ، فكان السواك هو
سنة مؤكدة عن رسول الله ﷺ فإنه يقول إني لأستاك حتى إني خشيت أن
أحضى مقدم فمي " كان كثيراً ما يتسوك ويغسل فمه حتى أنه خشى
أن تذوب أسنانه من كثرة ما يغسلها وينظفها بالسواك ، وبعض الناس
في أيامنا يتعاملون مع هذه السنة بشكل قد يعيبون فيها من كثرة
حرصهم على اتباعها وهم لا يدرون بل وقد يجعلون الناس تتكلم في حق
السنة بما لا يليق رغم أنهم يريدون الصلاح ولكنهم ينقصهم العلم

والتعلم فقد نجد الواحد منهم إذا وقف في الصف للصلاة أخرج من جيبه السواك ثم حركه في فمه ثم أعاده مرة أخرى إلى جيبه وذلك ما فعله رسول الله ﷺ وحاشاه أن يفعلها وذلك لأن دين الإسلام هو دين النظافة وليس دين المظاهر فإن هذا الذي يحرك السواك ينظف به فمه ثم يعيده مرة أخرى إلى جيبه فإنه يحمل قدراً كبيراً من الأوساخ والميكروبات فإذا أراد أن يصل مرة أخرى أخرج السواك من جيبه وسوك به أسنانه وهو على حاله من المرة السابقة وذلك ما كان نهج رسول الله ﷺ ولا عمله فإنما كان ينظفه بالماء ويغسله، وما كان يستعمله وهو واقف للصلاة إنما كان يستعمله عند الوضوء فمن أين أتينا بها فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يناولني السواك فأغسله ثم أناوله له فيتسوك به " فكان أولاً يعطيها السواك لتغسله ثم بعد أن تغسله يتناوله منها فيتسوك به، وكذلك قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كنت أخمر ثلاثة آنية من الليل لرسول الله ﷺ إناء لسواكه وإناء لوضوءه وإناء لشربه " كانت تغطي ثلاثة آنية بها ماء كل ليلة إناء يغسل فيه سواكه وإناء يتوضأ منه وإناء يشرب منه، ومن هنا علمنا أن رسول الله ﷺ كان ينظف السواك قبل أن يستعمله وكان يغسل أسنانه بعدها، ورسول الله ﷺ يقول لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك قبل كل وضوء " إذن في هذا الأمر مشقة لأنه قال لولا أن أشق على أمتي فكيف تكون المشقة عندما تخرج ذلك من جيبك وتضعه في فمك ثم تعيده مرة أخرى إلى جيبك لا يكون في ذلك أي مشقة وما كان لرسول الله ﷺ أن ينهى إنما قال لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء وبالوضوء مع كل صلاة، لولا أن يشق على أمتي لأمرهم بغسل الأسنان وتطهيرها مع كل وضوء وليس مع كل صلاة قال رسول الله ﷺ ولأمرتهم بالوضوء لكل صلاة ولكن رسول الله ﷺ الذي كان حريصاً على هذا الدين ما أمر إلا بالتخفيف على أمتي . فإن غسل الفم وتنظيف

الأسنان يكون في أمور علمنا إياها رسول الله ﷺ كان يتسوك مع الوضوء للصلاة وكان يتسوك إذا أراد أن يقرأ القرآن، وعلي بن أبي طالب ؓ يقول أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك " الفم الذي يخرج منه آيات الله بقراءة القرآن فإنها كلمات الله عز وجل فيجب أن تخرج من فم طيب الرائحة ، وكذلك التسوك يكون للجمعة والعيدين فإن رسول الله ﷺ يقول في يوم العيد والجمعة إن الله عز وجل جعل لكم ذلك اليوم عيداً فاغتسلوا فيه ومن كان عندة طيب فلا يضره أن يمسه وعليكم بالسواك " وكذلك كان يستعمل رسول الله ﷺ السواك عند قيامه من النوم قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ما استيقظ رسول الله ﷺ من نومه في ليل أو نهار إلا تسوك " وعن حذيفة بن اليمان ؓ قال كان رسول الله ﷺ إذا قام من النوم شوص فاه " وأبو موسى الأشعري ؓ يقول دخلت على رسول الله ﷺ فوجدته يتسوك ويقول أع أع أي إنه بالسواك والماء ثم يعد ذلك الماء من فمه " كل هذه الأمور من شأنها أن تجعل المسلم طيب الرائحة في وسط من يجتمع معهم ومن الأمور المهمة التي قد يغفل عنها بعض الناس مع التسوك هو التخليل ما بين الأسنان وتنظيف ما بينها فإن رسول الله ﷺ يقول تخللوا فإنه نظافة والنظافة من الإيمان والإيمان مع صاحبه في الجنة " وكذلك قال لصحابته رضوان الله عليهم وهم جلوس يا حبذا المتخللون قالوا من المتخللون يا رسول الله قال المتخللون في الوضوء والمتخللون من الطعام " والتخلل في الوضوء كما أوردنا أن ينظف ما بين أصابع يديه وقدميه ويدخل بينهم الماء أما التخلل من الطعام فقال رسول الله ﷺ في حديث له ما من شيء أشد على الملكين إلا أن يريا ما بين أسنان صاحبهما وهو واقف يصل " ومعناه أن الملكين المصاحبين لكل إنسان يكتبان حسناته وسيئاته أشد ما يكرهان هو أن يريا بقايا الطعام بين أسنان المصلي ولنعلم أن دين الإسلام ليس به تكليف فوق الطاقة أو يكلف ما فيه مشقة للإنسان

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رجل لرسول الله ﷺ يا رسول الله كثيراً ما ترغبنا في السواك فهل من شيء أدنى من ذلك فقال أصبغيك مسواك عند وضوءك أمرهما على أسنانك فإنه لا عمل لمن لا نية له " فمن تكلف أن يستعمل السواك فليستعمل إصبعيه وليحتسب ذلك لوجه الله عز وجل وطاعة له فتكون هذه نيته ويقول رسول الله ﷺ ولا أجر لمن لا عمل له " فكان هنا عمل ونية لا بد أن تكون النية لوجه الله عز وجل ويكون العمل حسب الشرع الذي أمر به الله عز وجل، وقد يقول إنسان أنا ليس عندي أسنان فنعلم أن هذا الأمر أمره الله لرسوله وبلغنا به رسول الله ﷺ لكل الخلق حتى للضم الذي ليس به أسنان وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله الرجل يذهب فوه أيتسوك - رجل ليس عنده أسنان هل يتسوك - قال يدخل أصبعه في فيه يمرر أصبعه على اللثة في الفك الأسفل والأعلى وهو نيته أن يطيع الله ورسوله ونيته أن يتسوك وينظف ذلك المكان وله الأجر من الرحمن .

ليس هناك شريعة ولا عقيدة أو دين اتخذه الناس ديناً يأمر بمثل ما أمر به دين الإسلام وما كان الأمر فيه إلا بما يحفظ صحة الإنسان ويقويه ويطهره من كل ما يفسده ويضره فإن هذه الجراثيم والميكروبات التي تتراكم في الأسنان واللثة إذا ما وصلت إلى المعدة فإنها تجلب العديد من الأمراض التي من شأنها أن تجعل الصحة معتلة والجسد هزيل لذلك كانت تلك الأمور في دين الإسلام تجعل من أهله أمة من الأصحاء الأقوياء في الأبدان والعقول ويحصلون بها على الأجر والثواب من الله عز وجل .

المساجد

يقول رسول الله ﷺ من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله عز وجل في الدنيا والآخرة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده " ومن كرب الدنيا إما ضيق ذات اليد وإما مصيبة يُبتلى بها الإنسان أما كرب الآخرة فإنه والعياذ بالله نار جهنم فمن فرج عن أخيه كربة في الدنيا فإنما هو الفائز في الآخرة ومن ستر مسلماً كان هو الفائز في الآخرة وأما الجائزة الكبرى فهي في حضور مجالس العلم في المساجد حيث تلاوة القرآن وذكر الله عز وجل مدارس كتابه فما لذلك من جزاء أفضل من الحصول على صحبة المقربين الصالحين ودخول الجنة مع سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ الذي دلنا على كل خير وأمرنا به وهو الذي يقول من غدا إلى مسجد يريد أن يتعلم علماً أو يعلمه كان له كأجر حجة تامة تامة تامة " يحصل على هذه الجائزة وهو في بيته لم يغادره ولم يتكبد أموال أو نفقات أو جهد وتعب وكان الأسبق لها من أراد أن يتعلم علماً لأن في عمله الإخلاص والرغبة في التعلم ولا عجب فإن خزائن الله لا تتفد وعطاءه ليس له حدود ، ورسول الله ﷺ يروي عن رب العزة أنه قال إن بيوتي في الأرض المساجد وعمارها زوارها ضيوئها وحق على المزور أن يكرم زائره " ولنعلم أن المساجد هي أفضل بقاع الأرض وأول المساجد التي بُنيت هو بيت الله الحرام كما قال الله عز وجل ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران 96 أقام قواعده إبراهيم وإسماعيل

عليهما السلام، ثم كان بيت المقدس فعن أبي ذر رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ أي المساجد وضع في الأرض أول قال بيت الله الحرام قلت ثم أي قال بيت المقدس قلت كم كان بينهما قال أربعين سنة " أي أن الذي أعاد بناء بيت المقدس هو نبي الله إبراهيم عليه السلام أو يعقوب أما بناية سليمان عليه السلام فإنما هو تجديد للبناء، ورسول الله ﷺ هو مقيم المساجد وأول ما بنى هو مسجد قباء عند وصوله إليها من هجرته وقال أيها الناس أفشوا السلام وألينوا الكلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا جنة ربكم بسلام " جعل هذه القواعد بمثابة الدستور الذي ستقوم عليه دولة الإسلام، ثم أخذ في تشييد المساجد فكان مسجد قباء - وبعض الناس تظن أن مسجد المدينة هو أول ما بنا رسول الله ﷺ إنما هو ثالث المساجد التي بناها فقد قام ببناء مسجد قباء بيده ينقل إليه الصحابة الحجارة ويقوم هو بوضعها فوق بعضها البعض حتى أقام البناء ثم أقام فيه الصلاة، وانصرف داخلاً إلى عمق المدينة فكان يوم الجمعة وهو لا يزال في بني سلمة لم يغادرها فشرع في بناء مسجد يسمى مسجد الجمعة وهو ثاني المساجد التي بناها وهو لا وجود له الآن لأنه دخل في توسعة مسجد رسول الله ﷺ الذي كان ثالث المساجد ذلك المسجد الجامع العامر الذي أقيم بأمر من الله عز وجل عندما انطلقت ناقة رسول الله ﷺ تجوب المدينة حتى استقرت في مكان فعلم رسول الله ﷺ أن ذلك المكان هو بأمر الله عز وجل فبحث عن أصحاب هذه الأرض فإذا بها ليتيمين من أهل المدينة فاشتراها بالأجر قال يا بني النجار ثامنوني في أرضكم قالوا هي لله ورسوله يا رسول الله فأبى عليهم إلا أن يدفع ثمنها لأنها أموال أيتام، ومسجد رسول الله ﷺ الذي بناه ليس كالمساجد التي نعرفها في أيامنا هذه فلم يكن مفروشاً بالسجاد وليس به تكييفات ولا مراوح إنما يتكون من أربعة جدران

ومسقوف في جزء منه بزحف النخيل وكان فرشته الحصى والتراب فإذا
أمطرت السماء يقول الصحابة كان رسول الله ﷺ يسجد في ماء وطين
فترى أثر الطين في جبهته وأنفه ومن هنا علمنا أن السجود إنما يكون
بالجبهة والأنف معاً ، وذلك المسجد كان بسيط البناء ولكن فيه الخير
كل الخير من زاره بنية أن يستغفر له محمد ﷺ فإنما يغفر الله له فقد
وقف رجل أمام قبر رسول الله ﷺ وهو يقول يا رسول الله قرأت قول الله
عز وجل «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ
الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا.» النساء 64 ثم قال يا رسول الله جئتك
لتشفع لي عند ربي ليغفر لي ذنوبي ثم قال يمدح رسول الله ﷺ :

يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه	فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه	فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت النبي الذي تُرجى شفاعته	عند الصراط إذا ما زلت القدم

راوي تلك القصة هو أحد التابعين يسمى العتبي لما سمع الرجل
يقول ذلك أخذته سنة من النوم فإذا برسول الله ﷺ يأتيه في منامه ويقول
له يا عتبي إحق بذلك الرجل الأعرابي فبشره أن الله عز وجل قد غفر
له ، ويكفي هذا المسجد أن فيه الروضة الشريفة التي هى جزء من الجنة
فقد قال رسول الله ﷺ ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة .

هناك اربعة مساجد هى أشرف المساجد وأعلاها رتبة على كل
مساجد الأرض أولها المسجد الحرام ثم مسجد رسول الله ﷺ ثم المسجد
الأقصى ورابعها مسجد قباء ، لأن رسول الله ﷺ يقول صلاة في المسجد
الحرام بمائة ألف صلاة وصلاة في مسجدي بألف صلاة وصلاة في
المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة - اللهم أعد إلينا المسجد الأقصى

الأسير سالماً وارزقنا صلاة فيه يا رب العالمين - ثم مسجد قباء لماذا كان مسجد قباء ؟ لأن رسول الله ﷺ قال من تطهر في بيته ثم أتى قباء فصلّى فيه ركعتين كان له كأجر عمرة " وكان يأتيه رسول الله ﷺ ماشياً وراكباً يصل فيه لأنه أول مسجد بناه، وأما باقي المساجد فإنها يضاعف فيها الأجر إما خمسة وعشرين ضعفاً وإما سبعة وعشرين كما ورد ذلك في حديث وليس المقصود بالعدد التحديد وإنما كان الأجر الوفير لأن من أراد الحساب فإنه منذ أن يخرج من بيته قاصداً المسجد فكل خطوة إليه ترفعه درجة وتمحو عنه خطيئة ثم إذا دخل المسجد وانتظر الصلاة فهو في صلاة وكذلك تصلي عليه الملائكة تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه فأى درجة هذه وأي ثواب يحصل عليه .

وتشييد وبناء المساجد والمساهمة فيها لها أجر كبير فإن رسول الله ﷺ يقول من بنى مسجداً يبتغ به وجه الله بنى الله عز وجل له بيتاً في الجنة " ولكل من ساهم في هذا البناء بأي شيء له أجر حتى وإن كانت مقشة يضعها فيه أو حبة حصى وكذلك إذا ساهم في نظافة المسجد وترتيبه فله أجر وهذا الأجر معروض على رسول الله ﷺ

ولأن دين الإسلام ليس فيه عنصرية أو فضل لأبيض على أسود إنما هم أمام الله سواسية كأسنان المشط وإن أكرمكم عند الله أتقاكم كانت هناك امرأة سوداء البشرة تقوم بتطهير مسجد رسول الله ﷺ ثم ماتت في ليلة ولم يعلم رسول الله ﷺ وعندما افتقدها سأل عنها قالوا إنها ماتت بليل وخشينا أن نحدثك عنها في ليلتها فإذا به يذهب إلى قبرها ويصل عليها صلاة الجنازة لأن من صلى عليه محمد ﷺ صلاة الجنازة كان من أهل الجنة .

المساجد في دين الإسلام لها مكانة عظيمة لذلك أمرنا رسول الله ﷺ أن نتوجه إليها وأن نحسن التوجه بأن نطيب رائحتنا وملبسنا حتى إنه منعنا أن نأكل حلالاً مباحاً إذا كان له رائحة منفرة مثل البصل والثوم فقال من أكل بصلاً أو وثوماً فلا يقربن مسجداً قال له رجل أهى حرام يا رسول الله قال إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم " فإذا كان رسول الله ﷺ منع أن يدخل أحد المسجد برائحة الثوم أو البصل فكيف بمن يدخله برائحة الدخان في فمه تتطلق منه رائحة خبيثة وكذلك كل شيء رائحته خبيثة ممنوعاً أن يدخل بها أحد المسجد وذلك لأن أذية المسلم محرمة فقد قال رسول الله ﷺ من آذى مسلماً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل " رائحة كريهه يدخل بها أحد المسجد فنهانا رسول الله ﷺ عن ذلك، وكذلك نهانا رسول الله ﷺ عن الجلوس في المسجد جلسة فيها كسل واسترخاء فقد نهى أن نجلس ونشبك الأصابع لأنه رأى رجلاً يشبك أصابعه بالمسجد فقال له إن التشبيك من الشيطان لأنه في صلاة ما دام في المسجد حتى يخرج منه ويجب أن يكون في صلاته نشيطاً، وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من توضأ في بيته ثم عمد إلى المسجد فلا يشبك أصابعه فإنه في صلاة، وكذلك ممنوعاً أن نرفع أصواتنا بالمسجد حتى ولا بقراءة القرآن نتكلم فيه في أمور الدنيا كيفما شئنا فهو ليس ممنوع فإن الصحابة كانوا يجلسون في المسجد يتذكرون أمور الجاهلية ويضحكون ورسول الله ﷺ يبتسم ولكن المنهي عنه رفع الصوت بهذا الكلام بحيث يشوش على قاريء أو مصل ورسول الله ﷺ دخل المسجد فوجدهم يقرأون القرآن وكل منهم يرفع صوته فقال لهم كلكم يناجي ربه فلا يرفع بعضكم على بعض بالقراءة، وحتى من فقد شيئاً في المسجد فلا يرفع الصوت داخل المسجد ينادي من وجدها إنما له أن

يخرج خارج المسجد وينادي عليها لأن رسول الله ﷺ دعا على من يرفع صوته طالباً لحاجته فقال من نشد ضالته في المسجد فقولوا لا ردها الله عليه "وكذلك لا يبيع ولا يشتري أحد داخل المسجد لأن رسول الله ﷺ قال إذا وجدتم من يبيع ويشترى في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك" أمرنا أن نشيد المساجد ولكن ما أمرنا أن نزخرف فيها كما نهينا أن نبالغ في البناء والتزيين فقد قال عمر رضي الله عنه أكن الناس من الشمس والمطر ولا تحمر ولا تصفر فتفتن الناس "أي لا تجعلوا اللون الأحمر والأصفر فتكون فتنة للمصلي.

ويقول الله عز وجل ﴿إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ
يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ التوبة 18 أي أن المسجد إنما يربي الرجال
الشجعان الأبطال فإن مسجد رسول الله ﷺ الذي هو أربع جدران مفروشا
بالحصى والتراب إنما انتشر من داخله دين الإسلام إلى ربوع الأرض
كلها تنطلق منه أشعة النور إلى أرجاء المعمورة وخرجت منه الجيوش إلى
أطراف الأرض كما خرج منه التشريع - فإن هذا المسجد كان في
السلم روضة وفي الهيحاء ميداناً عهد النبوة لولا نسبتنا لديننا الحق كنت
اليوم تتعانا ، كم مسجد هجر العباد ساحته يظل من زحمة الأسواق
غيرانا وكم مصل كأن الدهر يلهبه بالسوط فهو يؤدي الفرض
عجلانا ، يا أمة المصطفى عفواً ومغفرة إن هاج ما قلته في القلب أشجانا ،
ردوا على المسجد ماضيه الذي سلف واسجدوا لله شكرانا وما الأذان
سوى رضوان يحفزكم إلى الجنات فلبوا اليوم رضوانا - المساجد إنما
غارت من الأسواق من كثرة عمار الأسواق فإذا سمعت النداء إلى الصلاة
فحاول أن تلبى حتى تكون في زمرة الداخلين إلى جنة رب العالمين .

حرمة المسجد

يقول قائل : ليست السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد زخراً وعند الله للأتقى مزيد

ورسول الله ﷺ يقول من غدا إلى مسجد يريد أن يتعلم علماً أو يعلمه كان له كأجر من حج حجة تامة تامة تامة " فكان الغدو إلى المسجد بنية التعلم يكافئ أجر حجة تامة غير منقوصة ، وإذا كان ذلك هو قدر المسجد في دين الإسلام فإن رسول الله ﷺ عندما دخل المدينة أول ما دخلها نصح الناس كل الناس هذه النصيحة فقال أيها الناس أفشوا السلام وألينوا الكلام واطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا جنة ربكم بسلام " ولذلك كان حرص رسول الله ﷺ على اثبات مكانة المسجد وقدره في دين الإسلام أن كان أول ما بدأ من عمل في المدينة كان بناء المسجد العامر المبارك الذي بناه بيده يضع اللبنة بجوار اللبنة والصحابه يمدونه بالحجارة وقد كانوا يقولون إذا قعدنا والنبي يعمل فذلك منا العمل المضيع أي يكون عملهم دونه باطلاً فلا غرو أن يقول رسول الله ﷺ في حديث رواه أبا الدرداء ؓ قال المسجد بيت كل تقي وضمن الله عز وجل لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى الجنة " فالجنة إنما هي منزل المتقين ، والمساجد في الأرض هي بيوت الله عز وجل ليست بيوت الناس إنما هم يبنوها بأمر الله وطاعته فإذا بنوها خرجت الملكية منهم إلى الله عز وجل ، لذلك يقول الله عز وجل في الحديث القدسي " بيوتي في الأرض المساجد وعمارها زواري فمن زارني في بيتي أكرمته وحق على المزور أن يكرم زائره " والذين يعمرون مساجد الله هم في نعيم فإن رسول الله ﷺ

يقول إن للمساجد أوتاداً ودعائم - وقد يحسب البعض أنها أعمدة من الخرسانة أو الطوب أو جزوع النخل ولكن المقصود عمارها من الناس لذلك بينها لنا رسول الله ﷺ فقال - والملائكة جلسائهم فإن غابوا افتقدوهم وإن مرضوا عادوهم وإن استعاذوا أعادوهم، وجليس المسجد لا يُعدم ثلاثة خصال أخ مستفاد - صحبة طيبة لوجه الله - أو كلمة محكمة أو رحمة منزلة من رب العالمين .

أبو هريرة رضي الله عنه الذي كان يعلم مكانة المسجد في دين الإسلام ومنزلته دخل السوق ذات يوم فوجد الناس لاهية في البيع والشراء فأراد أن يعلمهم ويذكرهم بزد الآخرة فنأدى فيهم بأعلى صوته وقال أيها الناس إن ميراث محمد ﷺ يوزع بالمسجد فانطلق الناس سراعاً إلى المسجد وهم يحسبون أن هناك أعطيات توزع من متاع الدنيا ومكث ينتظرهم بما يرجعون فلما عادوا قالوا له يا أبا هريرة اتسخر منا ما وجدنا شيئاً في المسجد قال لهم فما وجدتم قالوا وجدنا من يقرءون القرآن ومن يصلون ومن يتدارسون العلم ومن يذكرون الله عز وجل فقال لهم فذلك ميراث محمد ﷺ .

وللمساجد آداب يجب مراعاتها فلا يرفع أحد صوته فيها وإن كان بقراءة القرآن فما بالناس غيره من الكلام لأن رسول الله ﷺ وجد رجل ينادي في المسجد ينشد ضالته فقال من وجدتموه ينشد ضالته في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك " وكذلك لا يجوز البيع والشراء في المسجد لأن فيه رفع الصوت فقال رسول الله ﷺ من رأيتهم يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك " وكذلك يقول في حديث رواه وائلة بن الأصقع رضي الله عنه قال جنبوا مساجدكم بيعكم وشرائكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وسل سيوفكم وطبوا أبواب المساجد وجمروها في الجمع " كان الأمر بهذه الأوامر من رسول الله ﷺ للحفاظ

على مكانة المسجد فلا يجوز أن يتخذها الناس مكاناً للمشاحنة أو التافس والتنازع حتى وإن كان في أمور الدين فما بالناس بأمور الدنيا فإن الحرمة أعظم كما أمرنا أن نطلق فيها البخور يوم الجمعة حتى تكون رائحتها طيبة عطرة يرتاح من يجلس فيها، والمساجد تبعد عن جلسائها الشيطان فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال لنا رسول الله ﷺ الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأكل القاصية والناحية فعليكم بالمساجد " وإذا هجر الناس المساجد وكان العدد فيها قليل فإن الملائكة تملأ هذه الفراغات، ويقول قائل :

يا ويح نفسي والذكرى مؤرقة	إني ذكرت اليوم ما لم أنسه الآن
ذكرت صوت بلال حين أعلنها	للناس نوراً وإخلاصاً وإيماناً
سقياً لعهد نبي كان مسجده	في السلم روضة وفي الهيجاء ميداناً
عهد النبوة لولا فضل نسبنا	لديننا الحق كنت اليوم تتعانا
كم مسجد هجر العباد ساحته	يظل من زحمة الأسواق غيرانا
وكم مصل كأن الدهر يلهبه	بالسوط فهو يؤدي الفرض عجلانا
يا أمة المصطفى عفوا ومغفرة	إن هاج ما قلته في القلب أشجاناً
ردوا للمسجد ماضيه الذي سلف	واسجدوا لله شكراناً

أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ينادي مناد سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم - في ذلك الموقف العظيم هناك ناس يختصهم الله عز وجل بكرمه وبغفوه - فليقم الذين لا تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله " فكانوا من هم أولى الناس بكرم الله وغفوه هم عمار المساجد لأن الله عز وجل يقول ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ التوبة 18

حسن الخلق

يقول القائل : دع الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى واصنع كماشي فوق أرض الشوك واحذر ما ترى ولا تحقرن من الذنوب صغيرها فإن الجبال من الحصى .

خير العمل هو تقوى الله عز وجل وتقوى الله إنما ترفع من شأن المتقي في المجتمع الذي يعيش فيه فهو بتقوى الله يمتنع أن يؤذي الناس ، ويعلم أن الله عز وجل هو الغني هو صاحب الملك والملكوت والأرض جميعاً قبضته والسماوات مطويات بيمينه فإن الله لا يحتاج إلى أحد من خلقه وكل الخلق يحتاجون إليه وهو أمرنا بعبادته ليس لحاجته إلى تلك العبادة فإنه يقول ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ. إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ فاطر 15 - 17 ولكن الله عز وجل أمرنا بعبادته لكي يعود نفعها علينا على العباد أنفسهم لأن فيها كل ما يقيم حياتهم ويصلح أحوالهم فإن الله عز وجل في الصلاة يقول ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ العنكبوت 45 فكانت الغاية من الصلاة ليس لأن الله محتاج إليها ولكن لكي ينتفع المصل بها فإنها تنهيه عن الفحشاء والمنكر ، ويقول رسول الله ﷺ من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً " وذلك لأنه لم يحصل إرادة الله عز وجل من الصلاة ، ورسول الله ﷺ يقول في رمضان الذي هو فيه أعظم الأعمال يقول من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغي أن يتحفظ منه كفر ما قبله " وليس الصيام بالامتناع عن الطعام والشراب وإنما كذلك عن اللغو والرفث فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل إني صائم ، وكذلك يقول لنا رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ورب قائم ليس

له من قيامه إلا السهر والتعب، فجابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه يقول إذا صمت فليصم لسانك وبصرك وسمعك ودع أذى الناس ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء " وذلك حتى يحقق الصوم ما أراد الله أن يحققه في الإنسان من سمو أخلاق .

والحج كذلك يقول فيه الله عز وجل ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۚ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ البقرة 197 فمن حج ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه لأنه حصل من عبادة الله بتلك الفريضة ما أراد الله منها ، وحتى يوم عرفة المغفور فيه لجميع الخلق رسول الله ﷺ يقول فيه " ذلك يوم من تم فيه نسكه وسلم المسلمون من لسانه ويده بات مغفوراً له " فكانت العبادات التي يؤديها المسلم الغرض منها وإرادة الله عز وجل منها أن يكون المجتمع المسلم مجتمعاً مترابطاً متماسكاً يسود بين أفراده الخلق الحسن ولذلك يقول رسول الله ﷺ ثلاثة من كن فيه كان منافقاً وإن صام وصلى وحج واعتمر - ثلاثة أمور تصيب صاحبها بالنفاق وإن صلى تجده مضطرباً أو صائماً أو حاجاً أو متطوعاً بالعمرة فما هي هذه الثلاثة قال - من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان " كان ذلك قول محمد ﷺ المعلم الذي وقف ذات يوم يعظ الناس قال يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم - لأن من حسن الخلق البعد عن الغيبة وذكر الناس بالسوء واتباع عيوبهم التحدث عنها فكل ذلك من سوء الخلق ، ثم يقول - فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته حتى يفضحه في جوف رحله " لا تغتاب الناس فيغتابك غيرك وتجنب الفحشاء ولا تنطق بها ما

دمت في جد الكلام وهزله فإن رسول الله ﷺ قال ألا أدلكم على درجة هي أعلى من درجة الصلاة والصيام والحج والعمرة قالوا بلى يا رسول الله قال إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة ولا أقول تحلق الرأس وإنما تحلق الدين " وذلك لأن الغيبة وتتبع عورات الناس والوقوف على عيوبهم يجلب فساد ذات البين ويؤدي إلى الخصومات والضغائن والتنازع بين الناس ويسود بسببه الكره والشقاق مما يؤدي بالضرورة إلى تفكك أو اصر ذلك المجتمع وشيوع الفساد فيه حتى ينهار، فكان هنا الصلح بين المتخاصمين وهو فعل يحسب من الأخلاق الحميدة إنما درجته عند الله عز وجل أعظم من درجة الصلاة لأن الله ما أمر بالصلاة إلا لتحقيق ذلك الخلق الحسن وأعظم من درجة الصيام لأن الله أمر بالصيام حتى تسمو به الروح وأعظم من درجة الحج والعمرة وبالتالي فهي درجة أعلى من كل العبادات التي نتقرب بها إلى رب العالمين .

عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال كنا نجلس عند رسول الله ﷺ وكأن فوق رؤوسنا الطير - يجلس الصحابة أمام رسول الله ﷺ يستمعون لموعظته بكل اهتمام وتركيز ووقار لا يتكلمون ولا يحركون ساكناً خشوعاً لرسول الله ﷺ وحبا له واهتماماً شديداً بما يقوله لهم - فكانوا ينتظرون الرجل الغريب يأتي ليسأل رسول الله ﷺ فجاء ناس فقالوا يا رسول الله من أحب عباد الله إلى الله قال أحسنهم خلقاً " فكان ذلك القول الفصل في فضل حسن الخلق، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون " حتى يكون المسلم هاشاً باشاً مبتسماً حتى يألف الناس ويألفون به ولا يكون جهيم الوجه يعلم أن تبسمه في وجه أخيه صدقة

ويعلم أن الكلمة الطيبة صدقة فكل ذلك من الخلق الحسن إنما هو إرادة الله عز وجل من العبادات، ويقول رسول الله ﷺ الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب النار الثلج والخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل " فمن أراد أن يتخلص من خطاياه ويمحوها فليحسن خلقه ومن أراد أن يكون عمله مقبولاً من الله عز وجل فليصلح خلقه حتى لا يأتي بالصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة فلا يجد لها ثواباً عند الله عز وجل لأنه أفسدها بسوء الخلق فلم يتقبل الله عز وجل تلك العبادات منه، وقد قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل " إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطع بها على خلقي ولم يبت مصراً على معصيتي فذلك نوره كنور الشمس أكلته بعزتي وأستحفظه ملائكتي وأجعل له في الظلمة نورا وفي الجهالة حلماً ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة " كانت هنا صفة واحدة من حسن الخلق جعلت صاحبها ينال هذه المكانة العالية وتلك الجوائز الثمينة من الله عز وجل ألا وهي صفة التواضع .

رسول الله ﷺ أكمل تبليغ رسالة الإسلام كلها بالعبادات فيها والمعاملات فيها والعلاقات بين الناس فيها بهذه الكلمات الموجزة فقال إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق .

نحية المسجد

يقول رسول الله ﷺ من غدا إلى مسجد يريد أن يتعلم علماً أو يعلمه كان له كأجر حجة تامة تامة تامة " فمن توجه إلى المسجد وفي نيته التعلم أو بذل العلم كان أجره كمن أدى فريضة الحج بتمامها ، وقد بدأ بمن يريد أن يتعلم لأنه أكثر إخلاصاً ممن يعلم الناس لأنه قد يأخذ أجره من مديح الناس له وشاؤهم عليه .

يقول رسول الله ﷺ الصلاة خير موضوع ، ويقول أيضاً الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تقسم ظهره والحب في الله والمودة في العلم تقطع دابره فإذا فعلتم ذلك تباعد عنكم الشيطان كبعد مغرب الشمس عن مشرقها " فكانت الصلاة والزكاة والصدقة والحب في الله ودروس العلم إنما هي أمور طاردة للشيطان وقاهرة له ، وكذلك قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على وضوءه إلا مؤمن " يأمرنا أن نؤدي الصلاة كما ينبغي وكما أمرنا بها وإنكم لن تحصوا أبداً نعم الله عز وجل عليكم أو تؤدوا حقها فإنه في اليوم الآخر جاء رجل من أكثر الناس عبادة لله ومن أتقاهم فقال الله عز وجل أدخلوه الجنة برحمتي فقال يارب بعلمي بصلاتي وصيامي وزكاتي وصالح عملي فقال لهم الله عز وجل ضعوا عمله كله في كفة وضعوا نعمة واحدة من نعمي عليه مثل نعمة البصر في الكفة الأخرى فرجحت نعمة الله عز وجل على سائر عمله كله ، فإذا أردنا أن نشكر الله على نعمه فلن نستطيع أن نؤدي شكرها لذلك رسول الله ﷺ يقول استقيموا ولن تحصوا حتى إن أدبتم خير الأعمال عند الله وهي الصلاة ثم يبين لنا أن من صفات المؤمن حفظ

وضوءه حتى يكون على طهارة دائماً يمكنه أن يصلي في كل وقت
وحين وإن حضرته الصلاة كان متأهباً لها أما أصحاب الأعذار فإن دين
الإسلام لا يكلف نفساً إلا وسعها ولا تعنت في دين الإسلام أو قهر وشدة
فإن الصلاة من أفضل الأعمال التي يؤديها المسلم في المساجد ومنها
صلاة الفرض ومنها صلاة التطوع والنوافل ومن هذه النوافل ما كان
تابعاً لصلاة الفرض إما قبله أو بعده ومنها ما هو مقيد بعدد ومنها ما هو
مطلق لا عدد لها وأبو ذر رضي الله عنه صلى صلاة فيها عدد كبير من الركعات
وكان الأحنف بن قيس رضي الله عنه يجلس بجواره فعندما انتهى من الصلاة قال
له أتدري كم صليت يا أبا ذر قال إن كنت لا أعلم فإن الله عز وجل
يعلم فقد سمعت خليلي عليه السلام يقول من سجد لله عز وجل سجدة رفعه الله
بها درجة وحط عنه خطيئة "

وإذا كانت الصلاة في المساجد لها هذا الأجر العظيم فلا ينبغي
أن نترك بيوتنا قبوراً لا نصلي فيها لأن الصلاة في البيت تدخل إليه
الرحمة والنور والخير الوفير وصلاة التطوع في البيت لها فضل كبير فقد
جاء في حديث رواه جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ
إذا صلى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيباً منها فإن الله
عز وجل جاعل في بيته من صلاته خيراً " فكان ذلك أول الفضل أن
يمتليء ذلك البيت بالخير الوفير، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال
رسول الله ﷺ صلاة الرجل في بيته نور فمن شاء نور بيته " فكانت
الصلاة تجعل لهذا البيت نوراً وذلك أفضل من أن يكون مظلماً معتماً،
وجاء في حديث رواه زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ
صلاة الرجل في بيته تطوعاً أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا
المكتوبة " وفي ذلك أجر عظيم لأن الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ

كما قال بألف صلاة فيما سواه فعندما قال إن صلاة التطوع في البيت أفضل منها في مسجده فذلك دليل على إنها تعدل أكثر من ألف صلاة وذلك في صلاة التطوع وليس في صلاة الفريضة وقد قال رسول الله ﷺ لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تتخذوا قبوري عيдаً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تصلني حيثما كنتم " من هنا نعلم أن البيت الذي لا تقام فيه صلاة يكون كأنه القبر لا حياة فيه وإنما ظلمة ووحشة وكذلك لا نجعل قبر رسول الله ﷺ وزيارته كأنها نزهة إنما هي عبادة، ونحن عندما نصلي على رسول الله ﷺ فنحن والواقفون أمام قبره سواء فإن الله عز وجل بإرادته وقدرته يجعلها تصل إليه ولا يقول أحد إنه جسد ميت فإن الشهداء عند ربهم أحياء يرزقون فكيف برسول رب العالمين، وعندما سأله الصحابة في يوم من الأيام عندما قال إذا كان يوم الجمعة فأكثرُوا من الصلاة عليّ فيه فإن صلاتكم تصلني قالوا كيف تصلك صلاتنا يا رسول الله وقد أرمت قال إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء " فإذا كانت صلاة التطوع في البيت أفضل منها في المسجد فيجب أن نعلم أن هناك نوافل وصلاة تطوع لا بد أن تؤدي في المسجد لأن مكانها المسجد كيف يكون ذلك رسول الله ﷺ أمرنا بسنن قبلية أي قبل الفرائض وهذه السنن تؤدي ما بين الأذان والإقامة للصلاة فهذه السنن لا بد أن تؤدي في المسجد، وعن عبد الله بن مغفل ؓ قال قال رسول الله ﷺ بين كل آذنين صلاة " أي بين الأذان والإقامة صلاة تطوع فهذه لا بد أن تكون في المسجد .

وكذلك هناك سنة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمسجد هي تحية المسجد فإن رسول الله ﷺ كان جالساً في مسجده فدخل أبو ذر ؓ وجلس فقال له رسول الله ﷺ يا أبا ذر هل صليت قال لا قال له قم فصلي

ركعتين فكانت هاتان الركعتان هما تحية المسجد ، وجاء في حديث رواه أبو قتادة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يسجد سجدتين " لأن من يدخل البيت على أصحابه عليه قبل أن يجلس في مكان الضيافة أن يحييهم بتحية ويسلم عليهم فجعل الله عز وجل للمسجد تحية صلاة ركعتين ، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه بهما قبل الجلوس وذلك لمن دخل المسجد في أي وقت من ليل أو نهار فإنها ليس لها وقت نهى فإن الشافعي رحمته الله يقول كل صلاة لها سبب فلا وقت للنهي فيها فكانت تحية المسجد سببها دخول المسجد في أي وقت كان فلا يجلس الداخل حتى يؤديها حتى وإن كان يوم الجمعة والخطيب على المنبر يخطب فلا يجلس الداخل حتى يصليها وقد ورد ذلك في حديث رواه جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال دخل سليك الغطفاني المسجد يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب - الذي يخطب على المنبر ليس أي خطيب إنما هو رسول الله ﷺ - فجلس سليك الغطفاني فقطع رسول الله ﷺ الخطبة وقال له يا سليك قم فصلي ركعتين وتجوز فيهما " فكان هنا التجاوز للتخفيف فيهما وذلك لأن الذي يدخل للصلاة من يوم الجمعة بعد أن يصعد الإمام للمنبر فقد خالف المفروض الواجب اتباعه فكان عليه أن يحرص على أن يدخل قبل ذلك أما إن كان ذلك لعذر قهري فعليه ألا يجلس حتى يصلي الركعتين ويخفف في القراءة فيهما ثم يجلس ويستمع للخطبة ، وهناك بعض الناس تأتي بأفعال لا تجوز كأن يدخلوا والإمام يخطب فيجلسوا ثم إذا جلس الإمام للخطبة الثانية قاموا فصلوا فإنه لا يجوز لأنه منهي عن أن يقوم بعد ما جلس لأن سماع الخطبة فرض وتطوعه سنة ، وإذا دخل الإنسان والمؤذن يؤذن فلا يجلس حتى ينتهي المؤذن ثم يصلي ركعتين تحية المسجد وذلك لأن رسول الله ﷺ أمرنا أن نردد كلمات الأذان إذا سمعناها فقال قولوا مثلما يقول المؤذن ثم صلوا

عليّ فإن من صلى عليّ صلاة صلى الله بها عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله أرجو أن أكون أنا فمن سأل لي الوسيلة حلت له شفاعتي "

وهناك من يكون في صلاة والإمام يقيم أو كاد يقيم الصلاة فإذا أقامها يقطع المصلي صلاة تحية المسجد ويسلم يمينا ويسارا ثم ينضم إلى صفوف الصلاة وحجتهم في ذلك أن رسول الله ﷺ يقول إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة " ولكن المعنى من هذا ليس قطع الصلاة لأن أهل العلم قالوا من شرع في عمل خير فلا يقطعه ولا يبطله فإن الله عز وجل يقول ولا تبطلوا أعمالكم، فمن كان يصلي تحية المسجد والمؤذن يقيم للصلاة فليتجاوز فيها ولكن لا يقطعها ثم يلحق بالجماعة لأن معنى الحديث فلا صلاة إلا المكتوبة أنه إذا أقام المؤذن للصلاة المكتوبة فلا يشرع أحد في أي صلاة أخرى غيرها، ورسول الله ﷺ لم يتركنا هملاً إنما أخبرنا عن الوقت الذي يكون بين الأذان والإقامة فقال يا بلال اجعل بين آذانك وإقامتك قدر ما يفرغ المصلي من صلاته والأكمل من أكلته والمعتصر إذا دخل الخلاء " ورسول الله ﷺ كان يحدد الوقت بين الأذان والإقامة فكان إذا أقبل الناس أمر بإقامة الصلاة وإذا تأخر الناس تأخر في طلب الإقامة من بلال . ولنعلم أن دين الإسلام لا يؤخذ بالهوى فإن الله عز وجل يقول ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ. فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة 238 – 239 فمن الذي علمنا إنما هو الله عز وجل الذي علم رسوله ﷺ الذي علمنا، وعلي بن أبي طالب ؑ قال لو كان الدين بالرأي لكان مسح أسفل الخف أولى من ظهره ولكن رسول الله ﷺ مسح على

وجه الخف فكان هنا الإتياع، وكذلك مثال آخر فإن الله فرض صلاة الظهر أربع ركعات فإذا جاء إنسان وقال إنها يسيرة سوف أصلي الظهر خمسة أو ست ركعات بطلت صلاته ولا يقبلها الله عز وجل منه وكذلك الحال إذا نقص منها أو زاد عليها شيئاً لم يأمرنا الله به لأن الله عز وجل لا يقبل إلا ما كان موافقاً لما أمر به وكان خالصاً لوجهه وما عدا ذلك يعتبر إبتداع ما أنزل الله به من سلطان .

الأذان

قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام يا علي لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم " رجل واحد تكون أنت سبب في هدايته خير من أن يكون لك الكثير من كل أنواع المال . والله عز وجل إنما يحكي لنا عن نوح عليه السلام وأنه مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم ورغم ذلك ما آمن معه إلا قليل ، ورسول الله ﷺ يقول يؤتى بنوح وقومه يوم القيامة فيقال لهم هل جاءكم من نذير هؤلاء الذين وعظهم نبي الله نوح طوال هذه السنين الكثيرة يقولون ما جاءنا من نذير يقولون من هو نوح لا نعرفه فيقول الله عز وجل لنوح هل بلغت قومك فيقول نعم يا رب بلغتهم فيقول له من يشهد لك يقول يشهد لي محمد ﷺ وأمته وذلك لأن الله عز وجل يقول ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة 143 ولذلك كانت الموعدة ليست بكثرة عدد من يسمعها إنما هي بمن يستوعبها ويستجيب لها حتى ينال الأجر الوفير .

رسول الله ﷺ في بداية الدعوة عندما كان في مكة تعرض للظلم والهوان وما كان يستطيع أن يعلن ويجهر بشعائر الدين ولا يستطيع أن يصلي بالناس جماعة أو جهراً ، وعبد الله بن مسعود عليه السلام يقول ما كنا نستطيع أن نصلي عند البيت حتى أسلم عمر بن الخطاب فضلينا " وعندما هاجر رسول الله ﷺ إلى مكة وكان التمكين لدين الإسلام في الأرض وكانت الصلوات وكانت الجماعة كان لابد من شيء يجتمعون به ويتجمعون للصلاة فشاوَر أصحابه فمنهم من قال نأتي بناقوس ندقه مثل النصارى فيجتمع الناس ومنهم من قال نأتي بناقور مثل اليهود ومنهم

من قال نشعل ناراً فإذا رآها الناس اجتمعوا يقول أنس بن مالك ﷺ حتى كادوا أن يدقون الجرس ورسول الله ﷺ كارهاً له لأن دين الإسلام إنما هو دين يستقل بذاته وبجوهره لا يقلد ولا يأخذ عن الآخرين وعندما كان رسول الله ﷺ في شدته جاءه عبد الله بن زيد وقال يا رسول الله بينما أنا نائم إذا برجل عليه ثياب خضر وبيده ناقوس قلت له بع لي ذلك الناقوس قال لما تريده قلت نريد أن نجمع عليه الناس للصلاة فقال لي أدلم على خير من ذلك فردد عليّ كلمات الأذان التي يؤذن بها الناس من يومها وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فكانت كلمات الأذان هي تلك التي ردها هذا الصحابي أمام رسول الله ﷺ الذي سعد بها لأنها كلمات رغم قلتها إلا إنها صيغة تجمع كل دين الإسلام فإنها تبدأ بالتكبير لله أكبر الله أكبر فأتيت الوجود لله عز وجل والكمال له وحده والتكبير إنما يقول أن الذي تكبره موجود لا فناء له وكما نطق بها الناس فهو مستمر وكذلك الذي تكبره إنما هو يحمل الكمال كله لا نقص يعتريه ولا شائبة تشوبه سبحانه رب العزة، ثم بعد أن ثبت الوجود والكمال لله عز وجل تأتي الشهادة بالتوحيد ونفي الشرك في أشهد أن لا إله إلا الله فهو لا شريك له ولا إله غيره ثم بعد التوحيد ونبد الشرك يأتي إثبات الرسالة لمحمد ﷺ في أشهد أن محمداً رسول الله ثم كانت الدعوة إلى الصلاة في حي على الصلاة ثم كانت صفة هذه الصلاة بأن فيها الفلاح في حي على الفلاح، وإقامة الصلاة ليس بمعنى أن يأتي الناس للصلاة وإنما لها معنى أكبر مما يتخيل الناس وجيء بالصلاة لأن الصلاة تجمع دين الإسلام كله فإن رسول الله ﷺ يقول في حقها من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين فعندما يقول المؤذن حي على الصلاة أي تعالى إلى الصلاة أي تعالى إلى دين الإسلام بكل ما فيه من آيات بكل ما فيه من أحاديث وفقه وعلم ثم إعادة

اللفظ للتأكيد على هذه المعاني فكان ذلك التشديد الرباني إنما هو فرض كفاية على كل بلد أو قرية أو مدينة فإذا لم يؤذن في قرية أو مدينة فقد أخطأ أهلها خطأ عظيماً وخالفوا أمراً أمرنا به رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ إذا غزا قوم أنصت فإذا سمع الأذان أمسك عنهم وإذا لم يسمعه أغار، فإذا كان الأمر كذلك فإن دين الإسلام لا يهضم حقوق هؤلاء الذين يجهرون بالأذان، وللأذان أجر عظيم في دين الإسلام يقول رسول الله ﷺ في حديث رواه معاوية بن أبي سفيان ؓ يقول المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة "يتميزون عن كل الناس بطول أعناقهم يوم القيامة ويراهم أهل المحشر، ويقول رسول الله ﷺ لو يعلم الناس ما في الصف الأول وما في الأذان ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا" أي لو يعلمون فضل المؤذن وفضل من يأتي أول الناس إلى الصلاة لجعلوا بينهم قرعة حتى يكون من نصيبهم هذا الفضل الكبير في الأذان وفي الصف الأول في الصلاة، وعن البراء بن عازب ؓ يقول قال رسول الله ﷺ إن الله عز وجل وملائكته يصلون على الصف المقدم ثم الذي يليه ثم الذي يليه والمؤذن يغفر له مد صوته "كلما ارتفع صوت المؤذن بالأذان كلما غفر له ووقتها لم يكن هناك مكبرات للصوت فكان رفع الصوت بالأذان حتى يسمعه ويعلمه أكبر عدد من الناس فيكون الأجر أعظم، ويقول رسول الله ﷺ ويصدق من سمعه من رطب ويابس " سبحانك يا رب العالمين كأن كلمات الأذان يتجاوب معها الكون كله سواء كان به حياة أو جماد وذلك لأن الله عز وجل يقول ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَّا تُفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ الإسراء 44 كل من يستمع كلمات الأذان إنما يرتج لها من داخله حتى وإن كان حجراً أصم، لذلك رسول الله ﷺ يقول لصحابي من أصحابه هو أبو

سعيد الخدري رحمه الله يقول له يا أبا سعيد إني أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت في غنمك في باديتك فارفع صوتك بالأذان فإنه لا يسمع صوت المؤذن شيء إلا صدقه من جن أو إنس أو حجر أو شجر " من أجل ذلك كان أجر المؤذن عظيماً ويصل أجره إلى أجر كل من سمعه وصلى معه ولكن كيف يكون أجر من يسمع الأذان عظيماً أيضاً فقد جاء رجل وقال يا رسول الله ذهب المؤذنون بالأجر كله وليس لنا شيء فقال له رسول الله ﷺ قل مثل قولهم ثم سل تُعطى " وبذلك يحصل أجر المؤذن بترديد كلمات الأذان خلفه ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول المؤذن ثم صلوا عليّ فإن من صلى عليّ صلاة صلى الله بها عليه عشرًا ثم سلوا لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تحل إلا لعبد من عباد الله أرجو أن أكون أنا فمن سأل لي الوسيلة حلت له شفاعتي " إلا إن كان في خلاء أو كان مجامعاً فله العذر وكذلك من كان يصلي فليس له أن يردد بل يفعل إذا انتهى من صلاته فيكون مشاركاً في الأجر مثل المؤذن ويزيد على ذلك بأن يصلي على رسول الله ﷺ حتى يصلي الله عليه بها عشرًا ثم يسأل له الوسيلة فتحل له شفاعته ، كل هذا الأجر متعلق بالأذان .

ومن كان منفرداً في صلاته أو كان في صحراء في سفر وحن وقت الصلاة وجب عليه الأذان والإقامة ثم يصلي ، والإقامة لها فضل كبير فإن رسول الله ﷺ قال ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا يؤذنون ولا يقيمون الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية " ورسول الله ﷺ في حديث رواه عقبه بن عامر رضي الله عنه يقول ثلاثة على كثيب المسك يوم القيامة لا يهولهم الفزع الأكبر رجل قرأ القرآن وأم به قوماً وهم عنه راضون ورجل ينادي بالصلوات الخمس ورجل أدى حق الله وحق مواليه " وكذلك يقول رسول

اللَّهُ ﷻ يعجب ربك عز وجل من رجل على شظية جبل - يعجب الله برجل على جبل ذلك الجبل في مكان مهجور هو وحده فيه - يؤذن ويقيم ويصلي يقول الله عز وجل انظروا إلى عبدي هذا يخاف مني قد غفرت له وأدخلته الجنة .

وما بين الأذان والإقامة وقت يكون فيه الدعاء مجاب فإن رسول الله ﷺ يقول الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرد " فمن أراد أن يحصل على هذا الخير وأن يستجيب الله عز وجل لدعائه فليتحري هذا الوقت بين الأذان والإقامة ويسأل الله فيه ما يشاء - وقد سأل الصحابة رسول الله ﷺ قالوا له وماذا ندعو ونقول قال سلوا الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة " وهو دعاء جامع لكل الخير، ويقول رسول الله ﷺ في حق ذلك الوقت الذي بين الأذان والإقامة يقول ثنتان لا تُرد دعوتين لا يردهما الله عز وجل أبداً ثنتان لا تُرد عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضاً " وبذلك يتساوى هذا الوقت مع وقت الشدة والبأس في الحرب والنزال حين يكون على أشده من حيث تقبل الله للدعاء فيهما ، وقد اختص في صلاة المغرب دعاء في هذا الوقت فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا سمع أذان المغرب يقول اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعائك فاغفر لي " فكان ذلك الدعاء مأثوراً عنه لذلك يجب على كل مسلم أن يتعلمه ويحفظه ويردده في وقته لأن أم سلمة رضي الله عنها روته وقد سمعته عنه ، وكذلك عندما نسمع الإقامة نقول حين يقول المؤذن قد قامت الصلاة أقامها الله وأدامها فإن بلال ؓ يقول كان رسول الله ﷺ إذا سمع الإقامة يقول أقامها الله وأدامها " أي أقام الله هذا الدين وهو يحفظه .

الأذان إنما هو إعلام بدخول وقت الصلاة ودعوة للجماعة وإظهار لشعائر دين الإسلام .

الإقامة

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقرأوا القرآن تُعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله " وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ اقرأوا القرآن فإنه يأتي شفيعاً لأصحابه يوم القيامة " ويقول كذلك ما أذن الله عز وجل لعبد كما أذن لحسن الصوت بالقرآن .

وعبد الله بن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد " ويقول رسول الله ﷺ من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يرحم الله عز وجل نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في دين الله " ودين الإسلام إنما يؤخذ عن رسول الله ﷺ لأنه هو الذي بلغ عن رب العالمين فإذا كان قول للمصطفى ﷺ فلا قول ولا حديث لمحدث سواه إنما علينا أن نتأسى به ونسير على نهجه ، وعبد الله بن عباس رضي الله عنه قال لجماعة من التابعين وممن دخلوا في الإسلام : توشك أن تقع عليكم حجارة من السماء إذا قلت قال رسول الله ﷺ فلا تقولوا قال أبو بكر أو عمر ، والإمام الشافعي رحمه الله يقول إذا صح الحديث فهو مذهبي واضربوا بكلامي عرض الحائط ، وذلك حتى لا يأتي أحد ويقول قال الشافعي إذا كان هناك حديثاً صحيحاً عن رسول الله ﷺ فلا نأخذ بقول الشافعي لأن قول رسول الله ﷺ هو الأولى بالاتباع .

الأذان له فضل عظيم في دين الإسلام فقد قال عمر رضي الله عنه لولا الإمارة لأذنت " أي لولا مشاغل الحكم لاشتغل بالأذان ، وعلى كل قرية أو مدينة في أمة محمد ﷺ أن تقيم الأذان وإن لم يفعلوا فقد أثموا كل

من فيها من رجال ونساء ، وعن أنس بن مالك ؓ قال كان رسول الله ﷺ إذا أغار على قوم فإذا سمع الأذان أمسك وإن لم يسمعه أغار ، لذلك يقول رسول الله ﷺ ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا يؤذنون ولا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية "

للصلاة مواقيت محددة حددها رسول الله ﷺ كما بينها له جبريل عليه السلام إذا فات وقتها على الإنسان أن يؤذن ويقيم للصلاة إن كانوا جماعة وكذلك إن كان منفرداً فعن أبي سعيد الخدري ؓ قال قال لي رسول الله ﷺ يا أبا سعيد إني أراك تحب الغنم والبادية فإن كنت في باديتك فارفع صوتك بالأذان فإنه لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا حجر ولا شجر إلا شهد له يوم القيامة " وقد كان رسول الله ﷺ في سفر من الأسفار أو غزوة من الغزوات وأخذهم النوم فأمر بلال ؓ أن يوقظهم لصلاة الفجر فغلبه النوم ولم يوقظهم إلا حر الشمس فعندما استيقظ قال إنكم بوادي به شيطان ثم أمر بلال أن يؤذن للصلاة ويقيم رغم إنها صلاة فائتة ، ورسول الله ﷺ عندما كان في غزوة الأحزاب وحالت بينهم اليهود عليهم لعنة الله الذين يكيدون لأهل الإسلام في الأرض رسول الله ﷺ عندما أراد أن يصلي الصلوات الفائتة أمر بلال ؓ أن يؤذن ويقيم للصلاة ولكن أهل العلم في دين الإسلام قالوا أنه إذا أذن مؤذن فليس عليك أذان ولكن عليك إقامة بينما قال فريق منهم أن الإقامة إنما هي سنة واجبة وقال آخرون إنما هي فرض ، والإمام مالك ؓ قال لو أنها لم تزد على ألا تكون إلا سنة واجبة رأيت أن من صلى بغير إقامة عليه أن يعيد وعندما سُئل لماذا قال لأنه تعدى على السنة كأنه علم إنها سنة واجبة ثم لم تعجبه ، لذلك الإمام مالك يقول في مذهبه أن من صلى

الفريضة من غير أن يقيم لها الإقامة حتى وإن كان يصلي وحده فإن صلاته مردودة ويجب أن يعيدها بعد أن يقيم لها الصلاة، ورسول الله ﷺ لم يتركنا هماً فإن هناك وقت بين الأذان والإقامة فما هو قدره؟ قال رسول الله ﷺ يا بلال اجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يفرغ المصلي من صلاته والأكـل من أكلته والمعتصر إذا دخل الخلاء " فعلى الذي يقيم الصلاة أن ينظر إلى الناس من حوله في المسجد فإذا الناس انتهت من صلاة تحية المسجد وصلوا السنة القبلية فعليه أن يقيم الصلاة، وكذلك جعل لها مقياس آخر كأن ينتهي الذي في يده شيئاً يأكله من أكله وذلك حتى لا يدخل في الصلاة وهو يشتهي الطعام الذي تركه، وأيضاً مقياس آخر أن ينتهي الذي دخل إلى دورة المياه من قضاء حاجته، وفي كل الأحوال يمهل الناس قدراً من الوقت حتى يحضروا الصلاة .

وإذا أذن المؤذن فلا يصح أن يخرج أحد كان دخل المسجد منه فمن خرج من المسجد قبل أن يصلي فقد عصى رسول الله ﷺ فقد جاء في حديث رواه أبو هريرة ؓ قال رسول الله ﷺ من كان في المسجد ونودي للصلاة فلا يخرج حتى يصلي " وكانت هنا حكمة من ذلك لأنه إذا سمع الأذان وهو في المسجد ثم خرج يكون خروجه هذا طعناً في الإمام وذلك حتى لا تكون فتنة في أمة محمد ﷺ وحتى نحسن الظن بالناس .

وأما عن ماذا يقول من يسمع المؤذن يقيم للصلاة فقد قال أنس بن مالك ؓ عندما يقول المؤذن قد قامت الصلاة كان رسول الله ﷺ يقول أقامها الله وأدامها، ويقوم الجالس من مجلسه للصلاة إذا قال المؤذن قد قامت الصلاة .

إن الأذان والإقامة من الأمور التي تصرع الشيطان ومن الوسائل التي تصد وتدفع الشيطان فقد جاء في حديث عن رسول الله ﷺ قال إذا

سمع الشيطان النداء أدبر وله ضراط فإذا فرغ المؤذن أقبل فإذا اقيمت الصلاة أدبر وله ضراط فإذا انقضى أقبل حتى يخطر بين المرء وقلبه يقول اذكر كذا اذكر كذا من الأمور التي لم يكن يذكرها " يفر وينطلق هارباً وهو يخرج منه صوت قبيح تتأذى منه النفس ثم يعود بعدها مرة أخرى حتى تقام الصلاة فيدبر ثم يعود بعدها ليوسوس في قلب المصلي ويلقي في باله بأمور كان قد نسيها ، لذلك كان صحابة رسول الله وقد كانت هناك أماكن خربة كثيرة يمرون بها في تجوالهم وأراض موحشة قفرة فعندما جاء واحداً من أولادهم إلى أبيه وقال عندما مررت في مكان كذا تهياً لي كذا وكذا وأخاف وأرتعد قال له يا بني إذا ألم بك شيء من ذلك فأذن للصلاة لأن الشيطان يهرب من الأذان لأن رسول الله ﷺ يقول إذا تغولت عليكم الغيلان فعليكم بالأذان " والغيلان هي كناية عن كل شيطان يريد من الجن فكان وسيلة الدفاع عن النفس منه كلمات الأذان جعله الله عز وجل حصناً لكل مسلم وحصناً للأمة كلها كما إنه علامة من علامات دين الإسلام تتجمع عليه الأمة فإن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يجمع الناس لأمر جلل مهم يأمر فيقول يا فلان أذن في الناس فإذا سمع الناس الأذان تجمعوا إلى رسول الله ﷺ من كل صوب، ويقول قائل :

يا ويح نفسي والذكرى مؤرقة إني ذكرت اليوم ما لم أنسه الآن
تذكرت صوت بلال حين أعلنها للناس نوراً وإخلاصاً وإيماناً
سقى لعهد نبي كان مسجده في السلم روضة وفي الهيجاء ميداناً
عهد النبوة لولا فضل نسبتنا لديننا الحق كنت اليوم تتعانا
فلبوا أخوة الإسلام إذا ناداكم رضوانا

ورضوان هو خازن الجنة وهو كل مؤذن يرتفع صوته بالأذان فإن
المؤذنين أطول الناس أعناقاً يوم القيامة وهم على كتبان المسك يُحاسب
الناس ثم هم يدخلون الجنة بفضل ما بذلوه من دعوة الناس للصلاة فإن
الدال على الخير كفاعله ومن سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها
وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة .

فضل الأذان

يقول رسول الله ﷺ من غدا إلى مسجد أوراخ يريد أن يتعلم علماً أو يعلمه كان له كأجر حجة تامة تامة تامة " وكان في ذلك ترغيب في حضور مجالس العلم في المساجد لما فيها من خير وفير فمناها نتعلم ديننا وكذلك نأخذ أجراً عظيماً على ذلك ألا وهو أجر الحجة التامة التي لا نقص فيها لمن حضر إلى المسجد بنية خالصة لوجه الله عز وجل لتعلم دين الإسلام بغير أن يتكلف شيئاً من المال أو الجهد وقد يقول سائل كيف يتساوى هذا مع من بذل الجهد والمال ؟ فإن هناك الكثير من أحاديث رسول الله ﷺ تبرهن على ذلك منها أنه قال من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه " الذي يتمنى ويسأل الله عز وجل أن ينال الشهادة في سبيله وأن يكون من الشهداء وكانت تلك الأمنية خالصة من قلبه والله عز وجل هو الذي يطلع على سريرته ويعلم نيته يقول رسول الله ﷺ أن له أجر شهيد ولو مات على فراشه في بيته لأنه كانت نيته خالصة لله عز وجل وصادق فيما تمناه ، وفي حديث رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عندما كانوا متوجهين إلى تبوك قال لهم رسول الله ﷺ إن في المدينة أقواماً ما قطعتم مسيرة وما صعدتهم شرفاً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم شاركوكم الأجر " رغم أنهم مع رسول الله ﷺ يسيرون إلى غزوة في شدة الحر والقيظ إلا أن رسول الله ﷺ يقول لهم إن هناك ناس في المدينة لم يخرجوا معهم ولم يتعرضوا لهذه المشقة وذلك الجهد والتعب والنصب إلا أنهم يشاركونهم الأجر في كل ما يأتوه من جهد ومشقة لذلك قالوا يا رسول الله كيف يشاركوننا الأجر وهم في المدينة قال حبسهم العذر أي عندهم أعذار حقيقية ولو لم تكن عندهم

لصدقوا في رغبتهم في الخروج معهم مجاهدين والله عز وجل يعلم ما تكن صدورهم وما في قلوبهم لذلك كان لهم أجر المسير إلى تبوك وهم في المدينة .

ومن علم الدين أن نتعلم سيرة رسول الله ﷺ وما فيها من فقه فإن أهل الإسلام عندما كانوا في مكة كانوا يصلون فرادى وليس في جماعات وكان عددهم قليل وما كان هناك أذان للصلاة، ثم عندما هاجر رسول الله ﷺ وانتشر دين الإسلام في المدينة أخذوا يتجمعون في المسجد ولكن لم يكن هناك نداء يجمعهم فكانوا يتواجدون في المسجد أو قريباً فإذا حانت الصلاة صلوا فقالوا فيما بينهم نتخذ ناقوساً حتى نعرف به وقت الصلاة فيجتمع الناس على صوته وقال آخرون نتخذ بوقاً حتى يسمعه الناس وقال غيرهم نوقد ناراً يراها الناس ولكن الله عز وجل يريد لدين الإسلام أن يتفرد في شعائره ويتميز عن الأمم السابقة فلا يصح لأهل الإسلام أن يتبعوا شعائر من قبلهم لأنهم حرفوا دينهم وأدخلوا فيه الشرك ولم يبقوا على التوحيد الذي جاء وأمر به رسلم لذلك لم يتفق الناس وقتها على رأي في هذا الشأن وكذلك لم يأت فيه التشريع من رسول الله ﷺ الذي لم يقر أي من هذه الوسائل ولم يأت به وحي من الله عز وجل حتى جاء عبد الله بن زيد بن عبد ربه وقال يا رسول الله بينما أنا نائم أتاني آت ومعه ناقوس فقلت له بعني إياه قال ولما تريده قال نعلن به للصلاة فقال ألا أدلك على خير من ذلك فردد عليه كلمات الأذان الذي يؤذن به إلى الآن ويجتمع الناس عليه للصلاة وكان هذا الرجل هو جبريل عليه السلام وجاء عبد الله بهذه الكلمات إلى رسول الله ﷺ بعد أن كادوا أن يتخذوا الجرس وسيلة لهم فقال له رسول الله ﷺ علمها لبلال فإنه أندى صوتاً فليؤذن بها، من هنا علمنا أن في دين الإسلام يجب أن نضع الناس على حسب ما يتميزون به ويتناسب مع ما

وهبهم الله عز وجل من قدرة ومن موهبة وعلم فإن الأصوات هبة من الله عز وجل، وانطلقت كلمات الأذان من صوت بلال رضي الله عنه وإذا بعمر رضي الله عنه يأتي مسرعاً ويقول يا رسول الله لقد طاف بي الليلة مثل ما طاف بعبد الله بن زيد لذلك علم رسول الله ﷺ أنها رؤية حق فأقرها فكان الدين وكان الشرع وكان الإسلام، كلمات ما كان لإنسان أن يزيد فيها أو ينقص منها أو يحرف فيها أو يلحنها فإنها كانت شرع ودين أقره المصطفى ﷺ.

إن كلمات الأذان التي نسمعها ليل نهار من المؤذنين تجمع دين الإسلام كله في طياتها أولها التكبير فإن التكبير يقول أن الله عز وجل أكبر من كل كبير وأنه هو المهيمن على هذا الكون بما يحتويه، وبعدها تأتي الشهادة بالوحدانية لله عز وجل نفي الشرك عنه ولا معبود سواه هو الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ثم يقول أن الذي أمر بتبليغ الرسالة هو محمد ﷺ، ثم تأمر بطاعة الله عز وجل ومن جزئيات الطاعة الصلاة ثم تقول إنك إن فعلت ذلك وآمنت وصدقت بما سبق فأنت من أهل الفلاح في الدنيا والآخرة ثم أعاد التكبير والتهيل للتأكيد على المعنى الأول في هذا النشيد الرباني الذي جعلت أمة محمد تدعي به إلى مساجدها وإلى عبادة الله فيها.

وكلمات الأذان رغم قلتها إلا أن للمؤذن بها فضل كبير وأجر عظيم يجعل الناس تتسابق للفوز به فقد جاء في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ لو يعلم الناس ما في الصف الأول والآذان لاستهموا عليه " لو تعلمون الفضل في الذي يأتي ليكون في الصف الأول وكذلك الذي يحرص على أن يؤذن لجعلوها قرعة ومسابقة حتى يفوز بها من يفوز ثم يقول رسول الله ﷺ لو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه " والتهجير هو أن تأتي المسجد قبل الأذان وكلما زادت هذه الفترة كنت من أهل التهجير " ثم قال رسول الله ﷺ لو تعلمون ما في العتمة والصبح

لأتوهما ولو حبواً " والعتمة هي صلاة العشاء ولو علم الناس الخير والفضل الذي في صلاة العشاء والصبح لكانوا أشد حرصاً على صلاتهما في المسجد ، وفي حديث نقله إلينا البراء بن عازب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ إن الله وملائكته يصلون على الصف المقدم " أي أن الله عز وجل يغفر لهم الذنوب والملائكة تدعوا لهم بكل خير كانت هذه معنى صلاة الله وملائكته علي أهل الصف الأول ، ثم يقول رسول الله ﷺ المؤذن يُغفر له مد صوته " أي إلى أقصى مكان يصل إليه صوته فحسب هذه المسافة يغفر له ذنوبه ثم قال رسول الله ﷺ ويصدقه كل من سمعه من رطب أو يابس " والرطب واليابس كله يتجاوب مع كلمات الأذان الطوب والحجر والماء والزيت بينما نجد ولا حول ولا قوة إلا بالله الكثير من أهل الإسلام لا يتجاوبون مع الأذان ، ثم يقول رسول الله ﷺ وله مثل أجر من صلى معه " كل من جاء إلى المسجد بسبب الأذان فإن للمؤذن مثل أجرهم لأن الله عز وجل فضله واسع وعظيم وكل من يسمع كلمات الأذان من المؤذن يشهد له يوم القيامة لذلك فإن رسول الله ﷺ كان يحث الناس على أن يؤذنون بينهم وبين أنفسهم يؤذنون في الطرقات والبيوت ويرددون كلمات الأذان متى سمعوه في وقت الصلاة في أي مكان كانوا وليس شرطاً أن يكون في المساجد فقط قال رسول الله ﷺ لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه يا أبا سعيد إني أراك تحب الغنم والبادية أي إنه يحب الرعي بالغنم في الصحراء فقال له إذا كنت في غنمك وباديتك فارفع صوتك بالأذان فإنه لا يسمع صوت المؤذن إنس ولا جن ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة " وقد يقول قائل بذلك يكون المؤذن قد حصل الأجر كله ولم يبقى شيئاً ويكون هو أطول الناس أعناقاً يوم القيامة وهو الذي قال في شأنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لولا الخلافة لأذنت " أي أنه لولا مشاغل الحكم والإمارة لاشتغل بالأذان ، ولكن لنعلم أن للمستمع للأذان مثل

أجر المؤذن الذي سبق وقلناه ولكن هناك شروطاً يجب أن يفعلها من يريد الحصول على نفس الأجر فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال إن المؤذنين أكثر فضلاً منا فقال له قل مثل ما يقولوا ثم سل تُعطى " فمن رد كلمات الأذان خلف المؤذن فله نفس أجره وبعد أن يفرغ المؤذن من الأذان إذا سأل الله عز وجل من فضله أعطاه، والله عز وجل يستجيب من عباده في وقت معين محدد فقد جاء في حديث رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرد " من هنا علمنا أن هذا الوقت هو وقت الرجاء من الله عز وجل فقالوا وما نسأل يا رسول الله قال سلوا الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة " فكانت هذه من أفضل ما يدعو به المسلم في هذا الوقت بين الأذان والإقامة وهذا الوقت يتساوى مع الدعاء في وقت الحرب والنزال في ساحات المعارك وليس هذا من عندنا وإنما هو من تراث ورثناه من ناس تكبدوا المشاق حتى يأتون ببصيص منه فكان ذلك البصيص فيه خيراً لنا قال رسول الله ﷺ في حديث له تثنان لا ترد دعوتهما عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضاً " تُستجاب الدعوة في وقتين ولا تُرد فيهما فأى فضل ذلك وأي غنيمة يحصل عليها من يتجاوب مع الأذان، وجاء في حديث رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا أذن المؤذن فقولوا مثلما يقول ثم صلوا عليّ فإن من صلى عليّ صلاة صلى الله بها عليه عشرًا ثم سلوا لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله أرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له شفاعتي " فمن سمع المؤذن فيردد مثلما يقول حتى إذا وصل إلى حي على الصلاة وحي على الفلاح يقول المردد لا حول ولا قوة إلا بالله ثم يكمل كلمات الأذان وبعدها يقول اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد

كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، ثم يسأل لرسول الله ﷺ الوسيلة يقول اللهم آت مُحَمَّدًا الوسيلة والدرجة العالية الرفيعة وابعثه اللهم مقاماً محموداً الذي وعده إنك لا تخلف الميعاد ، فكان ذلك هو التجاوب مع الأذان حتى يحصل على مثل أجر المؤذن لا ينقص ذلك من أجره شيئاً فإن الله عز وجل فضله واسع عظيم .

ومن كان في المسجد قبل الأذان ثم أذن المؤذن فإن هناك تحريم أن يخرج أحد من المسجد قبل أن يصلي ففي حديث رواه أبو هريرة ؓ قال قال رسول الله ﷺ إذا كنتم في المسجد فأذن المؤذن فلا تخرجوا حتى تصلوا " وأبو هريرة ؓ وجد رجل يخرج من باب المسجد بعد الأذان فقال هذا عصا أبا القاسم ؓ ، والأذان يدفع الشيطان كما قال رسول الله ﷺ إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله ضرات فإذا فرغ المؤذن أتى - من هنا كانت كلمات الأذان بيقين طاردة للشيطان فمن كان يريد أن يطرده فليردد هذه الكلمات البسيطة الجامعة وبالأخص إن كنت في مكان خالي وحيداً وأحسست بخوف فإن صحابي من صحابة رسول الله ﷺ قال له إن ابني يقول لي شعرت بشيء غريب كلما مررت بمكان كذا أو كلما مررت بجوار حائط بني فلان فقال له إذا وجدت ذلك فعليك بالأذان فإنه يطرد الشيطان " ويدبر الشيطان وله ضراط لا يقوى أن يقف أمامك .

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ يتعاملون مع أحاديثه ويأخذون منها معانيها والفضل فيها ، وثلاثة على الكثران من المسك يوم القيامة كان منهم رجل أم قوم وهم عنه راضون ورجل يناذي بالصلوات الخمس كل يوم وليلة يبتغي بها وجه الله وعبداً مملوكاً أدى حق الله وأدى حق مولاه " كان هؤلاء الثلاثة على كثران من المسك يوم القيامة

إقامة الصلاة

يقول قائل : لم أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد زخراً وعند الله للأتقى مزيد

ذلك الرجل علم أن السعادة ليست في جمع المال والكنوز وإنما السعادة في القلوب تأتي من تقوى الله عز وجل فإن الله يحب المتقين، وبيت المتقين إنما هو المسجد فقد جاء في حديث رواه أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ المسجد بيت كل تقى وضمن الله عز وجل لمن كان المسجد بيته برضوان الله والجواز على الصراط إلى الجنة " وفي حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من غدا إلى مسجد أو راح جعل الله عز وجل له الجنة نزلاً كلما غدا أو راح " فإذا كانت تلك هي الجائزة فلماذا يبخل الإنسان على نفسه بهذا الفضل العظيم وخزائن الله عز وجل لا تنفذ فهو مالك الملك والملكوت يعطي من يشاء ويمنع عن من يشاء ومن طلب لنفسه الرفعة رفعه الله عز وجل ومن طلب لنفسه العزة أعزه الله عز وجل، والله عز وجل يقول ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۚ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ النور 36 - 37 كان من تقواهم أنهم يخافون ذلك اليوم يوم الفزع الأكبر، ورسول الله ﷺ كان رحمة الله إلى العالمين حين آذاه أهل الشرك بعث الله له ملك الجبال ليأمره أن يطبق عليهم الجبال فيقضي عليهم في لمح البصر وذلك بعد أن رفع محمد ﷺ يده إلى الله بعد أن بلغ الأذى منهم مداه رفع يده يشكو إليه ضعف قوته وقلة

حيلته وهوانه على هؤلاء الناس من المشركين والكفرة فقال له ملك
 الجبال يا رسول الله لو أمرتني أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت وهما
 أعلى جبلين في مكة فإن فعل لم يبق منهم أحد ولكن رسول الله ﷺ
 الرحمة المهداة للعالمين يقول له لا عسى أن يخرج الله عز وجل من
 أصلابهم من يؤمن به ولا يشرك به شيئاً، ولو كان عنده نزع انتقام أو
 نزع من الشر لأمره أن يطبق عليهم الأخشبين جزاءً وفاقاً ولكن العفو
 كان منه إحساناً، ولأن الله عز وجل يكافئ المتقين والمحسنين أعطاه
 هدية فارتفع به إلى أعلى عليين حتى أن القائل قال العرش تحتك سدة
 وقوائماً ومناكب الروح الأمين وطاء - يا محمد عليك أفضل الصلاة
 والسلام عرش الرحمن تحتك كأنه قطع الخشب المرصوص والذي ارتفع
 بك هو مناكب الروح الأمين كتف جبريل عليه السلام هو الذي صعد
 بك إلى السماوات العلى - الرسل دون العرش لم يؤذن لهم - أي رسول أو
 نبي دون عرش الرحمن عندها يقف لم يؤذن له - حاش لغيرك يا محمد
 موعد ولقاء، في هذا المكان العالي المرتفع حيث لا تدركه عقولنا
 فرض الله عز وجل على محمد ﷺ وعلى أمته الصلوات الخمس في اليوم
 واللييلة من هنا نعلم وندرك مدى منزلة ومكانة هذه العبادة التي فرضت
 في ذلك المكان من رب العالمين إلى سيد المرسلين من غير واسطة فإنما
 هي عبادة لها شأن عظيم وهي من أسمى العبادات وكانت هي مناط دين
 الإسلام فعن جابر رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ بين الرجل والكفر ترك
 الصلاة " وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال آية ما بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها
 فقد كفر " وعلى ذلك بنص هذين الحديثين فإن تارك الصلاة كافر،
 وفي حديث ثالث عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ عرى
 الإسلام ثلاثة - قواعد الدين كأنها حلقة السلسلة ثلاث حلقات هي
 أساس دين الإسلام - عليهن أسس الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن

مُحمداً رسول الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان - كانت هذه الثلاثة هي عرى الإسلام وقواعد الدين - ثم يقول رسول الله ﷺ من ترك واحدة منهن فهو بها كافر " كافر بهذه الثلاثة وذلك بنص هذا الحديث الذي نقله إلينا عبد الله بن عباس ؓ وكذلك في حديث آخر يقول رسول الله ﷺ بُني الإسلام على خمس وفيه زيادة عليها الزكاة والحج لمن استطاع إليه سبيلاً وقد يسأل سائل لماذا هذه الثلاثة كان فيها التأكيد والتغليظ بينما في الزكاة والحج بعض التهوين نقول أن الشهادة لا ينفك يقولها إنسان ولن تكلفه شيئاً أو جهداً وكذلك الصلوات المفروضة كانت على أي هيئة وفي أي مكان ومن لم يستطع أن يؤديها واقفاً يؤديها قاعداً أو مضجعاً وإن تعذر عليه ذلك أداها بعينيه أو بالإشارة فإن فيها اليسر والترخيص وكذلك في الصيام فقد يسقط عن بعض أصحاب العذر وأما زكاة المال والحج فإنهما لا يستطيعهما كل إنسان مسلم مكلف بهما إنما المكلف بهما من يملك من المال ما يبلغ فيه النصاب في الزكاة ومن يملك الزاد والراحلة في الحج من هنا كان التفريق بين هذه العبادات، ورسول الله ﷺ عندما صعد إلى السماء وتلقى هذه العبادة من رب العالمين لم يؤديها على هواه وإنما انتظر حتى جاءه جبريل في اليوم التالي معلماً له من قبل الله عز وجل فأعلمه بالمواقيت لهذه العبادة وصلى به إماماً حتى يصلي مُحمد ﷺ كما يراه يصلي ثم رسول الله ﷺ علمنا إياها - وقد دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فوجد رجل يصلي فانتظره حتى فرغ من صلاته ثم قال له صلي فإنك لم تصل أي إن الرجل لم يصلي بالكيفية التي تؤدي بها الصلاة فإن لها كيفية معينة فصلى هذا الرجل مرة ثانية ولما فرغ قال له صلي فإنك لم تصل وفعل كذلك في الثالثة ثم قال الرجل والله يا رسول الله لا أحسن غيرها فعلمه رسول الله ﷺ وكان تعليمه ينصب على الإطمئنان

في أداء الصلاة والخشوع فيها ، وفي حديث عن أبي قتادة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أتدرون من هو أسرق الناس قالوا من يا رسول الله قال الذي يسرق في صلاته قالوا كيف يسرق قال الذي لا يتم ركوعها ولا سجودها " الذي يسرق من صلاته هو الذي لا يطمئن في ركوع ولا سجود ، وفي الركوع كان رسول الله ﷺ يجعل ظهره مستقيماً حتى إن وضع على ظهره كوب ماء لم يسقط ولم يختل دليل على الإطمئنان في الركوع وخشوعاً وإطمئناناً في الصلاة وكذلك كان في سجوده يطمئن ثم يقوم وهو الذي علمنا الصلاة وهو الذي نزل عليه الكتاب الذي نقرأه ليل نهار ذلك المعلم الذي علمنا الصلاة أمرنا أن نقرأ الفاتحة ثم ما تيسر من القرآن فليس هناك أفضل من القرآن نعبد به الله عز وجل ولكنه نهانا عن قراءته في ركوع أو سجود وكذلك عند خطبة الجمعة والإمام يخطب وكذلك من كان في الخلاء فلا يقرأ قرآنًا ومن كان جنباً فقد قال رسول الله ﷺ نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً فأما الركوع فسبحوا الرب فيه وأما السجود فأكثرُوا فيه من الدعاء فمن أن يُستجاب لكم " وهناك أدعية فيها آيات من القرآن فلا يجب أن نقرأها ونردها في السجود لأن رسول الله ﷺ نهى عن قراءة القرآن في السجود ولكن لك أن تتأول معناها فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ عندما نزلت سورة النصر رسول الله ﷺ جعلها في سجوده ولكن كيف جعلها وماذا كان يقول فكما روت أم المؤمنين قالت كان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إذن المعنى هو نفس المعنى الذي جاء في سورة النصر ، وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال لما نزل قول الله عز وجل فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله ﷺ اجعلوها في ركوعكم " وهذا التسبيح فيه معنى الآية ولا يعتبر قراءة للقرآن ، ثم قال عقبة بن عامر رضي الله عنه وعندما نزل قول الله عز وجل سبح

اسم ربك الأعلى قال رسول الله ﷺ اجعلوها في سجودكم " فكان ذلك تسييحاً ولم يكن قراءة للقرآن، وقد كانت له أذكراً يذكرها في ركوعه يقول سبوح قدوس رب الملائكة والروح، وكما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه اللهم لك أركع وبك آمنت ولك أسلمت خشع بصري وسمعي وعصبي وما استقلت به قوتي لله رب العالمين " وكان يقول في سجوده اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين " كان يدعو الله في سجوده ويقول اللهم اغفر لي ذنبي كله جله وقله أوله وآخره وسره وعلا نيته .

في السجود تدعو الله بما شئت ولكن المأثور عن رسول الله ﷺ هو تقرب وعبادة والأمر في الصلاة أن نعبد الله بها اتباعاً لرسول الله ﷺ وأن نخلص فيها لله فإن الله عز وجل يقول ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ البينة 5 وكذلك يقول الله عز وجل ﴿قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأنعام 162 – 163 ويجب أن يحافظ كل مسلم على صلاته ويجعلها أول همه وشغله ويحرص على أدائها بأحسن ما يكون فإن الله عز وجل يقول ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ۖ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ البقرة 238 ومن حسن الصلاة كما علمنا رسول الله ﷺ الإطمئنان في الصلاة وأداء ركوعها وسجودها باطمئنان فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال ذكر رسول الله ﷺ الصلاة يوماً فقال من حافظ عليها كانت له نور وبرهان ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور وبرهان ونجاة يوم القيامة ويُحشر مع

فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف عليهم لعنة الله " لماذا جاء رسول الله ﷺ بهؤلاء دون غيرهم لأن فرعون شغله ملكه وجبروته عن الله عز وجل فكل زعيم أو رئيس لا يؤدي الصلوات التي أمر الله بها فهو مع فرعون وكذلك كل وزير أو مرؤوس لم يؤديها فهو مع هامان وكل من شغله ماله عنها فهو مع قارون وكل من شغلته تجارته عنها فهو مع أبي بن خلف، وأول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة هو الصلاة فإن صلحت صلح سائر العمل وإن فسدت فسد سائر العمل .

الإمام

جاءت درة بنت أبي لهب رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ تشتكي إليه من نساء المدينة فقد كانوا يعيرونها بأبيها يقولون لها يا بنت عدو الله يا بنت المشرك بينما هي من أهل الإيمان فقال رسول الله ﷺ بعد أن طيب خاطرها إن أكرم الناس أتقاهم - ليس أعلاهم رتبة أو مكانة أو نسباً - وأقراهم وأوصلهم للرحم " رسول الله ﷺ جعلها ثلاثة أمور أولها تقوى الله فإن الله عز وجل يقول ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات 13 ثم يقول رسول الله ﷺ وأقراهم من هو اقراهم هو اعلمهم فمن يريد أن يكون من أهل الفلاح فليتعلم لأن رسول الله ﷺ قال إنما العلم بالتعلم والحلم بالتعلم " ما ولد إنسان عالماً ولكن من أراد المعرفة تعلم وإذا لم يحاول الوصول إلى هذه المعرفة فهو من الجاهلين، والمتعلم إنما هو نشيط في المجتمع ليس خاملاً ولكن له تأثير بين الناس فإن الله عز وجل هو الذي أنزل العلم إلى الناس وهو الذي علم الناس ما لم يكونوا يعلمون وكذلك بث هذا العلم لرسول الله ﷺ وعندما كان بعض أصحابه في سفر وتطلب الأمر منهم الفتوى أفتوا بغير علم فكانت فتواهم على خطأ فقال رسول الله ﷺ للذي يتكلم بغير علم للذي يدل الناس بغير هدى قال لهؤلاء الصحابة قتلوه قتلهم الله وذلك لأن الفتوى الخاطئة أدت لموت أحد الناس فجعلها كأنها قاتلة وقال إذ لم يسألوا إنما شفاء العي السؤال، والعي هو الجاهل بأمر من الأمور، ثم الثالثة قال رسول الله ﷺ أوصلهم للرحم وذلك لأنه يصل ما بينه وبين الناس .

لذلك أوجب دين الإسلام على الإمام أن يكون على علم لأنه يقود الناس وقد قال رسول الله ﷺ في حق الإمام الإمام ضامن يضمن صحة صلاة من خلفه فإن أحسن كان له ولهم وإن أساء كان لهم وعليه " هنا الإمام له وعليه تبعة كبيرة عظيمة شديدة، والإمام ليس بأتقى الناس وليس بخير الناس وليس بأشرف الناس أو أغناهم ولكن هناك شروطاً لمن يصلي بالناس، وسالم مولى حزيفة رضي الله عنهما كان خادماً عند رجل من الصحابة اسمه حزيفة ولكن لأن شروط الإمامة انطبقت عليه جعله رسول الله ﷺ إماماً لمسجد قباء فكان يصلي بالناس ومن خلفه الصديق وعمر وسهل بن حنيف وعلي بن أبي طالب وعليه القوم من الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً فهل كان سالم ﷺ أفضل منهم جميعاً وأعلى قدراً وأتقاهم لله عز وجل أو أشرفهم مكانة وحسباً حتى يكون إماماً لمسجد قباء ولما كان هؤلاء الصحابة يصلون في هذا المسجد كانوا يصلون خلفه، إنما هو انطبقت عليه الشروط فما هي هذه الشروط ؟ جاء قوم إلى رسول الله ﷺ وفيهم الشيوخ وفيهم حديثي السن وفيهم الشباب فامتحنهم رسول الله ﷺ فقال شاب منهم يا رسول الله إني أحفظ البقرة والجميع لا يحفظون فقال له أنت إمامهم وذلك لأنه يحفظ سورة البقرة وهم لا يحفظونها، وعبد الله بن مسعود ﷺ قال قال رسول الله ﷺ يؤم القوم اقرأهم لكتاب الله " ولكنه لم يتركنا هملاً اقرأ الناس أكثرهم حفظاً فإن المسألة ليست بالأهواء إنما هو شرع ودين قال رسول الله ﷺ يؤم القوم اقرأهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة - إن استوى كلهم في الحفظ فأعلمهم بالحديث لأن الحديث فيه ما يجبر الصلاة وفيه ما يصلحها فكان أعلمهم بالسنة هو المرتبة الثانية بعد حفظ القرآن - فإن كانوا في الحديث سواء فأقدمهم في السن ولا يؤمن رجل رجل في سلطانه ويجلس في بيته على

تكرمته إلا بإذنه، إذا كان هناك إنسان أكثر الناس حفظاً وعلماً ودخل مسجد ولكن ذلك المسجد له إمامه فإن إمام المسجد أحق وأولى بها منه وذلك بالقياس لأن الصديق عليه السلام كان أعلم من سالم عليه السلام الذي كان إماماً في مسجد قباء، وسلطان المسجد إنما يؤمه صاحب السلطان في المسجد كذلك علمنا رسول الله ﷺ الأدب فقال ولا يجلس على تكرمته في بيته إلا بإذنه وهي من تمام مكارم الأخلاق إذا دخلت عند واحداً من الناس وتعلم أن له مكاناً معيناً يجلس فيه فلا تجلس في هذا المكان ولكن اجلس في مكان آخر فكان ذلك من باب الأدب، وذلك الإمام الذي قلنا في حقه أنه ليس أكرم الناس ولكنه فقط أقرأهم وأعلمهم بالحديث هل هذا الإنسان بهذه الشروط له أن يصنع بالناس ما يشاء كما يحب ويهوى لا والله إنما لها ترتيب وقواعد في ذلك الدين فإن رسول الله ﷺ في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال من أم الناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والمريض وذا الحاجة وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء " ومعاذ بن جبل رضي الله عنه كان يصلي الفجر بالناس إماماً وكان يطيل في القراءة وهناك رجل تخلف عن صلاة الفجر بسبب طول قراءة معاذ فعندما قابله معاذ وعلم أنه لا يأتي لصلاة الفجر لطول قراءته قال له إنك منافق فذهب الرجل إلى رسول الله ﷺ وقص عليه ما كان فقال رسول الله ﷺ يا معاذ أفтан أنت أي هل تريد أن تفتن الناس ثم قال له من أم الناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والمريض وذا الحاجة - ثم أخبره عن قدر القراءة التي يقرأها فقال عليك بسبح والغاشية كأمثال ذلك القدر من القراءة تصلي بالناس " ورسول الله ﷺ كان يقول كنت أصلي بالناس وأنا أريد أن أطيل فأسمع بكاء الصبي فأتجاوز مخافة أن تفتن أمه " وذلك هو رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه الكتاب وأعلم الناس بهذا الدين وأتقاهم لرب العالمين، عندما كان يريد أن يصلي بالناس بالغاشية

مثلاً يسمع بكاء صبي فيجعلها سورة النصر لماذا حتى لا تُفتن أم الصبي في الصلاة حتى لا يشغلها بكاء ابنها عن الصلاة فيكون قد أصابها ضرر، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لا تبغضوا الله إلى عباده " هو يقول للأئمة لا تبغضوا الله إلى عباده يطيل أحدكم حتى يسأم من خلفه " .

الإمام الذي يؤم الناس لا يفرض نفسه عليهم فرضاً لأنه إذا فرض عليهم فرضاً فإنه قد وقع في إثم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً رجل أم قوم وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط وأخوان متصارمان " كان أولهم رجل يؤم قوم بينما هم يكرهون إمامته فذلك الإمام لا ترتفع صلاته فوق رأسه شبراً، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يؤم قوم إلا بإذنهم، فكانت الكراهية هنا لا بد لها من شرح هناك ناس تكره الإمام لأن صوته ليس حسن أو لأنه ليس جميلاً بينما هو يحظى بكل الشروط التي أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإمام فالكراهية هنا تكون كراهية في أمور أخرى بينما يجب أن تكون الكراهية في الدين كأن يكون فاسقاً معلوماً فسقه مثل أن يثبت عليه تعاطيه للخمر أو لأي مسكر أو مرتكب لأي موبقات فيكرهونه لهذه العلة لأنها في أصل الدين ولكن لا تكون الكراهية على الهوى فيعجب بعض الناس ولا يعجب البعض الآخر بغير سند أو دليل على فسق بين فإن اثم الكراهية تعود على من يكره ذلك الإمام، ورغم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا " ويقول كذلك ألا يخشى أحدكم إذا حرك رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه إلى رأس حمار " وكذلك يقول البراء بن عازب رضي الله عنه كنا إذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع الله لمن حمد لا يحني أحدنا ظهره حتى

تمس جبهة رسول الله ﷺ الأرض " لا يحنوا ظهورهم تمهيداً للسجود حتى يتم سجود الإمام ووصول جبهته إلى الأرض فإذا سجد خروا على الأرض سجداً .

ذلك الإمام الذي أمرنا أن نتبعه إلا أن رسول الله ﷺ يقول في حق نفسه أنا ولد من ولد آدم أنسى كما تتسبون فإذا نسيت فذكروني " إذا كان رسول الله ﷺ يقول إنه من الممكن أن ينسى لأنه بشر إذن احتمال قائم أن ينسى كل إمام فقد ينسى ولا يجلس بين الركعتين وقد ينسى ويصلي الخامسة فكيف يكون التصرف حينها من المأموم جاء في حديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا شك أحدكم في صلاته ثلاثاً أو أربع فليطرح الشك جانباً وليبني على ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم " هذه للإمام وكذلك لمن يصلي منفرداً لمن شك في عدد الركعات يكون هناك سجوداً للسهو جبراً لذلك النقص، وكذلك جاء في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال صلى رسول الله ﷺ الظهر أو العصر فسلم من ركعتين فقال الناس قصرت الصلاة أي أصبحت ركعتين بدلاً من أربع لأن الذي يصلي بهم هو رسول الله ﷺ فقال الناس قصرت الصلاة فقام رجل يسمى ذو اليدين لأنه كانت يدها طويلتان فقال يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت فقال رسول الله ﷺ كل ذلك لم يكن قالوا صليت ركعتين يا رسول الله فقام فصلى ركعتين ثم سجد سجدتين، وإذا نسي الإمام الجلوس الأوسط فماذا يفعل الناس من خلفه فعن أبي بحنة رضي الله عنه قال صلى رسول الله ﷺ فقام من ركعتين - وقد يقول قائل لماذا وكيف ينسى رسول الله ﷺ إنما هي إرادة الله عز وجل حتى يتعلم الناس فلولا حدوثها لم يكن ليعلمها أحد، وكذلك إذا نسي الإمام فإنه يكون في وضع خطير لا يدري ما

يفعل لأن رسول الله ما نسي - قام من ركعتين فأشار له الناس فلم يستجب لهم حتى فرغ من الصلاة فسجد سجدتين قبل التسليم فلماذا فعل ذلك جاء في حديث رواه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا صلى أحدكم فقام في اثنتين فإذا استقر واقفاً فلا يجلس وإذا لم يستقر واقفاً فليجلس ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم " فما المعنى أن الإمام إذا نسي الجلوس الأوسط ولكنه تذكر أو انتبه أو نبهه أحد قبل أن يكتمل وقوفه للركعة الثالثة فله أن يجلس ولكن يسجد قبل التسليم سجدتي السهو ولكن إذا قام من الركعتين وأتم الوقوف كاملاً مستقراً فليس له أن يجلس مرة أخرى للجلوس الأوسط ولكن يكمل الركعات ثم يسجد سجدتي السهو قبل التسليم حتى يجبر ذلك السهو، وكذلك إذا نسي الإمام مثلاً في صلاة الظهر وقام للركعة الخامسة وكلنا نعلم أنها ليست في الصلاة بل هي زيادة عليها فإذا تم تنبيهه ولم يستجب للناس من خلفه ألا تقوم معه فيها أي لا تتبعه في الخامسة وإذا شعر الإمام بذلك فله أن يرجع عنها فإذا لم يرجع بطلت صلاته وكذلك الذي يعلم من المأموم أنها الخامسة وتبعه فيها بطلت صلاته ولكن يجب عليهم أن يجلسوا وينتظروه حتى يجلس ويسلم فهؤلاء صلاتهم صحيحة حتى لا يتبع الإمام في خطأ .

والإمام ليس معصوماً حتى يصلي بالناس على هواه فإن رسول الله ﷺ جعل الأئمة كأنهم عمال يعملون فقال إنما هو يصلون لكم أي كأنهم يعملون أجراً عندكم لا لميزة فيهم عليكم إلا بحفظ القرآن والعلم بالحديث فإذا أردت أن تكون مثلهم فاحفظ وتعلم علمهم يقول رسول الله ﷺ يصلون لكم كأنهم يعملون عندكم وتحت أمرتكم فإن أحسنوا فلهم ولكم وإن أساءوا فلکم وعليهم .

وساوس الشيطان

يقول القائل : تعلم العلم يا فتى تحوز فخر النبوة

فإن الله قال ليحيى خذ الكتاب بقوة

ومكان العلم لأهل الإسلام هو المساجد فقد قال معاذ بن جبل رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأكل القاصية والناحية فعليكم بالجماعة وعليكم بالمساجد " الذئب يأكل من الغنم الشاردة التي خرجت عن القطيع وكذلك الشيطان يأكل الإنسان الشارد المنفرد فمن أراد أن يبتعد عنه الشيطان فليلزم الجماعة ولا ينفرد بنفسه فإن رسول الله ﷺ يقول الشيطان يهم بالواحد وبالاثنين فإن كانوا أكثر فلا يهم بهم لأنهم يقوي بعضهم بعضاً " وكذلك يقول رسول الله ﷺ الصلاة تسود وجه الشيطان " فإننا نعلم أن لكل إنسان شيطان مقيض له يحاول أن يجعله من أهل النار بأن يغويه لعدم فعل الخير ويغريه بفعل الشر لذلك يقول رسول الله ﷺ أن الصلاة تسود وجه الشيطان ثم يقول الصدقة تقسم ظهره والتحبب في الله والتودد في العلم يقطع دابره فإذا فعلتم ذلك تباعد عنكم الشيطان كبعد مشرق الشمس إلى مغربها " فمن كان من أهل الصلاة ومن أهل الزكاة والصدقة ومن الذين يحبون الناس في الله ويحرصون على مجالس العلم فإن شيطانهم قد اسود وجهه وقسم ظهره وتباعد عنهم كبعد المشرق عن المغرب، وأبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ إذا شك أحدكم في صلاته فلا يدري كم صلى ثلاثاً أو أربعة فليبني على ما استيقن ثم يسجد سجدتين فإن كان صلى خمسة شفعنا له صلاته وإن كان صلى تمام الأربع كانت ترغيماً للشيطان " معنى هذا الحديث إذا اختلط الأمر على

المصلي فليبني على ما تأكد منه وهو الثلاثة ركعات فليتم الرابعة ثم يسجد سجدين وقد يقول قائل إنني قد أكون صليت أربعة وتكون هذه الخامسة لذلك قال رسول الله ﷺ إذا صليت الخامسة كانت سجدي السهو شافعة للخامسة وإن كنت صليت ثلاثة وأتممت بالرابعة كانت ترغيباً للشيطان أي السجدين أرغمتا أنف الشيطان، من هذا الحديث نعلم أن الشيطان يوسوس للإنسان في صلاته يحاول أن يشغله عنها ورسول الله ﷺ يقول إذا سمع الشيطان المؤذن أدبر وله ضرات - أي أنه يهرب من كلمات الأذان ويخرج منه صوتاً قبيحاً - ثم إذا فرغ المؤذن عاد ليكون بين الناس لكي يفتنهم - لأن الشيطان له مهمة محددة وهي صرف الناس عن طاعة الله عز وجل بكل وسيلة فهو لا يذهب إلى أماكن الفجور واللغو لأنهم لاهون عن ذكر الله عز وجل وعن طاعته فهم في معصية دائمة أما من في المساجد فإنما هم في حصن حصين يأتيتهم لكي ينال منهم ويصرفهم عن الطاعة - ثم إذا سمع الإقامة للصلاة أدبر وله ضرات كما فعل في الأذان فإذا فرغ عاد حتى يخطر بين المرء وقلبه فلا يدري أحدكم كم صلى - عندما يفرغ المؤذن من الإقامة يعود الشيطان يدخل إلى صدر الإنسان ويخطر بينه وبين قلبه يذكره بأشياء كان قد نسيها فيوسوس له ألم تذكر كذا وكذا حتى إن بعض الناس إذا ضاعت منهم أشياء وأرادوا أن يتذكروها قاموا إلى الصلاة فيأتيتهم الشيطان ويذكرهم بالذي نسوه أو غاب عنهم فبذلك ينسيهم كم عدد الركعات التي صلوها ، لذلك أمرنا أن نستعيذ بالله من الشيطان بأن نلجأ لله عز وجل لكي يدفع عنا كيد الشيطان فإن الإنسان إذا كان أمامه عدو يعرفه ويعرف شكله فمن السهل أن يحاربه أما الشيطان فإنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فكيف نواجهه ولكن الله عز وجل يرانا ويرى الشيطان فمن استعاذ بالله منه أعاده من

كيدته ومكره وقد جاء في حديث رواه علي بن أبي طالب عليه السلام قال كان رسول الله ﷺ يستفتح الصلاة بعد تكبيرة الإحرام يقول وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين بذلك أمرت وأنا من المسلمين أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم " وأبو هريرة رضي الله عنه يقول كان رسول الله ﷺ يسكت هنية بين تكبيرة الإحرام والقراءة فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي ماذا تقول حين تسكت قال أقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم " وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا استفتح للصلاة يقول بعد تكبيرة الإحرام سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه " فكانت هذه الدعوات من أكثر الأمور التي إذا فعلها المسلم يمتنع عنه الشيطان امتناعاً ويفر فراراً لأن التعوذ بالله السميع العليم فيها إقرار بعلم الله عز وجل بما نريد .

الشيطان كلمة لها معنيان من شطن أي بُعد كأن تقول البعيد إذا رأيت شيئاً خبيثاً تكرهه ولا تحب أن تراه أو يقترب منك فكان معنى الشيطان البعيد وهناك معنى آخر الشيطان من شاط وهو النار فكان معناه هنا لأنه خلق من نار ، ورسول الله ﷺ يقول خُلقت الملائكة من نور وخلق الشيطان من نار وخلق الإنسان مما ذكر لكم " لذلك الشيطان يدعو الناس ليكونوا من أهل النار ورسول الله ﷺ يقول إذا غضب

أحدكم فليتوضأ إنما الغضب من الشيطان والشيطان من نار وإنما نطفئ النار بالماء .

وكما قلنا إن الشيطان يوسوس للإنسان بالمفاسد فإذا وجد معركة وشجار بين الناس ينفخ في هذا وينفخ في ذاك - وإنما خلق الشيطان من نار وإنما يطفئ النار الماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ " فإن ماء الوضوء يطفئ الغضب الذي يزكيه الشيطان وحتى إن كان الرجل على وضوء فليتوضأ ثانية فإن الوضوء على الوضوء إنما هو نور على نور، وقد رأى رسول الله ﷺ رجلان يتلاحيان بينهما مشادة ونزاع حتى تمزق أنف أحدهما وكاد أن ينفجر من الحمرة فقال رسول الله ﷺ "إني أعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تسبق أعمال كثيرة فمن أراد أن يقرأ القرآن يبدأ بها فإن الله عز وجل يقول ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾. إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ وَالَّذِينَ هُم بِه مُشْرِكُونَ﴾ النحل 98 - 100 سلطانه على الذين يتجاوبون مع الوسوسة والذين يخافون منه فإن خفته ركبك وأهلكك وهذا الشيطان الذي يخاف منه الناس إنما قال الله عز وجل عنه إن كيد الشيطان كان ضعيفاً وذلك لأنه لا يملك إلا الوسوسة ، وقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله إنا نتكلم الكلمة بيننا وبين أنفسنا - أي إذا خلا بنفسه تهيأت له كلمات لو قالها لهلك كلمات فيها شرك وذلك بفعل وسوسة الشيطان - قال له رسول الله ﷺ الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة إذا وجدت في نفسك شيئاً من ذلك فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم " ورسول الله ﷺ يقول يأتي أحدكم الشيطان فيقول من خلق

كذا وكذا فيقول الله حتى يملأ الرأس فيقول ومن خلق الله فمن حدث له ذلك فلينتهي وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم " إذا وصلت إلى هذه الدرجة من الاستطراد في التفكير توقف على الفور واستعذ بالله من الشيطان الرجيم، ويقول قائل : يا من ألوذ به فيما أمله وأعوذ به مما أحاذره، يلوذ الإنسان بالله عز وجل في كل أمر يحيره أو يخشى منه فمن استعاذ بالله جنبه الفتن، يقول رسول الله ﷺ أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم - معناه أنه مرجوم مقذوف بالحجارة - من همزه ونفخه ونفثه " من همزه معناه من خنقه كأنه يريد أن يخنق الإنسان ومن نفخه فقد ينفخ الشيطان في المصلي حتى يلهيه عن الصلاة التي هي أعظم العبادات فيجعل هذا المصلي يشعر بالكبر في صلاته بينما هو الذي يحتاج إليها وليس الله عز وجل الغني عنها .

استعاذ رسول الله ﷺ بالله من الشيطان الرجيم وعلمنا أن الشيطان لن يترك الإنسان في حاله وقد خرج رسول الله ﷺ في يوم من الأيام من باب المسجد ومعه أم المؤمنين صفية رضي الله عنها فرآه رجلان من الأنصار فقال لهما على رسلكما إنها أمكم صفية زوجتي فقالا وما عليك يا رسول الله فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق فخشيت أن يقذف في قلبكما شراً " وكذلك قال رسول الله ﷺ إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق فضيقوا مجاريه بالصوم " فكان الصوم كذلك من الأمور التي ندفع بها الشيطان، وكذلك هناك أذكار إذا قلناها تباعد عنا كيد الشيطان فقد كان رسول الله ﷺ يقول أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة " وكذلك كان يقول أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأعوذ بك ربي أن يحضروني "

كانت هذه من الأذكار التي تدفع وائلة وغائلة الشيطان، كما أن هناك أموراً تدافع عنك أمام الشيطان قال رسول الله ﷺ في حديث موقوف على أبي هريرة ؓ قال البيت الذي يُتلى فيه كتاب الله عز وجل حضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين والبيت الذي لا يُتلى فيه كتاب الله حضرته الشياطين وخرجت منه الملائكة " وفي حديث آخر رواه أبو هريرة ؓ وذلك بعد أن جاء رجل يطلب الصدقة منه فأعطاه ثم جاءه ثانية فأعطاه فقال الرجل في الثالثة يا أبا هريرة ألا اعلمك كلمات إذا قلتها تباعد عنك الشيطان فتلا آية الكرسي، فقال له رسول الله ﷺ إذا جاء لا تعطه، وعندما جاء أبو هريرة وقال يا رسول الله الرجل الذي كنت منعتني أن أعطيه الصدقة قال أعطني هذه المرة وأعلمك كلمات إذا قلتها لم يقربك شيطان وتلا عليه آية الكرسي فقال رسول الله ﷺ يا أبا هريرة أتدري من كنت تكلم كنت تكلم شيطاناً وقد صدقك وهو كذوب " فكان رغم كذب الشيطان إلا أنه صدق في هذه فإن آية الكرسي تطرد الشيطان، وقال رسول الله ﷺ البيت الذي تُقرأ فيه البقرة لا يدخله شيطان .

والشيطان إذا استحوذ على إنسان وتمكن منه وجعله مطيعاً خاضعاً له يفعل ما يوسوس له به ويرتكب كل ما نهى الله عنه فإن هذا الشيطان سوف يتبرأ من هذا الإنسان أمام الله عز وجل يوم القيامة ويتخلى عنه بعد أن كان يزعم له أنه صديقه وناصحه ومنقذه فإن الله عز وجل يقول ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ الحشر 16 يوسوس للإنسان حتى يكفر بالله وعندما يتمكن منه يتصل منه ومن فعله كما يقول الله عز وجل ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ

وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن
دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تُلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ ۚ مَا أَنَا
بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ﴿٢٢﴾ إبراهيم فما جاءه شيطان فعليه
بما جاء من أذكار عن رسول الله ﷺ ومن الأفضل ألا ينفرد إنسان بنفسه
بليل فإن رسول الله ﷺ قال لو تعلمون ما في الوحدة مما أعلم ما سار
راكب بليل " وذلك لأنه يعلم ما يكون من كيد الشيطان ووساوسه
للمنفرد بنفسه في الليل لأن الليل به سكون أكثر من النهار .

ويقول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّكُمْ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُوءُ﴾ فاطر 5

مواقيت الصلاة

قال رسول الله ﷺ الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تقسم ظهره والتودد في العلم والتحابب في الله يقطع دابره فإذا فعلتم ذلك تباعد عنكم الشيطان كبعد مشرق الشمس عن مغربها " وكذلك يقول في حديث آخر ألا أنبئكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة " وكذلك يقول رسول الله ﷺ فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد " فكان الفقيه الذي يعلم أمور الدين خير من ألف عابد يعبدون الله عز وجل بدون تفقه لأن الله عز وجل يقبل العمل مما عقله الإنسان أما الذي يعمل وهو في غفلة ونسيان فإن ذلك العمل يفقد الخشوع لله ، ورسول الله ﷺ يقول من أراد الله به خيراً يفقهه في الدين " وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول يرحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في دين الله عز وجل "

العبادات في دين الإسلام إنما الأمر فيها على التوقيف لا نعبد الله عز وجل على الهوى أو بالاستحسان إنما نعبده كما علمنا رسول الله ﷺ لأن الله عز وجل لا يقبل من العبادة إلا ما كان خالصاً له موافقاً لشريعته ، ومن أفضل العبادات هي التي فرضها الله عز وجل على رسوله عندما صعد به إلى السماوات العلى عند سدره المنتهى فأمره الله بخمسين صلاة خففها إلى خمس صلوات في اليوم والليلة ، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ خمس صلوات فرضهن الله على عباده فمن أداهن بغير استخفاف بهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة " هذه الصلوات الخمس من أداهن غير مستخف بهن أي يتم فيها

الركوع والسجود والقراءة كان حقاً على الله أن يجعله من أهل الجنة ومن لم يؤدهن ليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وعن طلحة بن عبيد الله ؓ قال جاء أعرابي ثائر الرأس إلى رسول الله ﷺ - وكان الصحابة يحبون أن يأتي رجل غريب يسأل رسول الله ﷺ ليسمعوا الإجابة ويتعلمون منها فقال هذا الرجل - أخبرني ما عليّ من صلاة قال رسول الله ﷺ خمس صلوات في اليوم والليلة إلا أن تتطوع قال وما عليّ من صيام قال صيام شهر رمضان إلا أن تتطوع قال وما عليّ من زكاة قال فعدد له رسول الله ﷺ شرائع الإسلام يقول طلحة بن عبيد الله فانطلق الرجل وهو يقول والذي أكرمك لا أزيد عليها ولا أنقص مما فرضه الله عز وجل عليّ شيئاً فقال رسول الله ﷺ أفلح إن صدق " ذلك الرجل قال أنه سيلزم ما فرضه الله عليه من فرائض وما كتبه عليه فقال رسول الله ﷺ إن صدق والتزم دخل الجنة وكان من أهلها، تلقى رسول الله ﷺ الأمر من الله عز وجل بهذه الصلوات الخمس وهو لا يدري كيف يؤديها ولا يعلم مواقيتها وعندما هبط من معراجة وفي اليوم التالي جاءه جبريل عليه السلام الذي ينقل إليه من رب العزة ليعلمه كيف يؤدي الصلوات وأعلمه بأوقاتها وذلك كما قال رسول الله ﷺ فقال جاءه في أول ساعة من الفجر صلى به إماماً وعندما قام قائم الظهيرة أي عندما تحرك ظل الشيء عن نفسه قليلاً صلى به صلاة الظهر ثم عندما تحركت الشمس وكان الظل كمثلته صلى به العصر وعند غروب الشمس من الأفق صلى به المغرب ثم جاءه بعد ما ذهب الشفق الأحمر صلى به العشاء وبذلك علمه جبريل المواقيت التي يتبعها وتكون الصلاة فيها بهذا الميقات، والمواقيت التي نقرأها في أيامنا هذه إنما هي حصيلة استمرار ومعاينة وملاحظة وتدوين حركة الشمس كل يوم وتغير دوران الأرض حولها في كل لحظة فأصبحت مدونة نتعامل بها حيث لا يمكننا

الآن التعامل بالكيفية التي كان يتعامل بها رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده فقد كانوا يحددون دخول وقت صلاة الظهر إذا وضعوا الرمح في الأرض تكون الشمس على رأسه تماماً ولا ظل له وبمجرد تحرك الشمس قليلاً بحيث يظهر ظل للرمح هنا يكون دخول وقت الظهر وفي صلاة العصر عندما يكون ظل الرمح تماماً مثل طول الرمح والمغرب عند غروب الشمس من الأفق والعشاء عندما يختفي تماماً الشفق الأحمر وهو آخر ما يدل على وجود النهار ودخول الليل، والصلاة في هذه المواقيت في بدايتها تكون في الوقت الفضيل لأن جبريل عليه السلام جاء لرسول الله ﷺ في اليوم التالي بعد أن علمه الصلاة وحدد له مواقيتها جاءه في اليوم التالي وصلى به الفجر عندما اقتربت الشمس من الشروق وصلى به الصبح إماماً ثم جاءه عندما أصبح ظل الشمس مثله أو قريباً منه أي قبل العصر بقليل وصلى به الظهر وكذلك جاءه عندما أصبح ظل الشيء مثله مرتين أي قبل الغروب وصلى به العصر ثم جاءه بعد غروب الشمس لم يتغير ثم جاءه في صلاة العشاء بعد أن ذهب نصف الليل أو ثلثه أو كاد أي أنه صلى به في اليوم الأول في أول الوقت وصلى به في اليوم الثاني في آخر الوقت لكل صلاة، فمن هذه التعاليم يتضح لنا أن هناك مواقيت للصلاة فإن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً لأن الذي جعل لها هذا الوقت المحدد هو الله عز وجل الذي أمر جبريل عليه السلام أن يعلمها لرسول الله ﷺ حتى ينقلها ويعلمها لنا ومن هنا يتضح لنا أن هناك وقت فضيل ذلك الوقت قال فيه رسول الله ﷺ عندما سأله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أي العمل أفضل يا رسول الله قال الصلاة لوقتها " الوقت الذي حدده جبريل وجاءه في أوله إلى الوقت الذي جاءه في آخره كانت هذه المسافة كلها تعتبر وقتاً لأداء ذلك الفرض ولكن الوقت الفضيل هو أول الوقت لذلك كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول كان

نساء المؤمنين ينصرفن من عند رسول الله بعد صلاة الفجر لا يُعرفن " أي كانت النساء لا تُعرف من شدة الظلام وأسفر رسول الله ﷺ بصلاة الفجر حتى كادت أن تطلع الشمس ليقول لنا أن ذلك كله الوقت المقرر للصلاة وكذلك في سائر المواقيت، وكما أن لها وقت فضل فإن لها وقت إجازة يجوز أن نصلي فيه ولكن بعذر يبيحه ذلك الوقت رسول الله ﷺ يقول من أدرك ركعة من صلاة العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر ولكن ليس معنى ذلك أن نجلس وننتظر حتى تكاد الشمس تغرب ثم نقوم إلى الصلاة لأن رسول الله ﷺ الذي قال ذلك الحديث قال حديثاً آخر كان فيه شرحاً له لأنه يوضح أسباب التأخير مثل النوم أو أي عذر من الأعذار ولم يستطع أن يصلي الصلاة في أول وقتها فإنه إذا أدرك ركعة قبل دخول الوقت التالي فقد أدرك الصلاة ولكن الذي يتعمد التأخير فقد قال رسول الله ﷺ أن هذه صلاة المنافقين يجلس حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقرها أربعة لا يذكر الله إلا قليلاً، قالها بهذه البلاغة أن الذي يتعمد تأخير الصلاة كأنه منافق وذلك المنافق يجلس بدون أن يكون هناك ما يشغله أو يمنعه بل ينظر إلى قرص الشمس حتى إذا كادت أن تغيب قال إني لم أصلي العصر فقام مسرعاً يريد أن يلحقها قبل دخول وقت المغرب فيصلحها مسرعاً كأنه ينقرها لا يقرأ قراءة سليمة واضحة ولا يستقر في ركوع أو سجود فكانت هذه الصلاة صلاة أهل النفاق، أما إن كان الإنسان نائماً فإن رسول الله ﷺ يقول لا تفريط في النوم إنما التفريط في الذي يترك الصلاة حتى تأتي الصلاة الأخرى ليس في النوم تفريط إن كان نائماً وما أيقظه أحد فماذا يصنع وقد حدثت هذه على أيام رسول الله ﷺ عندما كان في سفر لغزوة وبلغ بهم الجهد فأرادوا النوم فقال لبلال ﷺ يا بلال كن مستيقظاً حتى توقظنا لصلاة الفجر ولكن لبلال ﷺ بلغ منه أيضاً الجهد

مبلغه فنام وما أيقظهم إلا حر الشمس وعندما استيقظوا قال رسول الله ﷺ إنكم بوادي به شيطان فمن نام عن الصلاة أو نسيها فليصلها متى ذكرها " لأن هذا عذر ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

إن الذي حدد مواقيت كل صلاة هو الله عز وجل فلا يحل لأحد أن يقدمها أو يؤخرها متعمداً فمن صلى صلاة الظهر قبل وقتها فلا صلاة له ويجب عليه أن يعيدها وكذلك كل الصلوات، والله عز وجل الذي كتب علينا هذه المواقيت نهانا عن الصلاة في أوقات بعينها فإن الله عز وجل يفعل ما يشاء وما يرتضيه لنفسه ويامر الناس أن يعبدوه بما يحب هو لا بما يحب نحن أن نعبده ليس بالهوى وعن جرير بن عبد الله البجلي رحمه الله قال نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر وقال إنكم سترون ربكم كما ترون هذا البدر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا " وذلك الحديث يقول أن علينا أن نجاهد وأن نحاول قدر الإمكان تجنب صلاة الصبح وقت طلوع الشمس فقد جاء في حديث لعقبة بن عامر رحمه الله قال ثلاثة أوقات نهانا رسول الله ﷺ أن نصلي فيهن أو نقبر فيهن موتانا بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس وحين يقوم قائم الظهيرة وبعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس " هذه الأوقات الثلاثة شرحها أهل الفقه على أنها خمسة قالوا الأول بعد صلاة الفجر وحتى تطلع الشمس والثاني ساعة طلوع الشمس بذاته والثالث عندما يقوم قائم الظهيرة والرابع بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس والخامس ساعة غروب الشمس بذاتها .

وإذا فاتت الصلاة من أحد لعذر فلا يكون بالنسبة له وقت نهى فإنه يجب أن يؤدي الصلاة التي فاتته في أي وقت متى ذكرها أو تمكن منها ، والإمام الشافعي رحمه الله شرح هذه فقال إن الصلاة الممنوعة في هذه

الأوقات هي أن تكون قد أديت ما عليك من صلاة مفروضة ثم تقوم لتصلي تطوعاً في هذه الأوقات فإنها ليست مقبولة لأن رسول الله ﷺ نهانا أن نصلي فيها ولكن الشافعي قال إنها أن كانت لها سبب فإنها تجوز أن تؤدي في أوقات النهي، كأن يدخل المسجد في هذا الوقت فيؤدي ركعتين تحية المسجد ولكن هذا الرأي للشافعي خالفه فيه الجميع رغم أن قوله هو الأقرب إلى الصواب وذلك لأنه احتج بحديث لرسول الله ﷺ قال فيه لا تتحننوا بصلاتكم طلوع الشمس أو غروبها فإنها تطلع وتغرب بين يدي شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار " إذن المنع هنا لتعمد انتظار هذا الوقت للصلاة فيه لأن في هذا الوقت كان يتعبد فيهما الذين يعبدون الشمس من دون الله، وكذلك في بيت الله الحرام ليس هناك ساعة للنهي عن الصلاة بل الصلاة في أي وقت لأن ذلك النهي يختص به سائر البلاد إلا بيت الله الحرام لأن رسول الله ﷺ يقول لا تمنعوا أحد صلى في هذا البيت أو طاف في أي وقت شاء من ليل أو نهار، ورسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى .

لذلك يجب على كل مسلم أن يتعلم أمور دينه حتى يكون على فقه به والإمام الشافعي رحمه الله يقول من استحسن في الدين فقد شرع ومن شرع لا يقبل الله منه عبادة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، لذلك فمن كان يريد أن يتقرب إلى الله عز وجل بالعبادة فليؤديها كما أمر الله عز وجل بها رسوله وكما أمرنا بها رسول الله ﷺ لأن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان موافقاً لما شرعه مع الإخلاص فيه.

النصف من شعبان

يقول رسول الله ﷺ من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله عز وجل في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم الرحمة وغشيتهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده " الذين يتحلقون في حلق العلم يذكركم الله عز وجل فيمن عنده في الملاء الأعلى الذين يحرسون على تعلم العلم لينفعهم ويقربهم إلى الله عز وجل ويكون زاداً لهم من الدنيا إلى الآخرة، وفي حديث رواه أبو هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ قال قال لي رسول الله ﷺ يا أبا هريرة تعلم القرآن ثم علمه للناس فإنك إن مت على ذلك زارت قبرك الملائكة كما يُزار البيت العتيق يا أبا هريرة إن أردت ألا تقف على الصراط طرفة عين علم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك، ويقول العرياض بن سارية ؓ وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وزرقت منها العيون قلنا يا رسول الله إنها موعظة مودع فيما تعظنا قال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك فعليكم بكتاب الله عز وجل وسنتي عضوا عليها بالنواجذ " ويقول الله عز وجل في حديثه القدسي ما تقرب إليّ عبدي بأحب إليّ مما فرضته عليه ولا يزال يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإن أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ولئن استعاذني لأعيذنه ولئن استجارني لأجيرنه ولئن سألتني لأعطينه " إذن أحب الأمور التي تتقرب بها إلى الله عز وجل هي ما فرضه الله عليك فإن أردت أن يحبك الله عز وجل فعليكم بالنوافل لأن عاقبة هذا الحب من الله لعبده عظيمة، ومن

هذه النوافل التي نتقرب بها إلى الله عز وجل وكان يحرص عليها رسول الله ﷺ كان إذا دخل شهر رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وبارك لنا في شعبان وبلغنا رمضان، وشهر شعبان كان رسول الله ﷺ يُكثر من الصوم فيه فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت ما أتم رسول الله ﷺ صيام شهراً قط إلا رمضان وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان " أي إنه كان يكثر الصيام في شهر شعبان ولكنه ما كان يتم صيامه كاملاً، وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ أراك أكثر صياماً في شعبان فقال إنه شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان وهو شهر تُرفع فيه الأعمال وأحب أن يُرفع عملي وأنا صائم " إذن هناك سبب لكثرة الصيام في شعبان دون شائر الشهور لأن الله عز وجل يرفع فيه أعمال العباد طوال العام في هذا الشهر فكان رسول الله ﷺ يحب أن يُرفع عمله إلى الله عز وجل متوجاً بالصيام الذي هو من أفضل القربات إلى الله عز وجل، وأبو أمامة رضي الله عنه قال يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال يا أبو أمامة عليك بالصيام يقول أبو أمامة فتركته مدة ثم عدت فسألته يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال عليك بالصيام فإنه لا عدل له، وذلك لأن الصيام لا يساويه شيء كما يقول الله عز وجل كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به .

صيام التطوع في شعبان إنما هو تهيئة للنفس والجسد لاستقبال شهر رمضان فإن صحابة رسول الله رضوان الله عليهم كانوا يعدون أنفسهم لصيام شهر رمضان قبل أن يحل بسة أشهر وكانوا إذا انقضى رمضان يمكثون ستة أشهر يتحسرون عليه فكانت السنة كلها شغلهم الشاغل هو شهر رمضان، ولكن لا ينبغي لأحد أن يصل صيام شهر شعبان بشهر رمضان فقد قال رسول الله ﷺ للصائم في شعبان إذا أتاك نصفه فامسك عن الصيام حتى ياتيكم رمضان، وقد يقول قائل إنه بذلك

نصف شهر فقط فكيف يُقال إنه كان أكثر صياماً فيه عن غيره، ونقول إن رسول الله ﷺ كان يصوم يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع طوال العام فإذا صام نصف شعبان وأتبعه بالاثنتين والخميس فقد صام أكثر ما صام في شعبان، وهناك ثلاثة أيام هي الأيام القمرية من كل شهر كان رسول الله ﷺ يصومها ويدوم عليها سواء كانت في شعبان أو في غيره ومن صامها فكأنه صام الشهر كله لأن الحسنة بعشر أمثالها فمن صام ثلاثة كأنها ثلاثين في الأجر، وجاء في حديث رواه أبو هريرة قال أوصاني خليلي بثلاث صيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وألا أنام حتى أوتر " كانت هذه هي وصية رسول الله ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه وما أردنا أن نصل إليه من كل ذلك هو أن العبادة تكون على التوقيف وعمل رسول الله ﷺ لا بالاستحسان ولا بالهوى إنما نعبد الله عز وجل كما أمرنا وكما علمنا رسول الله ﷺ الذي بلغنا شرع الله فإنه كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر سواء في شعبان أو في غيره، وفي حديث آخر يقول رسول الله ﷺ إذا كانت ليلة النصف من شعبان فاقم ليلاً وصم نهارها فإن الله عز وجل ينزل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر فيقول هل من مستغفر فأغفر له هل من مسترزق فأرزقه هل من مبتلى فأعافيه هل من كذا هل من كذا " ولكن هذا الحديث لم يصل تتابع رواته إلى محمد ﷺ وقالوا فيه إنه موضوع وليس صحيحاً ولكن لنعلم أن قيام الليل من أفضل الأعمال فإن جبريل عليه السلام عندما جاء إلى رسول الله ﷺ قال له يا محمد إن شرف المؤمن قيام الليل " فقيام الليل من أفضل القربات ولكن أن نخصه في ليلة بعينها ثم ننسب ذلك التخصيص إلى محمد ﷺ فإن ذلك لا يجوز فقد أجمع أهل العلم أنه ما جاء في حديث صحيح في فضل شهر شعبان إلا ما أوردها أما كل ما جاء غير ذلك هي أحاديث ضعيفة السند ومنها أن الله عز وجل ينزل في ليلة النصف من شعبان فيغفر لعدد شعر كلاب بني غنم ولكن ما

المقصود من هذا الحديث رغم ضعفه أن الله عز وجل يتجلى على عباده في هذه الليلة فيغفر لعباده المستغفرين وإن كان عددهم كبيراً وضرب مثلاً بقبيلة اسمها بني غنم كان عندهم كلاب كثيرة لها شعر كثيف فكان المقصود أن الله عز وجل فضله واسع عظيم ويقبل التوبة عن عباده التائبين الذين يستغفرونه ليل نهار فإن الله عز وجل يقول ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الزمر 53 فإن الله عز وجل يغفر في شعبان وفي غيره، وكذلك كان هناك حديثاً ضعيفاً يقول قائله إن الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان فيغفر للمؤمنين ويملي للكافرين ويدع الحاقدين لحقدهم، وهو ضعيف أيضاً .

وصيام نهار النصف من شعبان جاء في هذه الأيام القمرية الثلاثة فمن صام يوم النصف على أنه منها فقد أصاب أما أن يصومه على أنه النصف من شعبان فقد جانبه الصواب، وكذلك في قيام الليل فإنه مشروع في كل الليالي أن يصلي مثني مثني فمن خشي الصبح فأوتر بواحدة فله ذلك، ومن يسر دين الإسلام أن من صلى العشاء في جماعة وصلى الفجر في جماعة كُتِبَ له قيام هذه الليلة كما جاء في معنى حديث رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال من قرأ آية فكأنما أقام الليل " وذلك لأن دين الإسلام دين يسري يأخذ الناس على قدر جهدهم ولا يكلفهم فوق طاقتهم فإن ذلك الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى و معناها أن لا يحمل إنسان نفسه فوق طاقتها ثم لا يستطيع أن يستمر فيما أخذه على عاتقه، فإن رسول الله ﷺ يقول قليل دائم خير من كثير منقطع " ومعنى فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى أي رجل قليل له هذه أرض وهذا جواد امتطي ذلك الجواد وحسب ما يصل بك فإنها ملكك ذلك رجل عنده طمع امتطى الجواد وأخذ يلهبه بالسوط ضرباً حتى يصل إلى أبعد ما يكون من

الأرض ولكنه ما وصل فقد مات الجواد ووقع عن ظهره فإن رسول الله ﷺ يريد أن يعلمنا .

ليلة النصف من شعبان ونهاره لم يرد فيهما حديث صحيح يأمر بصيام أو قيام وكذلك ما كان فيه نهي ولكن من صام هذا اليوم فليصمه على أنه من الأيام القمرية كما كان يصوم رسول الله ﷺ كما أنه ليس هناك دعاء مخصوص في هذه الليلة وما نُسب إلى رسول الله ﷺ في هذا الشأن لا أساس له ولا أصل له فإن الدعاء تتوجه به إلى الله عز وجل في كل وقت وحين وأفضل أوقات الدعاء في جوف الليل يرفع الإنسان يديه إلى الله ليس بينه وبين الله واسطة فإن الله عز وجل يقول ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ غافر 60 وجاء في حديث أن رسول الله ﷺ كان في سفر من الأسفار ومعه جمع من الصحابة فكانوا إذا صعدوا جبلاً أو هبطوا وادياً رفعوا أصواتهم بالتكبير فقال لهم رسول الله ﷺ اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم أو غائباً فإن الله عز وجل أقرب لأحدكم من عنق راحلته "

دين الإسلام ليس فيه كهنوت ولا يحتاج المسلم إلى أن يتوسط له أحد عند الله ليستغفره أو يدعوه أو يسأله بما يريد لأن الله عز وجل قال عن نفسه إنه هو السميع العليم فإذا دعوت الله عز وجل فادعوه وأنت موقن بالإجابة وهذا سواء كنت في النصف من شعبان أو في غيره من الأيام، وهذا اليوم كل ما فيه من فضل إنما لأنه حدث فيه تغيير القبلة وفرضية التوجه إلى بيت الله الحرام في الصلاة .

القبلة

قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه يا بني إذا أتيت مجلساً فارمهم بسهم الإسلام ثم اجلس ناحيتهم فإذا سمعتهم يخوضون في ذكر الله عز وجل فاولج بسهمك معهم لأنك إن كنت عالماً ازددت علماً وإن كنت جاهلاً علموك وإذا نزلت عليهم رحمة من الله أصابتك، وإذا رأيتهم يخوضون في غير ذلك فلا تجلس معهم فإنك إن كنت عالماً لم ينفعوك وإن كنت جاهلاً ازددت جهلاً وإن ينزل عليهم سخط من الله يصبك .

يقول رسول الله ﷺ الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهاً لا يعلمها كثير من الناس " وإذا سأل الناس فإنهم يشكون فيما فعلوا ليس عندهم يقين فيه ، لذلك هم يسألون أما إن كانوا على يقين فيكون عندهم طمأنينة وسكينة وانشرح للقلب لأن الحرام والحلال واضح بين ولكن هناك متشابه فقد وجب على أهل العلم أن يبينوه للناس .

شهر شعبان والفضل فيه ويكفيه أنه شهر رسول الله ﷺ وهو الذي قال في حقه إنه بين رجب ورمضان يغفل عنه الناس تُرفع فيه الأعمال إلى الله عز وجل ، وقد كان يستقبل شهر رجب وشعبان بالدعاء فيقول اللهم بارك لنا في رجب وبارك لنا في شعبان وبلغنا رمضان ، والناس يحتفلون بالنصف من شعبان وهو ليس له فضيلة إلا الفضيلة الكبرى وهي فضيلة توجيه أهل الإسلام إلى بيت الله الحرام كي يكون قبلة لهم ، والله عز وجل وجهه يحيط كل الأماكن والاتجاهات وما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا

أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا فإن الله عز وجل في كل الوجود ولكن إرادته أن يجعل لنا قبلة هذه القبلة توحيد الناس وتوحيد القلوب، كالذين يخرجون مع الجيش، وأمام الجيش راية تلك الراية يُقتل بسببها الناس وهم يدافعون عنها حتى لا تسقط كذلك كانت راية الإسلام القبلة التي نتجه إليها في الصلاة ونوجه إليها موتانا

وقد كان رسول الله ﷺ بأمر من الله عز وجل يتوجه في صلاته إلى بيت المقدس فنزل عليه الأمر بالتحول عنه إلى بيت الله الحرام وكان ذلك في أثناء صلاة الظهر وصلى الناس بعدها صلاة العصر متجهين إلى بيت الله الحرام وإلى يومنا هذا .

رسول الله ﷺ عندما أمر رجل أن يصلي قال له أسبغ الوضوء ثم توجه إلى القبلة فكان التوجه إلى القبلة شرطاً لصحة الصلاة وهو فرض لكل من يستطيع ولديه القدرة والأمن فمن لم يفعل فصلاته باطلة إذا كان متيقناً ويعلم اتجاه القبلة ولم يتوجه إليها في صلاته فلا صلاة له والله عز وجل يقول في كتابه العزيز ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ البقرة 149 كان ذلك أمر من الله عز وجل وجب الانصياع له، ولكن كيف يكون الاتجاه إلى القبلة هل يكون بالنظر أم بالقلب والجسد، ما كان الأمر بالنظر إليها رغم إن الإمام مالك رحمه الله قال بالنظر إلى القبلة ولكن جمهور العلماء أجمعوا على أن الشطر هو الذي يتوجه إلى القبلة، إذا وقفت إلى الصلاة فيجب أن يكون شطرك هذا وجهته إلى القبلة

لا ينحرف عنها يميناً ولا يساراً بينما يكون النظر إلى محل السجود سواء في الوقوف أما الركوع فإلى القدمين وأما السجود فإلى الأنف وفي

الجلوس يكون النظر إلى اليدين، والقبلة التي هي بيت الله الحرام كل مساحتها لا تتجاوز عشرة أمتار في عشرة أمتار تقريباً فهل يستطيع الناس التوجه إلى هذه النقطة التي هي مركز الأرض كما أثبت ذلك أهل العلم فقالوا أن الكعبة هي مركز الكرة الأرضية تتوسطها من كل الاتجاهات وما وصلوا إلى هذه المعلومة إلا قريباً فكيف يمكن لكل من في الأرض التوجه إليها لذلك يقول الله عز وجل (فولي وجهك شطر المسجد الحرام) والشطر هو الجبهه وليس عين الكعبة، من الذي عليه أن يتوجه عين الكعبة الذي يصلي في المسجد الحرام ورأى بيت الله الحرام ورأى الكعبة لابد أن يتجه في هذا المكان إلى الكعبة بينما الناس خارج الحرم تتجه إلى الحرم بمساحته هذه كلها فإنهم سوف يصيبوه .

إذا كانت القبلة شرطاً لصحة الصلاة وفرضاً فماذا لو صلى إنسان إلى اتجاه وهو يظن أنها القبلة ثم اكتشف إنها خطأ هل تبطل الصلاة كلا والله لا تكون باطلة، لأنه يكون قد أخذ بالأسباب فعليه أن يسأل الناس إن كان لا يعلمها وإن كان خالياً في صحراء فعليه أن يعرفها باتجاه النجوم إن كان يعلم فيها فإن أخطأ فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها وليس ذلك من عندنا إنما هو تشريع نقلناه عن محمد ﷺ فقد جاء في حديث رواه معاذ بن جبل ؓ قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر يوم غيم فصلينا ثم بعد أن ظهرت الشمس قلنا يا رسول الله صلينا إلى غير القبلة فقال رسول الله ﷺ رفعت صلاتكم بقدرها إلى الله عز وجل، ما أمرهم بالاعادة وما قال الصلاة باطلة لأنهم حاولوا قدر استطاعتهم ان يتحروا القبلة ولكنهم أخطأوا فإن دين الإسلام لا يحاسب الإنسان على الخطأ والنسيان والنوم إنما يحاسب على التعمد .

ولنعلم أنه ليس شرطاً في جميع الصلوات أن نتجه إلى القبلة كيف ذلك ؟ فإنه في السفر في صلاة التطوع وكذلك في صلاة الخوف وقت الحروب أو وقت الخوف من أي شيء فإنه لا يلتزم المصلي بالتوجه إلى القبلة لأنه في الحرب والقتال قد يكون التوجه لرؤية المكان الذي يأتي منه العدو أولى حتى لا يؤخذ على غرة وكذلك صلاة التطوع في السفر تكون في أي اتجاه والتوجه يكون بالقلب فقد جاء في حديث رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يصلي في السفر متطوعاً على راحلته تتوجه به كيف شاءت ، وكذلك كان يسافر من مكة إلى المدينة فيكون ظهره إلى البيت الحرام ويصلي متطوعاً على الدابة أما إذا أراد أن يصلي الفريضة فإنه ينزل عن الراحلة ويصلي الفريضة كما أمر الله عز وجل ويتجه إلى القبلة ، وقياساً على ذلك فمن كان في سفر ويركب قطاراً أو سيارة أو طائرة أو غيرها من وسائل السفر فللمسافر أن يصلي وهو بداخلها في أي اتجاه صلاة التطوع وهي النوافل دون الفروض فإذا حان وقت الفريضة نزل عن هذه الوسيلة وأدى الفرض وهذا الحكم جاء من آية نزلت على رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة 115 لذلك هناك تفسير لهذه الآية من أهل العلم قالوا إنها نزلت في الدعاء وليس في الصلاة فإن الإنسان يتوجه في دعائه إلى الله عز وجل في كل مكان سواء إلى القبلة أم لا لأن خطيب الجمعة يكون ظهره إلى القبلة بينما يقوم بالدعاء فكان ذلك تفسيراً وهناك تفسير يقول إنها نزلت عندما جاء إلى رسول الله ﷺ خبر موت النجاشي أعلمه الله عز وجل به فقال رسول الله ﷺ للناس إن أخاكم قد مات فصلوا عليه فقال الصحابة كيف نصلي على رجل غير مسلم هم لا يعلمون أن النجاشي أسلم ولكنه قبل أن يموت أسلم فنزل قول الله عز وجل ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابَ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ آل عمران 199 نزلت هذه الآية في أمر النجاشي فأعلمهم الله عز وجل أنه كان من أهل الإيمان وعندما علموا قالوا وكيف نصلي عليه فإنما هو في الحبشة ولم تكن معرفة الإتجاهات بهذه السهولة فقالوا يا رسول الله كيف نصلي عليه وهو لم يصلي إلى القبلة لأنهم يعلمون أن الاتجاه إلى القبلة شرط لصحة الصلاة ويعلمون حديث رسول الله ﷺ الذي يقول من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فعندما قالوا وكيف نصلي عليه ولم يصلي هو إلى القبلة نزل قول الله عز وجل ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة 115 لا يتجه المسلم في صلاته إلا إلى القبلة فإن الاتجاه لأي شيء آخر مردود عليه حتى وإن كان قبر رسول الله ﷺ فإنه قال في حديث له لا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تصلني حيث كنتم " وكذلك قال في حديث رواه عبد الله بن عباس ؓ قال لا تصلوا إلى قبر ولا تصلوا على قبر " وكما نهى عن الصلاة في المقابر من الأساس وقال في حديث له لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد، يحذرنا من أن نفعل فعلهم فإذا دخلنا مسجداً ووجدنا فيه قبر موضوع في اتجاه القبلة فلنحاول أن نتحى قدر المستطاع عن هذا القبر رغم أن هناك مذاهب من مذاهب أهل الإسلام تجعل الصلاة في المساجد التي بها قبور باطلة ولكننا لا نصل في حكمنا إلى ذلك الحكم فإن هناك مساجد كثيرة بُنيت وشُيّدت وفيها قبور ولكن نحاول قدر الإمكان ألا نتجه إلى القبر، ونجعل مقصدنا ونيتنا التوجه إلى الله عز وجل، والله عز وجل عندما أمرنا أن نتجه إلى القبلة إلى بيت الله الحرام كان يعلمها جيداً أن بيت

الله الحرام ما هو إلا حجارة ولكنه أمرنا أن نتوجه إليه فيجب علينا أن نمتثل لأمره فإن رسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت كان يقول وكأنه يكلم الكعبة يقول ما أطيبك وما أطيب ريحك وما أعظمك وما أعظم حرمتك والذي نفسي بيده للمؤمن أعظم حرمة عند الله منك دمه وماله وعرضه، وكذلك أدركها عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما استلم الحجر الأسود وهو يقبله فقال والله إنني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك، لولا أنه رأى الذي أتانا بالتشريع يفعل ذلك ما فعله لأنه يعلم أنه حجر لا يضر ولا ينفع ولكن أمرنا الله عز وجل بتعظيم البيت الحرام والتوجه إليه في الصلاة شرط صحتها ورسول الله ﷺ قال للآم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إن أهل الكتاب لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على الجمعة التي هدانا الله إليها وضلوا عنها وعلى القبلة التي هدانا الله إليها وضلوا عنها ويحسدوننا على قولنا خلف الإمام آمين أي على صلاة الجماعة "

سنة العورة

يقول قائل :

لست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد زخراً وعند الله للأتقى مزيد

ويقول قائل آخر : لو لم يكن للإنسان لباساً من التقى تراه عرياناً
وإن كان كاسياً وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله
عاصياً .

تقوى الله عز وجل فيها الخير كل الخير وتقوى الله هي الخوف
من الجليل والعمل بالتنزيل والاستعداد ليوم الرحيل ، ورسول الله ﷺ يقول
في حديث له الحرام ما حرم الله عز وجل في كتابه والحلال ما أحل الله
عز وجل في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه ، ورسول الله ﷺ
يقول لا يجلسن أحكم متكأ على أريكته ويقول إن الله لم يحرم إلا ما
حرم في القرآن ألا إني أمرت ونهيت عن أشياء هي مثل ما في القرآن أو
أكثر ، ولذلك يقول الله عز وجل ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا
نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الحشر 7
ورسول الله ﷺ إنما بعثه الله عز وجل ليعلمنا هذا الدين ويبصرنا به فقد
علمه جبريل عليه السلام كيفية الصلاة ثم قال لنا صلوا كما رأيتموني
أصلي وفي الحج قال خذوا عني مناسككم فهو قدوتنا الذي نقتدي به
ونتأسى به .

كان مولد رسول الله ﷺ من أب وأم من نكاح وليس من سفاح
من زواج مبارك مثل زواج أهل الإسلام وقد قال فيما قال ولدت من نكاح
ولم أولد من سفاح ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء ، وقد كان

والده حيي ستير فقال أما الحرام فالممات دونه وأما الحل فلا حل فأستبينه فكيف بالأمر الذي تبغينه يحمي الكريم عرضه ودينه ، كان على الفطرة حين تعرضت له إحدى النساء وهو في طرقات مكة أن يقع عليها فلم يجيبها إلى طلبها منعه الحياء رغم أن ذلك الأمر وقتها كان مشاعاً ميسراً لا يزدريه أحد في تلك البيئة التي نشأ فيها قبل أن يولد ويبعث رسول الله ﷺ برسالة الإسلام من رب العالمين ، ورسول الله ﷺ يقول الحياء شعبة من الإيمان ولا إيمان لمن لا حياء له ، وقد وصفه أبو سعيد الخدري ﷺ وكذلك عبد الله بن مسعود ﷺ فقالا كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها وكان إذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه يتغير خجلاً " ورسول الله ﷺ ما رؤي عرياناً قط في يوم من الأيام وحتى قبل أن يُبعث فقد كانوا يعيدون بناء جانب من الكعبة المشرفة وينقلون الحجر وهو معهم على ظهورهم فقال له عمه اخلع عنك إزارك وضعه على عاتقك فعندما أراد أن يهيم بذلك خر مغشياً عليه فقد سمع صوتاً من السماء يقول له شد عليك إزارك فما رؤي عرياناً قط ، وكذلك جاء في حديث رواه معاوية بن حيدة ﷺ قال قلت يا رسول الله عوراتنا ما نستر منها وما ندع قال احفظ عورتك إلا عن زوجتك أو ما ملكت يمينك قلت يا رسول الله فإن كان الناس بعضهم في بعض قال إن استطعت ألا يراها أحد فلا يراها قلت يا رسول الله فإن كنت خالياً قال فإن الله عز وجل أحق أن تستحي منه ، وكذلك قال رسول الله ﷺ لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ، على ذلك يكون النظر إلى العورات محرماً بين الرجال بعضهم البعض وبين النساء ويكون التحريم أولى بين الرجال والنساء ، ثم قال رسول الله ﷺ ولا يفضي الرجل إلى الرجل في الغطاء الواحد ولا تفضي المرأة إلى المرأة في غطاء واحد أي لا ينام رجل مع رجل وعليهما غطاءً واحداً وكذلك المرأة

مع المرأة، ورسول الله ﷺ أمرنا أن نفرق بين أولادنا في المضاجع فإن كان المكان ضيقاً فنخالف بينهم فنجعلهم في نومهم بخلاف بعض .

وستر العورات هي من شروط صحة الصلاة وكشفها إنما هو من فعل الشيطان الذي يزين للإنسان كل الشرور حتى يذهب به إلى جهنم والعياذ بالله فقد قال الله عز وجل ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا ۖ إِنَّهُ يَرََاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف 27 من الذي أخرج آدم وحواء من الجنة السبب إرادة الله عز وجل أولاً ثم كان بفعل الشيطان فقد كانا في لباس من لباس الجنة لا يعلم كنهه إلا الله فعندما عصى آدم ربه كان لذلك نتيجة وعقوبة كما قال الله عز وجل ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ الأعراف 20 عندما استجابا لوسوسة الشيطان كان التعري فإذاً التعري كان بعد الكمال وبعد الستر فكانت فتنة الشيطان أن ينزع عن الإنسان لباسه حتى يرى عريانه والله عز وجل يقول في كتابه العزيز ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأعراف 31 هذه الآية تقول أن الستر وأخذ الزينة هي الملابس التي يرتديها الإنسان وعند كل مسجد أي عند الصلاة، ورسول الله ﷺ ذات يوم دخلت عليه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وعليها ثياب رفاق فأعرض عنها بوجهه وقال لها يا أسماء إذا بلغت المرأة المحيض فلا يرى منها إلا هذا وذاك وأشار بيده إلى وجهه وكفيه " وبعض الناس يقولون أن هذا الحديث ضعيف ولم يرد في الصحيحان البخاري ومسلم وقد يكون كذلك ولكن هناك من الأحاديث الصحيحة ما يؤيده

ويقويه منها حديث المرأة التي جاءت تستفتي رسول الله ﷺ في حجة الوداع أي في آخر أيام رسول الله ﷺ في الدنيا قبل أن يتوفاه الله عز وجل وكان معه رديفاً أبو الفضل ابن عمه ﷺ الذي أخذ ينظر إلى وجه هذه المرأة وكان رسول الله ﷺ يحول وجهه عنها بيده وأتم حديثه معها وما أمرها أن تستر وجهها وما أمره أن يغمض عينيه عنها ولكنه كان يحوله اتقاءً للفتنة من هنا أجمع الفقهاء في دين الإسلام على أن عورة المرأة هي كل بدنها ما عدا الوجه والكفين ولكن إذا سترتهما اتقاءً للفتنة واتقاءً فجور الفجرة كان فعلها هذا حسناً تثاب عليه ولكنه ليس دين إنما الدين ما أمر به رسول الله ﷺ والذي كان عليه العادة هو كشف الوجه والكفين ولم يشدد في ذلك الأمر غير عبد الله بن مسعود ﷺ وإذا شدد واستطاع إنسان فلا حرج عليه إنما نقول له جزاك الله خيراً وجعلك من المتقين إن كانت نيتك التقوى، أما جمهور الفقهاء والعلماء أجمعوا على أن الوجه والكفين ليسا بعورة عند المرأة، وهناك عورة يُقال عنها عورة مخففة فإن فيها درجات شيء أخف من شيء فالعورة المغلظة عند المرأة كما أجمع فقهاء المذاهب غير الإمام مالك ﷺ هي المسافة بين الصرة إلى الركبة والعورة المخففة هي باقي الجسد ما عدا الوجه والكفين والقدمين وكان هناك شبه إجماع من المذاهب على أن هذه هي العورة المغلظة وتلك هي العورة المخففة بينما الإمام أحمد بن حنبل اتفق في ذلك ما عدا القدمين فجعلهما فيما يجب فيهما الستر لأنه استند بسند أن أم سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله أتصلي المرأة في درع وخمار ليس عليها إزار قال رسول الله ﷺ نعم تصلي المرأة في ثوب وخمار إن كان الدرع سابغاً يغطي ظهور القدمين " هذا الحديث لم يرد في صحيح البخاري ومسلم وقال بعض العلماء أنه موقوف على أم سلمة رضي الله عنها لأن في هذا الأمر تشديد على النساء، وعلي بن أبي طالب ﷺ يقول

لنا لا تبغضوا الله عز وجل إلى عباده " والدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فكان التيسير مما أمر به رسول الله ﷺ فقال يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا " والذي يشدد على نفسه يشدد الله عز وجل عليه ، فكان الإجماع عند الجمهور أن العورة المغلظة عند المرأة هي ما بين الصرة إلى الركبة والمخففة ما عدا ذلك في بدنها إلا الوجه والكفين والقدمين باطنهما وظاهرهما .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ لا يقبل الله عز وجل صلاة حائض إلا بخمار ، والمقصود بالحائض هنا أي من بلغت مبلغ النساء ، وعن أبي قتادة ؓ قال قال رسول الله ﷺ لا يقبل الله عز وجل صلاة امرأة حتى توارى زينتها ولا يقبل الله عز وجل صلاة جارية حتى تختمر ، أي المرأة التي جاوزت سن الحيض توارى زينتها والزينة محلها الوجه ومحلها الكفان وجاء في قول عائشة رضي الله عنها أن الزينة تكون في المكان الذي يوضع فيه الأساور والحلي مثل الخلخال ، إذا صلت المرأة وقد سترت عورتها المغلظة وبدى منها شيء من عورتها المخففة فصلاتها صحيحة ولكنها مكروهة ويُسْتَحَبُّ إعادتها ، أما إذا كشفت شيء من العورة المغلظة تكون الصلاة باطلة ، والإمام مالك ؓ قال في عورة المرأة المغلظة إنها من الركبة حتى الصدر ، وكذلك للرجل عورة مغلظة ومخففة قال أهل العلم أن عورة الرجل المغلظة القبل والدبر ويجب سترها في الصلاة وإذا كشفت بطلت الصلاة والعورة المخففة للرجل هي من الصرة إلى الركبة فإذا صلى الرجل وهو يوارى المغلظة فصلاته صحيحة ولكن من الأفضل أن يتجمل أمام الله عز وجل وأن يستر عورته المخففة منها والمغلظة فإن صلاته هنا صحيحة لا غبار عليها فعليه أن يأتي بالأفضل ، والحسين بن علي ؓ كان إذا قام إلى الصلاة ارتدى أحسن ثيابه وتجمل لصلاته وعندما سألوه قال إن الله

عز وجل جميل يحب الجمال وقال خذوا زينتكم عند كل مسجد ، لأن رسول الله ﷺ أمر بالأكمل فقد جاء في حديث رواه بريدة رضي الله عنه قال نهى رسول الله ﷺ أن يصلي الرجل ملتحفاً بلحاف لا يشمل عليه ونهى أن يصلي في سراويل وليس عليه رداء ، فإن من الكمال أن تقف أمام رب العالمين في أحسن صورة وأكمل هيئة .

وأما في مسألة غطاء الرأس فإن بعض الناس تتشدد فيه حتى إذا صلى وراء إمام ليس على رأسه غطاءً أقام الدنيا عليه وهو ما له في الفقه من شيء فإن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يخلع قلنسوته ويجعلها سترة أمامه ، كان رسول الله ﷺ يرتدي غطاءً للرأس فإذا صلى خلع هذا الغطاء ووضع أمامه سترة وهو يصلي فكان يصلي كاشفاً رأسه وما اعترض عليه أحد وما ينبغي لهم .

عورة الرجل المخففة من الصرة إلى الركبة لماذا لأنه جاء عن أحاديث عن رسول الله ﷺ تقول أن الفخذ عورة كما جاء في حديث عن (جرهد) رضي الله عنه قال كنت جالساً كاشفاً فخذي فقال لي رسول الله ﷺ يا جرهد غطي فخذي فإنهما عورة ، ورسول الله كان لا ينظر إلى فخذي حي ولا ميت ولكنه كشف فخذه فقد جاء في حديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كشف عن فخذه حتى رأيت بياضهما ، وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ جالساً حاسراً عن فخذه فدخل الصديق رضي الله عنه فلم يعتدل وبعدها دخل عمر رضي الله عنه فلم يعتدل ثم دخل عثمان رضي الله عنه فاعتدل رسول الله ﷺ وغطى فخذه فعندما سأله قال يا عائشة ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ، من كل ما سبق من الأحاديث علمنا أن هناك عورة مخففة وعورة مغلظة فمن صلى فعليه أن يكون على أكمل ما يكون في ثيابه لأنه واقف بين يدي الله عز وجل .

أوقات النهي

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من غدا يريد أن يتعلم علماً لا يتعلمه إلا لله عز وجل فتح الله له باب من أبواب الجنة ونشرت له الملائكة أجنحتها كنفاً له ورحمة عليه وصلت عليه ملائكة السماء وحيتان البحور " كان ذلك الفضل من الله عز وجل لمن أراد أن يتعلم علماً يبتغي به وجه الله عز وجل ومرضاته بأن تستغفر له الملائكة وكذلك الحيتان في البحور، ثم يقول رسول الله ﷺ وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب " القمر ليلة البدر ضوءه يطمس ضوء باقي النجوم والكواكب الأخرى لأنه يكون هو النور الظاهر الواضح الذي يملأ السماء كذلك كان فضل العالم على فضل العابد الذي يعبد الله عز وجل، ثم يقول رسول الله ﷺ وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر، الذي يأخذ العلم فله حظ وافر، ورسول الله ﷺ يقول إنما العلم بالتعلم والذي يريد أن يكون عالماً فلا بد أن يتعلم لأن رسول الله ﷺ علمه الله عز وجل ثم هو الذي علمنا وعلى ذلك تكون أمور العبادة في دين الإسلام هي أمور توقيفية ننظر كيف كان يتعبد رسول الله ﷺ ونأخذ عنه ذلك العلم فنتعبد كما علمنا المصطفى ﷺ وإذا كانت الصلاة من أفضل العبادات لأن رسول الله ﷺ يقول الصلاة خير موضوع فمن شاء أقل ومن شاء أكثر " وأبو ذر رضي الله عنه كان يصلي عدداً كثيراً من الركعات لا يعلم عددها وبعد أن أنهى صلاته قال له أحد الصحابة الذي كان يجلس بجواره أتدري كم صليت يا أبا ذر فقال إن كنت لا أعلم فإن الله عز وجل يعلم ثم قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول من سجد لله سجدة رفعه

الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة فكيف لا نكثر من الصلاة، ولكن هذه الصلاة التي نتعبد بها إلى الله وكانت من أفضل العبادات نهانا رسول الله ﷺ عن أدائها في أوقات محددة وهذا النهي على مراتب إما مكروهاً وإما محرماً رغم إنها من أفضل الأعمال والقربات إلى الله إلا أن هناك أوقات من صلى فيها صلاة تطوع فقد خالف الشرع ويأثم في أوقات خمسة أولها بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس ثم وقت طلوع الشمس حتى ترتفع في السماء والثالث حين يقوم قائم الظهيرة حين يكون الشيء ليس له ظل حتى ينحرف والرابع من بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس والخامس وقت الغروب ذاته تلك هي الخمسة أوقات التي نهانا رسول الله عن الصلاة فيها ومنها ثلاث أوقات نهانا أن نقبر موتانا فيها فقد جاء في حديث لعقبة بن عامر رضي الله عنه قال نهانا رسول الله ﷺ في ثلاث أن نصلي فيهن أو نقبر فيهن موتانا حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع حتى وقت صلاة العيد وحين يقوم قائم الظهيرة وحين تضيف الشمس للغروب حتى تغيب " هذه الأوقات الثلاث لا صلاة تطوع فيها ولا صلاة جنازة ولا دفن لميت، وفي حديث آخر رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال نهى رسول الله ﷺ عن صلاة بعد صلاة العصر حتى تغيب الشمس وعن صلاة بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس " هذين الحديثين جمعت الخمسة أوقات التي فيها النهي وجمعت التشريع الذي أمر به رسول الله ﷺ ولكن قد يسأل سائل يقول هل كل الصلوات ممنوعة في هذه الأوقات أم أن هناك صلاة تجوز فيها فلنعلم أنه إذا كانت على الإنسان صلاة فائتة من الفرائض فليس هناك وقت للنهي في أدائها لأن ذلك حق الله عز وجل لا بد أن يؤدي مثل أن ينام عن وقت الظهر حتى دخل وقت العصر ثم استيقظ في وقت النهي بعد العصر فيجب عليه أن يصلي ما فاتته إذا تذكرها بعد أن يصلي العصر فإن رسول الله ﷺ قال لا تفريط

في النوم إنما التفريط يكون في اليقظة فمن نام عن الصلاة أو نسيها فليصلها متى ذكرها " وذلك حتى يؤدي حق الله عز وجل فلا يعلم أحد متى تنتهي حياته فليبادر بأداء حق الله عليه ، لذلك رسول الله ﷺ قال من نام عن الصلاة أو نسيها فليصلها متى ذكرها لا كفارة لها غير ذلك .

وكذلك عند دخول المسجد في أي وقت فهناك صلاة تحية المسجد سواء كان في وقت النهي أو غيره يجب أدائها لأن هذه الصلاة هي السلام على الله عز وجل كما يدخل أحد على ناس في بيوتهم لا بد أن يلقي عليهم السلام فهل يقول أن هذا وقت نهى لا ألقى السلام كذلك صلاة تحية المسجد ليس لها وقت نهى لأن رسول الله ﷺ قال لأبي قتادة ؓ إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس " ولم يحدد لها وقتاً لذلك الإمام الشافعي ؒ قال إن النهي في هذه الأوقات الخمسة نهى عن الصلاة التي لا سبب لها أما إن كان لها سبب مثل دخول المسجد في أي وقت من ليل أو نهار يجب أن تؤدي كما أمر رسول الله ﷺ بها وكما علمنا .

وهناك وقت نهى في يوم الجمعة فقد قال رسول الله ﷺ إذا صعد الإمام المنبر فلا صلاة ولا كلام " وهذا النهي لمن كان جالساً قبل أن يصعد الإمام فليس له أن يقوم لأي صلاة فقد دخل رجل من الصحابة اسمه سليك الغطفاني ؓ إلى المسجد وأراد أن يجلس فقال له رسول الله ﷺ قم فصلي ركعتين خفيفتين وتجاوز فيهما " وقال رسول الله ﷺ إذا جاء أحدكم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجاوز فيهما " وذلك لأن الخطبة يوم الجمعة فرض فكان التجوز في الصلاة وتخفيفها حتى لا يضيع الفرض الذي هو أهم من النافلة لأن النافلة مستحبة وخطبة الجمعة فرض ، وهناك وقت نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة فيه عندما

يقوم قائم الظهيرة فإن النهي فيه يكون في جميع الأيام ما عدا يوم الجمعة قال أبو هريرة رضي الله عنه نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة في منتصف النهار حتى تزول الشمس إلا يوم الجمعة، من هنا نعلم أن صلاة النافلة والتطوع في هذا الوقت مباحة في يوم الجمعة ثم بين لنا رسول الله ﷺ الحكمة من ذلك فقال أن جهنم لا تسعر يوم الجمعة أي لا يزداد لبيبها وكذلك الحكمة من النهي في هذا الوقت من حديث لصحابي اسمه عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أخبرني عن الصلاة فقال لي صلي الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس وترتفع حينئذ تطلع الشمس بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ثم صلي بعد ذلك فإن الصلاة مشهودة محضورة " لذلك علمنا الحكمة من النهي عن الصلاة في هذا الوقت لأن من الناس من يعبد الشمس من دون الله فكانوا يصلون ويسجدون لها وقت شروقها ووقت غروبها لذلك الإمام مالك رضي الله عنه قال إن الصلاة في ذلك الوقت إنما هي محرمة وذلك لأن أهل الشرك منهم من يعبدها في ذلك الوقت، ثم قال له رسول الله ﷺ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الشيء بظله أي لا ظل له فإذا جاء الفنى عندما يكون وقت الظهر فصلي فإن الصلاة مشهودة محضورة وقبل أن يقول له صلي علمه وأخبره أن ذلك الوقت الذي نهى عن الصلاة فيه هناك سبب للمنع فقال له وحينئذ تسجر جهنم أي تشتعل نيرانها، ثم قال له ثم إذا صليت العصر فاقصر عن الصلاة حتى تغيب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، لذلك قال الإمام مالك رضي الله عنه إن الصلاة وقت غروب الشمس محرمة لأن هناك من يسجد لها من دون الله من الكفار والمشركين فكان بذلك عند الإمام مالك رضي الله عنه ثلاث أوقات كراهة منها اثنان جعل الصلاة فيها محرمة عند طلوع

الشمس وعند غروبها وكانت مكروهة بعد صلاة الفجر وحتى ترتفع
الشمس وبعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس .

عبد الله بن عمر رضي الله عنه رأى رجل يصلي بعد صلاة الفجر فقال له
كنا نصلي في هذه الساعة فدخل علينا رسول الله وقال ليبلغ شاهدكم
غائبكم ألا صلاة بعد الفجر أي لا صلاة بعد أذان الفجر إلا ركعتين
رغيبة الفجر " هنا ركعتي رغيبة الفجر خرجت عن النهي وذلك لأن
الركعتين قبل صلاة الفجر بين الأذان والإقامة لها شأن عظيم وكان
رسول الله ﷺ يحرص على أدائهما ولا يتركهما فقال لا تتركوا ركعتي
الفجر ولو طاردتكم الخيل " فإذا دخل إنسان المسجد ووجد الجماعة
تصلي وصلى معهم فله بعد الصلاة أن يصلي ركعتي رغيبة الفجر في
هذه الحالة لا يكون وقت نهى لها .

كيف تصلي

يقول رسول الله ﷺ الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تقسم ظهره والحب في الله والتودد في العلم يقطع دابره فإذا فعلتم ذلك تباعد عنكم الشيطان كبعد مشرق الشمس إلى مغربها وعن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وزرفت منها الأعين فقلنا يا رسول الله إنها موعظة مودع فيما تعظنا قال تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي عضوا عليها بالنواجذ " ورسول الله ﷺ ما غادر الدنيا حتى علمنا كل شيء من أمور هذا الدين لأن رسول الله ﷺ معين لا ينضب نهله منه العلم والمعرفة والحكمة ننتفع بها وننفع به الناس بإذن الله تعالى .

يقول رسول الله ﷺ أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر العمل وإن فسدت فسد سائر العمل " لذلك وجب على كل مسلم أن يتعلم كيف يؤديها كما ينبغي أن تكون وكما أمرنا بها الله عز وجل وكما علمنا رسوله حتى ننال فضلها ونكون من المفلحين لأن رسول الله ﷺ يقول فقد خاب وخسر إذا نقص شيء من أمور الصلاة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ورسول الله ﷺ قال صلوا كما رأيتموني أصلي " فهو تعلم الصلاة وعلمها لأهل الإسلام، وقد جاء في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ وهو في المسجد رأى رجلاً يصلي فلما انتهى قال له صلي فإنك لم تصلي فأعاد الرجل صلاته فلما انتهى قال له صلي فإنك لم تصلي فأعادها الرجل ولما انتهى قال له صلي فإنك لم تصلي فقال الرجل والله لا أحسن غيرها فعلمني فقال رسول الله ﷺ إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ الفاتحة وما تيسر لك من

القرآن ثم اركع حتى تطمئن راکعاً ثم ارفع حتى تطمئن رافعاً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم اجلس حتى تطمئن جالساً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً وافعل ذلك في صلاتك كلها " فكان الأمر هنا بأن يطمئن في كل ركن من أركان الصلاة لأن رسول الله ﷺ نهى عن نقر الصلاة مثل نقر الغراب وعن افتراش السبع وعن أن يوطن الرجل موطنه في المسجد كما يوطن البعير، ونقر الصلاة هو السرعة في القراءة بحيث لا يعي ولا يفهم ما يقرأ ولا يدري كيف ركع أو سجد وعن أبي حميد الساعدي رحمه الله قال كان رسول الله ﷺ إذا صلى كبر ورفع يديه حذو منكبيه ثم قرأ الفاتحة وما تيسر له " وعن كيفية وضع اليدين قال وائل بن حجر رحمه الله أمرنا أن نضع اليد اليمنى على اليسرى كما كان يصلي رسول الله ﷺ فيضع يده اليمنى على يده اليسرى على الصدر، وعن سهل بن سعد رحمه الله قال أمرنا أن نضع اليد اليمنى على الذراع الأيسر في صلاتنا " فهنا ما كان كف على كف ولكنه كف على ذراع، وقد جاء في حديث ضعيف أن علي بن أبي طالب رحمه الله كان يضع الكف اليمنى على الكف اليسرى ويجعلها أسفل السرة وهذا قول ضعيف، وكذلك قال بعض الناس عن الإمام مالك رحمه الله أنه كان يصلي مرسلاً يديه ولكنه ما كان يصلي كذلك لأنه ما كان يستطيع أن يخالف السنة فقد قال النووي ما فارق مالك يده اليمنى على اليسرى في الصلاة حتى قبض، وكذلك قال الإمام بن عبد البر رحمه الله فإنهما شهدا للإمام مالك بذلك ولكن الإمام مالك قال إن وضع اليد في الصلاة لا يبطل الصلاة ولا يفسدها فظن الناس أنه كان يأمر بإرسال اليدين وما فعل ذلك، ورسول الله ﷺ في وقوفه وهيئته نظمها لنا حديث وائل بن حجر وسهل بن سعد الساعدي فقالا اليد اليمنى على الذراع اليسرى على الصدر، وقال أبو حميد الساعدي رحمه الله فإذا ركع أمكن يديه من ركبتيه ويجعل ظهره

مستقيماً كأنه زاوية قائمة حتى إذا وضع على ظهره كوب ماء ما أهرق ولا يهتز مما يدل على الثبات في الركوع ولا يجوز أن يحنى المصلي ظهره في الركوع باتجاه الأرض، وإذا ركع اطمئن راکعاً، وقد قال رسول الله ﷺ لأصحابه أتدرون من أسرق الناس فمنهم من قال الذي يسرق جاره ومنهم من قال الذي يسرق الدجاج فقال لهم أسرق الناس الذي يسرق في صلاته قالوا وكيف يسرق في صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها " وكذلك يقول رسول الله ﷺ لا تجزي صلاة عبد لا يقيم صلبه في ركوعه وسجوده " ومن ذلك نعلم بوجوب الإطمئنان في الركوع والسجود والوقوف وفي كل أركان الصلاة، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا رفع من ركوعه قام حتى نقول أنه نسي " مما يدل على الإطمئنان في القيام، وحديث أبو حميد الساعدي رضي الله عنه يقول كان يقوم رسول الله ﷺ حتى يرجع كل فقار إلى مكانه - لا يهبط للسجود حتى يعود العمود الفقري إلى مكانه الصحيح - وإذا سجد يقدم ركبتيه أولاً ثم يضع يديه على الأرض " وجاء في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا سجد قدم ركبتيه ثم يديه " وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال كنا نقدم الأيدي فأمرنا أن نقدم الركبتين في السجود " وعبد الله بن عباس رضي الله عنه يقول أمر رسول الله ﷺ أن يسجد على سبع أعظم ولا يكف ثوباً ولا شعراً - إذا هم بالسجود لا يشمر ثوبه بل يترك ملابسه على هيئتها وكذلك لا يشمر كماً ولا يرفع شعر رأسه إنما الشعر يسجد مع الجبهة ولما قال أمر معناه ان الأمر في شكل السجود كان من الله عز وجل بهذه الكيفية فمن صلى بها فقد أفلح وأحسن ومن تهاون في أدائها فإنه لم يصلي كما أمره رسول الله ﷺ ثم أشار إلى جبهته وأنفه فمن سجد على الجبهة فقط فما سجد فقد جاء في حديث رواه زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال كنا في ليلة مطيرة فصلى بنا رسول الله ﷺ

فسجد في ماء وطين فرأينا أثر الطين في جبهته وأنفه " فمن هنا علمنا أن السجود يكون على الجبهة والأنف معاً لأن تلك هي هيئة سجود رسول الله ﷺ ، وكذلك من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه يقول كان رسول الله ﷺ إذا سجد قدم يديه لا يفترش ولا يقبض " ومعناه ان رسول الله ﷺ يقدم يديه ويسجد لا يفترش يديه ولا يجافي بهما إنما يكون وسطاً بين القبض والفرش ويوجه أصابع يديه إلى القبلة ويضمهما وكذلك أصابع القدمين إلى القبلة وقد قال رسول الله ﷺ في حديث رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال اعتدلوا في السجود ولا يبسط أحدكم ذراعيه بسط الكلب " فكانت هذه هيئة السجود التي أمر بها رسول الله ﷺ في الصلاة ، والسبعة أعضاء التي وردت في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما هي الجبهة والأنف واليدين والركبتين والقدمين ، ثم في الجلوس قال أبو حميد الساعدي رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ إذا جلس يجلس على رجله اليسرى وينصب رجله اليمنى واقفة ويوجه أصابعها نحو القبلة " وأما النظر فإن رسول الله ﷺ إذا كان واقفاً يوجه نظره إلى موضع السجود فإذا ركع نظر إلى قدميه فإذا سجد نظر إلى أنفه فإذا جلس واضعاً يديه على ركبتيه مفرجاً بين الأصابع ونظره إلى يديه .

هذه الصلاة إذا أداها المسلم كما يجب وكما علمها لنا رسول الله ﷺ ماذا يحصل منها قال رسول الله ﷺ من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها سعدت صلاته إلى السماء ولها نور فتفتح لها أبواب السماء ثم تدخل على ربها وتشفع لصاحبها وإذا توضأ فلم يحسن الوضوء وقام إلى الصلاة فنقرها نقر الغراب لم يتم ركوعها ولا سجودها ولم يتم القراءة فيها سعدت صلاته إلى السماء وهي مظلمة فتغلق دونها أبواب السماء ثم تلف كما يلف

الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها " وكذلك يقول رسول الله ﷺ من حافظ على صلاته كانت له نور وبرهان ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ على صلاته فضيع ركوعها وسجودها وأركانها من لم يحافظ على صلاته لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وحشر يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف .

الصلاة هي أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة فإنها قد تدخل صاحبها مع رسول الله ﷺ فقد جاء ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه وقال يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة قال له أو غير ذلك يا ربيعة قال لا قال فأعني على نفسك بكثرة السجود " أي بكثرة الصلاة .

أماكن النهي عن الصلاة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسبغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط " جعل رسول الله ﷺ هذه الثلاثة أمور إنما توازي وتكافئ الجهاد في سبيل الله عز وجل بما يحويه من ضرب الرقاب والاستشهاد في سبيله ، وكذلك يقول رسول الله ﷺ المسجد بيت كل تقي وضمن الله عز وجل لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى الجنة "

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من غدا إلى مسجد أرواح أعد الله عز وجل له نزلاً في الجنة كلما غدا أرواح " والله عز وجل يقول ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۚ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ النور 36 - 37 المسجد هو بيت من بيوت الله عز وجل وعمار بيت الله إنما هم ضيوف عليه وحق على المزور أن يكرم زائره، فكانت المساجد هي أشرف البقاع وأنقاها عند الله، وقد كانت المساجد هي عمل رسول الله ﷺ وشغله الشاغل فكان في أي مكان ينزل فيه يبني مسجداً ليكون مكاناً للسجود لله عز وجل ويلتقي فيه الناس على لا إله إلا الله محمد رسول الله، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ أي المساجد وضع في الأرض أول قال بيت الله الحرام قلت ثم أي قال المسجد الأقصى يا أبا ذر أينما أدركت الصلاة فصل فإنه مسجد "

ورسول الله ﷺ قال أن الله عز وجل أعطاه خمسة ولم يعطهن لنبي قبله كان من هذه الخمسة أن جعل له الأرض مسجداً وطهوراً فإذا كانت الأرض كلها مسجداً وطهوراً بالتيمة منها إذا لم يوجد الماء فهل معنى ذلك أن تجوز الصلاة في أي مكان وهل كل الأرض هي مكان للصلاة والطهور منها ؟ لنعلم أن هناك أماكن في الأرض تُهينها عن الصلاة فيها وكذلك أن نتطهر بها فقد جاء في حديث رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال نهانا رسول الله ﷺ أن نصلي في المزبلة والمقبرة والمجزرة وقارعة الطريق والحمام وفي أعطان الإبل وفوق ظهر الكعبة " فبذلك كانت الأرض كلها مسجداً وطهوراً إلا هذه الأماكن السبعة فلا تجوز الصلاة فيها فكيف يتقرب إنسان إلى الله وهو في مزبلة بينما لا تجوز الصلاة إلا في مكان طاهر من النجس والدنس فإنها من شروط صحة الصلاة وكذلك الأمر في المجزرة والحمام وهي مواضع نجاسات فيجب أن نرتفع بصلاتنا التي نعبد بها الله عز وجل عن أن تؤذيها في أماكن حقيرة حتى أن عبد الله بن عمرو بن العاص وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما قالا بعدم جواز الصلاة إلى جدار خلفه حمام فقال لا تصل إلى حشى، وكذلك ينطبق القول على أعطان الإبل فهي من النجاسات، وهناك نهى أشد عن صلاة في مكان معين مثل المقبرة أو الصلاة إلى قبر فقد جاء في حديث رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ كل الأرض مسجداً وطهوراً إلا الحمام والمقبرة " في الحديث الأول كان النهي في سبعة مواضع أما في هذا الحديث فكان التأكيد على اثنين منها فإن الحمام الفطرة تأنف عن عبادة الله فيه كما أن رسول الله ﷺ نهانا عن الصلاة على قبر أو في مواجهته فقد جاء في حديث رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لا تصلوا إلى قبر ولا تصلوا على قبر " وفي حديث رواه مرصد الغنوي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا تصلي إلى

قبر ولا تجلس على قبر " فكان النهي هنا حتى على مجرد الجلوس على القبر لأن في حديث لرسول الله ﷺ قال لأن يجلس أحدكم على جمرة فتخلص إلى ثيابه فتحرق جلده خير له من أن يجلس على قبر " وعن عمرو بن بشر رضي الله عنه قال رآني رسول الله ﷺ متكأً على قبر فقال لا تؤذي صاحب القبر " من هنا نعلم أن الصلاة في القبور منهي عنها أما زيارتها فإن الأصل فيها النهي ثم رسول الله ﷺ أمرهم بزيارتها لغرض معين فإذا لم يتواجد هذا الغرض فإن النهي عن الزيارة قائم فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة " وعليه فإن زار الإنسان القبور ولم يتذكر الآخرة فإن زيارته مردودة عليه ومنهي عنها وأما النساء فإن النهي أشد عليهن لأنهن يرتكبن كبيرة من الكبائر فقال رسول الله ﷺ لعن الله عز وجل زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرح " من هنا كان بناء المسجد على ضريح فقط من المحرمات وفي حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فلا تفعلوا ذلك " وعن أم سلمة رضي الله عنها وكانت مهاجرة إلى الحبشة فوصفت له كنيسة وما بها من زخارف وتساوير فقال رسول الله ﷺ إن هؤلاء الناس كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح أقاموا على قبره مسجداً ألا إنهم شرار خلق الله عند الله " من أشرف القبور قبر رسول الله ﷺ الذي شرفت به مدينته الطاهرة المباركة ماذا يقول في حقه المصطفى ﷺ يقول لا تجعلوا بيوتكم قبوراً - وذلك بأن لا يقرأوا في البيت القرآن ولا يقيمون فيه صلاة أو ذكر لله فكأنه قبر ومن فيه أموات غير أحياء - ولا تجعلوا قبوري عيداً وصولاً عليّ فإن صلاتكم تصلني حيث كنتم " نهانا أن نتخذ من قبره عيداً فإذا جعل الناس القبر مكاناً لبناء المساجد فقد

ارتكبوا أمراً منهيّاً عنه فإذا طافوا حوله ارتكبوا منهيّاً عنه أشد من الأول وإذا قبلوه فقد ارتكبوا منهيّاً عنه أشد من الأول والثاني وذلك لأن دين الإسلام وتعاليمه تأخذها عن رسول الله ﷺ وهو لم يأمر بطواف إلا حول البيت الحرام وما أمرنا بتقبيل إلا الحجر الأسود، والبيت الحرام هو المكان الوحيد في العالم كله الذي يُطاف حوله سبعة أشواط والمكان الوحيد الذي يقبل فيه الحجر الأسود، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه استلم الحجر الأسود وقبله قال والذي نفسي بيده إنني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك .

انتشرت مساجد عديدة في بلاد الإسلام داخلها أضرحة وقبور فكيف نتعامل معها ؟ إذا كان القبر أو الضريح في اتجاه القبلة فإنه يحرم الصلاة إلى هذا القبر لأن رسول الله ﷺ قال لا تصلوا إلى قبر " وفي مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه تحرم الصلاة في مسجد به قبر ولكن للتخفيف على الناس قال الجمهور من العلماء إذا كان القبر عن يمين أو شمال القبلة أو خلفها فيجوز الصلاة في هذا المسجد مع التركيز والتأكيد على أن الصلاة وعملها هي لله وحده لا شريك له حتى تتجنب أن تشرك بالله عز وجل شيئاً، وأبو ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ جاءني جبريل وبشرني بأنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت يا رسول الله وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق ثم كررتها عليه ثانية وفي الثالثة قال رغم أنف أبي ذر " ورسول الله ﷺ يقول لقنوا موتاكم لا إله إلا الله - والتلقين يكون وهو ينازع لأنه إذا فارق الحياة لا ينفعه تلقين أو غيره وذلك لأن رسول الله ﷺ في هذا الحديث يقول لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنه من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة " لذلك سداً لذريعة الشرك نُهيينا أن ننقل من مكان إلى مكان

نقصده لذاته لأن فيه ضريح أو قبر لذلك رسول الله ﷺ يقول لا تُشد الرحال إلا لثلاثة مساجد فمن شد الرحال إلى مسجد غيرها فقد خالف أمر رسول الله ﷺ والثلاث مساجد التي أمرنا بها هي المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد رسول الله ﷺ في المدينة .

إن المسلم المؤمن يجب أن يتحرى في كل ما يفعله ويقوم به من عمل أو من قول أن يكون فيه الإخلاص لله عز وجل وأن يتجنب كل ما فيه شبهه من الشرك حتى يكون من ساكني جنة رب العالمين مع محمد ﷺ والفر الميامين من صحابته الأطهار المطهرين .

الخواطر في الصلاة

قال رسول الله ﷺ من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " من يرد الله به خيراً يرفع مكانته بعلم الدين والفقه فيه ، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ، فإن الذي يعبد الله عز وجل بعلم وفقه أشد غلبة للشيطان من ألف عابد من الذين يعبدونه تقليداً أو تمثيلاً بغير علم أو فقه ، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت تقول يرحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في دين الله عز وجل ، ويقول قائل :

عبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابد هما قطبان

ومدارها بالأمر أمر محمد لا بالهوى النفس والشيطان

علم العبادة والفقه في دين الإسلام لا يؤخذ إلا من رسول الله ﷺ فلا يعبد إنسان ولا يتعبد بهوى نفسه أو بأمر من شيطان فكان خير العلم والفقه ما ورد في سنة رسول الله ﷺ والصلاة هي من أعظم الأمور في دين الإسلام لذلك رسول الله ﷺ علمنا كيف نصلي ولم يتركنا هملاً فهو الذي صلى ثم قال للناس صلوا كما رأيتموني أصلي وقبل أن يغادر الدنيا ثلاثة أيام يخرج على الناس يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم وفي فجر اليوم الذي قبض فيه يزيح الستر عن حجرته الشريفة وينظر إلى صفوف أهل الإسلام وهم يصلون فتشرق أسارير وجهه فكادوا أن يفتتوا حتى أنهم قالوا نظرنا إلى وجه رسول الله ﷺ فإذا به كأنه الذهب أو البدر في ليلة تمامه وهو في ذلك الوضع وفي شدة المرض قال نُهيئت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً - والقرآن من أعظم الذكر ولكن له مقامه في الصلاة عند الوقوف بعد تكبيرة الإحرام بينما النهي

في الركوع أو السجود حتى إن كان دعاءً مأثوراً من آية من آيات القرآن فلا ندعوا بها في السجود أو الركوع - أما الركوع فسبحوا الله فيه وأما السجود فأكثرُوا فيه من الدعاء قمن أن يُستجاب لكم " لأننا نعبد الله عز وجل كما يحب الله ويرضى منا ليس بالهوى، والصلاة قال رسول الله ﷺ في حقها الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تقسم ظهره والحب في الله والمودة في العلم تقطع دابره فإذا فعلتم ذلك تباعد عنكم الشيطان كبعد مشرق الشمس إلى مغربها " ولكن الشيطان يترصد بالإنسان في الصلاة يريد أن يفسدها عليه بكل السبل حتى أن رسول الله ﷺ قال إذا سمع الشيطان الأذان أدبر وله ضرات أي تولى هارباً ويصدر منه صوت قبيح فإذا فرغ الأذان أقبل فإذا سمع إقامة الصلاة أدبر وله ضرات فإذا قضى أقبل حتى يخطر بين المرء وقلبه يقول له أتذكر كذا وتذكر كذا لكي يخلط على المصلي صلاته ويفسدها عليه، والصلاة لا تكون صلاة تامة إلا بثلاثة أمور التوجه بالقلب والقول باللسان والعمل بالأركان، والتوجه بالقلب إنما هو الخشوع في الصلاة وأبو حامد الغزالي يقول الخشوع روح الصلاة ولا صلاة بغير روح فقد شبهه الصلاة بالجسد وذلك الجسد له روح هي الخشوع فإذا كانت صلاة من غير خشوع فهي صلاة لا روح فيها، وكيف نحصل الخشوع في الصلاة وكيف ندخل الصلاة ونتجنب الخواطر فيها ورسول الله ﷺ الذي هو اعظم الخلق وليس للشيطان عليه سبيل إنما اختلط عليه الأمر في الصلاة كان يتلوا آيات الذكر الحكيم فينسى فإذا سلم يقول ألم يكن فيكم أبي بن كعب حتى يرد عليّ ويصح لي الآيات - وأبي بن كعب رضي الله عنه موجود ولكنه لا يستطيع أن يصحح لرسول الله ﷺ لأنه يعتقد أن الآية التي يتلوها رسول الله ﷺ غير التي حفظها عنه مسبقاً فإنما هو الوحي لا زال ينزل عليه، ولكن كل إمام من بعد رسول الله ﷺ

يجوز الرد عليه وتصحيح ما يتلو من آيات ولكن كيف يكون التصحيح يكون بصوت لا تردد فيه إذا كان على يقين أن ما سوف يرده هم الحق أما إن اختلط عليه الأمر فيما تشابه في آيات القرآن فلا يرد الإمام حتى لا يشوش عليه وحتى لا يفسد الصلاة لذلك كان رسول الله ﷺ يقول أين أبي بن كعب، ورسول الله ﷺ سلم في صلاة العصر والظهر من ركعتين وجاءه ذو اليمين وقال يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت فقال له ما قصرت وما نسيت فقال الصحابة رضوان الله عليهم يا رسول الله بل سلمت من ركعتين فما ردهم رسول الله ﷺ بل قام وأتم صلاته ثم قبل التسليم يسجد سجدتين للسهو، وفي مرة أخرى رسول الله ﷺ وقف للخامسة وتركوه لماذا تركوه لأنه هو الذي يدل على التشريع وهو المشرع فيحسبون أن الصلاة قد زادت ركعة أما من سواه من إمام فلا يجوز أن نتركه بل يجب أن نرده فإن لم يعد عن الزيادة فلا نتبعه في الزيادة فإذا وقف في الخامسة لأبد أن يعود لأنه وقف إلى ركن باطل لأن الصلاة معروف ركعاتها فمن زاد فلا نتبعه إلا من اختلط عليه الأمر مثل الإمام وسهى معه فقد رفع عن أمة محمد الخطأ والنسيان وما استكروها عليه أما الذي تبعه في الزيادة وهو يعلم بيقين أنها زيادة فإن صلاته باطلة ويجب عليه الإعادة، ورسول الله ﷺ في صلاة أخرى بعد الركعتين لم يجلس للتشهد الأوسط وقام للثالثة واستقر واقفاً لذلك لم يجلس وعليه إذا قام الإمام للثالثة واستقر واقفاً فلا يحل لمن خلفه أن يرده للجلوس وذلك لأن الثالثة هي فرض بينما الجلوس للتشهد الأوسط هو سنة فلا يجوز العودة من فرض لأداء سنة ولكن عليه أن يجبر صلاته بأن يسجد سجدتي السهو قبل التسليم وتكون السجدتين رجماً للشيطان فإن رسول الله ﷺ وقعت له تلك الأمور في الصلاة ولكنه لم يكن بفعل الشيطان أو النسيان إنما الإمام مالك ﷺ يقول ما كان

رسول الله ﷺ لينسى لأنه لو كان ينسى لكان هناك جرح في الدين ولكنه بإرادة الله عز وجل يقع في ذلك لكي يعلم الأمة من بعده الحكم في تلك الأمور التي لو لم تحدث ما علمنا حكمها وحتى يكون قدوة لكل إمام ودرأً عن اتهام كل إمام بما نساه، الخشوع في الصلاة هو فرض فيها ويكون ذلك بتهيئة القلب والوجدان والجوارح لعظمة الموقف أمام الله عز وجل حتى لا يختلط الأمر في الصلاة وأن يعي كل ما يقوله وما يفعله من أركان قدر ما يستطيع فكلما سعى إلى ذلك وحرص عليه كان له أجر المجاهد لأنه يجاهد نفسه في أمر عظيم، ولذلك كان هناك أمور أمرنا بها حتى يتحقق ذلك الخشوع من هذه الأمور قبل الدخول في الصلاة نستشعر عظمة من نقف أمامه وقوة الذي نصلي له نستشعر عزة الله عز وجل وكبريائه وكيف لا يكون كذلك والإنسان منا إذا وقف أمام إنسان آخر له مكانة وهو بشر إنما يقف أمامه لا يهتز ويستحضر كل إنتباهه فكيف يكون حاله وهو أمام رب العالمين الواحد القهار، ورسول الله ﷺ يقول إن المصلي يناجي ربه، وفي حديث رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول المصلي يقرع باب الملك - كأنك وأنت واقف تصلي تطرق على باب الله عز وجل - ومن داوم قرع الباب يوشك أن يُفتح له .

ثم هناك الخواطر التي تخطر للإنسان في الصلاة كيف يدفعها ؟ بأن يدفع أسبابها ومصادرها لذلك رسول الله ﷺ نهى عن الصلاة في قارعة الطريق لأن الطريق سوف يشغل المصلي بما فيه من مارة من الناس أو غيرهم مما يشتت الإنتباه والفكر فينصرف قلبه عن الصلاة وينشغل بما يراه وكذلك نهى رسول الله ﷺ عن تشتيت الناس في المسجد فقال من رأيتموه ينشد الضالة في المسجد فقولوا لا ردها الله عليه وذلك لأنه

يصرف انتباه المصلين عن الصلاة ويخرجهم من الخشوع رغماً عنهم، وكذلك نهانا عن البيع والشراء في المسجد فقال من رأيتموه يبيع أو يشتري في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك . من أراد أن يصلي في خشوع فعليه أن يصفى ذهنه من كل ما يشغله قبل الصلاة فإن رسول الله ﷺ عندما اقيمت الصلاة في مسجده حضر وقد نسي أن يخمر القدر في البيت أي يغطيه فقبل أن يصلي قال لعثمان بن طلحة رضي الله عنه يا عثمان إني نسيت أن أخمر القدر فخمره، لماذا فعل ذلك لأنه إذا دخل إلى الصلاة سوف يظل هذا الهاجس يلح عليه حتى يشغله عنها فأراد أن يقطع السبيل عليه فأمر عثمان بن طلحة أن يغطي القدر وهو رسول الله ﷺ أعظم الناس قدراً وهو الذي أمرنا أن نصلي في مكان لا تكون فيه أشياء أو أمور تشغلنا عن الصلاة والعبادة والتركيز حتى يتحقق الخشوع لله عز وجل فيها حتى وإن كانت الملابس التي نرتديها فإن رسول الله ﷺ في يوم من الأيام صلى وهو يرتدي لباس اسمه خميصة بها أعلام أو خطوط وبعد أن صلى قال إن هذه الخميصة ألهتني عن صلاتي آنفاً إذهبوا بها إلى أبي جهم وإتوني بامبجانيته بكساء آخر يكون ليس فيه هذه الخطوط، ولكن من رحمة الله عز وجل ويسر دين الإسلام أن تلك الأمور التي تحدث وتأتي للإنسان في صلاته لا تبطلها وإن كانت تلك الخواطر مذمومة في الصلاة إلا إنها لا تبطلها ولكن أمرنا أن ندفعها بكل السبل ولا نترك لها العنان لتشغلنا عن الصلاة وذلك لأن رسول الله ﷺ ما بطلت صلاته وما أعادها عندما صلى في الخميصة التي ألهته وما أمر بمن حدث له من هذه الأمور شيئاً أن يعيد صلاته ولا حتى عندما خرج من الصلاة بعد الركعة الثانية ولا عندما سهى ونسى أو أنساه الله عمداً ما أمر بإعادة الصلاة سواء في النقص أو الزيادة إلا من تعمد ، ورسول الله ﷺ يقول من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتى ركوعها

وسجودها والقراءة فيها صعدت صلاته إلى السماء ولها نور ففتحت لها أبواب السماء حتى تدخل على ربها فتشفع لصاحبها أما إذا توضأ فلم يحسن الوضوء ولم يتم الركوع والسجود والقراءة فيها صعدت صلاته إلى السماء ولها ظلمة فتغلق دونها أبواب السماء ثم تلف كما يُلف الثوب الخرق فيضرب بها وجه صاحبها " وكذلك يقول رسول الله ﷺ من توضأ فأَسْبَغ الوضوء ثم قام فصلى صلاة يعلم ما يقول فيها إلا انفلت من صلاته تلك كيوم ولدته أمه " أي إنه يخرج من صلاته خالياً من الذنوب .

هناك من الناس من ليس عندهم من الفقه شيئاً فيجب عليهم أن يتعلموا ويفقهوا فإنما شفاء العيي السؤال لأن منهم من يعيب على الناس بينما العيب فيه لأنه ما حرص على أن يتعلم حتى إذا عبد الله عز وجل يعبده على بصيرة .

الله عز وجل

يقول قائل :

رباه ها أنا ذا خلصت من الهوى واستقبل القلب الخلي هـواك
وبحثت عن سر السعادة جاهداً فوجدت هذا السر في تقواك
فتركت أنسي بالحياة ولهوها ووجدت كل الأنس في نجواك

إن من خير الأمور أن تكون من المتقين ومن الذاكرين وسعيد بن جبير رحمه الله قال كل عامل لله بطاعة فهو في ذاكر لله عز وجل ، وخير ذكر الله أن تتعلم علم ينفعك في دينك وفي دنياك وخير العلم أن تكون مع الله حيث أمرك ولا يجدرك حيث نهاك ، والله عز وجل هو الذي لا يُعبد غيره له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

الله عز وجل هو اسم من أسماء لا يسمى به غيره وهو خالق الخلق كله ومالك الملك كله والملكوت ورسول الله ﷺ يقول في حق مولاه : كان الله وما كان شيئاً قبله وكان عرشه على الماء وأول ما خلق خلق القلم ثم قال له اكتب فكتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة " أمره الله عز وجل بالكتابة فكتب كل ما هو كائن في هذا الكون إلى يوم القيامة كتب السماوات والأرض وما يجري بينهما وكتب الإنترنت والذرة وكل شيء سواء سمعنا به أو لم يصل إلى علمنا بعد موجوداً أو لم نره بعد وما لم يصل إلى فكرنا وخاطرنا إلى أن تقوم الساعة ويرث الله الأرض ومن عليها ، ورسول الله ﷺ يقول في الله عز وجل اللهم أنت الأول فليس شيئاً قبلك وأنت الآخر فليس شيئاً بعدك وأنت الظاهر فليس شيئاً

فوقك وأنت الباطن فليس شيئاً دونك، وأهل العلم قالوا في تعريفه قالوا
الله عز وجل ليس كما ولا كيفاً ولا يحده مكان ولا يحتويه زمان
لا جسم ولا حالاً في جسم ليس له أول وليس له آخر منزّه عن الكم
والكيف والطول والعرض ولا يقوم بحقه شيء فإنه هو القائل ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير وهو القائل لا تدركه الأبصار وهو
يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير"، وبعض الأطفال تسأل كما قد
يسأل بعض أصحاب العقول وبعضاً من عامة الناس يسألون عن الله عز
وجل فبماذا نجيب ؟ إنما نقتدي في ذلك بهدي محمد ﷺ فهو الذي قال
تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروه قدره " إذا
أردت أن تعرف ربك فانظر إلى صنعته إلى خلقه وحاول أن تستشف منها
قدرته وتعلم أن هذا الخلق وتلك المخلوقات لا بد لها من خالق وأن هذا
الكون بكل ما فيه لا بد له من مهيمن وقائد فهل تعتقد ببصيرتك أن
هناك سيارة يموت قائدها ويده على عجلة القيادة وتظل تسير كما هي
وتستمر في عملها على حالها لا تصطدم ولا تتوقف ولا تتحطم فإن الله
عز وجل إنما جعل لذلك الكون مقادير وجعل له سنناً لا يحيد عنها،
تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في كنهه الله فإن ذلك العقل لن يصل
أبداً إلى عظمة الله وقدره، والله عز وجل يقول لنا ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ
بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ البقرة 164 فلينظر الإنسان إلى
السماء فوقه وما بها من نجوم وكواكب ولينظر إلى كل ما حوله في
هذا الكون ليدرك أن لها خالقاً مسيراً ومدبراً أمرها وإذا قال لنا أهل
العلم في أيامنا هذه أن تلك السماوات التي ننظر إليها لها بعداً شاسعاً

لا يتخيله ولا يدركه عقل فإنهم كذلك قالوا أن فيها نجوم لم يصل إلينا ضوءها بعد وتحتاج إلى آلاف السنين الضوئية لكي نراها وقالوا أن سرعة الضوء ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية الواحدة فإن السنة الضوئية هي حصيلة ضرب هذه السرعة في ستين ثانية ثم في ستين دقيقة في أربعة وعشرين ساعة في ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً لتكون سنة ضوئية فأبي بعد هذا لهذه النجوم وأي اتساع وبعد لهذه السماوات، والله عز وجل جعل الشمس على بعد من الأرض بقدر ثلاثة وتسعين مليون ميل إذا اقتربت الشمس بمقدار ألف ميل أو تزيد أوتقل فإن الأرض تحترق بما عليها ولا يكون فيها حياة على الإطلاق وإذا ابتعدت الشمس عن تلك المسافة تتجمد الأرض وما عليها ويستحيل عليها حياة، وكما يقول علماء اليوم في المجموعة الشمسية إن كوكب عطارد أقرب الكواكب من الشمس فإنه نار الله الموقدة بينما كوكب المشتري هو أبعدا وهو عبارة عن جليد محكم ولكن الله عز وجل جعل الأرض التي نحيا عليها في هذا الموقع بين كل هذه الكواكب حتى تكون فيها حياة وتصلح ليحيا عليها الخلق، وتلك الأرض التي نعيش عليها إذا نظرنا إلى الغلاف الجوي نجد أنه يحميها من الشهب والنيازك التي قد تقترب منها ولا تحترقها وكذلك يعمل هذا الغلاف على توفير الأكسجين اللازم للحياة بنسبة عشرين في المائة ولو زادت تلك النسبة لاحتقرت ولو نقصت لهلك الخلق وإذا تدبر الإنسان في نفسه وخلق له لوجد الإعجاز في الخلق والتدبير من الخالق جل وعلا فليتنظر إلى بدايته فقد كان نطفة من أبيه وبويضة في رحم أمه ثم تتحول إلى نطفة ثم جنيناً من عظام ثم تكسى لحماً ثم يكون له قلب ينبض بالحياة ويظل ينبض حتى يحين أجله ويفارق الحياة، ذلك الجنين الذي استقر في بطن أمه ثم خرج إلى الحياة إنما جعله الله عز وجل آية من آياته فإن النمو آية تدل على وجود الله عز

وجل خالقاً لها لا يخلق مثله خالق ولننظر إلى الطفل بعد ان كان جنيناً ثم يكون فتياً وشاباً بالغاً ثم رجلاً وكهلاً وكيف يكون هذا الجسد في ذلك التناسق ألا يدل كل ذلك على أن هناك خالقاً ومهيماً لهذا المخلوق فلا نجد ساق أطول من ساق أو يد أطول من يد وفي داخله أجهزة تعمل وتؤدي وظائفها بإحكام تام فالقلب ينبض والكلى تؤدي عملها والكبد والرئتين وإن كانت تسير على هواها لتعطلت وظائفها وتضاربت واختلت في توازنها ولكن هناك مهيمن ومقدر يعطي لكل شيء قدره حتى يكون هذا المخلوق في أحسن تقويم ويكون ذلك النمو آية من آيات الله لا يستطيع أن يقلدها أي صانع فهل استطاع صانع أن يصنع سيارة ذكراً وأخرى أنثى ثم تتكاثر وكذلك في كل الآلات التي نراها والله عز وجل يقول ﴿سُنُرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۖ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت 53 وكذلك يقول الله عز وجل ﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لقمان 11 الله عز وجل أمرنا أن ننظر ونتدبر في خلقه لكي نصل إليه ونوحده ورسول الله ﷺ أمرنا أن نتفكر في خلق الله حتى نصل إلى الوجدانية لله، والناس بعقولها من قديم ومن قبل أن تكون هناك رسالات وأنبياء كانوا ينظرون في الملك والملوك ثم يتخذون منها آلهة بقدر عقولهم ولكن الذين تدرجوا بفكرهم وبفطرتهم وارتقوا بهما علموا أن لهذه الخلائق واجد وموجد الذي يستطيع أن يسيطر عليها ويتحكم فيها وقد سألوا قيس بن ساعدة كيف عرفت الله قال إن البعرة تدل على البعير والروثة تدل على الحمير وأثر السير يدل على المسير سماء ذات أبراج وكواكب ونجوم وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ألا يدل ذلك على الحكيم الخبير، والإمام الشافعي رحمه الله وقد كان في أيامه أيضاً ملاحظة يشككون في الإيمان

وفي التوحيد وفي وجود الله عز وجل فجاءوه وقالوا له كيف عرفت الله قال عرفت الله عز وجل بالنحلة فإن نصفها يلسع ونصفها يعسل - وهذه حقيقة فإذا تكالب النحل على رجل يلسعه بلدغاته فقد يكون فيه هلاكه من سم هذه اللسعات بينما في ذات النحلة العسل الذي فيه شفاء للناس من الأمراض فكان فيها سمّاً مميتاً وعسلاً شافياً ثم قال - وعرفت ربي بروقة التوت إذا أكلها الجمل أخرج البعرة وإذا أكلها الحمار أخرج الروثة وإذا أكلها الدود أخرج الحرير وإذا أكلها النحل أخرج عسلاً وإذا أكلها الطي أخرج مسكاً - كانوا يتدبرون في خلق الله عز وجل ليتأكد الإيمان في قلوبهم ولكن هناك من الناس من ينظرون ويعقلون ولكن عقولهم عليها غشاوة فتكون سفالتهم أفبح من سفالة أهل الشرك الذين جاء إليهم محمد ﷺ وهم أهل جاهلية ولكن رغم شركهم بالله إلا أنهم يعلمون أن هناك إله خالق ومدبر فقد قالوا عن هذه الآله التي يتخذونها ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى والله عز وجل يقول في حقهم ﴿وَلَيْتَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لقمان 25 وكذلك يقول الله عز وجل ﴿وَلَيْتَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ الزخرف 87 ولكن اليهود وهم أهل كتاب يسبون الله عز وجل فقد دخل ذات مرة الصديق ﷺ مزارع اليهود فوجد فنحاص فقال يا أبا بكر إن الله فقير ونحن أغنياء وأنا ما نتقرب إليه كما يتقرب إلينا وأنا عنه أغنياء وما هو عنا بغني ولو كان غنياً عنا ما استقرضنا أموالنا فنزل قول الله عز وجل ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۚ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيِّ﴾

آل عمران 181 وكذلك قالوا عن الله عز وجل يده مغولة فنزل قول الله

عز وجل ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۚ
بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۝﴾ المائدة 64 فاليهود رغم أنهم أهل كتاب
إلا أنهم مع الله سفلة وأحط من أهل الشرك الذين جاءت رسالة محمد
ﷺ لتهديهم .

ويقول قائل :

كيف يعصى الإله وكيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

ويقول قائل :

الكون مشحون بأسرار إذا حاولت تفسيراً لها أعياك

قل للطبيب تخطفته يد الردى يا عالم الطب من أرداك

وقل للمريض عوفي ونجا بعدما عجزت صنوف الطب يا مريض

من شفاك

واسأل الجنين في بطن أمه من غير راع ولا مرعى يا جنين من

يرعاك

واسأل بطون النحل كيف تقاطرت شهداً وقل للشهد يا شهد من

حلاك

اللَّهُ في كل الخلأق ماثل إن لم تكن تراه فهو يراك

ويقول قائل :

تأمل في نبات الأرض وانظر ما صنع المليك

فغصون من لجين شاخصات وأزهار كأنها الذهب السبيك

على قتب الزبرجد شاهدات أن الله ليس له شريك .

ويقول رسول الله ﷺ أحبوا الله لما يغزوكم به من نعم
وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي " إن أهل الإسلام يتخذون الله
عز وجل رباً لا شريك له ومحمداً ﷺ نبياً ورسولاً وكتاب الله عز وجل
دستوراً .

السترة

يقول الإمام الشافعي رحمه الله

كل العلوم سوى القرآن مشغلة والأحاديث من دون الدواوين

العلم ما كان فيه حدثنا وما سواه فوساوس الشياطين

وكذلك هو الذي يقول عن مذهبه الذي سطره إذا صح الحديث فهو مذهبي واضربوا بكلامي عرض الحائط، فهؤلاء الأئمة الأجلاء جميعهم سطوروا مذاهبهم ليس بالهوى إنما اعتمدوا على مصادر التشريع التي جاء بها رسول الله ﷺ ويقول قائل :

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابد هما قطبان

ومدارهما بالأمر أمر محمد لا بالهوى والنفس والشيطان

كل دين الإسلام إنما الأمر فيه من محمد ﷺ وهؤلاء الأئمة إنما شرحوا لنا ما جاء به محمدًا ﷺ وحدث في يوم من الأيام أن تحدثت مع تلميذ في مسألة فقلت قال الإمام الشافعي فقال هذا كلام الشافعي وما دليله وهذا التلميذ وإن صح كلامه إلا أن فيه إساءة للأدب الذي يطلب الدليل من الإمام الشافعي إنما يكون على قدر مكانته وفي نفس مستوى علمه وما عدا ذلك يكون تطاول لأن أصحاب المذاهب الأربعة ما قالوا كلمة في دين الإسلام إلا ولها سند ودليل عنده فإذا قلنا قال أحمد بن حنبل أو قال المالكي أو قال أبو حنيفة أو قال الشافعي فلا يصح أن نجد من يقول وما الدليل لأن الدليل عنده وقد استند عليه ودين الإسلام لا يؤخذ بالرأي ولا بالهوى، وعلي بن أبي طالب عليه السلام قال لو كان الدين

بالرأي لكان المسح أسفل الخف أولى من وجهه ولكن رسول الله ﷺ أمر
بمسح وجه الخف "

وفي دين الإسلام عبادة أمرنا بها وهي من المستحبات ولكن يغفل
عنها وعن تعاليمها الكثير من الناس وهي اتخاذ السترة في الصلاة
والمراد منها أن تحفظ على نفسك صلاتك من أن يصيبها خدش أو
يصيبها قطع أو يحدث فيها ما يشغلك عنها فينقص من أجرك فيها
والسترة أمام المصلي ليست فرض وإنما هي مستحبة ورسول الله ﷺ أمر
بها فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا صلى أحدكم
فليصل إلى سترة وليدنو منها " وعن صبرة بن معبد رضي الله عنه قال : قال رسول
الله ﷺ إذا صلى أحدكم فليستتر ولو بسهم " أي يجعل بين محل وقوفه
وسجوده شيئاً حتى لا يشغل باله بما بعد ذلك الشيء وذلك الدنو الذي
أمر به يكون بحيث يتمكن من السجود قبله أي في تمام موضع
سجوده ، وهناك حديث رواه سهل بن سعد رضي الله عنه قال كان بين مصلي
رسول الله ﷺ وسترته ممر الشاة " ومعنى ذلك الحديث أن رسول الله ﷺ
كان يدنو من السترة بحيث يكون المكان بينه وبينها بمقياس مرور
شاة أي عرض شاة ، وهناك من الناس من يأخذون الأحاديث بظاهرها
دون البحث في مغزاها ومرادها ولا يرجعون إلى أئمة الفقه في الحديث
الذين شرحوها وبينوها فتجد الواحد منهم إذا صلى وجعل سترته عامود
يقترّب منه بدرجة كبيرة ثم إذا ركع رجع خطوة إلى الوراء ثم إذا أراد أن
يسجد رجع خطوة ثم إذا وقف تقدم خطوة ويكرر تلك الحركات في
كل ركعة وذلك من شأنه أن يفسد الصلاة كما في مذهب الإمام
الشافعي الذي قال ببطلانها وإذا سألنا هذا المصلي لماذا يفعل ذلك قال
إن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه له حديث صحيح في البخاري ومسلم قال

أن رسول الله ﷺ كان بينه وبين سترته ممر شاة وهذا صحيح ولكن السترة حكمها أنها مستحبة فهل إذا حرصنا على عمل المستحب خدشنا الفرض هل إذا أردنا أن نؤدي السنة الحسنة نفسد بسببها الفرض فذلك دليل على عدم الفهم في معنى الحديث والإمام البغوي في شرح السنة يقول من السنة أن تتخذ سترة في الصلاة وتدنو منها بحيث تتمكن من السجود وهذا يعني إذا اتخذت سترة تجعل بينك وبينها مسافة تكفي للسجود أما التحرك للأمام والخلف فإن ذلك لا يجوز، ومن أين علمنا أن السترة في الصلاة سنة مستحبة وليست فرض واجب من أحاديث لرسول الله ﷺ ومن أفعال قام بها فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال صلى رسول الله ﷺ في فضاء ليس بين يديه شيء " فإن كانت السترة فرض أو واجب لأبد منها حتماً ما تركها رسول الله ﷺ في فضاء ولا في مسجد، وكذلك في حديث رواه بلال رضي الله عنه قال صلى رسول الله ﷺ وكان بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع " بلال رضي الله عنه رأى رسول الله ﷺ يصلي أمام جدار وبينه وبين ذلك الجدار مسافة حوالي مترين أو يزيد، وتلك السترة كان صحابة رسول الله ﷺ يستترون بسواري المسجد إذا أراد الواحد منهم أن يصلي نافلة أو تطوع اتخذ من الجدار أو من الأعمدة في المسجد سترة ولأن السواري في أي مسجد لا تكفي كل الناس كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذا سبقوه إلى السواري يقول للجالس أمامه وليني ظهرك فيكون سترة له في الصلاة فيجوز أن تتخذ من ظهر أخيك سترة في الصلاة ولكن بأي كيفية يكون ذلك إنها تعاليم وآداب عن رسول الله ﷺ، وعن المقداد بن عمرو الأسود رضي الله عنه قال ما رأيت رسول الله ﷺ يصلي إلى عود أو عامود أو شجرة إلا جعلها تلقاء حاجبه الأيمن أو الأيسر وما كان يصمد إليها صموداً " أي إنه كان يجنبها قليلاً نحو اليمين أو اليسار ولا يكون مواجهاً لها تماماً، وتلك السترة إذا كان المكان مأموماً ألا يمر

أمامك فيه شيء أو يقطع أحد صلاتك ويشوش عليك فيها كالمسجد مثلاً فإن الأمر فيها التخفيف أما إذا كنت خارج المسجد وفي مكان تظن أنه سوف يمر أمامك شيء أو أحد من الناس فعليك أن تتخذ السترة ولا يجده أو يتكلف في ذلك شيئاً فيجوز أن تكون هذه السترة رمحاً أو عصاً أو من الأشياء البسيطة التي قد تتواجد معك تجعلها بعد محل سجودك حتى يعلم الناس أنك تصلي فيتجنبون المرور بينك وبينها ، وعبد الله بن عمر رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى صلاة العيد يأمر بالحرية فتغرس فيصلي إليها وكان يفعل ذلك إذا كان في سفر " وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا صلى أحدكم فليجعل تلقاء وجهه شيئاً وإن لم يجد شيء فليضرب عصا فإن لم يجد فليخط خطاً " من هذا الحديث نتعلم أن الخطوط التي تكون في سجاد المسجد أو سجادة الصلاة يجوز أن نتخذها سترة لأن رسول الله ﷺ أمر بذلك في حال تعذر وجود شيئاً نضعه وإذا اتخذنا هذه السترة فيحرم على أحد أن يمر بين يدي المصلي ما بينه وبين تلك السترة التي اتخذها في صلاته وذلك التحريم فيه تغليظ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا صلى أحدكم إلى سترة وأراد أن يجتاز بين يديه أحد فليدفعه فإن أبا فليقاتله فإنه شيطان " ذلك الحديث اتخذه بعض الجهال وسيلة للتهكم على دين الإسلام وقالوا أن صحيح البخاري الذي جاء فيه هذا الحديث يدعو إلى الإرهاب والقتل لأنه يبيح قتل من يمر بين يديك وأنت تصلي وهؤلاء بهم جهل ونقص في العقل أو غرضاً في أنفسهم لأن المعنى هنا ليس المقصود به القتل والإعدام إنما معناه إن لم يستجيب هذا المار أمامك بالدفع البسيط فلتدفعه بقوة حتى ينتبه فلا يمر أمامك ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ليس شيء يقطع الصلاة ولكن رسول الله ﷺ قال ادركوا ما استطعتم فإنه شيطان " الذي يجتاز أمامك امنعه قدر

استطاعتك، وقد توعده رسول الله ﷺ بأمر عظيم ففي حديث رواه بن جهبنة رحمه الله قال : قال رسول الله ﷺ لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر أمامه " ذلك الحديث لم يميز أربعين يوماً أم اسبوعاً أم شهراً أم سنة، ولكن في حديث آخر رواه زيد بن خير الجهني رحمه الله قال : قال رسول الله ﷺ لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقوم أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه " لو أنه يقف أربعين سنة لا يجتاز بين يدي المصلي أهون من أن يمر أمامه .

ولكن هناك أماكن يمر فيها الإنسان أمام المصلي وليس عليه وزر حتى وإن كان المار رجل أم امرأة فعن المطلب رحمه الله قال رأيت رسول الله ﷺ يصلي تلقاء الحجر يمر بين يديه الناس وليس بينه وبينهم شيء " فمن كان يصلي في الحرم ومر أمامه إنسان فلا شيء عليه وليس له أن يمنعه من المرور حتى وإن كانت امرأة، ورسول الله ﷺ رآه أيضاً المطلب يصلي عند الحجر تمر أمامه المرأة والرجل وليس بينه وبينهم سترة ورآه يصلي والطوافون يمرون أمامه وما يمنعه، والمكان الآخر الذي لا يمنع فيه المار من المرور بين يدي المصلي إنما هو الروضة الشريفة الطاهرة المباركة فإنها جزء من جنة رب العالمين يفوح منها عبير الجنة . إن دين الإسلام هو نصوص وأوامر ونواهي وأفعال فعلها رسول الله ﷺ أما إذا كانت صفوف الناس تصلي يستترون بإمام وهم من وراءه صفوف فإن سترة الإمام هي سترة لهم جميعاً ويجوز أن تمر بين الصفوف فعن عبد الله بن عباس رحمه الله قال أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي بالناس في منى ومعني حمار أتان فمررت به بين يدي الصف فعندما وقفت ما عاب عليّ أحد " من هنا كان يجوز المرور بين يدي الصف ولكن ليس بتعمد ولكن إذا اضرتت إلى ذلك، وعن أبي ذر رحمه الله قال : قال رسول الله ﷺ إذا

كانت لك سترة ووضعتها فإنه يقطع صلاتك المرأة والحصار والكلب الأسود البهيم في الصحراء " وذلك وأنت تصلي خارج المسجد لابد أن تتقي مكان لا يكون فيه شيء يجذب انتباهك ويشوش عليك لأن رسول الله ﷺ يقول أن تتخذ شيء مثل مؤخرة الرحل سترة فإذا لم تتخذ ومرت امرأة أو حمار أو كلب أسود بهيم أي مفترس فإنه يقطع الصلاة لأن المرأة سوف تشغلك عن الصلاة وكذلك الحمار وكذلك الكلب الذي قد تخشى منه، وقال أبو ذر رضي الله عنه يا رسول الله فما بال الكلب الأسود من الأحمر من الأصفر قال إن الكلب الأسود البهيم شيطان، وليس معنى شيطان أنه يركبه عفريت ولكن شيطان هنا من شاط من أن قد يصيبك بعضه يجعلك تبحث عن دواء له هذا هو معنى شيطان ولا يتبادر إلى أذهان الناس أنه يركبه عفريت أو جن أو شيئاً من هذا القبيل. السترة إنما هي مستحبة ويكون الأمر فيها أشد إذا كنت في مكان تخشى أن تفسد عليك فيه الصلاة بينما يكون أخف إذا كنت في المسجد .

الصلاة

رسول الله ﷺ أسري به من بيت الله الحرام إلى بيت المقدس وفي بيت المقدس صلى بالأنبياء إماماً ولكنها كانت صلاة نافلة، ثم من بيت المقدس عُرج به إلى السماوات العلى بواسطة كن فيكون فكان عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى، محمد ﷺ يخوض بمعراجہ سماء بعد سماء حتى وصل إلى حضرة رب العزة عند سدرة المنتهى والسدرة هى شجرة من شجر النبق اختصها الله عز وجل بضخامة حجمها فكان رسول الله ﷺ يصف أوراقها كأنها آذان الفيلة وكأن ثمرها القلال كأنها الجرة الكبيرة وكذلك وصف هذه الشجرة فقال إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ولا يقطعها، لقد رأى من آيات ربه الكبرى رأى ألواناً تتلألأ رأى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، الله عز وجل أراد أن يكون محمد ﷺ ضيفه في هذه الحضرة الإلهية في هذا المكان الطاهر في أعلى عليين وتجلى عليه ربه رأى نور ما استطاع أن ينظر إليه أو يرفع بصره إليه عندما تجلى إليه رب العزة فأوحى إلى عبده ما أوحى فما هو الذي أوحاه إليه ربه إنما هو أمر عظيم وتكليف قوي وبأشد الأمور في دين الإسلام أمره بالصلاة وفرضها عليه وعلى أمته خمسين صلاة في اليوم والليلة ونزل بها رسول الله ﷺ بهذا التكليف طائعاً مسروراً حتى إذا مر في رحلة نزوله بنبي الله موسى عليه السلام فقال له بما كلفك ربك قال أمرني بخمسين صلاة في اليوم والليلة فقال له لقد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فما استطاعوا ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف - موسى كلیم الله يعلم من عشرته لليهود وخبرته بأحوال الناس أنهم لا

يطبقون هذا التكليف وقد أمرنا ألا نكون مثلهم فقد قال الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ ۖ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۚ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ الأحزاب 69 نبي الله موسى لم يسلم من كيد بني إسرائيل وآذاهم وهو نبيهم ورسول الله إليهم فما بالنا بغيره من الأنبياء والرسل من الذين جاءوا من بعده كيف تكون معاملة اليهود لهم لذلك قال نبي الله موسى لمحمد ﷺ لقد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل فما استجابوا لأمر من الله عز وجل يأمرهم به وإذا كان ذلك سلوك اليهود الذين عاشوا في عهد موسى عليه السلام فما بال أحفادهم من اليهود ورسول الله ﷺ يقول إن العرق دساس فإنهم أشد منهم نكاية بالوراثة وبالطبع الذي توارثوه جيلاً من بعد جيل بما ورثوه من حقد وغل وحسد أمة من بعد أمة فإذا كان موسى عليه السلام يقول أنه جربهم فما استطاع أن ينال منهم إيماناً بالله عز وجل وقد آتاهم بالمعجزات فما استجابوا فكيف يستجيبون لنا هذه الأيام والله إنهم لن يتجاوبوا معنا إلا إذا رأوا بأساً شديداً إلا إذا وجدوا عدة وعتاداً يفوق ما يملكون - رسول الله ﷺ أخذ بنصيحة موسى عليه السلام وعاد إلى رب العزة يسأله التخفيف فكانت أربعين صلاة ونزل بها ومر على موسى عليه السلام فقال له ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فلا زال على ذلك الأمر حتى أصبحت خمس صلوات ونزل بها ومر على موسى عليه السلام فقال له كذلك ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله ﷺ إني استحييت ولكن أرضى وأسلم ويأتيه الجواب من رب العالمين من الرحمن الرحيم هي خمس في العمل وخمسين في الأجر لا يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ، فكانت هي خمس صلوات في اليوم والليلة ولها أجر خمسين صلاة والله عز وجل ما

بدل كلماته وما فرضه على أمة محمد ﷺ اختصها الله عز وجل بالأجر الوافر وبالرحمة والسعة فكان من يعمل منهم حسنة له بمثلها عشرة فكانت الخمس صلوات بخمسين في الأجر، من هنا نعلم قدر الصلوات في دين الإسلام فإنها فرضت في أعلى عليين ولم تفرض في الأرض ولم يأتي بها وحياً عن طريق جبريل كما جاء بباقي الفروض والتكاليف مثل الصوم والزكاة والحج وكما جاء بسائر شرائع دين الإسلام ولكنها كانت أمراً من الله عز وجل إلى نبيه ورسوله محمد ﷺ من دون واسطة مما يدل على قدرها وعلو مكانتها لذلك كان رسول الله ﷺ يوصي الناس بها قبل أن يغادر الدنيا فكان يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم، وكذلك كان يحذر من التهاون في حقها فكان يقول من ترك الصلاة متمعداً فقد كفر، وخرج عن ملة محمد ﷺ وخرج عن دين التوحيد فقد جاء في حديث رواه جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ بين الرجل والكفر ترك الصلاة " وكذلك في حديث رواه بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ما بيننا وبينهم ترك الصلاة آية ما بيننا وبين المشركين ترك الصلاة " ورسول الله ﷺ يقول لا سهم في الإسلام لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له " الذي لا يصلي ليس من أمة محمد ﷺ حتى وإن تسمى بأسماء المسلمين وقد قال لنا أن تارك الصلاة حكمه حكم المرتد عن دين الإسلام الخارج عن الملة فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة من ترك واحدة منهن فهو كافر حلال الدم - ثلاثة دعائم في دين الإسلام هي التي تقول أنك مسلم إذا تركت واحدة منها فأنت كافر بالثلاثة حلال الدم ذلك قول رسول الله ﷺ في هذا الحديث - شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان " هذه الثلاثة من ترك واحدة منها فهو كافر بالثلاثة لا يقبل منه

إسلام وليس من أهل الإسلام وقد يقول قائل هناك أحاديث تقول بالزكاة والحج فلنعلم أن الزكاة والحج قد تسقط على فئات من الناس فلا يُكلف بها إلا من بلغ في ماله نصاب الزكاة ومن لم يبلغ فقد سقط عنه الفرض وكذلك في الحج فلا يكلف به إلا من ملك الزاد والراحلة ومن لم يملك فلا حج عليه فليس مكلف بهما كل الناس بينما الثلاثة التي وردت في الحديث ومنها الشهادة فهي الأساس الأول والنطق بها لا يكلف شيئاً وعليه بعدها أن يقوم بتبعاتها من أوامر ونواهي فكان من أوامرها إقامة الصلاة التي كان التكليف بها من فوق سبع سماوات هذه الصلوات المكتوبة كان تاركها حلال الدم والصلوات أهم من الصيام وأقوى فرضية منه فالصيام تم فرضه في الأرض بينما الصلاة فرضت في السماء وما كان الذي يُفرض في السماء أقل شأنًا مما يُفرض في الأرض ونجد الناس تعد نفسها لرمضان وتعد له العدة وهناك من لا يصلي إلا في رمضان نقول له خير ولكن فاتك الخير الكثير ورسول الله ﷺ في حديث لأبي الدرداء رضي الله عنه قال أوصاني خليلي قال لا تشرك بالله شيئاً وإن حرقت وإن قتلت ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برأت منه الذمة ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر " ولنعلم أن أحاديث رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين تقول أن تارك الصلاة كافر وحلال الدم ولكن مذاهب أهل الفقه في دين الإسلام شرحت هذه الأحاديث فاتفقت مذاهب الإمام مالك والشافعي وأبو حنيفة وخالفهم الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم فالثلاثة قالوا أن الذي يكفر هو الذي يترك الصلاة جحوداً بها وطعناً في فرضيتها فكان ذلك هو المعني بالكافر في الأحاديث التي وردت ولكن من تركها كسلاً فإن الأمر فيه أخف بينما الإمام أحمد بن حنبل أصر على نفس منطوق الأحاديث فقال بأنه

يكفر كل من ترك الصلاة والإمام الشافعي والإمام مالك قالوا تارك الصلاة يُستتاب فإن تاب وأقام الصلاة حقن وإلا قتل والإمام أبو حنيفة قال أنه يُترك لعل الله عز وجل أن يتوب عليه ولكن يلح عليه في النصح وطلب الصلاة وكل الأئمة جاءوا بما قالوا ليس من عند أنفسهم فإنهم ما كانوا ليتطاولوا أو يتقولوا في دين الإسلام وإنما جاءوا بها من قول الله عز وجل إن الله يغفر الذنوب جميعاً إلا أن يُشرك به فكان الإستثناء هنا الشرك وما استثنى غيره ما جمعت مع الشرك الصلاة فكان من هنا قولهم بما قالوا والأمر الثاني هو حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي فهي نائلة بإذن الله تعالى كل من مات لا يشرك بالله شيئاً " وإذا نال شفاعة رسول الله ﷺ دخل الجنة بعد أن ينال جزاءه من التقريط ورسول الله ﷺ قال في حديث له أسعد الناس بشفاعتي من مات لا يشرك بالله شيئاً " كانت هذه أقوال الأئمة من حديث آخر رواه عباد بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ خمس صلوات فرضهن الله عز وجل على عباده في اليوم والليلة فمن أتى بهن لم يضيع منهن شيئاً كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن لم يكن له عند الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه .

إن شاء الله غفر له رجعت المشيئة إلى رب العزة إلى الرحمن الرحيم الذي يقبل التوبة عن التائب فإنه هو قابل التوب وغافر الذنب رب السماوات والأرض فاستغفروه ليل نهار لعله يمحو خطايانا جميعاً إنه على كل شيء قدير .

يقول الله عز وجل ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ مريم 59 ويقول الله عز وجل ﴿مَّا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ المدثر 42 - 43

كانت هذه تبين لنا مآل الذين يضيعون الصلوات، ولا يتبادر إلى أذهان بعض الناس أن قول الشافعي ومالك وأبو حنيفة رضي الله عنهم معناه أن يترك المسلم الصلاة فإن الذي يتهاون فقط فيها هو في خطر عظيم والتهاون قد يكون بتأخيرها عن وقتها أو يصلي فرض ويترك الآخر بغير عذر لأن الأعداء التي أمرنا بها في دين الإسلام تبيح لنا أن نؤخر أو نجمع ولكن القول في الذين يتعمدون بغير عذر فإن رسول الله ﷺ يقول في فرض واحد في العصر يقول من فاتته العصر فكأنما وتر أهله وماله ذلك في العصر فقط، وحديث آخر أجمع وأشمل يقول من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله " وذلك حتى لا يقول قائل ما بال العصر لأن الناس أيامها كانوا يقيلون بعد الغذاء بعد الظهر فكان النوم مدعاة لأن يتكاسلوا عن العصر أو مثلها، رسول الله ﷺ هو الذي قال ذلك في فرض واحد ويوقل في حديث له معناه من ترك صلاة متعمداً أحبط الله عمله وبرأت منه الذمة " فلا تقبل منه زكاة ولا عمرة ولا حج وكل أعماله الصالحة تحبط ويتبرأ الله منه حتى يرجع ويتوب إلى الله عز وجل، فإن أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فإن صلحت صلح سائر العمل وإن فسدت فسد سائر العمل إذا قبل الله الصلاة قبل بعدها سائر الأعمال ويقول رسول الله ﷺ أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فإن صلحت فقد أفلح وإن نقصت فقد خاب وخسر "

إن الصلاة هذه التي تلقاها رسول الله ﷺ من رب العزة عند سدرة المنتهى في معراجِه وهو في الأفق الأعلى يجب علينا أن نتخذها معراجاً نحن أيضاً نعرج بها وكأننا أمام رب العالمين فإن فيها راحة تريح بها بدنك ونفسك فقد كان رسول الله ﷺ إذا وجب وقتها يقول للمؤذن أرحنا بالصلاة يا بلال " والصلاة لها ثلاثة أجنحة الأول الإخلاص والثاني

الخشية والثالث ذكر الله عز وجل فالإخلاص يأمرك بالمعروف والخشية تنهاك عن المنكر وذكر الله عز وجل يأمرك وينهاك، وقد سئل رسول الله ﷺ في حديث رواه عمران بن حصين رضي الله عنه قيل يا رسول الله ما قول الله عز وجل ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ العنكبوت 45 قال رسول الله ﷺ من لم تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له لأنه يكون من الأسفلين يكون وقتها من أهل الدنيا ما كان من أهل المعراج وما كان من أهل الجنة، وعبد الله بن عباس رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ من لم تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً " لأنه ما صلى الصلاة التي أرادها دين الإسلام التي تلقاها رسول الله من رب العزة صلاة تجعله في عليين في حضرة الإله عز وجل فكيف إذا كنت كذلك تكون من أهل الفحش والمنكر والفساد، يقول الله عز وجل ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ. فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة 238-239 ورسول الله ﷺ خرج على الناس فقال أيها الناس اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا إذا أمرتم تدخلوا جنة ربكم "

إن الصلاة تسود وجه الشيطان فمن أراد ألا يكون للشيطان عليه سبيلاً فلا يترك صلاة مكتوبة، ومن همه شيء فليبادر إلى الصلاة لأن الله عز وجل يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة 153

صلاة التطوع

قال رسول الله ﷺ من غدا إلى مسجد يريد أن يتعلم علماً أو يعلمه كان له كأجر حجة تامة وإن العلماء هم ورثة الأنبياء " واللّه عز وجل لا يقبض العلم انتزاعاً ولكن يقبضه بقبض العلماء وأمة محمد ﷺ أمرت بأن تكون أمة العلم فإن أول ما نزل عليها سورة اقرأ لذلك كان العلم من الفرائض في دين الإسلام وأعلى درجات العلم في دين الإسلام هو علم الفقه ورسول الله ﷺ في حديث رواه عبد الله بن عباس ؓ يقول فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد " وذلك لأن الذي يعبد الله عز وجل هكذا بالاتباع هو وأهل الجاهلية والعياذ بالله سواء فإنهم كانوا يقولون وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون، ورسول الله ﷺ أمرنا أن نعبد الله عز وجل كما يحب الله ويرضى وليس بالهوى، والعبادات في دين الإسلام من الأمور التوقيفية ليس فيها مجال للإجتihad فمن قال أجتهد في الصلاة فيزيد فيها أو ينقص منها فإن صلاته باطلة لأن رسول الله ﷺ ترك هذه الأمة وقد بين لها كل أمر في هذا الدين وكيف نعبد الله عز وجل ومن أسمى العبادات في دين الإسلام الصلاة ورسول الله ﷺ مازال يوصي الناس بها حتى آخر عهده بالدنيا وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة يقول أيها الناس الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم، وقد جاء في حديث له يقول تُنتقض عرى الإسلام عروة عروة فأولها انتقاضاً الحكم - فالناس تحكم بالهوى وبما يشاءون ولا يحكمون بما أنزل الله - وآخرها نقضاً الصلاة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها يريدون أن يتمسكوا بحبل الله " يريدون أن يجعلوا أنفسهم موصولون بالله عز وجل، والصلاة هي أول ما يُحاسب عليه العبد يوم

القيامة فإن صلحت صلح عمله كله وإن فسدت فسد عمله كله كما أن آية ما بين الإيمان والكفر ترك الصلاة فإن ترك الصلاة هو الذي يجعل الإنسان أقرب إلى الكفر منه إلى الإيمان فإن رسول الله ﷺ حذر من ترك الصلاة لأنها نور في القلب والبصر والبدن كله وهي نور في الدنيا ونور في الآخرة والذي قال عنها إنها نور هو رسول الله ﷺ فقال الحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السماوات والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصوم ضياء والقرآن حجة لك أو عليك " وإن كان محمد ﷺ هو قائلها فإنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى والقرآن هو الميزان الذي سوف تحاسب على ترك آياته سوف تعرض عليك آية آية هل عملت بها أم كفرت بها هل أنت مؤمن بها أم جاحد وناكر لها هل عملت بما جاء فيها أم لا ، وكل الناس تغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها كل الناس في الحياة يروح ويحيى فمنهم من يبيع نفسه لله عز وجل ومنهم من يبيع نفسه للشيطان والعياذ بالله وقد جاء في حديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال ذكر رسول الله ﷺ الصلاة يوماً فقال من حافظ على الصلاة كانت له نور وبرهان ونجاة يوم القيامة - نور ينير له الطريق وبرهان على أنه من أهل الإيمان ونجاة من النار - ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نور ولا برهان ولا نجاة وحشر يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف " حُشِر مع الحكام والوزراء الظلمة الذين تنكبوا طريق الحق لا يعدلون بين الناس وكان مثلاً لهم فرعون ووزيره هامان وحُشِر مع الذين يحبون الأموال ويكنزونها ومع الذين يكابرون وتلههم أموالهم وتجارتهم عن ذكر الله وعن الصلاة وكان منهم قارون وحُشِر مع أهل الكبر والخيلاء والغطرسة مثل أبي بن خلف ، رسول الله ﷺ لم يأت بهذه الأسماء إلا لإرداء ولنعلم أن هذه الصلاة نجاة .

الله عز وجل يقول ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۖ ذَٰلِكَ ذِكْرُكَ لِلذَّاكِرِينَ﴾ هود 114
 جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله إني أذنبت ذنباً فهل يُغفر لي فكانت تلك الآية هي الرد عليه فإن الصلاة تمحو الخطايا والذنوب، وقال رسول الله ﷺ في صلوات الليل والنهار أرايتم لو أن بيباب أحدكم نهراً يغتسل منه في اليوم خمس مرات هل يبقى ذلك من درنه شيئاً - لو أن أمام باب أحدكم نهراً ويخرج كل يوم يغتسل فيه خمس مرات هل يعلق في جسده ذرة من تراب أو أي شيء يدنس هذا الجسد - قالوا لا يا رسول الله قال كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الذنوب والخطايا "وقد كان ذلك من عند رب العالمين .

ولنعلم أن النافلة في دين الإسلام هي من الأمور التي جعلها الله عز وجل تقرباً إليه وقبل أن تكون تقرباً إليه كانت لها الفضل على مؤديها تطهيراً له وجبراً لصلاة الفرض إذا كان فيها ما يخدشها فكانت رحمة من الله عز وجل، ورسول الله ﷺ يأتيه ربيعة بن مالك الأسلمي يقول له اسأل يا ربيعة فقال أسألك مرافقتك في الجنة يطلب رفقة رسول الله ﷺ في الجنة قال أو غير ذلك قال هو ذلك أي لا يقبل غيرها فقال له أعني على نفسك بكثرة السجود " فكانت الصلاة هي من الأعمال التي تجعل الإنسان رفيقاً لمحمد ﷺ في الجنة والله عز وجل يقول ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ البينة 5 الصلاة إذا كانت لله عز وجل وكان فيها الإخلاص جزاء مؤديها مرافقة رسول الله ﷺ في الجنة، وفي حديث رواه أبو أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ما أذن الله لعبده في شيء أكثر من صلاة ركعتين يصليهما لله عز وجل وإن البر ليظل على

رأس العبد ما دام في صلاته " البر والرحمة من الله عز وجل تنزل ولا
 تزال على رأسه وجسده ما دام في صلاته، وعن الأحنف بن قيس رضي الله عنه أنه
 رأى أبا ذر رضي الله عنه يصلي عدداً من الركعات ما استطاع أن يحصيها له
 وعندما سلم قال له أتدري يا أبا ذر كم صليت فقال له إن كنت لا أدري
 فإن الله عز وجل يدري " إن كان هو لا يحصي عدد الركعات التي
 صلها فلأنه يصلي لله عز وجل وليس في ذهنه أن يحصيها ثم قال لقد
 سمعت حبيبي صلى الله عليه وسلم يقول من سجد لله سجدة رفعه الله بها درجة وحط عنه
 بها خطيئة، سجدة واحدة لله عز وجل يرفعه بها درجة ويحط عنه بها
 خطيئة، وفي حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما
 يحاسب عليه الناس من أعمالهم يوم القيامة الصلاة يقول الله عز وجل
 لملائكته وهو أعلم انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقص منها شيء فإن
 كانت تامة كتبت له تامة وإن نقص منها شيء قال الله عز وجل
 لملائكته انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع جبر نقص
 صلاته من تطوعه وعلى ذلك تؤخذ سائر الأعمال من زكاة وصوم تجبر
 الفرض بما تطوع به الإنسان من نافلة لأن تعريف التطوع هو ما يقوم به
 المسلم من قربات إلى الله عز وجل زيادة على الفريضة التي فرضها الله
 عليه في العبادات، والتطوع والنافلة في الصلاة هو كل ما تطوع به رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وأخذناه عنه فكان ذلك التطوع منه سنناً واجبة وهي التي حافظ
 وداوم على أدائها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتركها وجاءت الأحاديث التي تقول
 إنها سنن راتبة أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي أربعة ركعات قبل صلاة
 الظهر وركعتين بعده وركعتين بعد صلاة المغرب وركعتين بعد صلاة
 العشاء وركعتين قبل صلاة الصبح وركعة الوتر فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم
 يكن يترك ركعتي رغبة الفجر ولا ركعة الوتر لا في سفر ولا في حضر
 كان ملتزماً بها لأن صلاة النوافل في السفر يكون الإنسان غير مطالب

بها ولكنه إذا صلاها كان له بها أجر عظيم، وعبد الله بن عمر رضي الله عنه هو الذي كان يقول ذلك كان ينظر إلى من يتنقل في السفر إلى من يصلي تطوعاً في السفر ويقول لو كنت مسبحاً لأتممت صلاتي ولكن رسول الله ﷺ ما كان يترك رغبة الفجر ولا ركعة الوتر في سفر ولا حضر، وهذه الركعات جاءت كذلك في حديث نقلته لنا أم حبيبة رضي الله عنها زوجة رسول الله ﷺ قالت : قال رسول الله ﷺ من صلى اثنتي عشرة ركعة في اليوم واليلة بنى الله له بيتاً في الجنة " فقط اثنتي عشرة ركعة تجعل لك بيتاً في الجنة تملكه وتسكن فيه ليس مثل بيوت الدنيا بالطوب والأسمنت وإنما هو من الزبرجد والياقوت والمرجان كان ذلك قول رسول الله ﷺ في هذه السنن الراتبية، وهناك سنن أخرى غير راتبية كان رسول الله ﷺ يصليها ويتركها ويأمر بها تحبباً للناس في كثرة الثواب وفي القرب إلى الله عز وجل بها ومنها أربعة ركعات قبل الظهر وأربعة بعده وجاء ذلك في حديث روته أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ من صلى قبل الظهر أربعة وصلى بعده أربعة حرم الله جسده على النار " فكان بزيادة الركعتين عن السنة المؤكدة حرم الله بها جسده على النار وقد كان رسول الله ﷺ يصليها ويتركها فما كانت مؤكدة وكذلك قبل العصر أربع ركعات وردت في حديث رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ رحم الله امرئ صلى قبل العصر أربعة " ونريد أن نلفت النظر أن هذه الأحاديث إن كانت تنطق بصيغة الرجال فإنما هي للرجال والنساء والعبيد، وفي حديث ثان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يصلي قبل العصر ركعتين " ومنها كذلك صلاة ركعتين قبل المغرب وهي غير مؤكدة ففي حديث رواه عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ صلوا قبل المغرب وكررها ثلاث ثم قال لمن شاء " وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان

صحابة رسول الله ﷺ يبتدرون السواري يصلون قبل المغرب حتى أن الرجل الغريب إذا دخل المسجد لصلاة المغرب ظن أن الصلاة قد انتهت "هم لم يصلوا المغرب بعد ولكنهم كانوا يصلون ركعتين قبلها فمن دخل وجدهم على ذلك الحال ظن أنهم يؤدون السنة التي بعد المغرب، ومن السنن غير المؤكدة عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يصلي ست ركعات بعد صلاة المغرب وكان يقول من صلى بعد المغرب ست ركعات غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر "وزبد البحر هو الريم الأبيض الذي يعلو الموج هل يستطيع أحد أن يحصي عدده فإن كانت الذنوب مثل هذا الزبد غفرها الله عز وجل بصلاة هذه الست بعد المغرب وتلك الصلاة يسميها أهل الفقه صلاة التوابين، ثم بعد العشاء المؤكدة ركعتين وركعة الوتر ولكن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول ما صلى رسول الله ﷺ العشاء ودخل عليّ إلا وصلى أربع ركعات أو ست ركعات "وكذلك قالت ما صلى رسول الله ﷺ بعد العشاء في رمضان أو غير رمضان أكثر من أحد عشر ركعة "ولنعلم أن صلاة الصبح ليس لها إلا ركعتين مؤكدتين قبلها ومن دخل المسجد بعد الصلاة لا يصلي إلا ركعتي رغبة الفجر وتكون هي صلاة تحية المسجد في آن واحد .

صلاة التطوع

يقول رسول الله ﷺ الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تقسم ظهره والتحابب في الله والتودد في العلم يقطع دابره فإذا فعلتم ذلك تباعد عنكم الشيطان كبعد مشرق الشمس إلى مغربها " وذلك لأن الشيطان لا يتواجد في مكان فيه حب مودة فيه علم وتعلم وكان السلف الصالح وعلماء دين الإسلام وفقهائه أحرص الناس على العلم وقد كانوا علماء أجلاء ووصلت درجة علمهم إلى الذروة ولكنهم مع ذلك كانوا يتوددون بالعلم ويطلبون المزيد ، وقد مر رجل في يوم من الأيام بالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ووجد معه محبرة يكتب بها ما يصادفه من أحاديث أو معلومة لم تكن عنده فقال له حتى أنت يا إمام لقد وصلت إلى درجة عظيمة من العلم ولا زلت تمسك بالمحبرة والقلم فقال الإمام معي المحبرة حتى المقبرة ، ما قال إني أعلم خلق الله وما قال أن الناس كلها تأخذ العلم عني ولكنه كان حريصاً على أن يتزود علماً نافعاً وهكذا يجب أن يكون كل فرد في أمة محمد ﷺ ، وفي حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل من عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بأحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإن أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني ل أعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه "

والتطوع هو التقرب إلى الله عز وجل بالأعمال الصالحة زيادة على الفريضة والتطوع إما تطوع مطلق أو تطوع مقيد والمطلق هو أن تصلي ما شاء الله لك أن تصلي والمقيد هو السنن الرواتب التي كان رسول الله ﷺ

يؤديها ويحرص عليها وأمر بها ، إذن المطلق هو أن تصلي من ليل أو نهار ركعتين ركعتين فإن رسول الله ﷺ يقول صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشيت الصباح فأوتر بواحدة ، ويقول في حديث آخر صلاة الليل والنهار ركعتين ركعتين أو مثنى مثنى " وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت مفتاح الصلاة الطهور وبعد كل ركعتين تسليم أي أن التطوع المطلق ذلك الذي ليس فيه تقييد وكان صحابة رسول الله ﷺ كما جاء عن أبي ذر رضي الله عنه يصلونها ولا يعدون كم صلوا وعندما سُئل قال إن كنت لا أعلم عددها فإن الله عز وجل يعلم عددها فإني سمعت حبيبي ﷺ يقول من سجد لله سجدة رفعه بها درجة وحط عنه بها خطيئة " ولكن العبادات تؤخذ عن رسول الله ﷺ وهو الذي قال ركعتين ركعتين ولكنه في بعض الأحيان كلن يصلي أربع ركعات في تسليم واحد وكان يصلي ثلاث ركعات الوتر أو خمس ركعات الوتر أو سبع ركعات الوتر ويسلم في آخرها أراد رسول الله ﷺ أن يعلمنا أن هذا الفعل لا يبطل الصلاة ولكنه ما كان يحرص عليه ، وصلوات التطوع المطلق تكون في أي وقت إلا أوقات النهي التي نهى عنها رسول الله ﷺ تلك الأوقات وردت في أحاديث منها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس ولا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس " وفي حديث آخر عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال ثلاث أوقات نهانا رسول الله ﷺ أن نصلي فيها أو نقبر موتانا إذا طلعت الشمس بازغة حتى ترتفع وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس وحين تضيف الشمس إلى الغروب " هذه الأوقات الثلاثة فيها النهي عن الصلاة أو دفن الموتى وقت طلوع أو شروق الشمس حتى ترتفع ظاهرة بعد الضحى وعندما تكون الشمس قائمة على رؤس الأشهاد أي قبل صلاة الظهر بلحظات

فلا يكون للشيء ظل أي تكون عمودية تماماً حتى تميل وتتحرّف
ويكون للشيء ظل وحين تقترب الشمس من الغروب .

وأوقات النهي أجمع الفقهاء على خمسة أوقات رغم أن ما جاء في
الأحاديث ثلاثة ولكنهم عندما شرحوها جعلوها خمسة من بعد صلاة
الصبح حتى تطلع الشمس ووقت طلوع الشمس وعندما يقوم قائم الظهيرة
قبل آذان الظهر مباشرة وبعد صلاة العصر ووقت غروب الشمس والأرجح
في النهي أن تتحرى هذه الأوقات وتتعمد الصلاة فيها بينما يكون هناك
متسع من الوقت في غيرها لصلاة التطوع، وأم المؤمنين عائشة رضي الله
عنها قالت : قال رسول الله ﷺ لا تتحننوا بصلاتكم طلوع الشمس أو
غروبها فإنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان " ولكن أوقات النهي هذه
يجوز فيها صلوات منها حالات النسيان والنوم فقد قال رسول الله ﷺ من
نام عن صلاة أو نسيها فليصلها متى ذكرها " فمن نام أو نسي صلاة
فلا وقت للنهي فيها يصلّيها وقت ما ذكرها ، والإمام الشافعي رحمه الله يقول
في صلاة تحية المسجد إذا دخلت المسجد في أي وقت من الأوقات فإن
للمسجد تحية يجب أن تؤديها فهل إذا دخلت على ناس في أي وقت لا
تسلم عليهم ولا تحيّيهم فإن المسجد بيت الله عز وجل والسلام على الله
هو أداء ركعتي تحية المسجد لأن رسول الله ﷺ قال إذا دخل أحدكم
المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس " ولم يجعل لها وقت محدد لذلك
قال الإمام الشافعي رحمه الله أن سنة تحية المسجد ليس فيها وقت للنهي ،
وكذلك قال عن سنة الوضوء لأن عثمان بن عفان رضي الله عنه توضأ يوماً ثم قال
أن رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا ثم قال من توضأ مثل وضوئي
هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه "
لذلك قال الإمام الشافعي رحمه الله أن سنة الوضوء وتحية المسجد ليس لهما

وقت نهي، وكذلك في حديث عن جابر رضي الله عنه يقول فيه دخل سليك الغطفاني المسجد ورسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة فهم بالجلوس فقال له رسول الله ﷺ يا سليك قم واركع ركعتين وتجاوز فيهما " من هذا الحديث أيضاً جاء الإمام الشافعي بفتواه بجواز صلاة تحية المسجد في أي وقت، وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا جاء أحدكم المسجد يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجاوز فيهما .

وصلاة التطوع والنافلة لا قضاء فيها إلا في اثنين والذي أمر بهما هو من نأخذ عنه التشريع ومن هذا القضاء ركعة الوتر ليس لك عذر أن تتركها لأن رسول الله ﷺ يقول من نام عن الوتر أو نسيه فليصله إذا أصبح " وذلك لأن ركعة الوتر اقتريت من الفريضة فقد جاء في حديث عن عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ إن الله زادكم صلاة وهي الوتر من بعد العشاء وحتى قبل صلاة الفجر " ولكن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول إن الوتر ليس بحتم كصلاتكم المفروضة ولكن رسول الله ﷺ خرج علينا وهو يقول يا أمة القرآن إن الله وتر يحب الوتر فأوتروا " لذلك أمر رسول الله ﷺ بقضاء ركعة الوتر، والنافلة الأخرى التي فيها قضاء هي ركعتي رغبة الفجر إذا لم يتمكن إنسان من صلاتها لأي سبب فلا يقول إنها نافلة أو سنة فإن رسول الله ﷺ رأى رجل يسمى قيس يصلي ركعتين بعد صلاة الفجر فقال له ما هاتين الركعتين قال يا رسول الله هما ركعتي الفجر لم أصليهما فأقره رسول الله ﷺ على ذلك ولم ينهاه ولكن جاء في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من لم يصلي ركعتي الفجر فليصليهما بعد طلوع الشمس " فكان ذلك تأكيد على وقت النهي ولكن من صلاهما بعد صلاة الصبح بقليل أو ملازماً له فهذا يجوز وهذا يجوز، ولماذا أمر رسول الله ﷺ

بقضاءهما لأنهما من السنن التي كان يحرص عليها ولا يتركها في سفر ولا حضر وكان دائماً يأمر بها ويرغب فيها فيقول لا تدعوا ركعتي الفجر وإن طاردكم الخيل " المقصود هنا حتى وإن كنتم في معركة واقترب منكم خيل العدو فلا تدعوها فأى فضيلة لهاتين الركعتين وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله ﷺ أحرص على شيء من النوافل حرصه على رغيبتي الفجر أو على ركعتي الفجر " ولنعلم جيداً أنه بعد آذان الفجر فإن الإنسان المسلم إذا كان متبعاً لسنة رسول الله ﷺ فإنه لا يزيد بين الآذان وبين الصلاة عن هاتين الركعتين فإن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ ليبلغ شاهدكم غائبكم ألا صلاة بعد الصبح إلا ركعتين " معنى ذلك أن رسول الله ﷺ قال لجمع قليل في المسجد ليبلغ الحاضر الغائب أنه لا صلاة بعد الصبح أي بعد آذان الصبح إلا ركعتي رغبة الفجر ثم بعدهما صلاة الصبح فلا تطوع بين الآذان والإقامة ، وإذا صلى إنسان ركعتي الفجر في بيته وأتى إلى المسجد فهل يدخل المسجد هكذا ويجلس حتى تُقام الصلاة لا إنه يصلي ركعتين تحية المسجد والشيء الوحيد الذي يمنع الإنسان من أن يصلي تحية المسجد هو إقامة الصلاة لأن رسول الله ﷺ يقول إذا اقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة "

من الأفضل في صلاة التطوع أن تؤدي في البيت فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ صلاة الرجل في بيته نور فمن استطاع فلينور بيته " وكذلك يقول لا تجعلوا بيوتكم قبوراً - خالية من ذكر الله ومن الرحمة تنفر منها الملائكة تسكنها الشياطين - ولا تجعلوا قبوري عيداً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تصلني حيث كنتم " وكذلك في حديث رواه زيد بن ثابت رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ صلاة

الرجل في بيته تطوعاً أفضل من صلاته في مسجدي هذا " وكما نعلم أن الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ بألف صلاة فيما سواه ولكن صلاة التطوع في البيت أفضل منها في المسجد ، وأوقات النهي التي أوردناها لا تمنع صلاة الذين يحضرون المسجد الحرام ولا تمنع صلاة ركعتي الطواف فإن رسول الله ﷺ قال يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحداً جاء هذا المسجد من الصلاة في أي وقت شاء من ليل أو نهار " يقصد المسجد الحرام ، وإن صلاة التطوع هذه من أفضل القربات إلى الله عز وجل فإن رسول الله ﷺ يقول الصلاة خير موضوع فمن شاء فليكثر ومن شاء فليقل " الصلاة خير فريضة في دين الإسلام فمن شاء أن يكثر من الفضل ومن عدد الصلوات ومن شاء فليقل فإن الله عز وجل غني عن العالمين وما طاعة الناس وتقريبهم إلى الله إلا في مصلحة الخلق إذ تعود عليهم برضى الله عليهم .

السنن الراتبية

يقول الله عز وجل ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ البقرة 152 ويقول الله عز وجل في حديث قدسي : يا بن آدم إذا ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي وإذا ذكرتني في ملاء ذكرتك في ملاء خير منه أو ملاء من الملائكة وإذا تقربت إليّ شبراً تقربت إليك ذراعاً وإذا تقربت إليّ ذراعاً تقربت إليك باعاً وإذا اتيتني تمشي أتيتك هرولاً " الله عز وجل يذكر الذاكرين له على نفس الكيفية بل يزيدهم فضلاً بأن يذكرهم في ملاء خير منهم وهم الملائكة الذين هم أقرب الخلق إلى الله عز وجل وأي كرم هذا من الله عز وجل، ويقول الله عز وجل في حديث قدسي " ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإن أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن استعاذني لأعيذنه ولئن سألتني لآعطينه " أعظم القربات إلى الله عز وجل بالنوافل التي فرضها الله على عباده لأن الله عز وجل عندما يأمر العباد بعبادته إنما اختار لهم الكيفية التي ارتضاها لهم فلا يُعبد الله عز وجل بالهوى إنما يُعبد كما يحب ويرضى، وكما نقل إلينا محمد ﷺ كيف نعبد الله عز وجل فإن رسول الله ﷺ لم يتركنا هملاً إنما بين لنا الدين وأوضح لنا الطريق، وبالتطوع تتقرب إلى الله عز وجل حتى تصل إلى درجة حب الله لك وإذا وصلت إلى درجة أن تكون محبوباً من رب العالمين فإن الجزاء عظيم والفضل كبير فيكون في معية الرحمن ويصل إلى درجة عالية في ذلك الكون يكون الله عز وجل معه حين يسمع وحين يبصر وحين يأخذ أو يعطي أو يجلس أو يمشي

وإذا استعاذ بالله من أي شيء أعاده منه وإذا سأله أعطاه ومن غير الله عز وجل يعطي ويمنع فكان كل هذا الجزاء لمن تقرب إلى الله عز وجل بالنوافل، وهناك فوائد أخرى من التطوع والنفل فقد جاء في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل لملائكته وهو أعلم انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقص منها شيء - هناك إنسان فرط في صلاته وقد يكون ذلك في أول حياته لأن هناك إنسان يصلي وليس له من صلاته إلا عشرها أو ربعها أو نصفها - فإن كانت تامة كتبت تامة وإن نقص منها شيء فيقول الله عز وجل انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال أتموا فريضة عبدي من تطوعه " وكذلك في سائر العمل لأن رسول الله ﷺ قال في ذلك الحديث ثم يؤخذ سائر العمل على ذلك لأن رسول الله ﷺ قال في ذلك الحديث ثم يؤخذ سائر العمل على ذلك .

ونحن في سياق الحديث عن الصلاة والتطوع فيها لنعلم أن الصلاة هي أفضل الأعمال فقد جاء في حديث لرسول الله ﷺ يقول فيه استقيموا ولن تحصوا أي استقيموا على طريق الجادة على طريق الإسلام ولن تحصوا أي إنكم لن توفوا الله عز وجل حقه ولن تجزوه جزاء ما أنعم به عليكم من نعم فإن نعمة واحدة أنعمها الله على عباده مثل نعمة البصر لا يكافئها كل ما تقرب به العبد إلى ربه من عمل ولو وضعت في كفة ميزان ووضع في الأخرى كل عمل العبد لرجحت كفة نعمة الله عز وجل، ثم قال رسول الله ﷺ وإن من أفضل أعمالكم الصلاة، وقد قال رسول الله ﷺ لرجل من الصحابة هو ربيعة بن مالك الأسلمي قال له سل يا ربيعة وقد ظن رسول الله ﷺ أنه سوف يطلب مالا أو شيئاً من عرض الدنيا ولكنه طلب وسأل شيئاً جليلاً عظيماً قال يا رسول الله أطلب

ملازمتك في الجنة أرجو أن أكون رفيقك في الجنة فقال له رسول الله ﷺ يا رببعة أعني على نفسك بكثرة السجود أي بكثرة الصلاة لله عزوجل ، وأبو ذر رضي الله عنه كان يصلي بالمسجد ويجلس إلى جواره الأحنف بن قيس رضي الله عنه ورآه يصلي كثيراً فلما سلم من الصلاة قال له يا أبا ذر أتدري كم صليت قال إن أم أكن أعلم فإن الله عز وجل يعلم وإني سمعت خليلي ﷺ يقول من سجد لله سجدة واحدة رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة " وكذلك جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقد كان صحابته يعترفون بالذنوب ويريدون أن يتطهروا منه قال يا رسول الله أذنبت ذنباً فهل لي من توبة ولأن رسول الله ﷺ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى هو مبلغ دين الإسلام فلم يرد عليه شيئاً إنما الذي تولى الرد هو الله عز وجل فأنزل جبريل بآية يقول الله عز وجل فيها ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَلِكُمْ ذَكَرْتُمْ لَكُمْ لِيَذَكَّرُونَ﴾ هود 114 فمن وقع في شيء فليسارع إلى الصلاة يسجد لله عز وجل في ركعتين يتوب الله عز وجل عليه بهما ويخرجه مبرأ من كل عيب ذلك قول الله عز وجل في هذه الآية ، وكذلك هي صلاة التطوع قبل الصلاة المكتوبة أو بعدها فإن كانت قبل الصلاة فهي كما قال عنها أهل الفقه تهيأ الإنسان للوقوف أمام رب العالمين في الفريضة وأما إن كانت بعد الصلاة المكتوبة فقال أهل الفقه أنها تجبر النقص في الصلاة لأن الإنسان يصلي ولا يدري ما قبل الله منها وهل كانت تامة أو لا فكان التطوع بعد الصلاة فيه جبراً سريعاً لما قد يكون نقص من صلاة الفرض وقد يقول قائل وإن لم يكن بها نقص وكانت تامة ولم أشرد فيها نقول كان فيها الأجر والثواب وكانت ماحية للذنوب والخطايا .

رسول الله ﷺ كان يصلي سنناً راتبة وكانت هذه السنن على درجتين منها سنناً مؤكدة وهى التي واطب وداوم وحرص عليها رسول الله ﷺ ولم يتركها أبداً، ومنها سنناً غير مؤكدة نقلت عنه ولكنه كان يصليها أحياناً ويدعها أحياناً، ومن أكثر السنن تأكيداً سنة الفجر ركعتي الغداة والغداة تطلق على صلاة فريضة الفجر وهى ركعتين كان رسول الله ﷺ يحب فيهما فقال في حديث له ركعتي الفجر خير من الدنيا وما فيها " فإذا قالها رسول الله ﷺ فهى حق فهما خير من الدنيا وما فيها فلماذا نتكاسل عنها وكذلك قال لا تدعوا ركعتي الفجر وإن طاردتكم الخيل " حتى وإن كنتم في المعركة وقد اقتربت منكم خيل العدو فلا تتركوها، وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت ما كان رسول الله ﷺ أشد تعاهداً على شيء من النوافل أكثر من ركعتي الفجر " كان رسول الله ﷺ يصلي بين آذان الفجر والإقامة ركعتين فقط لا يزيد عنهما ويقرأ في الأولى قل يا أيها الكافرون وفي الثانية قل هو الله أحد وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كان لا يقرأ فيهما إلا بفاتحة الكتاب، وجاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه كان يقرأ في الأولى قول الله عز وجل ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

آل عمران 84 وكان يقرأ في الثانية قول الله عز وجل ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران 54 وإذا كانت صلاة الظهر فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يصلي السنة على ثلاثة أشكال منها

أنه كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعده ركعتين أو يصلي قبله أربع ركعات وبعد ركعتين أو يصلي قبله أربع وبعده أربع هذه الأشكال الثلاثة جاءت بها أحاديث منها عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ من صلى قبل الظهر أربعة وبعدها ركعتين بنى الله عز وجل له بيتاً في الجنة " وجاء عن أم حبيبة أيضاً قالت : قال رسول الله ﷺ من صلى قبل الظهر أربعة وبعده أربعه حرم الله جسده على النار " وأبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال يا رسول الله إني أراك تصلي قبل الظهر أربع ركعات وتحرص عليها قال له يا أبا أيوب إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء فأحب أن يرفع لي فيها عمل صالح " وفي صلاة العصر كانت هناك أربع ركعات قبله كما ورد في حديث رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ رحم الله امرئ صلى قبل العصر أربعة " كانت الجائزة هنا هي رحمة الله عز وجل لمن يصلي قبل العصر أربعة ركعات ولكن لا صلاة بعد العصر ، وأما في صلاة المغرب فقد جاء في حديث رواه عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ صلوا قبل المغرب صلوا قبل المغرب صلوا قبل المغرب ثم قال لمن شاء " وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان الرجل الغريب يدخل المسجد قبل المغرب فيظن أن الصلاة قد تمت من كثرة ما يجد صحابة رسول الله ﷺ يصلون ركعتين قبل المغرب " ويحسب هذا الغريب أنهم يصلون الركعتين بعد صلاة المغرب من كثرة من يصلونها ورسول الله ﷺ عندما أمر بصلاة ركعتين قبل المغرب قال لمن شاء فمن شاء كان خيراً له ، وبعد صلاة المغرب كان هناك ركعتين يصليهما رسول الله ﷺ وكان يقرأ في الأولى بقل يا أيها الكافرون وفي الثانية بقل هو الله أحد ، وقد جاء في حديث رواه عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي لاحظ أن رسول الله ﷺ يصلي بعد المغرب ست ركعات فقال له يا رسول الله أراك تصلي ست ركعات بعد المغرب فقال له يا عمار من صلى ستاً

بعد المغرب غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر " فكانت تلك السنة التي نقلت إلينا عن رسول الله ﷺ بعد صلاة المغرب، وبعد صلاة العشاء كان رسول الله ﷺ يصلي ركعتين أو أربع أو ست أو ثمانية ولا يزيد على الثمانية فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت ما زاد رسول الله ﷺ في رمضان أو غير رمضان عن أحد عشرة ركعة " كانت الركعة الأخيرة هي ركعة الوتر . هذه السنن هي مجموع كل السنن التي وردت عن رسول الله ﷺ المؤكدة وغير المؤكدة والسنن المؤكدة جمعت في حديث عن أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ من صلى في يوم وليلة اثني عشرة ركعة بنى الله له بيتاً في الجنة " هذا الحديث جمع السنن المؤكدة عن رسول الله ﷺ وأعلمنا أن جائزتها وثوابها وأجرها عظيم يجب أن يحرص عليه كل مسلم فإن بيتاً في الجنة ليس مثل بيوت الدنيا .

كانت قبل الظهر أربعة وبعده ركعتين وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الغداة أي الفجر .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال حفظت عن خليلي عشر : ركعتين قبل الظهر وركعتين بعده وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر .

الصلاة في البيت

قال رسول الله ﷺ لأصحابه ذات يوم ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فيضربوا أبشاركم وتضربوا أبشارهم - فما كان هذا العمل الذي هو أفضل من كل ذلك من الإنفاق في سبيل الله ومن الجهاد في سبيل الله ومن أعمال البر - قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل " فكان ذكر الله عز وجل أسمى العبادات وما كان ذكر الله عز وجل إلا أن تتعلم كيف تعبده وكيف تتقرب إليه فقد قال سعيد بن جبير رضي الله عنه كل عمل فيه طاعة لله عز وجل فهو ذكر لله " ومن أيسر الذكر باللسان ولكن الذي يخالط الوجدان ويتجاوب مع ما جاء به محمد ﷺ وما جاء به القرآن، ويقول قائل :

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابد هما قطبان

ومدارهما بالأمر أمر محمد لا بالهوى والنفس والشيطان

القطب الأول هو الإخلاص في العمل لله عز وجل والقطب الثاني أن تتبع ما أمرك به رسول الله ﷺ وتنتهي عما نهى عنه، وعبد الله بن عباس رضي الله عنه كان يقول في يوم من الأيام قال رسول الله ﷺ ويقول الحديث فكان الناس تعارضه وتقول قال أبو بكر أو قال عمر ورغم أنهما لهما مكانة عالية في ذلك الدين وأمرنا أن نقتدي بهما إلا أن عبد الله بن عباس رضي الله عنه يقول توشك أن تقع عليكم حجارة من السماء إذا قلت لكم

قال رسول الله ﷺ فلا تقولوا قال أبو بكر أو قال عمر " المقصود إن كان القول لمحمد ﷺ فلا قول لقائل غيره، والإمام الشافعي رحمه الله يقول إن صح الحديث فهو مذهبي واضربوا بكلامي عرض الحائط أي إذا جاءكم الحديث وتأكد لديكم صحته فإياكم أن تقولوا قال الشافعي، من ذلك علينا أن نأتمر بأمر محمد ﷺ لأنه ما كان ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى، فمن الذي علم محمد ﷺ الذي علمه جبريل عليه السلام بأمر من رب العالمين لذلك نعبد الله عز وجل كما يحب الله ويرضى لا كما تهوى الأنفس فمن قال أصلي الظهر خمسة ركعات تقرباً إلى الله وزيادة في الخير فإنه ما تقرب بها إلى الله لأن صلاته تلك باطلة لا يقبلها الله عز وجل لأنه لم يؤدها كما فرضها وأمر بها الله عز وجل، ولقد علمنا من ديننا ومن ترغيب محمد ﷺ لنا أن صلاة الفريضة في المسجد تتضاعف على صلاتها في البيت أو في السوق بخمس وعشرين ضعفاً فتكون صلاة الفريضة في المسجد أفضل من صلاتها في البيت أو في السوق وذلك أمر محمد رسول الله ﷺ ومن التشريع في ذلك الدين ولكن من التشريع أيضاً الذي يجب أن نتعلمه أن صلاة التطوع في البيت أفضل منها في المسجد فقد جاء في حديث رواه جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله قال : قال رسول الله ﷺ إذا صلى أحدكم في المسجد فليجعل لبيته نصيباً من صلاته " بأن يجعل صلاة النفل والتطوع بعد هذه الصلاة المفروضة يؤديها في بيته أو بعضاً منها إن كانت كثيرة لأن رسول الله ﷺ قال أن أداء هذه الصلاة في البيت لها فضل عظيم وتعود بالخير والنفع على هذا البيت ومن فيه فإنها سبباً في طرد الشيطان وسبباً في حضور الملائكة حتى تعم فيه البركة وكذلك يكون مؤديها بعيداً عن أن يراي بها الناس فتكون صلاة التطوع في البيت أفضل من أدائها في المسجد فإنها تجعل في هذا البيت

نوراً ليس نور كهرباء وإنما نور رباني يحسه أهل الإيمان، وعمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ صلاة الرجل في بيته نور فمن شاء نور بيته " والبيت الذي لا صلاة فيه إنما شبهه رسول الله ﷺ بالقبر مساكن الموتى القبور لأنه لا صلاة فيه فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تصلني حيث كنتم " بأن تكون خالية من الصلاة ولكن اجعلوا فيها حياة فإن الصلاة في البيت حياة يحيي الله عز وجل بها ذلك البيت وأهله والصلاة على رسول الله ﷺ يعلم بها وتصل إليه كيف ذلك فقد سألته الصحابة ذلك فقالوا يا رسول الله وكيف تصلك صلاتنا وقد أرميت فقال إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل جسد الأنبياء " وصلاة التطوع في البيت لها أجر عظيم وثواب كبير فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ صلاة الرجل في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة " وكلنا يعلم فضل الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ إلا أن صلاة التطوع في البيت أفضل منها في مسجد رسول الله ﷺ رغم أن مسجده فيه الروضة الشريفة التي هي روضة من رياض الجنة ومن صلى فيها فكأنه صلى في الجنة إلا أن رسول الله ﷺ قال أن صلاة التطوع وصلاة النافلة في البيت لها أجر أفضل منها في المسجد فمن صلها في بيته فله بها أجر ألف صلاة رغم أن مسجد رسول الله ﷺ كما قال من صلى فيه أربعين صلاة لا تقوته منها صلاة كانت له براءة من النار وبراءة من النفاق " فكان مسجد محمد ﷺ روضة من رياض الجنة والركعة فيه بألف ركعة والصلاة فيه أربعين فرضاً فيها براءة من النار وبراءة من النفاق . ويقول زيد بن ثابت رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ صلاة الرجل في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة " إلا الفريضة ولكن هناك صلاة نافلة وتطوع لا تكون إلا في المسجد وهي تحية المسجد فإنما

هى سلام على الله عز وجل لمن دخل المسجد كأنه يلقي السلام على الله عز وجل ، وأبو ذر رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست فقال يا أبا ذر صليت قلت لا قال إن للمسجد تحية وتحية المسجد صلاة ركعتين قم فصل " فأمره أن يصلي ركعتين تحية للمسجد ، وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين " فكانت تلك هى تحية المسجد وهى صلاة تطوع وتجاوز حتى فى الأوقات التي فيها نهى فمن دخل المسجد فى أي وقت من ليل أو نهار فلا يجلس حتى يصليها حتى وإن دخل والإمام على المنبر يخطب من يوم الجمعة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة ودخل سليك الغطفاني فلما هم أن يجلس قال له يا سليك صليت قال لا قال صل ركعتين وتجاوز فيهما " أي يصلي الركعتين بقراءة خفيفة حتى ينتهي منهما سريعاً ويجلس للخطبة ولكن من جلس ولم يصليهما فليس له أن يقوم مرة أخرى ويصليهما كما يفعل بعض الناس في يومنا هذا يدخلون المسجد والإمام يخطب فيجلسون حتى إذا جلس الإمام للخطبة الثانية قاموا لصلاتها فهذا لا يجوز والنهي فيه أشد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا صعد الخطيب إلى المنبر فلا صلاة ولا كلام ومن قال لأخيه أنصت فقد لغى ومن لغى فلا جمعة له " ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وهناك صلاة تطوع أخرى قال عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين كل آذنين صلاة لمن شاء " ما بين كل آذنين صلاة ثم قال لمن شاء ليقول إنها تطوع وما هى بفرض فما هما الآذنين الأذان للصلاة والآذان للإقامة بين ما يؤذن المؤذن ويقيم الصلاة هناك ركعتين ولا يكونا إلا في المسجد . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا " استقيموا في الصلاة أي أدوا الصلاة خاشعين كما أمرتم ولن تحصوا هذه الصلاة لن تؤدوا لله شكره على ما أنعم به عليك من النعم ثم قال

واعلموا أن من خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على وضوءه إلا مؤمن -
وذلك لمن كان سليماً معافاً أما صاحب العذر فلا شيء عليه فإن الله
لا يكلف نفساً إلا ما آتاها أما السليم الذي يحافظ على وضوءه يكون
خيراً له

إن رسول الله ﷺ دلنا على الصلاة التي يقبلها الله عز وجل فقال
في حديث قدسي يقول الله عز وجل إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها
لعظمتي ولم يستطل بها على خلقي - كان متواضعاً بها لله عز وجل ولم
يتكبر على الخلق ومُحمد ﷺ كان يسلم على الصغير والكبير والغني
والفقير والعبد والحر والأبيض والأسود من أهل الإسلام وهو النبي
الرسول ما كان متكبراً - ولم يبت مصرّاً على معصيتي ورحم الأرملة
والمسكين ذلك نوره كنور الشمس ألكئه بعزتي وأستحفظه ملائكتي
وأجعل له في الظلمة نوراً وفي الجهالة حليماً ومثله في خلقي كمثله
الفرديوس في الجنة " كان هذا جزاء من صلى كما ينبغي الصلاة وكما
أرادها الله عز وجل ووصفها وليس بالهوى والنفس وإن الله عز وجل يقول
﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ. فَإِنْ خِفْتُمْ
فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ
تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة 238 - 239 والإمام الشافعي رحمه الله يقول من
استحسن فقد شرع ومن شرع فلا عمل له " أي الذي يستحسن في أمور
الدين فيخالف بهذا الحسن ما أمر به ذلك الدين فلا ثواب لعمله هذا
لذلك علينا أن نحرص على أن نكون من التابعين وليس من المبتدعين في
أمور العبادة في دين الإسلام حتى يقبل الله عز وجل منا الأعمال ونكون
عنده من المقربين .

إقامة الصلاة

يقول قائل :

لست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد زخراً وعند الله للأتقى مزيد

هذا القائل علم أن السعادة ليس في جمع المال والكنوز إنما تقوى الله والقناعة والرضى بما قسمه الله هو السعادة فإن الله عز وجل وعد المتقين بالجنة وبيت الأتقياء هو المسجد ففي حديث رواه أبو الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ المسجد بيت كل تقي وضمن الله عز وجل لمن كان المسجد بيته برضوان الله والجواز على الصراط إلى الجنة " وفي حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من غدا إلى مسجد أوراخ أعد الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح " فإذا كانت الجنة قد أعدت لمن يغدو إلى المسجد أو يروح فكيف بنا نبخل على أنفسنا بها وكذلك قال رسول الله ﷺ من غدا إلى مسجد يريد أن يتعلم علماً أو يعلمه كان له كأجر حجة تامة تامة تامة " ذلك كان أجر من توجه إلى المسجد يريد العلم فكانت النية هنا ثوابها وأجرها حجة تامة ذلك وعد الله عز وجل الذي بيده الملك والملكوت يعطي من شاء منه ويمنع من شاء ، ومن طلب لنفسه الرفعة رفعه الله عز وجل ومن طلب لنفسه المغفرة غفر الله له ، ويقول الله عز وجل ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ . رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۚ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ النور 36 - 37 كان من تقواهم أنهم يخافون ذلك

اليوم يوم الفزع الأكبر يوم القيامة، ورسول الله ﷺ كان أرحم الناس بتوفيق من الله عز وجل فقد آذاه أهل الكفر والشرك وعندما جاءه ملك الجبال مرسلًا من رب العزة بعد أن اشتكى إلى الله ضعف قوته وقلة حيلته أرسل إليه ملك الجبال يقول له يا محمد عليك أفضل الصلاة والسلام لو أمرتني أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت، وجبال مكة شاهقة عالية لو أمره محمد ﷺ بذلك لكان فيه هلاك كل من في مكة ومن حولها فلن يبقى من هؤلاء الناس الكفرة الفجرة أحد ولكنه برحمته قال لا أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يؤمن بالله ولا يشرك به شيئاً، ولو كان عنده نزع من انتقام أو نزع من الشر لقال أطبق عليهم الأخشبين وكان ذلك جزاءً وفاقاً .

الله عز وجل يكافئ المتقين فكانت الجائزة من الله عز وجل لرسوله أن ارتفع به بعدها إلى أعلى عليين حتى أن القائل قال : العرش تحتك سدة وقوائماً ومناكب الروح الأمين وطاء، يا محمد عليك أفضل الصلاة والسلام عرش الرحمن تحتك كأنه قطع من الخشب المرصوص والذي ارتفع بك هو منكب الروح الأمين كتف جبريل عليه السلام هو الذي صعد بك إلى السماوات العلى، الرسل من دون العرش لم يؤذن لهم - أي نبي أو رسول دون عرش الرحمن عندها يقف لم يؤذن له - حاش لغيرك يا محمد عليك أفضل الصلاة والسلام موعد ولقاء - حتى جبريل عليه السلام تركه في ذلك الموقف وعند ذلك المكان وقال له تقدم يا محمد فإني لو تقدمت لاحتقرت ولو تقدمت أنت لاخترت فإنه هو المؤذن له دون الخلق بأن يكون في حضرة الله عز وجل، في ذلك المكان المرتفع حيث لا تدركه العقول ولا تصل إلى كنهه في ذلك المكان فرض الله عز وجل على محمد ﷺ وعلى أمته خمس صلوات في

اليوم واللييلة ومن هنا نعلم مدى منزلة ومكانة هذه العبادة في دين الإسلام لأنها فرضت من الله عز وجل إلى نبيه ورسوله محمد ﷺ مباشرة بدون واسطة فإنها عبادة لها شأن عظيم وهى مناط دين الإسلام فعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ بين الرجل والكفر ترك الصلاة " وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ آية ما بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر " من هذين الحديثين وبنصهما ومعهما حديث ثالث عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم " وقد يسأل سائل يقول لماذا هذه الثلاثة دون غيرها فيها ذلك التشديد لأن الزكاة وحج البيت فيهما شروط لا تنطبق على كل الناس وقد تسقط فريضة الحج لمن لم يملك النفقة والراحلة وكذلك في الزكاة يشترط فيها بلوغ النصاب في المال ولكن هذه الثلاثة إنما لا تكلف شيئاً ويستطيعها كل إنسان كما أن فيها التيسير في أدائها لكل ذي عذر سواء في الصلاة أو في الصيام وكذلك الشهادة لا يتطلب فيها عمل إنما هى قول باللسان وتصديق بالقلب - والصلاة التي تلقاها رسول الله ﷺ من رب العزة لم يؤديها على هواه وإنما انتظر جبريل في اليوم التالي معلماً من رب العالمين فعلمه المواقيت وصلى به إماماً وأداها أمامه فصلى رسول الله ﷺ كما رآه يصلي ثم علمنا كيف نصلي وقد دخل المسجد ذات يوم ووجد رجل يصلي فانتظره حتى فرغ من صلاته ثم قال له صل فإنك لم تصل مما يدل على أن تلك الصلاة لها كيفية تؤدي بها فصلى ذلك الرجل مرة ثانية ولما فرغ قال له صل فإنك لم تصل وفي الثالثة قال الرجل والله يا رسول الله لا أعلم غيرها فعلمه رسول الله ﷺ وكان كل تعليمه ينصب على الإطمئنان في الصلاة والخشوع فيها وقد جاء في حديث رواه

أبو قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أتدرون من هو أسرق الناس قال أسرق الناس من يسرق في صلاته قالوا يا رسول الله وكيف ذلك قال لا يتم ركوعها وسجودها " كان ذلك هو السارق الذي لا يستقر في ركوعه وسجوده لأن رسول الله ﷺ كما وصف لنا الصحابة ركوعه إذا ركع يستقيم ظهره مع رأسه حتى إذا وضع عليه إناء به ماء لم يهرق خشوعاً واطمئناناً أمام الله عز وجل وكذلك كان في السجود يسجد حتى يطمئن ، هذا الرسول الذي علمنا الصلاة والذي نزل عليه كتاب التوحيد القرآني العظيم الذي بين أيدينا الذي هو بين دفتي المصحف نقرأه ليل نهار ذلك المعلم أمرنا أن نقرأ الفاتحة ثم ما تيسر لنا من القرآن ثم إذا كان الركوع أو السجود فقد نهانا أن نقرأ فيهما القرآن فقال نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً - الذي نهاه هو الله عز وجل - أما الركوع فسبحوا الرب فيه وأما السجود فأكثرُوا من الدعاء فيه قمن أن يستجاب لكم " وإذا كان هناك من الدعاء فيه آيات من القرآن فليس لنا أن نقوله ونرده في السجود لأن هناك نهي عن قراءة القرآن في الركوع أو السجود ولكن لنا أن نردد معناها فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ عندما نزلت سورة النصر جعلها في سجوده - ولكن كيف جعلها وماذا كان يقول كان يردد معنى ما جاء فيها فكان يقول - سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي " إذن المعنى معنى السورة ولكنه لم يقرأها ، وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : لما نزل قول الله عز وجل فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله ﷺ اجعلوها في ركوعكم " بأن نقول في الركوع سبحان ربي العظيم فكان فيها معنى الآية ثم قال عقبة بن عامر رضي الله عنه ولما نزل قول الله عز وجل سبح اسم ربك الأعلى قال رسول الله ﷺ اجعلوها في سجودكم " بأن نقول في السجود سبحان ربي الأعلى وفيه معنى الآية ، وقد كان

لرسول الله ﷺ أذكار يذكرها في الركوع والسجود فكان يقول في ركوعه سبوح قدوس رب الملائكة والروح وكما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع بصري وسمعي وعصبي وما استقلت قدمي لله رب العالمين، وكان يقول في سجوده اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين " وكذلك كان يدعو في سجوده يقول اللهم اغفر لي ذنبي كله جله وقله أوله وآخره وعمده وخطئه، وفي السجود لك ان تدعو الله بما شئت ولكن المأثور عن رسول الله ﷺ هو تقرب وعبادة لله عز وجل، هذه الصلاة التي نصليها كان الأمر فيها اتباع رسول الله ﷺ والإخلاص فيها لله عز وجل فهو الذي قال ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ البينة 5 وكذلك قال الله عز وجل ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأنعام 162 – 163

لذلك لابد أن نحرص على هذه العبادة وهي الصلاة أشد حرص ونحفظها من أي شيء يشوبها لأنها عماد هذا الدين ولأن الله عز وجل أمر بذلك فقال ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ۖ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ. فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة 238 – 239 من الذي علمنا الصلاة إنما هو رب العزة والذي نقلها إلينا هو محمد ﷺ فيجب علينا أن نؤديها كما علمنا رسول الله ﷺ أن نطمئن في الركوع والسجود وفي القيام والقعود حتى نقتدي برسول الله ﷺ وعن عبد الله بن عمرو بن

العاصم عليه السلام قال ذكر رسول الله ﷺ الصلاة يوماً فقال من حافظ عليها كانت له نور وبرهان ونجاة يوم القيامة " تكون الصلاة نور لصاحبها يوم القيامة وبرهان على أنه من أهل التوحيد والإيمان وتكون له نجاة من النار، ومن لم يحافظ عليها وليس المقصود هنا الذين يضيعونها ويتخلفون عنها فإن الله عز وجل يقول ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ مريم 59 فهذا في ذلك الحديث يقول رسول الله ﷺ أن الذي لم يحافظ على صلاته لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة وحشر مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف عليهم لعنة الله فإنهم في الجحيم ولماذا جاء رسول الله وذكر هؤلاء دون غيرهم لأنهم مثلاً لمن شغله الحكم والسلطان والقوة والنفوذ والجاه والمال والكبر والجبروت والتعالي عن اتباع ما أنزل الله وما أمر به من الإيمان والتوحيد وذلك ينطبق على من بعدهم كل ملك وسُلطان أو وزير أو صاحب حكم وكل صاحب جاه ومال تخلف وتهاون في صلاته وشغله جمع المال والكنوز ولم يؤدي فرائض الدين بسببها كان قادتهم هؤلاء الكفرة الجبابرة المتكبرين، فإن أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح العمل كله وإن فسدت فسد العمل كله، وقد أمرنا الله عز وجل بخمس صلوات في اليوم والليلة وهي في مجموعها لن تزيد عن الساعة ولكنها موزعة على اليوم كله للتخفيف، وقد جاء عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ فرض عليكم ربكم خمس صلوات في اليوم والليلة فمن أتى بهن ولم يضيعهن استخفافاً بحقهن كان له على الله عهد أن يدخله الجنة ومن ضيعها لم يكن له عهد على الله أن يدخله الجنة إن شاء عذبه وإن شاء غفر له .

قيام الليل

يقول رسول الله ﷺ طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل في نفسه من غير مسألة وأنفق مالا جمعه من غير معصية ورحم أهل الفقر والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة " وطوبى هي درجة عالية من درجات الجنة كانت هذه الدرجة للذين يتصفون بهذه الصفات التواضع من غير منقصة هو تواضع لوجه الله عز وجل ليس لعيب فيه أو نقص فيه كل المحاسن وذل في نفسه من غير مسألة كان ذله ذلك عبادة لله عز وجل وخضوعاً له ليس بسبب حاجة يرجوها فإن الحاجة إذا كانت في حدود ما أباح الله وأمر به فلا وزر عليه ولكن المقصود هنا الذي يسأل الناس ويذل نفسه لحاجة هو في غنى عنها مثل الذين يسألون الناس إلحافاً بينما هو عنده ما يسد رمقه ويغنيه ويكفيه عن السؤال، ثم يقول رسول الله ﷺ ورحم أهل الفقر والمسكنة كان رحيماً بالناس متصفاً بصفات رسول الله ﷺ الذي أرسله ربه رحمة للعالمين فكان في هذه الرحمة كأنه يتمثل بمحمد ﷺ، ثم قال رسول الله ﷺ وخالط أهل الفقه والحكمة فكانت مخالطته لأهل الفقه والعلم والحكمة فإذا سأل عنه الناس علموا أنه من أهل الصلاح والتقوى لأنه قد قيل قل لي من تصاحب أقل لك من أنت الذي يصادق أهل السوء الذين يرتكبون المنكرات ويأتون الفواحش فهو واحداً منهم يتصف بصفاتهم أما الذي يخالط أهل التقوى والفلاح فهو منهم يتصف بصفاتهم وهو من هؤلاء الخمسة الذين زكاهم رسول الله ﷺ وطالما هو موجود في مجلسهم العامر بذكر الله عز وجل تنزل رحمة من الله عز وجل تصيبه معهم، والله عز وجل أراد

من هذه الأمة أن تكون أمة علم وبصيرة لذلك كان رسول الله ﷺ يقول من سلك طريقاً يريد بها علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وكذلك يقول رسول الله ﷺ الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تقسم ظهره والتودد في العلم والتحابب في الله يقطع دابر الله يقطع دابر الشيطان فتلك فرصة عظيمة للبعد عن وسوسة الشيطان حتى يكون الإنسان في رحاب الله عز وجل، ورسول الله ﷺ هو الذي أمر هذه الأمة أن تكون أمة علم وفقه، ورسول الله ﷺ أول من أمره الله عز وجل بها وهو في غار حراء عندما جاءه جبريل عليه السلام بالوحي فقال له اقرأ قال ما أنا بقاريء وما تركه حتى تلا عليه أول ما نزل من آيات الله عز وجل ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ العلق 1 - 5 رسول الله ﷺ أخذ هذه الكلمات ونزل بها من غار حراء وهو في طريقه إلى أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وهي الزوجة الحنون متوجهاً إليها وإذا بصوت يناديه من السماء يا محمد فينظر إلى ذلك الصوت فإذا به يرى شيئاً غريباً ساد الأفق من فوقه كأنه طائر له ستمائة جناح ما بين كل جناح وجناح كما بين السماء والأرض كان ذلك هو جبريل عليه السلام في صورته التي خلقه الله عليها وما كان رسول الله ﷺ شاهد شيئاً مثل ذلك من قبل فخر مغشياً عليه ولما أفاق انطلق إلى بيته ودخل على زوجته يقول زملوني زملوني فكان الذي نزل عليه بعدها قول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ . قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا . تَصْنَفُهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا . أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا . إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ المزمّل 1 - 5 فكان الذي أمر به في الأولى هو اقرأ وكانت الثانية إقامة الصلاة التي كانت من أوائل العبادات التي فرضها الله عز وجل على رسوله وعلى هذه الأمة وكانت تلك الصلاة وقتها قيام الليل

واستمر على هذا الحال حتى كان فرض الصلاة في ليلة الإسراء والمعراج وفي بداية الأمر كان الأمر لرسول الله ﷺ أن يصليها منفرداً فكان قيام الليل بعدها من السنن التي يتقرب بها العبد إلى ربه وكان من النوافل فإن الله عز وجل يقول ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۚ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ الإسراء 78 - 79 فكان الأمر لرسول الله ﷺ في قيام الليل بأنه نافلة بعد أن كان فرضاً عليه قبل ذلك، هذه النافلة إنما تؤدي إلى مقام محمود في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين فمن الذي يأبأها ولا يريدتها، وكذلك في آية أخرى يقول الله عز وجل بأنها أصبحت نافلة بعد أن كانت فرضاً يقول الله عز وجل ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ ۚ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۚ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ المزمل 20 كان التخفيف هنا بفرض الصلوات الخمس على الأمة لأن الله عز وجل يعلم أن هذه الأمة سيكون فيها من يسعى على المعاش ومنهم الضعيف والمريض فكان التخفيف بنص هذه الآية، ولنعلم أن قيام الليل الذي أصبح بعد الإسراء والمعراج نافلة من النوافل إلا أنه فيه خيراً عظيماً لمن يؤديه ويقوم به حتى وإن كان ركعتين فإن الله عز وجل يكتبه قيام الليل والله عنده ثواب الدنيا والآخرة ولا يعجزه في ذلك شيء فإن من أفضل الأعمال التي نتقرب بها إلى الله هي الصلاة، وأبو ذر رضي الله عنه

يقول أنه سمع رسول الله ﷺ يقول من سجد لله سجدة رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة " فذلك الثواب والأجر العظيم في سجدة واحدة لله عز وجل، ورسول الله ﷺ يقول ثلاثة يحبهم الله عز وجل ويضحك لهم ويستبشر لهم الأول الذي إذا انكشفت فئة قاتل من وراءها - وإذا قال لنا رسول الله ﷺ أن هؤلاء يحبهم الله فإنه لن يبغضهم أبداً ويبشرهم بالجنة فهم فيها خالدون أولهم الذي يكون في حرب وقتال في فئة أو كتيبة من الكتائب وانسحبت هذه الكتيبة لأي سبب وقف هو في مكانه وثبت ولم يفر فكان وقوفه هذا في سبيل الله - يقول الله انظروا إلى عبيدي هذا صبر نفسه لي فكان في ذلك شهادته فكانت الشهادة هنا أعظم لأن رسول الله ﷺ يقول في هذا الحديث إما قتل وإما ينصره الله ويكفيه، ويقول الله عز وجل انظروا عبيدي هذا صبر نفسه لي كان ذلك الأول، والرجل الثاني وهنا عندما نتكلم عن الرجال فإن لفظ الرجل يضم النساء الذين كُلفوا بالعبادات في هذه الأمة فإنه يشمل كذلك النساء لأن النطق بالرجل لأنه الأعلى فيكون الكل تحت لواءه قال رسول الله ﷺ عن الثاني الذي له زوجة حسناء وفراش لين حسن -

رجل عنده زوجة جميلة حسناء ومحبة لزوجها ليست من النساء اللاتي ينفرن منهن الأزواج ويضطروهم إلى اللجوء للأصحاب خارج البيت بل هي زوجة ينجذب إليها الزوج فإنها ليست منفرة وليس جمال الشكل فقط وإنما هناك جمال للروح وجمال للعشرة والصحبة وجمال للنفس والعقل وأهمها جمال الخلق والطبع هذا الرجل عنده أيضاً فراش لين مريح ليس خشناً متعباً يؤرق من ينام عليه ذلك الرجل - قام من الليل يصلي فيقول الله عز وجل ترك شهوته وذكرني، لذلك كان ثوابه أن يحبه الله عز وجل ويضحك له ويستبشر له مثله مثل الذي قاتل من خلف سرية أو كتيبة انكشفت فاستشهد أو انتصر، والرجل الثالث الذي خرج في

سفر مع رفقة فسهرروا ثم هجعوا فقام هو من السحر في سراء أو ضراء قام يصلي - فكانت هنا صلاة الليل لها منزلة ومكانة ودرجة عالية عظيمة مع هذين الرجلين الثاني والثالث وكانت منزلتهما مع الرجل الأول الذي قاتل وثبت ولم يفر مع من فروا حتى استشهد والثلاثة هم أحباب رب العزة يضحك لهم ويبشرهم بالجنة "

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين من قبلكم " كان هذا فعل الصالحين في الأمم من قبلنا فقد كان نبي الله داود عليه السلام يقوم الليل إلا قليلاً فإن فيه تقرباً إلى الله عز وجل ومغفرة للذنوب ودفعاً عن ارتكاب الإثم في السهر وفي الليل فإن الإثم من عمل الشيطان فمن كان في صلاة فليس للشيطان عليه سبيل ثم يقول رسول الله ﷺ ومطرده للداء عن الجسد لأن قيام الليل ينشط الجسد ويقوي المناعة ضد الأمراض فقال أنه مطردة للداء عن الجسد ، ويقول سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال جاءني جبريل وقال لي يا محمد عش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجازى به واحبب من شئت فإنك مفارقه واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناءه عن الناس " كان ذلك الخطاب لرسول الله ﷺ سيد الأولين والآخرين الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فما بالناس لا نقتدي به ونحن أحوج ما نكون إلى هذا الفضل العظيم. من أفضل الساعات التي نقوم فيها لصلاة الليل آخره ثلثة الأخير عندما يقترب الفجر فإن رسول الله ﷺ كما جاء في حديث رواه عمر بن عنبسة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن أقرب ما يكون العبد بينه وبين ربه في جوف الليل الغابر " في آخر وقت من الليل فمن استطاع أن يتحرى هذا الوقت فيكون في معية الله عز وجل قريباً منه يحظى برحمته ويطلع على

ما في قلبه فقد جاء في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن الله عز وجل في وقت السحر يقول هل من داع فأستجيب له هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له " فكان الدعاء في هذا الوقت مستجاب بإذن الله والسؤال مجاب والعطاء من الله عز وجل وفير والمغفرة من الله مرجوة فهذا هو وقت القبول فاغتموه، وكذلك يؤجر الإنسان على نيته الصالحة فإذا نويت أن تقوم لتصلي آخر الليل ثم غلبك النوم فاعلم أن لك أجر نيتك في قيام الليل لأن رسول الله ﷺ هو قائلها فقال من آوى إلى فراشه وهو ينوي أن يقوم من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب الله له ما نوى وكان نومه صدقة من الله عليه " كُنْتُ له في ميزان حسناته، ودين الإسلام لا يكلف الناس فوق طاقتهم فإن هذا القيام إذا كان الإنسان عنده نشاط لقيامه قام ومن وجد عنده قوة وعزماً فإنه يصلي أما من كان عنده كسل وفتر أو كد وتعب فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها فإن رسول الله ﷺ دخل المسجد ذات يوم فوجد حبلاً ممدوداً بين ساريتين فسأل فقالوا ذلك لزينب رضي الله عنها تصلي بجانبه حتى إذا فترت تعلقت به - هي تريد قيام الليل فجعلت ذلك الحبل حتى إذا قامت تصلي وتعبت وجهدت وخشت أن تسقط أمسكت بهذا الحبل وتكمل الصلاة - قال رسول الله ﷺ حلوا ذلك الحبل ليصلي أحدكم نشاطاً فإن كسل أو فتر فليرقد "

ورغم إن هذا الوقت فيه فضل كبير فإن رسول الله ﷺ قال إذا قام أحدكم من الليل ليصلي فاستعجم عليه القرآن فلم يدري ما يقول فليرقد " هو وقف يصلي ولكنه يغلبه النعاس فلا يدري ما يقرأ من القرآن فذلك عليه أن ينام لأن الله عز وجل لا يكلف نفساً إلا وسعها .

ويقول قائل :

وقينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق نور من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا موقنات أن ما جاء به واقع
بيت يجال في جنبه عن فراشه إذ استثقلت بالمشركين المضاجع
ويقول الله عز وجل ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . آخِذِينَ مَا
آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ . كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا
يَهْجَعُونَ . وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ الذاريات 15 - 18

صلاة الوتر

يقول رسول الله ﷺ من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله عز وجل في الدنيا والآخرة والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه " ثم يقول رسول الله ﷺ بعد أن حث الناس على التكافل والتآلف فيما بينهم حتى يسود الود المجتمع فأمرهم بالصدقة وأمرهم بسد جوع الجائع وستر العريان بعدها حثهم على طلب العلم ومدارسة القرآن فقال وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده " فجعل رسول الله ﷺ حياة الجماعة والأمة تكون بالتعلم والتعاون فقال ألا أدلكم على ما يمحو الله عز وجل به الخطايا ويرفع به الدرجات - وصحابة رسول الله ﷺ كانوا من الذين يسارعون إلى الخيرات ويحرصون على اتباع ما أمر به رسول الله حتى يوصلهم إلى ما يرفع درجاتهم في جنة رب العالمين فقالوا - بلى يا رسول الله قال اسبغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط " جعله ميزان في الكفة الأولى اسبغ الوضوء والسير إلى المساجد وانتظار الصلاة وتحري وقتها وكان في الكفة الأخرى الجهاد في سبيل الله فكان ذلك الحديث من أحاديث الترغيب في طاعة الله عز وجل ، ومن أفضل العلم التفقه في دين الله عز وجل لأن رسول الله ﷺ قال فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد " وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول يرحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في دين الله عز وجل ، ورسول الله ﷺ يقول

أيضاً من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " ومن الفقه في الدين أن نعرف ونتعلم السنن والنوافل التي كان يؤديها رسول الله ﷺ ومن هذه السنن ما كان يحرص عليها رسول الله ﷺ حتى تكاد تصل في رتبها إلى الفريضة وما كان هناك تطوع يصل إلى الفريضة فيبقى الفرض فرضاً والتطوع تطوعاً والذي شرحها هم أئمة العلم الذين هم أعلم الناس بالتأويل وبما يريده رسول الله ﷺ فقد جاء في حديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال إن الوتر ليس كصلاتكم المكتوبة ولكن رسول الله ﷺ أوتر ثم خرج علينا وقال يا أمة القرآن أوتروا فإن الله عز وجل وتر يحب الوتر " أي أن الوتر ليس فريضة وليس واجباً مثل الصلاة المكتوبة ولكن رسول الله ﷺ أكد عليه وشدد فيه فإن رسول الله ﷺ أمرهم به وناداهم بأنهم أمة القرآن، وفي حديث آخر رواه عمرو بن العاص رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ وقال إن الله عز وجل زادكم صلاة وهي الوتر فصلوها من بعد صلاة العشاء إلى صلاة الفجر " فكأن رسول الله ﷺ هنا يقول أن الوتر يكاد يصل إلى درجة الفريضة والواجب، ولكن هناك حديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه حدد فيه رسول الله ﷺ الصلاة المفروضة بخمس صلوات فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ خمس صلوات فرضهن الله عز وجل على عباده في اليوم واللييلة فمن أداهن ولم يضيع شيئاً منهن استخفافاً بهن كان على الله عز وجل عهداً أن يدخله الجنة ومن لم يؤدهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له " من هنا نعلم أن رسول الله ﷺ أمرنا بالصلوات الخمس على إنها فريضة وكذلك أمرنا بصلاة الوتر وهي نافلة ولكنه شدد عليها وأمرنا أن نحافظ على أدائها ، وقد جاء في حديث عن أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ الوتر حق فمن أوتر بخمسة فهو خير له ومن أوتر بثلاثة فهو خير له ومن أوتر بواحدة فهو خير له " ذلك الحديث يبين

ويؤكد قدر الوتر في شريعة الإسلام سواء بخمسة ركعات أو ثلاثة وهو ما نسميه الشفع والوتر أو بركعة واحدة والذي يجب على المسلم أن يحافظ عليه بدرجة الوجوب هو الركعة الواحدة لأن رسول الله ﷺ قال الوتر ركعة من الليل، ولكن في أي وقت تؤدي قال عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال الوتر بعد صلاة العشاء إلى صلاة الفجر، ولنعلم أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت ونقلت عن صلاة رسول الله ﷺ وعن وضعه أن كل ذلك الوقت فيه خير فكانت تقول كان رسول الله ﷺ ربما أوتر من أول الليل وربما أوتر من آخره وقد كان يصليها سراً أحياناً يصليها جهراً أحياناً وكان يسمى الوقتين تسميات فعندما سأل الصديق رضي الله عنه وقال له متى توتر يا أبا بكر قال إني يا رسول الله أصليها في أول الليل بعد العتمة ثم قال وأنت يا عمر متى تصلي الوتر فقال يا رسول الله أصليها في آخر الليل فقال يا أبا بكر لقد أخذت بالثقة أي أن أبا بكر يريد أن يستوثق لنفسه مخافة أن يأخذه النوم فلا يصليه فكان يعجل بصلاة الوتر في أول الليل حتى لا تفوته ثم قال أما أنت يا عمر فأخذت بالقوة أي كان هناك عزيمة من عمر أن يستيقظ قبل الفجر ليصلي الوتر، ولكن جاء في حديث عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا ظن أحدكم ألا يستيقظ قبل الفجر فليوتر أولاً " إذا شعر الإنسان أنه قد لا يستطيع أن يستيقظ قبل الفجر لكي يصلي الوتر فيجب عليه أن يصلي الوتر في أول وقت الوتر ثم قال وإذا ظن أحدكم أن يستيقظ في آخر الليل فليصليه في آخر الليل فإن صلاة آخر الليل محضورة " فكان لصلاة الوتر في آخر الليل أو كلما كانت قريبة من الفجر أفضلية لأنها تحضرها الملائكة ولكن من أخذ بالثقة فلا شيء عليه لأن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان يصلي الوتر في مسجد رسول الله ﷺ بعد صلاة العشاء فسأله لماذا يا سعد وهو من المبشرين بالجنة قالوا إنك تصلي الوتر بعد

العشاء وتعلم أن صلاة آخر الليل أفضل فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول من صلى الوتر قبل أن ينام فحازم أخذ بالحزم " وأبو هريرة ؓ قال أوصاني خليلي بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أنام " فكانت وصية رسول الله ﷺ له أن يؤدي صلاة الوتر قبل النوم، ويجب أن تكون آخر صلاتك وترأً فإن رسول الله ﷺ يقول الوتر ركعة من آخر الليل " وجاء في حديث آخر عنه قال صلاة الليل مثني مثني فإذا خشيت الصبح فأوتر بواحدة " ومن صلى الوتر وهناك بقية في الليل فله أن يصلي تطوعاً بعد الوتر ماشاء له أن يصلي وله أن يصلي ركعة مع ركعة الوتر فتشفع ركعة الوتر ثم يصلي ما شاء أن يصلي ثم بعدها يصلي ركعة الوتر بعد ذلك أما إذا صلى الإنسان الوتر ونام ثم استيقظ فلا شيء عليه لأن رسول الله ﷺ يقول لا وتران في ليلة واحدة .

وهناك بعض الناس تقنت في ركعة الوتر تدعو الله عز وجل بدعاء القنوت ولنعلم أن دعاء القنوت ما كان رسول الله ﷺ يدعو به إلا إذا كانت هناك نازلة إلا إذا أراد أن يدعو لناس أو يدعو على ناس، والقنوت في الوتر ليس طول العام، وعن أبي بن كعب ؓ الذي جمع الناس على صلاة التراويح في رمضان كان لا يقنت إلا في النصف الأخير من شهر رمضان أما طول العام فإنه لا قنوت في الوتر إلا أن تكون هناك نازلة أو الدعاء على قوم يحاربون أهل الإسلام أو الدعاء لقوم من أهل الإسلام نزلت بهم نازلة أو أصابهم هم وحزن، والقنوت في النوازل يكون في كل الصلوات فقد جاء عن عبد الله بن عباس ؓ أنه قال قنت رسول الله ﷺ شهراً في صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر يدعو على أقوام من العرب على عل وذكوان وعصية " لماذا كان يدعو على هؤلاء الناس لأن رسول الله ﷺ أرسل إليهم سبعين رجلاً من أصحابه من القراء

للقرآن والحافظين له حتى يفقهوا هؤلاء القوم في الدين ويعلمونهم ويحفظونهم القرآن فقتلوا السبعين قاريء وما كان معهم سلاح ليدافعوا عن أنفسهم لأنهم ما ذهبوا لقتال أو نزال وحرب، فكان رسول الله ﷺ في أول القنوت يدعو على هؤلاء الناس ثم يدعو للذين قتلوا، ورسول الله ﷺ ما كان يقنت في الصلوات ولا في صلاة الوتر إلا إذا دعا على قوم أو دعا لقوم فكان أبو هريرة ؓ يقول دعا رسول الله ﷺ بهذه الدعوات بعد أن رفع من الركوع وقال سمع الله لمن حمده ثم قال اللهم أنجي الوليد بن الوليد أنجي سلمة بن هشام أنجي عياش بن ربيعة اللهم أنجي المؤمنين اللهم أنزل وطنتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف " وظل يدعو بهذا القنوت حتى أمر بآلا يدعو ونزلت الآية من رب العالمين يقول ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ آل عمران 128 والقنوت في الوتر لا يكون إلا في النصف الأخير من رمضان ولكن جاء في قنوت الصبح عن أنس بن مالك ؓ قال كان رسول الله ﷺ لا يقنت في صلاة الفجر إلا إذا دعا للناس أو دعا على الناس " والإمام الشافعي ؒ أجاز القنوت طوال العام وكانت الإجازة لمن أراد أن يقنت بينه وبين نفسه أما أن يكون إماماً فإن ذلك لم يفعله أحداً من الذين تبعوا رسول الله ﷺ فما ورد عن الصديق أو عمر رضي الله عنهما أنهما كانا يقنتان في فجر أو غيره وهم يصلون بالناس وكان علي ؓ يقنت لأنه كان يحارب الذين خرجوا عليه .

ورسول الله ﷺ عندما أمرنا أن نصلي الوتر شرحه وبينه لنا فعن أبي بن كعب ؓ قال كان رسول الله ﷺ يعني في الوتر يقرأ في الأولى بسبح وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله أحد " وكذلك في حديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت كان

يقرأ في الثالثة بقل هو الله أحد والمعوذتين " ولكن هذا لا ينافي ذلك
كان يقرأ في هذه الركعات بعد الفاتحة بهذه السور ثم بعد أن يسلم من
الوتر وكما نعلم في الصلاة المكتوبة لها أذكار بعدها نختم بها الصلاة
كذلك الوتر له ذكر نختمه بها فقد كان رسول الله ﷺ يقول بعد
صلاة الوتر سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح ويكررها ثلاثة
اللهم إنا نعوذ برضائك من سخطك ونعوذ بمعافاتك من عقوبتك ونعوذ بك
منك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك " ، وركعات الوتر
يمكن ان تكون ثلاث ركعات بتسليم واحد في آخرها أو خمس
ركعات بتسليم واحد في آخرها أو سبع ولكن لا يكون ذلك دائماً لأن
رسول الله ﷺ فعل ذلك ليبين لنا جواز هذا الأمر ولكن الأكثر شيوعاً
عنه أنه كان يصلي صلاة الليل أو التطوع أو النافلة مثني مثني ويسلم
بعد كل ركعتين وإذا كان في صلاة الليل وخشي الفجر أوتر بواحدة ،
وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ الطهور
مفتاح الصلاة والتسليم بعد كل ركعتين - ذلك في صلاة النافلة "
ورسول الله ما غادر الدنيا إلا وهو يوصينا بالصلاة فقال الصلاة الصلاة
وما ملكت أيمانكم "

صلاة الضحى

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا تكثر الكلام بغير ذكر الله عز وجل فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة في القلب وإن أبعد الناس من الله القاسي القلب " ولذلك لابد أن نحذر من كثرة الكلام بغير ذكر الله عز وجل لأن عاقبتها وخيمة ، والله عز وجل يقول ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۖ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد 28 ورسول الله ﷺ يوصينا ويقول لا يزال لسانك رطب بذكر الله عز وجل وإن أجل ذكر الله عز وجل هو مجالس العلم فإن مجلس العلم إنما هو روضة من رياض الجنة فقد قال رسول الله ﷺ لأصحابه ذات يوم إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق العلم " وما سُميت الروضة الشريفة بهذا الاسم إلا لأنها كانت مجلس رسول الله ﷺ الذي يعلم فيه أصحابه وأتباعه أمور دين الإسلام ، وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه يقول كل عامل لله بطاعة فهو ذاكر لله عز وجل " ويقول رسول الله ﷺ الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تقسم ظهره والتحابب في الله والمودة في العلم تقطع دابره فإذا فعلتم ذلك تباعد عنكم الشيطان كبعد مشرق الشمس عن مغربها " وفي الحديث القدسي يقول الله عز وجل ما تقرب إليّ عبدي بأحب إليّ مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه "

ومن النوافل التي كان يؤديها رسول الله ﷺ ويحرص عليها صلاة الضحى فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ على كل سلامة من أحدكم في كل يوم صدقة - أي على كل عظمة من عظامك التي يتكون منها الجسد عليها صدقة تشكر الله عز وجل بها ، أن تعلم أنها عظمة ليست مكسورة وجعلها تقوم بما أعده الله لها من عمل وتعينك على أداء عملك في سعادة سالماً ثم خفضها رسول الله ﷺ عليكم فإن دين الإسلام لا تغنت فيه ولا مشقة على العباد فقال - بكل تسبيحة صدقة وبكل تحميدة صدقة وبكل تهليلة صدقة وبكل تكبيرة صدقة والأمر بالمعروف صدقة والنهي عن المنكر صدقة ويغني عن ذلك ركعتان يركعهما العبد من الضحى " كل ذلك العظم الذي لا تستطيع أن تؤدي شكره إنما جعل شكره التسبيح والتكبير والتهليل والحمد لله ثم قال فإن لم تستطع أن تتعامل بتلك الأمور التي لا تكلف جهداً ولا مشقة قال إن أردت شيئاً يجزيء عن كل ذلك تصلي ركعتين صلاة الضحى ، وعن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في الإنسان ستون وثلاث ومائة مفصل على كل مفصل منها صدقة - وصحابة رسول الله ﷺ كانوا فقراء يحتاجون إلى القوت حتى أن قائدهم رسول الله ﷺ كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تصف بيته تقول كنا نرى الهلال ثم الهلال ثم الهلال أي شهرين بتمامهما ولا يوقد في بيت رسول الله نار وعنده تسعة نسوة لذلك أصحاب رسول الله لما سمعوا هذا الحديث عن بريدة قالوا - يا رسول الله وأينا يستطيع ذلك فقال رسول الله ﷺ القذارة تخرجها من المسجد وتنحية الشيء عن الطريق ويجزيء عن ذلك ركعتان يركعهما العبد من الضحى "

الجيوش تخرج وتضرب في الأرض وتجابه الأعداء ويكون بين الناس قتل وهناك من يكون شهيداً ومنهم من يرجع بفضل وغنيمة فمن

أراد ذلك الخير بدون ان يخرج لقتال أو حرب فعليه بصلاة الضحى فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال بعث رسول الله ﷺ سرية فغنمت وأسرعت فقال الصحابة يصفونها قليلة المغزى كثيرة المغنم سريعة الرجعة فقال رسول الله ﷺ ألا أدلكم على أقرب منهم مغزى وأكثر منهم مغنم وأوشك منهم رجعة قالوا بلى يا رسول الله قال من توضع وأخرج إلى المسجد لسبحة الضحى هو أقرب مغزى وأكثر غنيمة وأوشك رجعة " فكانت صلاة الضحى أعظم قدراً وأكثر خيراً من ملاقات الأعداء فكان رسول الله ﷺ في هذا الحديث يرغب الناس في صلاة الضحى .

وصلاة الضحى مستحبة وليست لازمة واجبة وكان رسول الله ﷺ يصليها مرات ولا يصليها مرات أخرى وأبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول كنا نرى رسول الله ﷺ يصلي الضحى حتى نقول لا يدعها وكان يدعها حتى نقول أنه لا يصليها " من هذا القول نعلم أن رسول الله ﷺ ما كان يواظب عليها لذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما سألتها رجل من الصحابة هو عبد الله بن شفيق رضي الله عنه قال لها يا أم المؤمنين هل كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى قالت ما رأيته يصليها وليس معنى ذلك أن صلاة الضحى ليست موجودة إنما تقول أنها في الأيام التي كان يكون عندها ما كان يصليها لأنها لم تقل أنها لم تشاهده يصليها قط ولكنها قالت بعدها وإنني لأسبحها أي كانت تصليها إذن هي موجودة ومشروعة ولكن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول أن رسول الله ﷺ ما كان يواظب عليها لأنها هي أيضاً تقول لو نشر إليّ أبوي ما تركت تسبيحة الضحى ، وعن معاذة العدوية رضي الله عنها قالت سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى قالت كان يصليها أربع ركعات ويزيد عليها " فمن سمع ذلك الحديث والذي قبله يوشك أن يظن أن فيهما تضارب وتناقض ولكنها كانت تقصد وتعني

في الحديث الأول أنه ما كان يداوم عليها ولا يتركها أبداً بل يصليها أياماً ويتركها أياماً .

وصلاة الضحى لها وقت يكون بعد شروق الشمس بنصف ساعة أي بعد توقيت صلاة العيد التي تؤدي بعد ارتفاع الشمس قدر رمح أو اثنين ويستمر إلى ما قبل صلاة الظهر بعشر دقائق لأن ذلك الوقت من أوقات المنهي عن الصلاة فيه ، ولصلاة الضحى وقت فضيل وهو عندما تشتد الشمس وتزدهر حرارتها فإن زيد بن أرقم رضي الله عنه يقول دخل رسول الله ﷺ مسجد قباء والناس يصلون الضحى فقال صلاة الأوابين تومض الفصال حين تزدهر الشمس " معنى الحديث وحتى تومض منها حافر البهيمة لشدة حرارة الأرض حينما تطأها ، والوميض كأنه يظهر من الأرض نور من شدة الحر فكان ذلك الوقت الفضيل لصلاة الضحى .

وصلاة الضحى أقلها ركعتين فقد روينا حديث أبي ذر وحديث بريدة رضي الله عنهما أنها ركعتان وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال أوصاني خليلي بثلاث صيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وألا أنام قبل أن أوتر " ويجوز أن تكون أربعة ركعات كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وكذلك في حديث معاذة العدوية رضي الله عنها ، ولكن عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل يا بن آدم لا تعجزن عن أربع ركعات في أول النهار أكفك آخره " أي أن الله عز وجل يكفيك بها طوال اليوم تكون في معية الرحمن ، وكذلك يجوز أن تكون ثمان ركعات فإن أم هانئ رضي الله عنها أخت علي بن أبي طالب رضي الله عنه تروي لنا بهذه الصورة البديعة قالت دخل علي رسول الله ﷺ يوم فتح مكة واغتسل وفاطمة رضي الله عنها تستره فأتيت فقلت السلام عليك يا رسول الله فقال مرحباً يا أم هانئ ثم قالت وقام رسول الله ﷺ صلى ثمان ركعات يخففها أي لا يطيل القراءة فيها

حتى أنها ظنت أنه لم يقرأ إلا الفاتحة فقط قالت يخففها غير أنه يتم الركوع والسجود " تلك الثمان ركعات قال بعض أهل العلم في دين الإسلام أن رسول الله ﷺ ما صلى الضحى إلا ركعتين أو أربعة وأنه ما صلى الضحى ثمان ركعات إذن ما هذا الحديث الذي روته أم هانيء رضي الله عنها قالوا أن هذه الثمان ركعات إنما تسمى صلاة الفتح فإنه صلاها عندما فتح مكة فأراد أن يشكر الله عز وجل على تلك النعمة فصلى هذه الثمان ركعات فسميت صلاة الفتح لذلك سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وخالد بن الوليد رضي الله عنهما كانا كلما فتحا مدينة من المدائن أو قرية من القرى كان الواحد منهما يصلي تلك الثمان ركعات.

وإذا نظرنا في تكلفة الحج أو العمرة هذه الأيام نجدها كثيرة وقد تكون محالة على الكثير من الناس لذلك كان في دين الإسلام بدائل كثيرة تناسب كل إنسان على قدره وتجزئ بنفس الأجر والثواب فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من صلى الفجر في جماعة ثم جلس يذكر الله عز وجل حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين - أي صلاة الضحى لأن ساعة طلوع الشمس بذاتها الصلاة منهي عنها لأن رسول الله ﷺ قال لا تتحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، فحديث أنس بن مالك رضي الله عنه إنما يريد رسول الله ﷺ به بعد طلوع الشمس وارتفاعها أي صلاة الضحى - قال كان له بها أجر حجة تامة تامة تامة "

إن خير الأعمال الصلاة ولا يحافظ على وضوءه إلا مؤمن، وعن ربيعة بن كعب رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ تمنى يا ربيعة قلت يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة قال فأعني على نفسك بكثرة السجود .

التوبة

عن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله جئتكَ أطلب العلم قال رسول الله ﷺ مرحباً بطالب العلم ثم قال إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع " الملائكة أظهر خلق الله عز وجل إنما تتواضع لذلك الذي يطلب ويريد العلم، ويقول قائل :

تعلم العلم يا فتى تحوز فخر النبوة فالله قال ليحيى خذ الكتاب بقوة

اطلب العلم فإنك إن تكن عالماً تفلح وإن تكن متعلماً تصلح،
ورسول الله ﷺ يقول إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم " وما ولد إنسان متعلماً ولكن الكل يتعلم .

يقول قائل : جدد التوبة من الأوزار لا تياس من رحمة الغفار، فإن التوبة تطهر من الذنوب والآثام والخطايا والله عز وجل إنما يفرح بتوبة التائب فرحاً عظيماً فقال تعالى ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ النساء 147 ما خلق الله العباد لكي يعذبهم ويدخلهم جهنم وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لله أفرح بتوبة العبد من أحدكم وجد دابته وقد أضلها في فلاة " وكان التشبيه هنا من رسول الله ﷺ لتقريب الصورة لأذهان وعقول الناس فضرب لهم مثلاً برجل فقد دابته وهو في طريق سفر في صحراء وعليها كل ما يملك للسفر من متاع وطعام وشراب فهو بغيرها يضيع في هذه الصحراء الفلاة إذا ضلت وتاهت منه تلك الدابة وكلهم يعرف قدرها وأهميتها فماذا تكون فرحته إذا عثر عليها ووجدها إنما تكون

فرحته وسعادته عظيمة فإن الله عز وجل أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا الرجل الذي عثر على راحلته وقد أضلها في أرض فلاة، وعمر رضي الله عنه يروي لنا تلك الصورة يقول بينما رسول الله ﷺ قد وجد امرأة من السبايا فقدت طفلها الرضيع وعندما عثرت عليه ضمته وألصقته ثديها تلك الصورة ما تركها رسول الله ﷺ تمر فقال لأصحابه أترون هذه طارحة ولدها في النار وهي تقدر على ألا تطرحه قالوا لا يا رسول الله قال فإن الله عز وجل أرحم بكم من هذه بولدها "

رسول الله ﷺ الذي هو أشرف الخلق الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يقول أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنني أتوب إليه وأستغفره في اليوم مائة مرة " وكان يقول إن تغفر اللهم تغفر جماعاً وأي عبد لك لا إماماً، والإنسان جبله الله على أن يقع في الخطيئة وأن يقترب الآثام وقد توكل الشيطان به فإن رسول الله ﷺ يقول كل بن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون " ليس هناك إنسان معصوماً من الخطأ ولكن الفرق بين واحداً وآخر أن أحدهم يخطيء ويصر على الخطأ ويرتكب الآثام ويجملها بينما الآخر يعلم أنه اقترف إثماً فيسارع بالاستغفار والتوبة، وفي حديث رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ قال الشيطان لله عز وجل وعزتك لأغوينهم ما دامت فيهم أرواحهم - يقسم بعزة الله أن يغوي بني آدم طالما فيهم الروح فماذا كانت إجابة الله عز وجل - قال الله عز وجل وعزتي لأغفرن لهم ما استغفروني " والاستغفار من الذنب له فضل عظيم لأن من يستغفر كأنه يقول لله عز وجل إني جئتك ذليل لك إني قهرت شيطاني الذي تسلط عليّ والاستغفار ذكر لله عز وجل لذلك قال رسول الله ﷺ من لزم الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً

ورزقه من حيث لا يحتسب " فنحن نجد ضيق في العيش وقلة في الرزق فمن ألزم نفسه بالاستغفار طوال الليل والنهار فإن الله عز وجل يعده بهذه الجوائز العظيمة التي دلنا عليها محمد ﷺ الذي قال أيضاً التائب من الذنب كمن لا ذنب له " وهناك ذنوب صغيرة وهناك ذنوب كبيرة والقاعدة الشرعية تقول لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار فإن الذي يرتكب الصفائر ولكنه يصر عليها ويفعلها ولا يبالى إنما عليه الوبال ومن ارتكب كبيرة وعلم أنها كبيرة واستغفر منها وتاب عنها فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له لأن الله عز وجل يقول ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الزمر 53 ويقول قائل : دع الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى - إذا كنت من الأتقياء فاجعل نفسك كماشي فوق أرض الشوك تتقي إذا كنت في طريق به أشواك فإنك تتقيه فإن ذلك الإلتقاء يجنبك الذنوب الصغير منها والكبير - ثم يقول ولا تحقرن من الذنوب صغيرة فإن الجبال من الحصى - لا تستصغر ذنباً فإن الجبال أصل تكونها من صغير الحصى، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول المؤمن يرى ذنوبه كأنها جبل يكاد أن يقع عليه والفاجر يرى ذنوبه كالذباب وقف على أنفه فقال به هكذا أي هشه، كان ذلك هو الصغير الذي يجب أن نمتنع عنه .

إذن ما هو الذنب الكبير وما تعريفه في دين الإسلام إنما هو كل ما يجب أن يُقام حداً من الحدود على مرتكبه وفاعله والثاني من توعد الله عز وجل فاعله بالنار والثالث من لعنه الله عز وجل بسببه والرابع هو الذي يورد موارد الهلاك الذي تأكل به حقوق العباد - يقول قائل إذا أردت التوبة النصوح فيجب عليك أن تتعامل بأربعة الندم على

الذنب والإقلاق عنه ثم العزم على ألا تعود إليه مستقبلاً ورد الحقوق إلى أصحابها وهذا الأخير إنما هو من كمال التوبة وحقوق العباد لا تفريط فيها فإن رسول الله ﷺ يقول لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا أخيه إلا بطيب نفس منه " وكذلك يقول من أخذ مال أخيه بيمينه أوجب الله عز وجل له النار وحرم عليه الجنة " مثل الذي يقسم ويحلف على أن هذا الشيء له وهو ليس له لذلك قالوا يا رسول الله أولو كان شيئاً يسيراً قال ولو كان عوداً من أراك " أي لو كان هذا الشيء الذي أخذته بيمينك عود سواك وهو أبسط شيء ، وفي يوم من الأيام جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله عندي خادم يسيء إليّ وأنا أضربه على ذلك فأين أنا يوم القيامة قال له إن كان إساءته لك أكثر من ضريك له فلك وعليه وإن كان ضريك له أكثر من إساءته فله وعليك فانطلق الرجل وهو يولول فقال رسول الله ﷺ ردوا عليّ الرجل فلما جاءه قال له ألم تقرأ قول الله عز وجل ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ۖ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۖ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ الأنبياء 47 حبة الخردل يجب أن تؤديها إلى صاحبها لأنك سوف تحاسب عليها ولن تضيع هذه الحبة عند الله عز وجل فأدها في الدنيا قبل أن تكون يوم القيامة لا تملك ما تؤدي به ما عليك إنما هي حسنات وسيئات فإن رسول الله ﷺ المعلم قال لصحابته في يوم من الأيام أتدرون من المفلس قالوا من لا درهم له ولا دينار قال المفلس من يأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال - هو في الدنيا كان كثير عمل الصالحات مثل الحج والعمرة وكثير الصدقة والزكاة فكان له حسنات مثل الجبال - ثم يأتي يوم القيامة وقد ضرب هذا وشتم هذا وظلم هذا فيؤخذ من حسناته وتعطى لهذا وهذا وهذا فيمسي وليس معه شيء فذاك المفلس "

ولا يجب على المسلم ألا ييأس أبداً من رحمة الله عز وجل فقد جعل الله عز وجل في دين الإسلام مصدات ودروع تحمي بها نفسك إلى يوم القيامة ويتوب الله عز وجل عليك بها فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله أذنبت ذنباً عظيماً فهل لي توبة - ورسول الله ﷺ ما ينطق عن الهوى فبما أجابه - إنما نزل قول الله عز وجل ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذَكَرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ هود 114 قال الرجل يا رسول الله هي لي وحدي قال هي لأمتي "وعمار بن ياسر ؓ يقول رأيت حبيبي رسول الله ﷺ يصلي بعد المغرب ست ركعات ثم قال من صلى بعد المغرب ست ركعات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر" وأبو الدرداء ؓ قال : قال رسول الله ﷺ من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين أو أربعة مكتوبة أو غير مكتوبة يتم فيها الركوع والسجود ثم استغفر الله عز وجل إلا غفر الله له " والصديق ؓ جاء بحديث عن رسول الله ﷺ أشمل وأعم قال : قال رسول الله ﷺ من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام فصلى ثم استغفر الله غفر الله عز وجل له ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ . أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾

آل عمران 135 - 136

ومن المهم أن يجدد الإنسان التوبة ويكثر من الاستغفار ويؤدي حقوق العباد ثم لا يرجع يوم القيامة منطبق عليه حديث رسول الله ﷺ ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل وإن قوماً غرتهم الأماني حتى جاءوا يوم القيامة ولا حسنة لهم فقليل لهم ما أمركم

قالوا كنا نحسن الظن بالله ولو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل " ولا يجب على من وقع في الذنب صغيراً أو كبيراً أن يفضح أمر نفسه إنما يستتر نفسه في الدنيا عسى الله أن يستره يوم القيامة لأن الجهر بالسوء ويعمل الفاحشة هو رذيلة وقد يقلده ويفعل مثله آخرون فقد جاء في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ كل أمتي معافاً إلا المجاهرين وإن من المجانة أن يبیت العبد يستره الله ويصبح يكشف ستر نفسه "

لسنا معصومين من الخطأ والذلل والوقوع في المعصية وارتكاب الذنوب ولكن علينا أن نسارع إلى التوبة منها وكثرة الإستغفار حتى يغفرها الله لنا ويتوب علينا فإن الله عز وجل يقول ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ طه 82

صلاة التسابيح

يقول رسول الله ﷺ ألا أدلكم على خير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فيضربوا أبشاركم وتضربوا أبشارهم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل ألا بذكر الله تطمئن القلوب " والله عز وجل يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ الأحزاب 41 - 42 أمرنا الله عز وجل بذكره ورسول الله ﷺ أمر الناس أن يكون لسانهم رطباً بذكر الله إذا أردتم أن تكونوا من أهل الجنة فاجعلوا ألسنتكم رطبة بذكر الله عز وجل ، وسعيد بن جبير رضي الله عنه يقول كل عمل فيه طاعة لله عز وجل فهو ذكر لله ، فمن جلس في جماعة يتدارسون أمور دينهم فإنما هو قد حصل فائدة عظيمة بأن تفقه في دينه ونال أجر ذكر الله عز وجل وقد خرج بما يفيد في دينه ودنياه فيكون كالذين يذكرون الله ، وأبو ذر رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ يا أبا ذر لأن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة - كان تعلم آية واحدة خير من صلاة مائة ركعة ثم قال - يا أبا ذر لأن تغدو فتتعلم باباً من أبواب العلم عمل به أو لم يعمل خير لك من أن تصلي ألف ركعة - ورسول الله ﷺ يقول الصلاة خير موضوع فمن شاء فليكثر ومن شاء فليقل والصلاة إنما كانت وصية رسول الله ﷺ قبل أن يغادر الدنيا ثلاثة أيام يخرج على الناس يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ، وكذلك يقول في حديث له من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتى ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له الصلاة حفظك الله كما حفظتني ثم

يُصعد بها إلى السماء ولها نور فتفتح لها أبواب السماء حتى تدخل على الله عز وجل وتشفع لصاحبها وأما من قام إلى الصلاة فلم يتم ركوعها وسجودها ولا القراءة فيها قالت له ضيعك الله كما ضيعتني ويُصعد بها إلى السماء ولها ظلمة فتغلق دونها أبواب السماء ثم تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها " كانت هذه هي الصلاة وقدرها ومكانتها فإنها مكفرة للذنوب والخطايا ، ورسول الله ﷺ يقول في حديث رواه عمار بن ياسر رضي الله عنه قال إن المصلي ليصلي وذنبه فوق رأسه فكلما سجد تتساقط خطاياهم فينصرف حين ينصرف من صلاته وقد تحاتت خطاياهم " وذلك لمن يصلي وهو يعلم أنه واقف بين يدي الملك أمام الله عز وجل فيعطى للصلاة حقها وخشوعها ويعلم أنه يطرق بها باباً من أبواب الملك فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ المصلي يقرع باب الملك ومن داوم قرع الباب يوشك أن يفتح له " الذي يطرق على الباب ويصر عليه لا بد وأن يفتح له ذلك الباب في وقت ما والله عز وجل هو الذي يفتح له الباب لأن الله هو الملك .

وهناك صلاة من صلوات التطوع جاء ذكرها في بعض كتب الفقه تحب وترغب فيها هي صلاة التسابيح وقد جاء في ذكرها حديث عن عكرمة رضي الله عنه قال قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ يا عباس يا عماء ألا أعطيك عشر خصال - يقول لعمه ويكررها بألفاظ كثيرة مثل ألا أمنحك ألا أحبوك كلها تؤدي نفس المعنى إرشاداً إلى الخير ثم قال له إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنوبك ونحن نصلي لأنفسنا لأن الله عز وجل غني عنا ونحن نريد أن يغفر الله لنا ويطهرنا ويقبلنا في الصالحين قال له - إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره وقديمه وحديثه وخطئه وعمده وصغيره وكبيره وسره وعلايته قال تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وما تيسر

لك من القرآن ثم تقول خمس عشرة مرة سبحان الله وبحمده ولا إله إلا الله والله أكبر ثم تركع فتقول مثلها عشر مرات ثم ترفع من الركوع فتقول مثلها عشر مرات ثم تسجد فتقول مثلها عشر مرات ثم تجلس بعد السجود فتقول مثلها عشر مرات ثم تسجد فتقول مثلها عشر مرات ثم تقوم من السجود وتجلس وتقول مثلها عشر مرات خمس وسبعون في كل ركعة ثم قال رسول الله ﷺ إن استعطت أن تصلّيها في كل يوم مرة فافعل فإن لم تستطع ففي كل جمعة فإن لم تستطع ففي كل شهر مرة فإن لم تستطع ففي كل عام مرة فإن لم تستطع ففي العمر مرة " ولنعلم أن هذه الصلاة التي جاءت بهذه الكيفية في جميع كتب الفقه إنما جاءت من باب الحض والترغيب على كثرة ذكر الله وعلى التقرب بها إلى الله أما الصلاة ذاتها فإن الأحاديث التي جاءت بخصوصها بها ضعف وجاءت في كتب الفقه لأن الحديث الضعيف إنما العمل به في فضائل الأعمال، وهذه الصلاة قال فيها أهل العلم والتحقيق في أحاديث رسول الله ﷺ فقد قال الإمام النووي أن جميع أحاديث صلاة التساييح لا يصح منها شيء عن رسول الله ﷺ، والإمام أبو بكر بن العربي قال في ذلك الحديث السابق أنه لا أصل له في الصحيح ولا في الحسن أي أنه حديث ضعيف، والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله سئل عن صلاة التساييح فقال لا تعجبني قيل له لماذا قال لا يصح فيها شيء ونفض يديه كالمنكر لها، وقد وصل حكمها إلى أبعد من ذلك عند الإمام بن الجوزي فقال إن حديث صلاة التساييح إنما هو موضوع، إذن لماذا جاءوا بها في كتب الفقه ذلك لكثرة الأذكار فيها فمن أراد أن يصلّيها فليصلّيها لكثرة ذكر الله فيها ويرجو الله عز وجل مع ضعف الحديث أن يأجره عليها ويكتبه مع الذاكرين الله كثيراً فإذا صلاها الإنسان فليصلّيها في بيته رغم أن هذا الحديث مع ضعفه إلا أنه ذكر أنها تصلّى في جماعة وحدد فيه كيفية أدائها، والرسول ﷺ غادر الدنيا ولم تأتينا عنه بيّنة أنه صلى

صلاة بتلك الكيفية في جماعة لأنه لو كان فعل ذلك لكانت انتشرت عنه ولعلمها الكثير من الصحابة ونقلوها عنه وأدوها كما رأوه يؤديها ، أما إذا لم يفعل رسول الله ﷺ ذلك وهو الذي أمرنا أن نعبد الله عز وجل كما علمنا وأن نأخذ عنه ديننا وعباداتنا سواء الفرائض أو السنن والنوافل وقد ثبت أنه لم يؤديها في جماعة بينما نجد البعض من الناس تصلّيها جماعة في المساجد فلنعلم أن هذا الأمر إنما هو من البدع وما أمرنا به فإذا اجتمع له الناس في أيام أو ليال معينة كانت البدعة أشد سواء كانت في ليلة النصف من شعبان أو في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب أو في ليلة القدر كل ذلك ما أنزل الله به من سلطان ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لو كان الدين بالرأي لكان المسيح على أسفل الخف أولى من وجهه ولكننا رأينا رسول الله ﷺ يمسح وجهه الخف فمسحنا وجهه الخف ، فإذا كان الأمر في صلاة التسابيح الغرض منه الحصول على مغفرة الذنوب من الله عز وجل والتقرب إليه فإن هناك من التطوع ما قاله رسول الله ﷺ وفعله وأمر بفعله وفيه مغفرة للذنوب بيقين وعلينا أن نتزود به ونتبعه في ذلك فقد قال أن كثرة الصلاة بعد الفريضة فيها مغفرة للذنوب ومحو للخطايا فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال له يا رسول الله أذنبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة فلم يجبه رسول الله ﷺ بشيء - ما ذلك الذنب العظيم الذي فعله هذا الرجل قد قبل امرأة في الطريق - فنزل قول الله عز وجل ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَلِكِ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ﴾ هود 114 وكان ذلك في الصلاة المفروضة يمحو الله بها الذنوب والخطايا ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين أو أربعة مكتوبة أو غير مكتوبة يتم ركوعها وسجودها ثم استغفر الله عز وجل إلا غفر الله له " الذي فعل ذنباً يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين أو أربع

سواء كانت صلاة تطوع أو فريضة كأن تكون قد وجبت صلاة الظهر أو العصر أو غيرها من الفرائض ثم يستغفر الله عز وجل فإنه يخرج من صلاته هذه وقد تطهر مما أذنب، وعن أبي بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ما من رجل يذنب ذنباً ثم يتطهر ويصلي ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر الله له واقرأوا إن شئتم ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ آل عمران 135 – 136 وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال رأيت حبيبي ﷺ يصلي ست ركعات بعد المغرب ثم قال من صلى بعد المغرب ست ركعات غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زيد البحر " وكيف لا والله عز وجل هو غافر الذنب وقابل التوب، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا بن آدم لو جئتني بقراب الأرض خطايا ثم جئتني لا تشرك بي شيئاً جئتك بقرابها مغفرة – أي أن الله عز وجل أبدل السيئات حسنات لمن جاءه لا يشرك به شيئاً فإنه غافر الذنب قابل التوب – ورسول الله ﷺ إنما دلنا على أفعال صحيحة يمحو الله بها الذنوب والخطايا فمن صلى صلاة التسابيح فليعلم أن الأحاديث التي وردت بخصوصها ضعيفة رغم إنها صلاة فيها الكثير من ذكر الله عز وجل لذلك لا نمنع إنسان أن يقوم بها ويصليها حتى يُثقل حسناته ولكن إذا صلاها فليصليها منفرداً في بيته أما أن يجمع لها الناس في مسجد فإن ذلك لم يرد عن أي من صحابة رسول الله ﷺ ولم يرد أن أداها رسول الله ﷺ في جماعة أو في المسجد .

سجود السهو

إن الله عز وجل خلق الإنسان وركب فيه أموراً معينة جعلها من فطرته وضمن خلقه من هذه الأمور النسيان والسهو بل إن بعضاً من أهل العلم أرجعوا تسمية الإنسان بهذا الاسم نسبة إلى النسيان، والنسيان ليس كله شر فقد يكون فيه الخير فإن الإنسان ينسى ما يصيبه من مصائب فيرتاح خاطره ويباشر حياته ولو ظل يتذكرها لتوقفت حياته عندها لأنه يكون في هم دائم وأبو البشر آدم عليه السلام وقع في النسيان والله عز وجل يقول في حقه ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ طه 115 والله عز وجل هو الذي أمره ورغم ذلك نسي، وكذلك يقول الله عز وجل في كتابه ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ ۚ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام 68 نزلت هذه الآية تخاطب رسول الله ﷺ يقول له الله عز وجل إما ينسينك الشيطان وذلك لأن الله عز وجل جعل رسول الله ﷺ بشر يعتريه ويجري عليه ما يجري للبشر حتى يكون قدوة لنا ولو محا عنه النسيان ما كانت القدوة كاملة، لذلك نعلم أن النسيان صفة مركبة في كل إنسان لا مفر منها لذلك كان رسول الله ﷺ يقول في حديث له إنما أنا بشر ولكنه ليس ككل البشر فهو أعظم البشر قدراً عند الله عز وجل وهو خير بني آدم وأكرمهم على الله ولكنه قال إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني، ليس معصوماً منها ولكنه لأنه مشرع للأمة عن رب العالمين جعله الله عز وجل ينسى في صلاته لأنه معلم وإن لم يقع في ذلك لما علمنا الحكم فيها من بعده لأننا

نأخذ الشرع عنه ، وقد نسى رسول الله ﷺ في صلاة رباعية فسلم بعد الركعتين ثم قام وأتم الثالثة والرابعة وكذلك نسى في صلاة الركعتين وقام إلى الثالثة كل هذه الأمور إنما وقع فيها رسول الله ﷺ وكان الغرض منها تعليم الأمة من بعده والأولى في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى بنا رسول الله ﷺ العصر فسلم بعد ركعتين فقال له رجل يسمى ذو اليدين أقصرت الصلاة يا رسول الله أم نسيت قال ما من ذلك شيء ما قصرت الصلاة وما نسيت لأنه لو علم أنه نسى لأتم الصلاة ثم قال أحقاً ما يقول ذو اليدين قالوا نعم يا رسول الله فقام رسول الله ﷺ فأتهم صلاته ثم قبل أن يسلم سجد سجدتين سهو ثم سلم من الصلاة " لذلك عندما يامرنا رسول الله ﷺ بذلك فيجب أن نتعامل مع هذا الأمر فإنه قال فيمن يشك في صلاته كما جاء في حديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدرى أصلى ثلاثة أم أربعة فيلبي على ما استيقن ثم يتم صلاته ثم يسجد سجدتي سهو قبل أن يسلم فإن صلى خمسة كانت شافعة لصلاته " وهنا يكون اليقين على الأقل أي على ثلاثة ركعات وسجدتي السهو تكون شافعة لهذه الصلاة وجابرة لما اعتراها من سهو وإن كانت تمام الأربع كانت إرغماً للشيطان فسجود السهو سنة مؤكدة عن رسول الله ﷺ وجعلت في شريعة الإسلام جبراً لما يصيب الصلاة من زيادة أو نقصان سهواً لأن التعمد في الزيادة أو النقصان إنما يبطل الصلاة فإذا تعمد إنسان أن يزيد ركوعاً أو سجوداً أو ركعة ، وأما إذا سهى إنسان ولم يركع أو لم يسجد فإنه إن كان النقص في ركن من الأركان إن كان قريباً من الركن يعود إليه ويتمه كأن يكون قد هم إلى السجود ونسى الركوع فإن كان لا يزال قريباً من وضع الركوع عاد وركع ثم يسجد ويتم وأما إذا مر على ذلك ولم يتذكر بعد ركعة أو ركعتين فإن

الركعة كلها يعيدها بتمامها بعد الجلوس للتشهد الأخير ثم يسجد السهو وكذلك من نسي سجدة من سجدي الركعة فعليه أن يتم هذه السجدة بعد التشهد ثم يصلي سجدي السهو، وأما إن كان السهو في سنن الصلاة مثل التشهد الأوسط فإن ذلك التشهد لا يجب فيه الرجوع من الركن لأدائه إنما يكفي بسجود السهو قبل التسليم من الصلاة، وقد جاء في حديث رواه المغيرة بن شعبه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا قام أحدكم من الركعتين فإذا لم يستتم قائماً فليرجع - إذا كان هذا السهو حدث من إمام وسبح له الناس وانتبه فلا يستجيب للناس ولكنه يستمر في الوقوف وقد جاء ذلك في حديث لابن بحين رضي الله عنه قال صلى بنا رسول الله ﷺ فقام من الركعتين فسبح الناس فمضى في صلاته ولم يرجع فلما قضى صلاته سجد سجدي السهو قبل أن يسلم " والإمام إذا نسيها وعاد إلى الجلوس فلا شيء عليه والذين إلتموا به صنفان أحدهما علم أن الإمام سهى وعاد فتجاوب معه في العودة، ومن كان عالماً بطلت صلاته ويجب عليه إعادتها أما إذا لم يكن عالماً وكان ساهياً مثل الإمام كان جاهلاً بالحكم فإن صلاته صحيحة وأما إذا تعمد الإمام الرجوع فإن صلاة الجميع باطلة يجب إعادتها أما إذا عاد ساهياً أو جاهلاً فإن معه العذر فإن رسول الله ﷺ قال رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ " واللّه عز وجل يقول ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَا كُنْ مِمَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ الأحزاب 5 إن اتباع الإمام لا يكون إلا فيما علم بأنه من حقائق الصلاة ومن كيفيتها إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا ولكن لا تتبع الإمام إذا خالف أو أمر الله عز وجل أو أوامر رسول الله ﷺ فإذا صلى بنا إمام وقام للركعة الخامسة فلا نستجيب له إنما نسبح له فإذا استجاب فخيراً وإذا لم يستجب فليس

لنا أن نتبعه في الزيادة وقد يقول قائل إنما قلنا أن رسول الله ﷺ قد قام في صلاته إلى الخامسة وفعلاً ورد ذلك في حديث رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى خمسة فقليل له أزدت الصلاة يا رسول الله قال لا قالوا صليت خمسة فسجد سجدة ثم سلم، ولا يقول أحد لماذا لم يفعل الصحابة كما قلنا ولم يتبعوه في الخامسة لأن رسول الله ﷺ هو الذي يعلمنا العبادة عن رب العالمين وهو الذي ينقل إلينا الشرع فما كان للصحابة أن ينبهوا حتى يتبينوا فقد تكون الصلاة زادت بتلك الركعة ولكن لما استقر الشرع بنا وعلمنا ما في كل صلاة من ركعات فإن الزيادة بعد ذلك تكون نقضاً لهذه العبادة فلا طاعة لمن يقوم بها إن كان متعمداً أو ساهياً ولكن من كان في المأمومين أيضاً ساهياً وظن أنها الرابعة وليست الخامسة وأتمها مع الإمام فلا شيء عليه وكذلك من كان يجهل هذا الحكم وأتم مع الإمام فلا شيء عليه أما من يعلم فليس له أن يؤديها مع الإمام ، والتسبيح للإمام إذا كان من أكثر من رجل وجب عليه العودة أما إن كان من واحد فقط فلا يجب عليه العودة لأنه قد يكون هذا الرجل هو الذي سهى ولكن إن تكرر من أكثر من رجل فإن فيه التأكيد .

وإذا صلى بنا إمام ثم نسي وجلس بعد الركعة الأولى أو في الركعة الثالثة فإن ذلك النسيان يجبر بسجود السهو ولا يبطل الصلاة وقد يكون سجود السهو بعد التسليم من الصلاة عندما يذكره الناس وقد يكون قبل التسليم إذا علم بها أثناء الصلاة وكل هذه الأمور صحيحة إنما كل ما صادفك أنك قد تجنبت الأفضل وسجود السهو تسجده إذا تذكرته حتى ولو بعد سنين وإذا لم تتذكره ولم تسجده فلا شيء عليك فإنه كما قلنا سنة مؤكدة ، إذا كنت تصلي نافلة فنسيت في الركعة الأولى أو الثانية قراءة الفاتحة فليس عليك إعادة الركعة

كما هو في الفرض ولكن يجبر ذلك سجود السهو ولا تفسد صلاة النافلة، وأما نسيان قراءة سورة بعد الفاتحة أو الجهر بها أو الإسرار بها فذلك ليس له سجود سهو وإذا زدت في النافلة وصليت ركعة ثالثة فليس عليك رجوع إنما تصلي ركعة رابعة فتكون صلاتك للنافلة ركعتين ركعتين ليس عليك فيها رجوع، وكذلك صلاة الجنابة ليس فيها سجود للسهو ولكن إذا صلى أحد على رسول الله قبل الفاتحة أو دعا للميت قبل أن يقرأ الفاتحة أو بعدها أو قبلها أو دعا لنفسه ولسائر الناس قبل الدعاء للميت فكل ذلك لا يفسد صلاة الجنابة وليس فيها سجود سهو وكذلك إذا اختلط عليك الأمر فلك أن تصلّيها ولو خلف الجنابة ولو كنت سائراً مع الجنابة، وفي مذهب الإمام الشافعي رحمته الله يقول أنه لا جهل في دين الإسلام فيجب علينا جميعاً أن نتعلم لأنه في مذهبه يقول الجهل بشيء في العبادة يجرح عبادته وهو المذهب الوحيد الذي قال بذلك بخلاف سائر أهل الفقه في دين الإسلام فعلى أن نتعلم كيف نقيم فرائض ديننا وكيف نقيم صلاتنا ونؤديها كاملة غير ناقصة حتى نتزود إلى رب العالمين ب زاد التقوى لأن الصلاة هي أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة فإن صلحت صلح سائر العمل وإن فسدت فسد سائر العمل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فحاولوا واعقدوا العزم على أن تكون صلاتكم صحيحة، والإمام مالك رحمته الله يقول في الذي عاد من الوقوف إلى الجلوس الأول أنه لا بأس في ذلك لأنه يقول في مذهبه أن الحركة اليسيرة لا تبطل الصلاة، ولكن الرأي الآخر المؤيد من الأحاديث التي أوردناها عن بن بريدة وعن المغيرة بن شعبه كما فعلها رسول الله صلوات الله عليه لذلك مذهب سائر أهل الفقه منها ولكن إذا أخذ أحد بما جاء في مذهب الإمام مالك فلا بأس ولا حرج عليه فإن لهذا حجته ولهذا حجته والله عز وجل يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر .

فقه السهو

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في دين الله عز وجل فإن السؤال في الفقه هو محاولة لمدرسة الدين وذلك لا حياء فيه ولا خجل ويقول قائل :

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابد هما قطبان

ومدارهما بالأمر أمر محمد لا بالهوى والنفس والشيطان

هذا القائل شبه عبادة الرحمن بالبطارية التي لها قطبان أحدهما موجب والآخر سالب وكلاهما نأخذهما من محمد ﷺ فإن الأمر في دين الإسلام ليس بالهوى إنما هو بالإتباع، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان يقول للناس في يوم من الأيام قال رسول الله ﷺ فرد عليه واحداً من الناس فقال قال عمر ورد ثان وقال قال أبو بكر فقال لهم عبد الله بن عباس إذا قلت لكم قال رسول الله ﷺ فلا تقولوا قال أبو بكر أو قال عمر يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء " قال لهم ذلك رغم علمه قبل علمنا بمنزلة ومكانة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ونعلم فضلها في هذا الدين، والشافعي رحمه الله يقول من استحسن في الدين فقد شرع ومن شرع فعمله مردود عليه أي أن الذي يستحسن ويقول حكماً من رأسه ويقول أن هذا أحسن من ذاك فقد أخذ برأيه وقد شرع من رأسه والتشريع إنما هو مأخوذ عن رسول الله ﷺ الذي نزل عليه ذلك الدين من رب العالمين، ورسول الله ﷺ ما ترك الدنيا حتى نزل عليه قول الله عز وجل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة 3 فإن الدين قد أتمه الله عز وجل فلا ينقص أبداً ولا يزداد

أبدأً والعبادات فيه هي أمور توقيفية فقد صلى رسول الله ﷺ وقال للناس صلوا كما رأيتموني أصلي وخرج حاجاً ومعتماً فقال للناس خذوا عني مناسككم، والكثير من الناس تقرأ الأحاديث وتتلوا القرآن ولكن قد لا يكون مع ذلك عندهم فقه لذلك فإنهم قد يفسدون أكثر مما يصلحون فعن مكحول رضي الله عنه قال بينما أصحاب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما جلوس في المسجد منهم مجاهد وعكرمة وفلان وفلان دخل عليهم رجل فقال أفيكم من مفتي وكان عبد الله بن عباس يصلي فقالوا له سل ما شئت فقال لهم إني كلما بليت تبعه الماء الدافق فقالوا لا نرى لك إلا الغسل فانطلق الرجل وهو يقول لا حول ولا قوة إلا بالله فيسرع عبد الله بن عباس في صلاته وبعد أن سلم منها قال لأصحابه رأيتم ما أجبتكم به الرجل أي في كتاب الله عز وجل قالوا لا قال أي في سنة رسول الله ﷺ قالوا لا قال فمن أين إذن قالوا من رأينا قال لذلك قال رسول الله ﷺ فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ثم قال انطلقوا خلف الرجل فأتوا به فقال له وسأله إذا حدث معك هذا الذي يحدث هل تجد بعده شهوة في قبلك قال لا قال هل تجد خدرًا في جسدك قال لا فقال له إذن يكفيك الوضوء منها فإنك مريض، وجابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه في يوم من الأيام قال كنا في سفر فإذا برجل منا شج رأسه ولما نام احتلم وعندما أصبح أخذ يسأل من معه لأنه عنده جرح غائر في رأسه فقالوا له لا نرى لك إلا الغسل فاغتسل فدخل الماء إلى الجرح في رأسه فمات الرجل وعندما عادوا إلى رسول الله ﷺ قصوا عليه ما كان من الأمر فقال رسول الله ﷺ قتلوه إنما شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه أن يضع شيئاً على رأسه ويتيمم، لذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول لو كان الدين بالرأي لكان مسح على أسفل الخف أولى من ظاهره ولكننا رأينا رسول الله ﷺ يمسح على وجهه فمسحنا، ورسول الله ﷺ الذي قال صلوا كما

رأيتهموني أصلي لأن الله عز وجل أراد منه أن يكون معلماً وقدوة لذلك جعله ينسى في صلاته حتى نأخذ عنه التشريع فلو لم ينسى ما علمنا الحكم فيها من بعده، وكذلك رسول الله ﷺ وهو الذي نزل عليه القرآن كان في صلاته بالناس إماماً يلتبس عليه القرآن وهو يقرأ كأن يأتي بآية مكان آية أو ينسى آية فكان صحابته لا يردون عليه شيئاً لماذا لأنه هو الذي نزل عليه القرآن فربما يكون نزل عليه آيات فيها تغيير أو تعديل غير الآيات التي يعرفونها فكانوا لا يردون عليه ولكن لأنه هو الذي جاء بالتشريع من رب العالمين لما يسلم من صلاته يقول أما فيكم أبي بن كعب لأنه يريد أن يعلم الناس الحكم إذا أخطأ الإمام لأنه هو القدوة لذلك سأل عن أبي بن كعب لأنه كان أحفظ الصحابة للقرآن فيقول له لماذا لم تردني وذلك حتى يعلم الجميع أنه إذا أخطأ الأمام أو نسي آية فعلى الذي يعرف بيقين أن يرده ويكون ذلك بصوت عال وواضح حتى يسمعه الإمام بلا لبس أما إذا كان غير متيقناً من الآية فيصلت ولا يرده حتى لا يفسد على الناس صلاتهم، وكذلك كان الأمر بإرادة الله أن ينسى رسول الله ﷺ في صلاته فيزيد فيها أو ينقص منها فيذكره الصحابة بعدها فيقوم فيعمل ما يجب حتى يتعلم الناس منه الحكم فيها لأن الإمام لابد أن يتبع في الصلاة ولكن إذا نسي أو أخطأ يجب على من وراءه أن يردوه كما علمنا رسول الله ﷺ ذلك وبين لنا لحكم في كل ما قد يرد في الصلاة من الإمام من سهو أو نسيان وكيف يتم جبر النقص فيها أو الزيادة وذلك حتى تتم العبادة ويكون العمل صحيحاً يقبله الله عز وجل .

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ

يقول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة 183 الله عز وجل فرض على أمة الإسلام صيام شهر رمضان وشهر رمضان إنما فرض على الأمم من قبل، ما من أمة إلا فرض الله عز وجل عليهم صيام شهر رمضان، وكان فرض صيامه في السنة الثانية من الهجرة فكان الذي يتخلف عن صيام يوم واحد منه بغير عذر فقد ارتكب كبيرة من الكبائر فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من أفطر يوماً في رمضان من غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر كله وإن صامه " ورسول الله ﷺ يقول عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الإسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم شهادة ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان " لذلك من ترك واحدة من هذه الثلاثة فقد كفر بها جميعاً ، وكلك يقول رسول الله ﷺ أربعة فرضهن الله عز وجل على عباده من أدى ثلاثة منهن لا يغنين عنه شيئاً حتى يأتي بالرابعة الصلاة المكتوبة وصوم رمضان والزكاة وحج البيت " وعلى ذلك من عمل ثلاثة منها وترك الرابعة بغير عذر في تركها فإنه على خطر عظيم .

الله عز وجل فرض وكتب الصيام على أمم من قبلنا ولكنهم بدلوا وغيروا فيه بالزيادة عليه أو النقصان منه لذلك كان دين الإسلام هو الدين التوقيفي الذي يجب فيه اتباع أمر الله وحده لا خلاف فيه فمن خالفه كان من الخاسرين ، وعبد الله بن عباس رضي الله عنه قال جاء عيسى بن مريم عليه السلام إلى الحواريين ومعهم بني إسرائيل فقال لهم إن الله عز

وجل يأمركم أن تصوموا شهراً وكان ذلك الشهر هو شهر رمضان فإذا أفطرتهم سألتهم الله عز وجل فأعطاكم كان ذلك من عيسى قولاً وأمرأ فماذا صنعوا إنما استجابوا وصاموا وعندما جاء وقت المكافأة بعد أن صاموا الشهر قالوا لنبي الله عيسى لقد صمنا كما أمرتنا وإنا إذا عملنا لأحد فقضينا عملنا لأطعمنا فسل ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ما طلبوا طعاماً عادياً مما ينبت في الأرض والله عز وجل يقول ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ۚ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ المائدة 112 هل الذي طلب المائدة هم أنصاره ومؤيدوه إنما الذي طلب هم عامة الناس والحواريون يسمعون وما اعترضوا فنسب قول الناس إليهم لأنهم ما منعوا بني إسرائيل عن أن يتناولوا على رسول الله والله عز وجل يقول فيهم ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ المائدة 113 قالوا نريد أن نطمئن أن الله عز وجل قبل منا الصوم ورغم أن معجزات نبي الله عيسى كانت حسية ملموسة إلا إنهم ما تعاملوا معها بما يجب أن يكون من الإيمان والتسليم عندما كان يبريء الأبرص أو يعيد البصر للأعمى أو يحيي الموتى بإذن الله عز وجل آيات بينة ولكن هؤلاء القوم إنما يحملون قلوباً قاسية وها هم ماثلين أمامنا نراهم كيف يتعاملون مع النساء والشيوخ والأطفال العزل من أهل فلسطين بعد أن احتلوا أرضهم وديارهم — عبد الله بن عباس رضي الله عنه راوي هذه القصة يقول فأنزل الله عليهم المائدة من السماء عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة هذا العدد فقط من الأسماك إنما أطعم أكثر من خمسة آلاف رجل وشبعوا وتلك هي المعجزة فأكل آخر القوم كما أكل أولهم، قال عمار بن ياسر رضي الله عنه وأمروا ألا يدخروا لغد فخانوا وسرقوا لغد فمسخوا قردة وخنازير والله عز وجل يقول ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ

فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ» المائدة 115 قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه أشد الناس عذاباً أهل النفاق وفرعون ومن تبعه فإن الله عز وجل يقول ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ غافر 46 والذين كفروا من أصحاب المائدة من اليهود - ورغم أن الحواريين لم يفعلوا مثل فعلهم إلا أنهم صمتوا ولم يردوهم وذلك لنعلم أن الذي يسكت عن الحق إنما هو شيطان أخرس يناله من العذاب مثل من فعلوا - شهر رمضان كان صيامه فرضاً على قوم عيسى عليه السلام ولكنهم ماذا فعلوا فيه عندما مرض أحد القساوسة فيهم نذروا نذراً إذا شفاه الله أن يصوموا يومين قبل رمضان ويومين بعده ثم حدث بعد ذلك أنهم أرادوا أن يأخذوا بالتقية أن يصوموا ويتأكدوا أنهم صاموا الشهر من أوله إلى آخره فأخذوا يزيدون أياماً قبله وأياماً بعده حتى وصل صيامهم إلى خمسين يوماً، ثم لما كان شهر رمضان يأتي في وقت شديد الحر فانتقلوا به إلى التقويم الميلادي حتى يأتي دائماً في فصل الربيع حيث اعتدال الجو فكان فيه الراحة لهم ثم غيروا في كيفية الصيام كانوا يمتنعون عن الطعام والشراب ثم جعلوا الإمساك عن أنواع معينة من الطعام والشراب والسماح بأشياء أخرى فكانوا يمتنعون عن أكل كل ما فيه روح فاختلف الصيام عندهم بالكامل عن ما أمرهم الله عز وجل به، ولذلك نهانا رسول الله ﷺ أن نتقدم رمضان بصيام يوم أو يومين وكذلك لا نتبع رمضان بصيام حتى لا نصله به وحتى تكون الفريضة هي صوم رمضان لا شيء يتصل به ولا شيء يتبعه وعمار بن ياسر رضي الله عنه قال من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصا أبا القاسم رضي الله عنه، فكان هنا المنع حتى لا يكون تشبه بالنصارى وحتى لا تزداد أيام رمضان على غير ما فرض الله عز وجل فكان رسول الله ﷺ ينهى عن صيام يوم

الشك وقال لا يتقدم أحدكم صيام رمضان بصيام يوم أو يومين " ثم إذا انقضى الشهر وكان يوم العيد فإن الصيام فيه محرماً فقال رسول الله ﷺ يوم الفطر ويوم الأضحى وأيام التشريق هي عيدنا أهل الإسلام وهي أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل ، والنصارى بدلوا وحرفوا وزادوا في رمضان .

وأما اليهود فإنهم اختزلوه وجعلوه أياماً متفرقة طوال العام ابتدأوا يصمون ثلاثة أيام في كل شهر ثم جعلوها يوماً واحداً ثم اختزلوها أكثر وجعلوا صيام الفريضة يوماً واحداً في السنة هو يوم كيبور الذي يذكرنا بجنود مصر عندما دكوا حصونهم دكاً في العاشر من رمضان ، وهم لا يصومونه إلا إذا كانوا في شدة أو نزل عليهم البلاء أما إذا كانوا في رخاء فإنهم لا يصومون ، ثم كان صيامهم الذي ابتدعوه أنهم يصومون من منتصف الليل إلى منتصف الليل في اليوم التالي لا يطعمون إلا مرة واحدة خلاله .

دين الإسلام دين التوقيف يأمرنا بالإفطار والسحور ورسول الله ﷺ يشدد في طعام السحور لأن اليهود كانوا يأكلون مرة واحدة فكان رسول الله ﷺ يقول تسحروا فإن في السحور بركة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم شربة ماء ، وكذلك كان يقول آخروا السحور ، وكذلك كان يقول فصل ما بيننا وبين أهل الكتاب أكلة السحور ، وكذلك يقول لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وآخروا السحور ، وقد كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات ثم يصلي المغرب فليس معنى تعجيل الفطر أن يجلس المرء ويملأ بطنه بالطعام والشراب بمجرد سماع أذان المغرب فإن الفطر سلوك وسنة يفطر على رطبات فيكون بذلك عجل بالفطر وكسر الصيام ثم يصلي المغرب فإن لم يجد رطبات أكل

من التمر فإن لم يجد يحتسي حسوات من ماء ثم يقول رسول الله ﷺ إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة فإن لم يجد فعلى ماء فإنه طهور .

رمضان يجب أن يكون مستقلاً عما قبله وما بعده حتى نتجنب فعل اليهود والنصارى ، وسحور رسول الله ﷺ كان قبل أذان الفجر قدر قراءة خمسين آية ويجب علينا أن نتسحر حتى لا نتشبه باليهود والنصارى ونطيع الله عز وجل في العبادة ونتبع رسول الله ﷺ فيما قال وأمر به حتى يقبل الله عز وجل منا العمل .

يقول الله عز وجل ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ البقرة 185 الأمر من الله عز وجل لنا عند رؤية الهلال وجب الصوم وإذا رأينا الهلال في نهاية الشهر وجب الفطر، ورسول الله ﷺ يقول في حديث له الشهر تسعة وعشرون يوماً فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروا الهلال فإذا غم عليكم فأكملوا عدة الشهر ثلاثين يوماً " وإذا غم عليكم معناها إذا كان هناك سحاب يمنع رؤية الهلال فمن كان عندهم هذا الضباب ولم يروا الهلال فلا يصوموا حتى يروه وكذلك في الفطر، ونحن كل عام نرى الناس تتشاجر وتتنازع يقولون هناك بلد ما صاموا ورأوا الهلال وبلد آخر لم يروه ولم يصوموا لذلك ننظر إلى شرع الله عز وجل في ذلك الأمر حتى لا يكون بسببه خلاف نعلم أن الله عز وجل أمر لهؤلاء ولم يأذن لهؤلاء لأن رسول الله ﷺ قال إذا غم عليكم والله عز وجل يقول فمن شهد منكم

الشهر فليصمه فكان مذهب الإمام الشافعي وأبو حنيفة رضي الله عنهما أن لكل بلد رؤيتهم ولا تلزمهم رؤية غيرهم وقال الشافعي أن المطالع تختلف حسب مسافة القصر فكان في ذلك مرونة في الفقه، وجاء في المغني لابن قدامة رحمته الله قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعبد الله بن عمر وعمر بن العاص وأبو هريرة ومعاوية بن أبي سفيان وأم المؤمنين عائشة وأسماء بنت أبي بكر وابن مهران وطاووس ومجاهد أن الناس في الصيام تتبع الإمام إن صام صاموا وإن أفطر أفطروا لأن رسول الله ﷺ يقول الصوم يوم تصومون والفطر يوم تفطرون والأضحى يوم تضحون، كل بلد من بلاد المسلمين تتبع إمامها لأنه هو الذي يتحمل المسؤولية أمام الله عز وجل .

علينا أن نهيء أنفسنا لاستقبال شهر رمضان فإن رسول الله ﷺ يقول أتاكم رمضان شهر بركة ينزل الله عز وجل فيه فتغشاكم الرحمة ويحط فيه من خطاياكم ويستجيب فيه لدعائكم وينظر إلى تنافسكم فيه ويباهي بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيرا فإن الشقي من حرم رحمة الله عز وجل .

من أحكام الصيام

يقول رسول الله ﷺ إن الله عز وجل يكره كل جواظ صخاب بالأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بأمور الدنيا جاهل بأمور الآخرة " الله عز وجل يكره كل إنسان غليظ القلب متكبر على خلق الله جواظ متكبر ومن أين جاء الكبر والجبروت إنه يسعى دؤباً في الأسواق يغدو ويروح كل همه تحصيل المال والثروة وليس العيب في الثروة وإنما فيما تفعله به هذه الثروة من تكبر وجبروت على الخلق بما أعطاه الله من فضله فإن دين الإسلام لا يمنع أن يكون الناس أثرياء وأن يسعوا إلى الرزق والسعة ولكن بشرط ألا يغره هذا المال ويتكبر به على الناس بل يجب عليه أن يؤدي حق الناس في هذا المال الذي استخلفه الله عليه حق الناس من الصدقات والزكاة والإحسان به إليهم فمن فعل ذلك وأدى حق هذا المال جعل الله له بكل صدقة عشر أمثالها وقد تصل إلى سبعمئة ضعف رغم أن ما يفعله صاحب المال هو أمر من الله والمال هو مال الله تفضل به عليه إلا أن أداء حقه يجزي الله عليه بالحسنات ويضاعف لمن يشاء ، وقد يعطي الله المال ثم يمتحن ويختبر من أعطاه هذا المال - ثم يقول رسول الله ﷺ جيفة بالليل ذلك الدؤب على الحركة لجمع المال في الأسواق يجهد نفسه فيكون في مشقة وتعب فإذا جاء الليل يكون كالجيفة من شدة التعب لا يصلي ولا يذكر الله عز وجل ولا يتفكر في ملكوت الله عز وجل وقد شبهه بالحمار في النهار لأنه لا ينقطع عن العمل والمشقة ويكون عالماً بأمور الدنيا أما إذا سألته عن أمر من أمور الآخرة فإنه لا يعي عنها شيئاً ، وليس معنى ذلك أن دين الإسلام يحارب

علوم الدنيا أو ينكرها أو يمنع أن تسعى بعلمك أن تتخطى الفضاء وتصل إلى الكواكب والنجوم فيها ولكن الذي يريده رسول الله ﷺ ألا يكون الإنسان كل همه الدنيا وينسى الآخرة فإنه وقتها في خسران مبين ومن أشد الناس جهلاً لأنه اشترى دنيا قليلة السنوات مهما طالَت بالآخرة التي هي الحيوان، لذلك يجب علينا أن نحرص على أن نتزود بما يكون فيه الخير لنا في دنيانا وآخرتنا حتى تكون لنا العاقبة الحسنة في الآخرة ذلك هو الذي يريده دين الإسلام ولنعلم أن صحبة الأطهار الأخيار هي أعظم رفقة وصحبة لأنها تحث على الخير وتحض عليه لذلك كان الإمام الشافعي رحمه الله يقول للناس أحب الصالحين وإن كنت لست منهم يحب الصالحين حتى وإن لم يكن واحداً منهم لماذا ؟ يقول علي أنال بهم شفاعة في اليوم الآخر عند الحساب قد يشفع له رجل صالح ، وإن سيرة رسول الله ﷺ ومدارستها فيها الخير كله فإن فيها سبب نزول القرآن وفيها التشريع والفقهاء وفيها كل ما يصلح زاداً للآخرة وسعادة في الدنيا .

في يوم الاثنين الثاني من شهر شعبان من السنة الثانية من الهجرة نزل قول الله عز وجل على رسوله ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۚ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ..﴾ البقرة 185 فكان في هذه الآية فرض الصيام على أمة محمد ﷺ فيجب عليهم صيام شهر رمضان وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان " ذلك

الحديث لم يرد فيه الزكاة والحج رغم كونهما فروضاً مثل الثلاثة ولكن الحج والزكاة قد لا يكلف بها كل مسلم إلا القادر عليها والمستطيع لها والمالك لنصابها في الزكاة والمالك للراحلة والزاد في الحج وقـ

لا يستطيع ذلك كل إنسان ولكن الثلاثة التي ذكرها الحديث مكلف بها كل إنسان وليس فيها استطاعة أو مقدرة مالية، ورسول الله ﷺ يقول إن الله عز وجل فرض عليكم صيامه وسنت لكم قيامه، فكان الفرض بالصيام من الله عز وجل بينما قيام ليلة سنة عن رسول الله ﷺ، وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال جاء أعرابي ثائر الرأس أي إنه ليس من أهل المدينة جاء من سفر فقال لرسول الله ﷺ أخبرني ما فرض الله عليّ من الصلاة فأخبره ما فرض عليه فقال يا رسول الله لا أزيد عليها ولا أنقص ثم سأله ما فرض الله من الصيام فقال له شهر رمضان إلا أن تتطوع فقال الرجل كذلك لا أزيد عليها ولا أنقص ثم سأله شرائع الإسلام فأخبره بها شريعة شريعة والرجل يقول لا أزيد عليها ولا أنقص ثم تولى الرجل فقال رسول الله ﷺ أفلح إن صدق أو قال دخل الجنة إن صدق .

إن من أفضل القربات ومن أفضل العبادات عند الله عز وجل هو الصيام ونقول من أفضلها وليس أفضلها على الإطلاق لأن الصلاة إنما هي أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة فهي أساس الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين وهو ملعون إلا أن يتوب، ولكن الصيام له فضل عظيم عند الله فإن الله عز وجل يقول انظروا إلى عبدي يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي فاشهدوا أنني قد غفرت له وكذلك يقول كل عمل بن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به الحسنه بعشر

أمثالها " وجاء أبو أمامة رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ قال يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال رسول الله ﷺ عليك بالصيام فإنه لا عدل له " أي أنه لا شيء يعادله في الأجر والثواب يقول أبو أمامة رضي الله عنه ثم جئته مرة أخرى وقلت يا رسول الله أخبرني عن عمل يدخلني الجنة فقال له رسول الله ﷺ عليك بالصيام " وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من صام يوماً في سبيل الله باعد الله عز وجل عن وجهه النار سبعين خريفاً " يوماً واحداً يصومه العبد في سبيل الله يباعد عنه النار كل هذه المسافة التي قد تكون بسرعة الخطوات أو بسرعة الضوء فإن الله في علمه كل السرعات التي نعلمها والتي قد تكون إلى يوم القيامة .

رمضان الذي أمرنا الله عز وجل بصيامه جعله شهر عبادة قوامها الصوم لذلك رسول الله ﷺ وتشريع دين الإسلام أراد من أهل الإسلام أن يشعروا بحلاوة تلك العبادة ويتعاشوا معها لذلك جاءت الأحاديث تنهانا عن أن نصوم قبله حتى يتميز رمضان عن غيره من الشهور فقد جاء في حديث لرسول الله ﷺ قال لأبي هريرة رضي الله عنه إذا أتاك نصف شعبان فامسك عن الصيام حتى يأتيك رمضان " وذلك حتى يشعر المسلم بحلاوة تلك العبادة ولكن من كانت عادته أن يصوم يومي الاثنين والخميس في كل الشهور فليصم هذه الأيام في شهر شعبان أما من لم يكن يصومها في سائر العام فلا يختص النصف الثاني من شعبان بأي صيام ، ورسول الله ﷺ كذلك يقول لا يتقدم أحدكم رمضان بصيام يوم أو يومين إلا أن يكون رجل يصوم ذلك اليوم فليصم " أي إذا جاء اليوم الذي قبل رمضان يوم خميس أو اثنين والرجل يعتاد صيامه كما قلنا فله أن يصوم ولكن لا يعتمد أحد صيام قبل رمضان بيوم أو يومين لأنه قد يكون يوم الشك وهو يوم نهى رسول الله ﷺ عن صيامه كما جاء عن عمار بن ياسر رضي الله عنه

قال من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم عليه السلام، وكذلك إذا انقضى رمضان وعلم الناس أن يوم غد هو يوم الفطر فلا يصوم أحد فيه وقد كان فيه النهي فقال عمر رضي الله عنه نهينا أن نصوم يوم الفطر ويوم الأضحى وأيام التشريق، لماذا ؟ لأن الله يريد منا أن نأتمر بأمره وننتهي عن نواهيه وجعل الله الأهلة مواقيت للناس فقال **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۚ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَئِنْ الْبِرَّ مِنْ أَنْتَقَى ۚ وَاتَّقُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** البقرة 189 فجعلها الله عز وجل ليقول للناس إني أمرتكم بالصيام فصوموا وجعلها في آخر الشهر ليقول إني أمرتكم بالفطر فأفطروا .

ومن أسباب نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصيام بعد رمضان مباشرة حتى لا يغالي الناس في دينهم ويضلوا عن وقت الفريضة كما فعل وغالت النصراري فقد فرض عليهم صيام شهر ولكنهم تقدموا به يومين وزادوا عليه يومين وقالوا نريد أن نتيقن من صيام الشهر حتى انتهى بهم الأمر أن غيروا موعده تماماً وعدده حتى أصبح خمسين يوماً، ولكن في دين الإسلام العبادات توقيفية على ما أمر الله به رسوله ففي حديث رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فاقدروا له وفي حديث آخر فأتمو الشهر "ومعنى ذلك أن الصوم يبدأ برؤية الهلال فإن كان هناك غيم يحجب رؤيته يكون الأخذ بالأحوط ويتم الشهر ثلاثين يوماً وقد قال أكثر أهل الفقه أن لكل بلد مطلعها وما كان يجب علينا أن نختلف فيها ونجعلها من الأمور السياسية التي تكدر صفو العلاقات بين الدول وتخدش العبادة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس الصوم يوم تصومون والفطر يوم تفطرون والأضحى يوم

تضحون " فكيف شرحها الذي كانوا أعلم منا بشريعة الإسلام شرحها عبد الله بن عباس وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وغيرهما من الصحابة قالوا عليك بالصوم إذا صام إمامك وبالفطر إذا أفطر إمامك أي يكون الصيام والفطر تبعاً للبلد التي يقيم فيها الفرد ولا يتبع آخرين في بلد آخر فإن الإمام هو المسؤول عن ذلك لذلك الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول تختلف المطالع باختلاف مسافة القصر، ونحن نعلم أن مسافة القصر في الصلاة حوالي خمسة وثمانين كيلومتراً، والذي حكم بهذا الحكم من قبله هو عبد الله بن عباس رضي الله عنه عندما جاءه قريب له من الشام فقال له يا عبد الله متى صمتم قال رأينا الهلال ليلة الجمعة فقال له أما نحن فرأينا الهلال ليلة السبت وكان الحاكم في الشام معاوية رضي الله عنه فصام وصام الناس ثم قال لعبد الله بن عباس أتتبع رؤية معاوية فقال له عبد الله بن عباس لا أمرنا ألا نصوم حتى نراه ولا نفطر حتى نراه، إذن هنا اختلفت المطالع من دمشق إلى المدينة وما عملوا بها شقاق أو خلاف وما أرغموا الناس على فطر وما أرغموا الناس على صيام وما كان بينهم ما يحدث من خلاف بيننا هذه الأيام ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقد أفتى الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي المملكة العربية السعودية أخيراً بفتوى عبد الله بن عباس ودونها، ذلك لأن الله عز وجل يريد أن يقول لنا أنه أمرنا فأطعناه ونهانا فانتبهنا الأمر من الله والمنع من الله فيجب علينا أن نمتثل، ورسول الله ﷺ جاء بدين فيه التيسير وليس فيه تعسير يؤلف بين القلوب ويوحد الصفوف وينهى عن الفرقة فكيف بنا نتبعه ثم نختلق من الأمور ما يجعل الشقاق والفرقة والخلاف .

صيام التطوع

يقول قائل :

لست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد زخرا وعند الله للأتقى مزيد

وتقوى الله إنما تتحصل بحسن التقرب إلى الله عز وجل وهذا التقرب إلى الله لا يكون إلا بحسن الاقتداء برسول الله ﷺ الذي نقل إلينا أوامر رب العالمين نقل إلينا شرع الله فقد صلى بالناس إماماً ثم قال لهم صلوا كما رأيتموني أصلي، وخرج مع الناس حاجاً وقال أيها الناس خذوا عني مناسككم .

وعبادة الرحمن هي غاية حبه ولكنها لا تكون إلا بقطبان الإخلاص لله عز وجل والاقتداء برسول الله ﷺ فإن العبادة لا يقبلها الله عز وجل إلا إذا تحقق فيها الإخلاص له وحده وتكون مطابقة للشرع فإن الله عز وجل لا يقبل عبادة تكون على الهوى، والإمام الشافعي رحمه الله يقول من استحسن فقد شرع الذي يعبد الله على هواه يقول هذا أحسن أو هذا أفضل فإنه يكون قد أحدث في دين الإسلام ما ليس فيه ومن أحدث في أمرنا هذا فهو مردود عليه، ورسول الله ﷺ هو الذي يقول الطهور شطر الإيمان أي الوضوء والإغتسال نصف الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله وبحمده تملأ ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصوم ضياء – والضياء أشد من النور فإن النور لا يكون إلا باستقبال ما يجعله ينير كما نقول أن القمر منير لأن نور القمر يستقبل

أشعة الشمس التي تنعكس عليه أما الضياء نقول ضوء الشمس لأن أشعة الشمس هي المصدر - والقرآن حجة لك أو عليك - كل إنسان يزن ويعرض نفسه على آيات القرآن فإن الله يقول ألا لعنة الله على الظالمين فلينظر المرء في نفسه هل هو من الظالمين أم من المحسنين وهكذا كل آيات القرآن آية آية يزن المسلم نفسه عليها ليعرف هل هو قريب من رب العالمين هل هو قريب من الصراط المستقيم، وكل الناس يغدوا فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها .

ويقول رسول الله ﷺ الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما تطفىء الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل " وعن أبي أمامة ؓ قال سألت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال عليك بالصيام فإنه لا عدل له - لا شيء يكافئه لا شيء يفتح أبواب الجنة أسرع منه وفي الجنة باب يُقال له الريان لا يدخله إلا الصائم - يقول أبو أمامة فقضيت مدة ثم جئته فقلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال عليك بالصيام فإنه لا عدل له " وعن أبي سعيد الخدري ؓ قال : قال رسول الله ﷺ ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله به النار عن وجهه سبعين خريفاً " النار تبعد عنه مسيرة سبعين سنة بذلك اليوم الواحد فما بالنا إذا صمنا شهوراً عديدة في خلال حياتنا نبتعد بها عن هذه النار المستعرة، والصوم منه صوم مفروض وهو شهر رمضان ومنه صوم السنة والتطوع والفرض قال فيه رسول الله ﷺ عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان " ومجال الحديث هنا عن صوم السنة والتطوع ومن السنن الرواتب في الصيام هو ما نأخذه عن رسول الله ﷺ وما فعله فإنه لم يختص رجب أو شعبان أو غيره بصيام إنما الذي

جاء عنه ورد في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله نراك أكثر ما تصوم في شعبان قال هذا شهر بين رجب ورمضان يغفل عنه الناس تُرفع فيه الأعمال إلى الله عز وجل وأحب أن يُرفع عملي وأنا صائم " وبذلك ذكر له العلة والسبب في صيام أيام من شهر شعبان لأنه ترفع فيه الأعمال إلى الله عز وجل ولكنه ما اختص يوم النصف من شعبان بصيام أو بفضل، وكذلك كان من سنة رسول الله ﷺ وعادته أن يصوم من الشهر ثلاثة أيام فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من صام ثلاثة أيام من كل شهر كان كمن صام الدهر " وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها وصيام اليوم بعشرة أيام فيكون بصيام الثلاثة كأنه صام الشهر ومن واطب عليها كأنه صام العام كله فبشرنا رسول الله ﷺ بهذه الهدية، وفي حديث صحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يصوم ثلاثة أيام من كل شهر فقالت لها إحدى النساء اسمها معاذة في أيهن يا أم المؤمنين قالت كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر لا يبالى في أيهن " أي إنه كان يصوم ثلاثة أيام إما متصلة أو متفرقة وفي أي يوم من الشهر كان، ولكن جاء في حديث آخر أن المستحب صيام الثلاثة أيام القمرية الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر على التوالي أما إذا لم يميز الإنسان هذه الثلاثة بعينها وصام غيرها في خلال الشهر فقد أدى السنة وكل الأحاديث التي وردت في هذه السنة لم يختص فيها أيام بعينها إلا في حديث واحد هو الذي ورد فيه هذا التخصيص، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال أوصاني خليلي ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وألا أنام قبل أن أوتر " وفي حديث عن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها قالت أربع ما كان يدعهن رسول الله ﷺ عاشوراء والعشر وصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الغداة " وفي هذا الحديث أيضاً لم يميز أو يختص أياماً بعينها من الشهر، وفي حديث

لأبي قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ صوم يوم عرفة يكفر سنتين سنة ماضية وسنة قابلة وصوم عاشوراء يكفر سنة ما ضية " فكان من هنا دليلاً آخر على أن صوم يوم عاشوراء من الأيام التي حث على صيامها وجاء معه ذكر صوم يوم عرفة وهو لا يكون إلا للمقيم غير الحاج أما من على عرفات فلا صيام له أما غير الحجيج فيكون صومهم مشاركة للحجيج في وقوفهم على عرفات واتصالاً بهم، ورسول الله ﷺ كان يصوم التسعة أيام الأوائل من شهر ذي الحجة كما جاء ذلك في حديث أم المؤمنين رضي الله عنها .

ما أمر رسول الله ﷺ بصيام في شهر رجب ولكن حث على صيام أكثر أيام شعبان لما فيه من رفع الأعمال، وجاء في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل أي الصلاة أفضل بعد الفريضة قال أن تصلي في جوف الليل ثم قيل له وأي الصوم أفضل بعد رمضان قال شهر الله الذي تدعونه المحرم .

ورسول الله ﷺ كذلك كان يصوم يوم الاثنين والخميس وعندما سأله أحد الصحابة عن ذلك قال إن يوم الاثنين ذلك يوم ولدت فيه وأنزل عليّ فيه، وفي حديث آخر جمع بين يومي الاثنين والخميس قال إن الاثنين والخميس تُعرض فيهما الأعمال على الله عز وجل " وكذلك من السنن صوم ست أيام من شهر شوال فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال من صام رمضان إيماناً واحتساباً وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر كله " وإذا كانت الحسنه بعشر أمثالها فصيام شهر رمضان بعشرة أشهر وصيام ستى أيام بستين يوماً أي شهرين فيكون بذلك تمام صيام العام كله لذلك قال رسول الله ﷺ كأنه صام الدهر كله .

من أراد أن يصوم في شعبان فليصم كما شاء ولكن لنعلم أن رسول الله ﷺ ما أمر بصيام أيام بعينها ولكنه نهى عن صيام أيام بعينها فيه فقال لا يتقدم أحدكم رمضان بصيام يوم أو يومين " وذلك حتى يكون هناك فاصل بين شعبان ورمضان وكذلك في حديث عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم " من هنا كان هناك نهى عن صوم آخر يوم أو يومين من شهر شعبان وذلك حتى يكون لرمضان استقلاله ومكانته التي أرادها الله عز وجل .

إن اتباع سنة رسول الله ص هي الأفضل لنا وهي الأقرب إلى رب العالمين وهي الصراط المستقيم فإن دين الإسلام دين اليسر كله لا تعنت فيه والله عز وجل لا يكلف نفساً إلا وسعها .

أيام لا تُصام

قال قائل يمدح رسول الله ﷺ عيسى بن مريم دعا ميتاً فقام له وأنت أحييت أمة من الرمم، أي أنه إذا كان رسول الله عيسى عليه السلام أحياء ميتاً واحداً فإن محمد ﷺ أحياء أمة بكاملها كيف ذلك يقول هذا القائل والجهل موت فإن أعطيت معجزة أحييت من الجهل أو أحييت من الموت، كان رسول الله ﷺ في أمة جاهلة نعتت بأهل الجاهلية لا علم عندهم فجاء رسول الله ﷺ معلماً وكان تعليمه إياهم إحياء لهم من الجهل الذي هو كالموت، اللهم صل وسلم وبارك عليك يا رسول الله، وكذلك يقول قائل آخر كل العلوم سوى القرآن مشغلة والأحاديث من دون الدواوين العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سواه وسواوس الشياطين،

خير العلم في أمة محمد ﷺ علم الدين وعلم الفقه في الدين فإن عبد الله بن عباس رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد " وذلك لأن الفقيه يعبد الله عز وجل كما أراد الله وكما علمه رسول الله ﷺ الذي نقل إلينا علوم الدين بعد أن تلقاها من أمين الوحي جبريل بأمر من رب العالمين إلى محمد ﷺ سيد الأولين والآخرين ليكون مدرسة لنا إلى يوم الدين، ورسول الله ﷺ لم يغادر الدنيا ولم يقبضه الله عز وجل إلا بعد أن أنزل عليه قوله «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» المائدة 3 أتم الدين فلا ينقص أبداً وأكملة فلا يعتريه نقص لأنه دين

اللّٰهُ عز وجل الذي أنزله وارتضاه للناس ليعبدوه به فإن رسول الله ﷺ أمرنا فقال صلوا كما رأيتموني أصلي كما خرج حاجاً معتمراً فقال خذوا عني مناسككم، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في دين الله عز وجل .

يقول الله عز وجل ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الحاقة 24 قال أهل العلم أن ذلك القول نزل في الذين يصومون في الدنيا يدخلون الجنة ويتنعمون بالطعام والشراب الذي حرموا أنفسهم منه في الدنيا ، وفي الجنة باب يقال له الريان لا يدخل منه إلا الصائمون ، ذلك لنعرف مكانة الصيام ومنزلته عند رب العالمين فقد قال الله عز وجل في حديث قدسي كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به " ولكن لنعلم أن شرع الله له قوانين واعتبارات نقلها إينا سيد المرسلين محمد ﷺ ذلك الصوم الذي له هذا الفضل قال لنا رسول الله ﷺ ونهانا عن الصيام في أيام بعينها ومنها ما يكون محرماً أو مكروهاً ولا أجر له ولذلك وجب علينا اتباع سنته وما أمرنا به ونهانا عنه ، من هذه الأيام التي يحرم فيها الصوم يوم الفطر ويوم الأضحى فقد جاء حديث رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا تصوموا يوم الفطر ولا يوم الأضحى فإنها أيام أكل وشرب " وكذلك أمرنا ألا نصوم أيام التشريق أيام الثاني والثالث والرابع من عيد الأضحى فقد جاء في حديث رواه عبد الله بن حذافة رضي الله عنه قال أن رسول الله ﷺ أمره أن يطوف في منى ويقول بأعلى صوته لا تصوموا هذه الأيام - كان الأمر هنا من المشرع وما كان يقول رسول الله ﷺ ذلك عن نفسه فإنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى - قال عبد الله بن حذافة أمرني رسول الله ﷺ أن أطوف في منى وأناادي بأعلى صوتي حتى يسمع القاضي والداني لا

تصوموا هذه الأيام فإنها أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل، وفي حديث آخر قال قال رسول الله ﷺ يوم الفطر ويوم الأضحى وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام وهي أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل لا يقبل فيها صيام " ولذلك من صامها فهو معتد لأنها أيام عيد ، وأيضاً من الأيام التي تُعد أيام عيد لأهل الإسلام يوم الجمعة من كل أسبوع فإنه لا يجوز صيامه وحده بذاته أبداً فقد دخل رسول الله ﷺ على جويرية بنت الحارث رضي الله عنها يوم جمعة ووجدها صائمة فقال لها صمتي أمس قالت لا قال أتصومين غداً قالت لا قال إذن أفطري " من هنا علمنا ألا نختص يوم الجمعة وحده بصيام دون يوم سابق له أو يوم لاحق له فكان النهي عن صيام يوم الجمعة منفرداً ، وجاء في حديث رواه أبو عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يوم الجمعة عيدكم أهل الإسلام فلا تصوموه إلا أن تصوموا قبله أو بعده " والأكثر من ذلك ولا شك فيه أن رسول الله ﷺ في حديث رواه جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال فيه لا تصوموا يوم الجمعة إلا أن تصوموا يوماً قبله أو يوماً بعده ولا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من دون الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من دون الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم " وذلك لأن دين الإسلام يريد أن يهيئ الناس ليوم الجمعة ولصلاتها وللخطبة فيها فمن سهر للصلاة والقيام ليلتها أصبح متعباً مجهداً إذا حضر للجمعة أخذه النعاس ومن أساسيات الجمعة حسن الإستماع للخطبة التي من أجلها كان إجتماع الناس يوم الجمعة ولكن من كانت عادته القيام في كل ليلة فإن قيامه ليلة الجمعة يكون عادة عنده لا تؤثر فيه بجهد في نهارها ولا يختص الجمعة بصيام إلا إن كان داخلاً في صيام أيام معه كأن ينوي أحد أن يصوم عشرة أيام فيكون الجمعة في داخلها ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قال من كان متطوعاً فليصم يوم الخميس ولا يصم يوم الجمعة فإن يوم الجمعة

يوم أكل وشرب وذكر لله عز وجل " ولكن ما أختص به يوم الجمعة هو كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ فإنه يقول إذا كان يوم الجمعة فأكثرُوا من الصلاة عليّ فيه فإن صلاتكم تصلني حيث كنتم قالوا يا رسول الله كيف تصلك صلاتنا وقد أرميت قال إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء " ومن الأيام التي نهينا عن الصيام فيها يوم السبت منفرداً والذي نهانا عنه هو رسول الله ﷺ كما جاء في حديث للصماء رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ لا تصوموا يوم السبت إلا فيما فرض عليكم في رمضان ولو أن يجد أحدكم لحاء عنب أو عود شجر فليمضغه " إذا لم يجد الإنسان طعاماً قط في يوم السبت فلا يصمه حتى وإن أكل لحاء الشجر حتى يكسر الصيام في ذلك اليوم ويفسد صومه إذا كان رغم أنفه صائماً وذلك لأن رسول الله ﷺ نهانا عن تعظيم يوم السبت بأي حال من الأحوال لأنه عيد عند اليهود ، وكذلك نهينا عن صيام يوم الأحد منفرداً لأنه من أعياد النصراري ، ولكن من صام السبت والأحد فلا شيء عليه ويجوز له ذلك فإن أم سلمة رضي الله عنها تقول كان رسول الله ﷺ يصوم السبت والأحد ويقول هما عيدان للمشركين وإني أحب أن أخالفهما " فكانت العلة هنا مخالفة أهل الشرك حتى لا يكون معظماً ليوم من أيامهم .

ومن الصيام المنهي عنه هو صيام الأبد أي العام كله فإن رسول الله ﷺ قال لا صام من صام الأبد " وكذلك نهانا عن الوصل أي الصوم يومين أو ثلاثة أو أربعة أيام بدون طعام أو شراب قط رغم إنه كان يفعل ذلك أحياناً فلما نها أصحابه عن ذلك قالوا يا رسول الله إنك تصل قال إني لست كهيتكم فإني أبيت عند ربي يطعمني ويسقني " ومن النهي في الصيام صيام المرأة إلا بإذن زوجها فقد قال رسول الله ﷺ لا تصومن

امرأة وزوجها شاهد إلا بإذنه إلا الفريضة " لأن الفريضة ليس لها أن تستأذن فيها زوجها أما صيام التطوع فيجب عليها الإذن لأنها إن صامت تكون قد ارتكبت إثماً وتحمل وزراً وليس هذا من عندنا إنما عن عمر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من حق الرجل على زوجته ألا تصوم إلا بإذنه فإن صامت أثمت وكان عليها وزر " وكان ذلك من حكمة التشريع في دين الإسلام أنه رغم منزلة الصيام وقدره إلا أن طاعة الزوج واحترام رغبته أفضل عند الله عز وجل .

ومن جمال هذا التشريع أيضاً أن جعل من الصيام المنهي عنه يوماً ينزل عندك فيه ضيف فمن كان صائماً في يوم ونزل عليه ضيف فلا يتم صومه في ذلك اليوم إلا بإذنه وكذلك إذا كان صائماً ونزل ضيفاً فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من ألبسه الله نعمة فليكثر من الحمد ومن كثرت ذنوبه فليستغفر الله فإن الله غفور رحيم ومن أبطأ عليه رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ومن نزل على قوم فلا يصومون إلا بإذنهم " وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال دعيت رسول الله ﷺ على طعام وجاء معه ناس ولما حضر الطعام قال واحد من الناس إني صائم فقال له رسول الله ﷺ لقد دعاكم أخاكم وتكلف لكم فأفطر وصم يوماً آخر " أمره أن يفطر ذلك اليوم لأن الصائم المتطوع أمير نفسه إن شاء أتم وإن شاء أفطر لأن صيام التطوع ليس فيه شرط النية قبل الصيام فإن رسول الله ﷺ كان يدخل على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يسألها هل عندكم من طعام فتقول لا فيقول لها إني اليوم صائم " كما دخل على أم هانئ رضي الله عنها ذات يوم ووجدها صائمة فأمرها أن تفطر لشيء ما فقالت إني صائمة فقال لها المتطوع أمير نفسه

إن شاء أتم وإن شاء أفطر " فله أن يفطر إن كان في فطره صالحاً له أو لأي سبب مباح موافق لشرع الله الذي جاء به محمد ﷺ .

والصيام فيه خير عظيم وفيه رحمة من الله عز وجل لعباده المؤمنين وفيه تهدئة وسكينة للنفس فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كنا شباباً عند رسول الله ﷺ فقال لنا يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " أي فإن الصوم حافظ من كل سوء وفيه صحة جسدية ونفسية .

زكاة الفطر

يقول رسول الله ﷺ ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله عز وجل ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده - كان ذلك الفضل لمن يجلسون في المساجد التي هي بيوت الله عز وجل يدرسون فيها علوم دين الإسلام ويتفقهون فيه حتى يتعلموا أمور دينهم، ثم قال رسول الله ﷺ بعدها مباشرة - ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة - فكانت هذه ملازمة للعلم والتعلم والتفقه في الدين ومدارسة القرآن قال من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة وما أدراك بكرب يوم القيامة وأهوالها ولكن الله عز وجل جعلها مفرجة على من يفرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا التي قد تكون شربة ماء يقدمها المسلم لأخيه المسلم أو أكلة يطعمها لطاعم محتاج أو كسوة لعريان فإنها بسيطة سهلة ولكنها تفرج من كرب يوم القيامة ونجاة منها نرجو الله أن يعيدنا منها جميعاً ثم يقول رسول الله ﷺ في نهاية هذا الحديث - ومن ستر مسلماً في الدنيا ستره الله عز وجل في الدنيا والآخرة وكان الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه "

وجعل الله عز وجل شهر رمضان هو شهر الرحمة والمواساة وشهر الجود والكرم من أفطر فيه صائماً كان له أجره من غير أن ينقص من

أجر الصائم شيئاً، ورسول الله ﷺ كما يروي لنا أصحابه كان في رمضان يطلق كل أسير ويعطي كل سائل " وكذلك قالوا كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل يدارسه القرآن يكون أجود بالخير من الريح المرسلة، وقد جعل الله عز وجل للصدقة في رمضان أجر وثواب أعظم منها في غيره فإن الأجر فيه مضاعف وكذلك سائر القربات يكون أجرها في رمضان أعظم من سواه وفي دين الإسلام التقرب إلى الله عز وجل يكون بذلك البر والجود.

وجعل إطعام الفقراء والمساكين فريضة في آخر رمضان يقول عبد الله بن عباس ؓ فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر أي إنها فريضة وكانت هذه الفريضة التي أمر بها هو رسول الله ﷺ بإذن وإرادة ووحياً من الله عز وجل قال عبد الله بن عباس ؓ فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين " فكانت زكاة الفطرة مطهرة للصائم مما يكون قد وقع فيه خلال رمضان من لغو أو خطأ لا يقصده فكانت هذه الصدقة مكفرة له والشق الثاني إنها طعمة للمساكين من أين جاء بها عبد الله بن عباس ؓ جاء بها من أن زكاة الفطر هذه لا يتحملها الصائم فقط ولكن يتحملها كل إنسان في أمة محمد ﷺ سواء كان صائماً أو لم يجب عليه الصيام أو مفطر لعذر، وتسمى زكاة الفطر زكاة عيد الفطر كما تسمى زكاة الفطرة وكذلك تسمى زكاة الرأس لأنها تُدفع عن كل رأس في أمة محمد ﷺ الصغير منها والكبير الشيخ والضعيف حتى المرضع والحامل يجب عليهن زكاة الفطر يخرجها وليهم وهي طعمة للمساكين لذلك كان عبد الله بن عمر ؓ يقول قال رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على الحر والعبد والذكر والأنثى والكبير والصغير "

كأن هذه الصدقة أحاطت بالمجتمع كله ولنعلم إنها كانت تُخرج في أيام رسول الله ﷺ من الأقوات كان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول كنا نخرج زكاة الفطر إذا كان فينا رسول الله ﷺ صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من زبيب " كانت هذه هي الأصناف التي يخرجون منها زكاة الفطر، ولكن يجب أن نعلم أن الذي أمرنا بإخراج القيمة قال بها أئمة أفاضل من علماء الإسلام ومن صحابة رسول الله ﷺ ففي مذهب الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه أقر بإخراج القيمة أما باقي المذاهب الثلاثة فقالت بإخراج الأقوات والإمام أبو حنيفة رضي الله عنه إذا كان يعارضه اليوم معارض فيجب أن يكون على نفس درجة علم الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه لأنه من أئمة أهل الإسلام الذين بينوا لنا الدين أما من هو أدنى منه علماً وفقهاً فلا يجوز له أن يتناول على الرجال الذين أراد الله عز وجل بهم هداية الأمة فإن الإمام أبو حنيفة لم يكن يتكلم من تلقاء نفسه أو من بنات أفكاره أو من هواه بل كانت له أدلة، هذه الأدلة استببط منها مذهبه وأسس عليها فتواه وكان أول دليل في زمن رسول الله ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه كان في اليمن والياً عليها من قبل رسول الله ﷺ فكان يقول لأهل اليمن اعطوني عوضاً ثياب أو خميص عن الشعير والتمر والزبيب هي أيسر لكم وأنفع لصحابة رسول الله ﷺ، كان حقاً عليهم في اليمن أن يخرجوا شعيراً أو ذرة أو تمر أو زبيب فقال لهم لا تعطوني هذا ولكن لأنهم كانوا في اليمن أهل صنعة يحترفون صناعة الثياب والنسيج فقال لهم اعطوني عوضاً عنها ثياب حتى ينتفع به من هم في حاجة إليه من صحابة رسول الله ﷺ الذين قد يكون عندهم ما يكفيهم من الزاد والأقوات ولكن ينقصهم الثياب فكان في ذلك تيسيراً لهم في الإخراج وأنفع لغيرهم ممن يحتاجون لهذه الثياب، وعندما وصلت هذه إلى رسول الله ﷺ ما عارضها فكان ذلك إقراراً وموافقة منه على ما صنعه وأفتى

به معاذ ﷺ، وكان الذي أجاز إخراج القيمة معاوية بن أبي سفيان ﷺ فإن معاوية ما كان حاكماً فقط في دولة محمد ﷺ ولكنه من قبلها كان صحابي جليل من صحابة رسول الله ﷺ وكان ممن يكتبون الوحي بأمر رسول الله ﷺ لكتابة القرآن، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال كنا نخرجها بالقوت تمرّاً أو شعيراً حتى جاءنا معاوية وقال أرى مُدِين من سمراء الشام تعدل صاعاً من تمركم، فكان هذا الصاع مقابلاً لذاك المُدِين من قوت أهل الشام من الحبوب عندهم تساوي الصاع من التمر من هنا فإنه يجوز إخراج القيمة على قول هؤلاء الناس الأفاضل الأجلاء العلماء فمن أراد أن يخرجها من الطعام كان له ذلك ولكن يجب مراعاة مصلحة الفقير فإننا هنا نشتري الأرز والقمح من تاجر ونعطيه للفقير الذي قد يكون لديه منه ولا يحتاج إليه وقد يلجأ إلى أن يبيعه مرة أخرى بثمن أقل ليشتري بثمنه ما يحتاجه بخلاف الطعام ولأن ديننا فيه اليسر وليس فيه العسر وفيه تغليب المصلحة العامة للناس على كل رأي أو فقه .

كان الصاع الذي أمر به رسول الله ﷺ من طعام قيل أن الصاع يملأ أربعة كفوف فإن كل كف يعتبر مد والصاع أربعة منه، وبالميزان إذا وضعت هذه الأكف الأربعة تعادل حوالي ثلاثة كيلوجرامات، والناس كل عام تسأل كم يكون قيمة زكاة الفطر هذا العام وتلك يحددها مفتي الديار فإنه يقيس هذه الثلاثة كيلوجرامات من القمح كم تساوي من المال عند شراءها ثم يفتي بأن قيمة زكاة الفطر بهذه القيمة من المال في ذلك العام وعلينا اتباع المفتي في ذلك ولنعلم أن زكاة الفطر قد تختلف من شخص إلى آخر كما قد تختلف من بلد إلى آخر فلا يصح أن نساوي بين من يملك الملايين والمليارات بمن يملك الجنيهات

المعدودة لأن ذلك الغني طعامه يختلف عن طعام غيره فيجب عليه أن يخرج مما يأكل أو يعتاد أكله، وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول كنا نخرجها إذا كان فينا رسول الله ﷺ صاعاً من تمر أو صاعاً من بر أو صاعاً من زبيب أو صاعاً من أقط وهو السمن، كانوا يخرجونها مما توفر لديهم في بيوتهم من طعام إن كان المتوفر تمر أخرجوه وإن كان المتوفر سمن أخرجوه وذلك رغم أن السمن أغلى من التمر ولكن كانت العبرة بما يتوفر في هذا البيت أو ذاك من القوت، لذلك كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ إذا أوسع الله عليكم فأوسعوا " أي إذا كان الله عز وجل وسع عليكم لا تضيقوها على خلق الله ونتمسك بالقول أن الزكاة هذا العام ما قيمته كذا بل لينفق كل ذي سعة من سعته فإذا أكرمك الله فعليك أن تكون كريماً مع الناس .

زكاة الفطر تجب على كل الناس الصغير والكبير الغني والفقير الذكر والانثى العبد والحر، والفقير تجب عليه عندما تجتمع لديه صدقات من الناس يخرج منها زكاة فطره والله عز وجل سوف يخلفه، فعن عبد الله بن ثعلبة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أدوا زكاة الفطر على الحر والعبد والذكر والانثى والصغير والكبير والغني والفقير " وفي هذا الحديث ذكر الغني والفقير ثم قال رسول الله ﷺ أما الغني فتزكية لأمواله وتطهيراً لقلبه وأما الفقير فإنه يرد له أكثر مما أعطى .

زكاة الفطر تجب قبل صلاة عيد الفطر فمن أداها بعد الصلاة لم تكن زكاة فطر ولكنها صدقة، عبد الله بن عباس رضي الله عنه يقول فمن أداها قبل صلاة العيد فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات " ولنعلم أن من لم يؤديها فإنها دين في رقبتة قال أهل العلم إذا أخرجت بعد صلاة العيد في نفس يوم العيد كان إخراجها

مكروهاً وإذا أخرجت بعدها فإنها تكون محرمة ولكنها ديناً في رقبته فمن لم يكن قد أدى زكاة الفطر لسنوات فإن عليه إخراجها .

زكاة الفطر لا يجوز دفعها للوالد وإن علا ولا للولد وإن سفل ولا تدفع للزوجة وإنما تدفع للفقراء والمساكين وكذلك لا تدفع لكافر معاد للإسلام ولا لفاسق مجاهر بالفسق مثل أن يكون إنسان فقير ولكنه يجاهر بالفطر في نهار رمضان لا نقل له صم رغم أنفك ولكن نقول له لا تؤذي مشاعر الآخرين، ولا تعطى لقوي يجد عملاً ولا يعمل أما إن لم يجد عملاً فإن مساعدته هنا مقبولة، ولنعلم أن رسول الله ﷺ أمر بإخراج زكاة الفطر قبل صلاة العيد ولكنه لم يحدد لها وقتاً معيناً ولا زمناً محدداً لإخراجها فكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يخرجها قبل العيد بيوم أو يومين ولكن رسول الله ﷺ لم يحدد لها زمناً ولكنه كان يخرج يوم العيد قبل الصلاة كما جاء في حديث أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال كان يخرج رسول الله ﷺ ثم يقرأ قول الله عز وجل (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى). وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى.) (الأعلى 14 - 15) ثم يقسم صدقة الفطر ثم يخرج إلى المصلى " ولكن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخرجها قبل العيد بيوم أو يومين وكان ذلك مذهبه وهو كذلك مذهب الإمام مالك رضي الله عنه وأما الإمام الشافعي فقد توسع في ذلك وقال أن رسول الله ﷺ لم يحدد زماناً إنما قال قبل صلاة العيد فلك أن تخرجها من أول يوم في رمضان حتى قبل صلاة عيد الفطر، وزكاة الفطر لا يتم نقلها من بلد إلى بلد إلا إذا كان هناك حاجة وضرورة لذلك إذا استكفت البلد منها وأخذ الناس فيها كفايتهم وزادت عن حاجتهم يجوز نقلها فإن معاذ بن جبل رضي الله عنه نقل إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلث الصدقة التي جمعها فكره أمير المؤمنين ذلك وأرسل إليه رسالة يقول فيها إني لم أبعثك

جائياً ولا آخذ جزية إنما بعثتك لتأخذ من أغنياءهم وترد إلى فقراءهم -
كان ذلك من دستور أمة محمد ﷺ ما كان الوالي جائياً لأموال الناس
أو آخذاً للجزية ولكنه يكون حكماً عدلاً بين الأغنياء والفقراء من
الناس - فبعث معاذ بن جبل رضي الله عنه رداً إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قال يا أمير
المؤمنين لم أجد أحداً ليأخذ مني فأرسلت، أي أن البلد الذي هو فيه
استكفى من الزكاة ولم يجد محتاج فكان الفائض منها يعود على
الفقير في بلد آخر .

إن رمضان شهر البر والجود والبر فيه قرينة وصدقة وتطوع وكان
البر والجود في آخره فريضة .

ليلة القدر

يقول الله عز وجل اذكروني اذكركم، ويقول الله عز وجل ألا بذكر الله تطمئن القلوب، وقال أبو هريرة رضي الله عنه عندما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ أظلكم شهر مبارك تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار وتغل فيه الشياطين وفيه ليلة هي خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم " كانت هذه الليلة هي ليلة القدر التي لها في دين الإسلام شأن عظيم لأنها ليلة جعلها الله عز وجل هدية ومنحة لأمة الإسلام وجاء في موطأ الإمام مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عندما رأى أعمار الأمم من قبله انتقص أعمار أمته وقال إنهم لا يقدرون فيها من العمل ما بلغ غيرهم فأعطاه الله عز وجل ليلة القدر " ومعنى هذا الحديث أن رسول الله ﷺ أطلعه الله عز وجل على أعمار الأمم من قبله فوجدها تصل إلى مئات السنين ومنها ما كان يبلغ الألف ويزيد كما في قوم نوح عليه السلام فانتقص أعمار أمته التي لا تبلغ أكثر من مائة أو مائة وعشرين عاماً وذلك هو المعمر منهم فقال فيما بينه وبين نفسه أن أمته لا تبلغ فيها من العمل مهما عملت ما بلغت الأمم الأخرى من العبادة والطاعة لله وعمل الخيرات فتكون أجور أمته أقل منهم، وجاء في حديث عن علي عروة رضي الله عنه قال : ذكر رسول الله ﷺ يوماً لأصحابه أن أربعة من أنبياء بني إسرائيل عبدوا الله عز وجل كل واحداً منهم ثمانين سنة لم يقترب فيها معصية لم يعص الله طرفه عين كان منهم زكريا وأيوب وحزقيل بن العجوز ويوشع بن نون فتعجب الصحابة منهم وقالوا فما يكون حالنا يا رسول الله فنزل على رسول الله ﷺ سورة القدر يقول الله عز وجل ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ .

تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ
مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿١٦٦﴾ القدر نزل بها جبريل عليه السلام يقول لرسول الله ﷺ أن
هذه الليلة لا يصادفها عابد أو قائم أو ذاكر لله عز وجل إلا كأنه أدى
عبادة ألف شهر، والألف شهر تساوي ثلاثة وثمانين عاماً وأربعة أشهر
فكان ذلك الفضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده والله ذو الفضل
العظيم .

ورسول الله ﷺ قال أوريت ليلة القدر فتلاحي فلان وفلان فنسيتها
"وكما نعلم رؤيا الأنبياء حق فقد علم مواعدها تحديداً وقال إنه نسيتها
ولم يقل أنسيتها لأن النسيان من الشيطان كفعل ولكن نسيتها هي من
طبيعة البشر فنسيتها بسبب تشاحن وتشاجر اثنين من المسلمين وكان
ذلك النسيان بإرادة الله عز وجل رفع علم ميعادها ووقتها وإذا قارنا هذا
السبب بما نحن فيه اليوم من تباغض وتشاحن وفرقة بين المسلمين وما
بينهم من نزاعات لعلمنا سبب عدم إدراكنا لهذه الليلة المباركة، وقد
جاء في حديث آخر أن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأوائل من رمضان
فجاءه جبريل وقال له إن الذي تطلب أمامك - كان يعتكف ليحدها في
العشر الأوائل فقال له جبريل إنها فيما بعد ذلك - فاعتكف رسول
الله ﷺ في العشر الأوسط من رمضان فجاءه جبريل وقال له إن الذي تطلب
أمامك فاعتكف في العشر الأواخر من رمضان يقول رسول الله ﷺ في
هذا الحديث فأوريت ليلة القدر فتلاحي فلان وفلان فنسيتها وإني رأيت
كأنني أسجد في ماء وطين يقول راوي الحديث فنظرنا إلى السماء فما
فيها بقعة ماء ثم انهمر الماء وكان مسجداً رسول الله ﷺ سقفه من جريد
النخل فسجد رسول الله ﷺ في ماء وطين فرأينا أثر الطين في جبهته

وأنفه" وكانت هذه تصديقاً للرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ وعلم منها ليلة القدر ونسبها بسبب الشجار بين اثنتين من أهل الإسلام .

هناك أحاديث كثيرة تحدد ليلة القدر في أي يوم وما كان ذلك خلافاً بين الأحاديث ولا من الرواة ولكن رسول الله ﷺ كان يتحرى ويتعمد أن يخفيها عن الناس حتى تكون للناس همة في العبادة من أول رمضان إلى آخره ف قيل أن ليلة القدر هي أول ليلة من رمضان وقيل إنها في يوم السابع عشر يوم الفرقان يوم نصر بدر العظيم وقيل إنها في اليوم الرابع والعشرين حين نزل على رسول الله ﷺ القرآن وهو في غار حراء والله عز وجل يقول ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ الدخان 3 الله عز وجل أراد لنا الخير حين أخفى عنا وقتها حتى يكون النشاط من أول الشهر إلى آخره وكان رسول الله ﷺ يركز في العشر الأواخر منه فكان إذا دخل فيها أيقظ أهله وشد مأزره، وأغلب الأحاديث تجمع أو تكاد أن ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن ليلة القدر فقال لي هي في رمضان في وتر من العشر الأواخر منه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ عن ليلة القدر هي في تسع وعشرين أو في سبع وعشرين وإن الملائكة في الأرض أكثر من عدد الحصى " وهناك حديثان لهما سند قوي أن ليلة القدر في السابع والعشرين من رمضان ولكن ذلك ليس حسماً ولا جزمًا ولكن كان ذلك انطباعاً في ذهن صحابة رسول الله ﷺ الأول حديث لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ من كان متحريها فليتحرها في ليلة السابع والعشرين " وذلك الحديث له سنده القوي والحديث الثاني يقول نفس المعنى عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال والذي لا إله غيره إنها في رمضان وإنها الليلة التي أمرنا

رسول الله ﷺ بقيام ليلها وهى ليلة السابع والعشرين وإن من إماراتها أن تصبح الشمس بيضاء لا شعاع لها " ونفس هذا المعنى جاء في حديث عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ليلة القدر سمحاء طلقاء لا حارة ولا باردة " وقد يقول قائل إن رمضان قد يأتي في وقت شديد البرد فكيف تكون لا حارة ولا باردة فلنعلم إنها لا حارة ولا باردة على أهل الإيمان الذين أدركوها وقاموا ليلها يرصدونها ويرجون من الله عز وجل أن ينعم عليهم بها ويرزقهم خيرها فكانت على قلوبهم برداً وسلاماً كما كانت النار على نبي الله إبراهيم عليه السلام برداً وسلاماً ، ذلك الذي يسهر في الحر تكون عليه برداً لأنه يسهر في سبيل الله عز وجل والذي يسهرها في شدة البرد تكون عليه دافئة لأنه يسهر ابتغاء مرضات الله ثم يقول وشمسها تصبح ضعيفة حمراء .

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله ﷺ ماذا أقول يا رسول الله لو أدركت ليلة القدر قال قلوا اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفو عني .

رسول الله ﷺ يقول من صام رمضان إيماناً واحتساباً وقام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه " من صام رمضان إيماناً بالله عز وجل واحتساباً بالأجر من الله عز وجل وقام ليلة القدر كانت هذه مكفرة لذنوبه وكان ما عمله من الأجر يضاهي ما عمله نبي الله زكريا وأيوب وحزقيل بن العجوز ويوشع بن نون كما قال رسول الله ﷺ .

الأخلاق في رمضان

أتاكم رمضان بالبركات فمرحباً به من زائر وآت وفي أول يوم من أيام رمضان قال رسول الله ﷺ أتاكم رمضان فرض عليكم صيامه تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار وتغل فيه الشياطين وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم " وفي حديث آخر قال إذا جاء رمضان صفت الشياطين وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وغلقت أبواب النيران فلم يفتح منها باب وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة حتى ينقضي " من هذه الأحاديث علمنا ثلاثة أمور أن أبواب الجنة تفتح ولا يغلق منها باب وتغلق أبواب النيران فلا يفتح منها باب وتغل الشياطين وتكبل لذلك يجب أن نتعامل مع هذه المعاني وتلك الكلمات فإننا إذا تأملنا نجد شياطين الإنس والجن يعيشون فساداً في كل مكان وفي كل وقت وحين، نراه أمام أعيننا في الطرقات ونراه على شاشات التلفاز وغيرها فكيف يكون معنى ذلك الحديث والذي شرحها هو رسول الله ﷺ قال تعطى أمتي في رمضان خمس خصال لم تعطهن أمة قبلها قال خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وتصلي عليهم الملائكة حتى يفطرون اللهم اغفر له اللهم ارحمه ويزين الله لهم جنته ويقول يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المأونة والأذى ويسترون إليك والرابعة تغل فيه الشياطين فلا يخلصون فيه إلى ما كانوا يخلصون في غيره " هنا جاء المعنى أن الشياطين تكون في أغلالها لا تتصرف بحرية مطلقة كما تتصرف في أي شهر آخر والشياطين التي تغل وتصفد عن أهل الإيمان فإن رسول الله ﷺ عندما قال تفتح أبواب الجنة فلا يغلق منها باب إنما تفتح للطائعين

للمصلين للصائمين وتغلق لهم أبواب النيران بينما تفتح أمام العاصين الفاسقين الذين تتكبوا الطريق في هذا الشهر العظيم المبارك، إذا كانت جنة الله عز وجل حرم أن يدخلها أهل الشرك ويموت من أهل الشرك بالآلاف والملايين في رمضان هل هؤلاء يدخلون الجنة كلا فإنهم لا يجدون ريحها فإن مصيرهم إلى النار تفتح لهم أبوابها ولكن أبواب الجنة تفتح للصالحين من أمة محمد ﷺ وتغلق أمام عبدة الشياطين الذين يمشون وراء وساوسهم وهم في فسقهم ماضون، وتغل الشاطين وتصفد فلا يؤججون صدور أهل الإيمان فلا يصلون إليهم بوسوسة لذلك كان رسول الله ﷺ يقول الصوم جنة - أي حصن يحافظ عليك ويمنعك المعصية - فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يسخب ولا يجهل وإن شاتمته أحد أو قاتله فليقل إني صائم " فإن الذي يسب ويقاتل الناس إنما هو في طريق الشيطان الذي سيطر عليه وتمكن منه بينما الذي قال إني صائم فقد تعلم في مدرسة محمد ﷺ واستطاع أن يقهر الشيطان فلا سلطان له عليه ورسول الله ﷺ يقول ليس الصوم من الطعام والشراب ولكن الصوم من الرفث والكذب " وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ الصوم أمانه فليحفظ أحدكم أمانته " أنت امتنعت عن الطعام والشراب ولكن الأمانة التي أنت مطالب بها هي الأمانة التي تتعامل بها مع خلق الله أجمعين، لذلك كان جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والغيبة ودع أذى الناس ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء " وهذه الأمور كما هي محرمة في الفطر فهي أشد حرمة في الصيام لذلك كان رسول الله ﷺ يقول من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغي أن يتحفظ منه كفر ما قبله " ومعناها أنه ليس صياماً وامتناعاً عن الطعام والشراب والشهوة وحسب ولكن يريد رسول الله ﷺ أن يخرج

المسلم من رمضان وهو أحسن خلقاً فإنه لا شيء أثقل في ميزان العبد من حسن الخلق، وكان صحابة رسول الله ﷺ يتعاملون مع الناس كما خرجوا من مدرسة رمضان كانوا لا يردون سباباً بسباب ولا بطشاً ببطش ليس لأنهم أذلة أو ضعاف ولكنهم كانوا يضعون أنفسهم في منزلة تجعلهم أرفع وأفضل وأحسن خلقاً من الذين قد يسبونهم، وأبو ذر رضي الله عنه قال له يا أخي لا تغرق في شتمة ودع للصالح موضعاً فإننا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه فإن الله عز وجل يقول ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فصلت 34 والصديق رضي الله عنه قال له لأسبئك سباً يدخل القبر معك فقال له الصديق بل يدخل قبرك أنت لأنك أنت صاحب الوزر والخطيئة لأنك أنت الذي اتبعت الشيطان، وكذلك أبو ذر رضي الله عنه يلقاه سفيه من السفهاء ويقول له لو كان فيك خيراً ما نفاك معاوية - فقد كان أبو ذر يعمل عند معاوية ثم استغنى عنه - فقال له يا أخي إن أمامي عقبة كؤد إن نجوت منها فأنا خير مما تقول وإن لم أنج منها فأنا شر مما تقول، العقبة التي أمامه هي الدار الآخرة فإذا اجتازها كان من أهل الجنة فهو خير مما يقول عنه لأنه يكون من أهل الجنة فليشتم فيه كما شاء هذا الرجل، وإن لم يجتازها كان من أهل النار فكان أشرم مما يقول هذا الرجل فيه، ورسول الله ﷺ يقول لنا أن بداية هذا السباب والشتمة وبداية هذا الغضب إنما هو من الشيطان، ورسول الله ﷺ يقول إن الغضب من الشيطان وإنما خلق الشيطان من نار وإنما تطفئ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ " ورسول الله ﷺ يقول ما من جرعة أعظم أجراً عند الله عز وجل من جرعة غضب يكظمها عبد ابتغاء مرضات الله عز وجل " أنت عندما تكظم الغيظ إنما تتعامل مع رب العالمين إنما تريد أن تثقل ميزان

حسناتك، فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله عندي عامل يسيء ويظلم وأنا أضربه على ذلك فكيف أنا يوم القيامة فقال له إذا كان ضربك له أكثر من شتمه لك فله وعليك وإن كان شتمه أكثر من ضربك كان لك وعليه فأخذ ذلك الرجل يولول فيستدعيه رسول الله ﷺ ويقول له ألم تقرأ قول الله عز وجل ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۚ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۚ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ الأنبياء 47 يوم القيامة يجمع الله عز وجل الأولين والآخرين في صعيد واحد فينادي مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم قليل فينطلقون سراعاً إلى أبواب الجنة فتقول لهم الملائكة من أنتم قالوا نحن أهل الفضل قالوا وما فضلكم قالوا كنا إذا أسيء إلينا حلمنا فقالوا ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين .

على كل مسلم أن يحاول قدر جهده أن يخرج من رمضان وهو على خلق حسن طيب فإن الله عز وجل قال في حق رسول الله ﷺ وإنك لعلی خلق عظیم، كما يقول رسول الله ﷺ أفربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً .

صوم رجب

يقول رسول الله ﷺ طوبى لمن تواضع من غير منقصة - أعلى درجة ومنزلة في الجنة لمن تواضع لله عز وجل ولكنه لم يتواضع لأنه قليل الشأن بل في غير منقصة فيه - وذل في نفسه من غير معصية - ذلك الذي ذل في نفسه لله عز وجل من غير أن يرتكب فاحشة - ورحم أهل الفقر والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة " فإن من يخالط الأخيار فهو معهم ، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال له يا رسول الله إني أراك في الدنيا فإن تذكرت الآخرة علمت أنني سأكون في منزلة أقل منك فلن أراك فقال له رسول الله ﷺ يُحشر المرء مع من أحب " فمن كان يحب الأطهار الأبرار الصالحين كان معهم في منزلتهم في الجنة ومن كان يحب الطغاة الظلمة أو الفسقة والفجرة كان معهم في منزلتهم في النار .

الذي يؤتى العلم إنما هو أقوى من الجن والشياطين فإن عفريت نبي الله سليمان عليه السلام عندما قال من يأتيني بعرش بلقيس قال هذا العفريت أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك فكان ذلك هو أقصى ما يمكن فعله من عفريت من الجن ولكن الذي عنده علم من الكتاب قال أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك أي قبل أن يرمش بعينه وبالفعل فعل ما وعد ونظر نبي الله سليمان فوجد العرش مستقراً عنده فقال هذا من فضل ربي فكان هذا العالم بعلمه أقوى من عفاريت الجن وكأنه كان على علم بسرعة الضوء التي يقول عنها أينشتاين في نظرية النسبية إنها أعلى سرعة فقال ذلك العالم اسمه آصف كان كاتم سر سليمان أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك وقد كان ، لذلك يقول القائل : تعلم العلم يا فتى تحوز فخر النبوة فإن الله قال ليحيى خذ الكتاب بقوة .

وبالعلم يعرف الإنسان كيف يكون مع ربه وكيف ينقاد له
ويعبده ونزلت آية على رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ
عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا
أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ التوبة 36

أبو بكرة ؓ قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال إن الزمان قد استدار
كهيته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة
حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الفرد رجب
مضر بين جمادي وشعبان " فكان شهر رجب من الأشهر الحرم التي
كان أهل الجاهلية يعظمونه وله عندهم مكانة كبيرة فكان إذا حضر
رجب يغمدون السيوف فلا يتقاتلون فيه وينزعون نصل السهام والرماح
لذلك كان يطلق عليه رجب الأصم لأنه لا يُسمع فيه صوت السيوف أو
الرماح، وكانوا يقولون إن شهر رجب تُغفر فيه الذنوب وتُطهر فيه
النفوس فكانوا يسمونه المقشقش أي أنه يقش الذنوب قشاً يَكْنسها
ويمحوها، وأما في دين الإسلام فإن لشهر رجب مكانة ومنزلة ولكننا
لا نعطيه أكثر مما أعطاه رسول الله ﷺ فإن بعض الناس يصومون
ويتعمدون صيام أول يوم منه ويحرصون على ذلك أشد الحرص ورغم أن
الصيام من أفضل القربات إلى الله عز وجل فإن أبا أمامة ؓ جاء إلى
رسول الله ﷺ وسأله وقال دلني على عمل يدخلني الجنة فقال له رسول
الله ﷺ عليك بالصوم فإنه لا عدل له يقول أبو أمامة فتركته مدة ثم أتيته
وقلت يا رسول الله دلني على عمل أدخل به الجنة فقال له رسول الله ﷺ
عليك بالصوم فإنه لا عدل له " وأبو سعيد الخدري ؓ قال : قال رسول
الله ﷺ من صام يوماً في سبيل الله عز وجل باعد الله النار عن وجهه
سبعين خريفاً " ولكن رغم تلك المكانة والمنزلة والأجر العظيم للصيام

إلا أنه لم يرد إلينا عن رسول الله ﷺ أنه تعمد صيام أول يوم من شهر رجب أو أمر بصيامه أو رغب فيه أو حبب فيه والأكثر من ذلك أن عطاء الله قال كان رسول الله ﷺ ينهى عن صيام رجب لئلا يتخذ عيداً " وذلك كما كان يُعظم في الجاهلية، وزيد بن أسلم رحمه الله قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله إن قوماً يصومون في رجب فقال رسول الله ﷺ أين هم من شعبان "

وقد كان رسول الله ﷺ أكثر ما يصوم من شعبان وعندما سألوه عن ذلك قال إنه شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان ترفع فيه الأعمال إلى الله عز وجل وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم، قال أين هم من شعبان فإذا أرادوا صياماً فليكن في شعبان حيث تُرفع الأعمال إلى الله عز وجل، وعمر رضي الله عنه كان يضرب أكف الرجال يدخلها في الطعام في صوم رجب أي كان يأتي بيد الرجل فيضعها في الطعام حتى لا يصوم في رجب وكان يقول رجب وما رجب إن رجباً كانت تعظمه الجاهلية وترك ذلك في الإسلام .

الذي يريد أن يصوم في رجب فليصم أياماً وليفطر أياماً ولكن ليعلم أن ذلك الصيام فيه لأنه من الأشهر الحرم ليس لأنه رجب الذي كانت تعظمه الناس في الجاهلية، وجاء رجل باهلي من مكان يسمى باهلة إلى رسول الله ﷺ ولما نظر إليه رسول الله ﷺ وكأنه لا يعرفه قال الرجل ألا تعرفني يا رسول الله إني جئتكم عام أول فقال له رسول الله ﷺ وما غيرك لقد كنت حسن الهيئة فقال الرجل يا رسول الله ما ذقت طعاماً منذ فارقتك إلا بليل أي أنه طوال هذه السنة وهو صائم لم يفطر فقال له رسول الله ﷺ ولما عذبت نفسك صم شهر الصبر ويوماً من كل شهر قال يا رسول الله إني رجل قوي أطيق أكثر من ذلك قال له صم شهر الصبر ويومين من كل شهر قال أطيق أكثر من ذلك قال له صم

من الحرم واترك أي صم في الأشهر الحرم أياماً واترك أياماً ، وأفضل الصيام في الأشهر الحرم الصوم في شهر الله المحرم ، وشهر رجب جاء ذكره في القرآن ولكن ليس بلفظه إنما جاء من الحادثة التي حدثت فيه يقول الله عز وجل ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ البقرة 217 كان الشهر الحرام الذي يقصده الله عز وجل هو شهر رجب وكانت قصته أن رسول الله ﷺ بعث سرية استطلاع تستطلع قريش وأمرها حتى تأتيه بالخبر لأن رسول الله ﷺ لم يكن ليؤخذ على غرة وكان يعد لكل شيء عدته وكان ينفذ قول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ وَفِرُوا جَمِيعًا﴾ النساء 71 وهو الذي يقول لنا لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين " لذلك من كان متبعاً لسنة رسول الله ﷺ فعليه أن يحتاط لكل أمر ويأخذ حذره ويعد لكل أمر عدته فلا تأتيه الضربات من حيث لا يحتسب - بعث رسول الله ﷺ عدد من جنوده يستطلعون أخبار قريش وكانت هذه السرية بقيادة ابن عمته عبد الله بن جحش وخرجوا في آخر يوم من أيام جمادي الثاني وأول يوم من شهر رجب فتقابلوا مع جنود من قريش من أهل الشرك فالتحموا معهم بقتال فقتلوا ناساً من أهل الشرك فقال أهل الشرك أن محمداً استحل الشهر الحرام فهو يبعث جنوده يقاتلون في الشهر الحرام فأى دين ذلك الذي جاء به بينما هم سبب القتال في الشهر الحرام وهم الذين حاربوا رسول الله ﷺ ومنعوا أهل الإسلام من الصلاة في المسجد الحرام والله عز وجل يقول ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُم عَن دِينِهِ فَمَا لَمْ

وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿البقرة 217﴾ هذا الذي قالته قریش بومها وكذلك يقول من بعدهم كل مشرك إلى يوم القيامة - فقليل لهم تعدون قتلاً في الحرام كبيرة وأعظم منه لو يرى الرشد راشد صدودكم عما يقول محمد وكفر به والله رأي وشاهد وإخراجكم من مسجد الله أهله لئلا يرى لله في البيت ساجد - الشاهد أن أهل الشرك هم الذين يعتدون علينا وهم الذين يقاتلوننا يريدون أن يهلكونا وإذا انبرينا لكي ندافع عن أنفسنا اتهموا دين الإسلام بالإرهاب وما كان دين إرهاب ولكن الله عز وجل يقول ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ البقرة 190 أمرنا الله أن نقاتل من يقاتلنا ويعتدي علينا ولكنه تهاونا أن نعتدي أو نبدأ باعتداء، وكما هو الحال في أيامنا هذه فإن اليهود يحتلون دولة فلسطين فإذا انبرى ناس يدافعون عن حرمة بلدهم وصفوهم بالإرهاب والفجور، ويقول قائل :

غزوت ورسل الله ما بعثوا لقتل نفس ولا لسفك دم
جهل وتضليل أحلام وصفصفة فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما جاءك منهم كل ذي خطر تكفل السيف بالجهال والعمم

خباب بن الارت ؓ جاء إلى رسول الله ﷺ وهو مسند ظهره إلى الكعبة قبل الهجرة وقال يا رسول الله ألا تدعو الله لنا ألا تستصر لنا فإنهم كانوا مستضعفين وفي شدة وكرب فأمره بالصبر والتحمل .

رسول الله ﷺ ما جرد سيف إلا بعد ما اعتدى أهل الشرك عليه وعلى أهل الإسلام جميعهم حتى إنهم كانوا يأتون إليه يقولون يا رسول الله إذن لنا في الجهاد فيقول ما أمرنا بالجهاد بعد .

رجب هو رجب الفرد وهو المنصل للأسنة وهو الأصم وهو
المقشّش وهو رجب مضر ما بين جمادي وشعبان، وأكثر الأحاديث
التي جاء فيها ذكر رجب أكثرها غير صحيح ومنها الموضوع وأشهرها
قول أن رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمّتي وما كان ذلك
عن رسول الله ﷺ، ولكن الذي جاء عن رسول الله ﷺ فيه ذكر شهر
رجب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يقول إذا دخل رجب
اللهم بارك لنا في رجب وبارك لنا في شعبان وبلغنا رمضان

وشبهوا رجب بأنه شهر السحاب والغيم وشبهوا شعبان بأنه شهر
المطر وشبهوا رمضان بأنه شهر نضج الثمار وقطفها، فكان رجب مفتاح
الخير قترودوا منه فإن الله عز وجل يقول «فلا تظلموا فيهن أنفسكم»
فكان ظلمك لنفسك في الأشهر الحرم إنما عقابه مضاعف والظلم
للنفس بارتكاب المعاصي في كل وقت ولكنه أشد في هذه الأشهر
الحرم وكذلك يضاعف الله عز وجل الأجر والثواب على فعل الخيرات
في هذه الأشهر الحرم فمن تزود بالخير فقد أراد بنفسه خيرا كثيراً ومن
أكثر أعمال الخير التي كان يحرص عليها رسول الله ﷺ فيها هو الصوم
فقد كان أكثر ما يصوم أيامها .

ومن العادات التي لم تكن من قبل، خروج النساء في شهر رجب
كل خميس لزيارة المقابر ويقولون خميس رجب ورسول الله ﷺ لعن
زوارات القبور اللاتي يفعلن ذلك الفعل وزيارة القبور الأصل فيها النهي
والإجازة للموعظة والعبرة والتدبر فقال رسول الله ﷺ كنت قد نهيتكم
عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة، وهناك من الناس
من يصر على أداء العمرة في رجب ويقولون عمرة رجب ولنعلم أن رسول
الله ﷺ ما اعتمر في رجب ولكنه ما نهى عن العمرة في رجب كما نهى
عن صيام رجب كله فقال عطاء رضي الله عنه نهى رسول الله ﷺ عن صيام رجب
لئلا يتخذ عيداً .

صيام عاشوراء

يقول قائل مادحاً رسول الله ﷺ : شهدت أن الله لا رب غيره وأنتك يا محمد عليك أفضل الصلاة والسلام أمين على شرعه وأنتك أدنى المرسلين وسيلة يا رسول الأكرمين الأطايب فأمرنا بما شئت يا خير مرسل وإن كان فيه شيب الزوائب .

ودين الإسلام لا يكلفنا فوق طاقتنا ، ورسول الله ﷺ لم يأمرنا بما هو فوق طاقتنا فاتقوا الله ما استطعتم .

لقد دخل رسول الله ﷺ المدينة المنورة الطاهرة في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول الذي كان يوافق اليوم العاشر من شهر تشرين العبري سنة أربعة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثمانين من السنة اليهودية وكان ذلك اليوم هو يوم كيפור عيداً عند اليهود يصومون فيه ، ورسول الله ﷺ عندما دخل المدينة ما حارب اليهود ولكنهم هم الذين حاربوه وأم المؤمنين صفية رضي الله عنها تحكي لنا عن ذلك اليوم تقول دخل رسول الله ﷺ المدينة فذهب أبي وعمي ياسر من أول النهار فلم يعودا إلا آخره وكنت صغيرة فكانا إذا غابا وأتيا يهشان لي إلا في هذا اليوم لم يهشان لي فتسمعت فإذا بعمي يقول لأبي أهو هو يسأله أهو النبي المنتظر هو الذي نجد صفته في التوراة ونعرفه فقال له حيي بن أخطب أبي نعم هو هو قال عمي وما تكن له قال عداوته ما حييت " فعيد كيפור الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة انقلب على اليهود غماً وهماً ، وكان لليهود عيد آخر يصومون فيه هو عيد النيروز في الرابع عشر من نيسان من السنة العبرية ، ورسول الله ﷺ إنما صادفته في أيامه الأخيرة وقبل أن يغادر الدنيا أن جاء هذا اليوم عند اليهود موافقاً ليوم العاشر من شهر

المحرم الهجري فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله إن اليهود تصوم عاشوراء فسألهم ولما يصوموه قالوا إنهم يقولون إن ذلك يوم صالح نجا الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وجنوده فنحن نصومه فقال رسول الله ﷺ نحن أولى بموسى منكم " ولكن هل معنى ذلك أن رسول الله ﷺ ما صام يوم عاشوراء إلا بعد أن سمع هذه القصة عن صوم اليهود له لا والله لنعلم أن رسول الله ﷺ كان يصومه حتى قبل أن يهاجر من مكة وقد ورد ذلك في البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية وكان رسول الله ﷺ يصومه كما كانوا يحجون البيت ويطوفون حول الكعبة " أي أنه كان من الموروثات عندهم صيام يوم عاشوراء ، وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال ركب نوح عليه السلام السفينة في العاشر من شهر رجب وسارت بهم خمسة أشهر واستوت على الجودي جبل في العراق شهراً وخرج نوح ومن معه يوم عاشوراء فصامه نوح " من هنا أخذ أهل الجاهلية صيام يوم عاشوراء ، وكذلك يُقال أن اليوم الذي تاب فيه الله عز وجل على آدم عليه السلام هو يوم عاشوراء ، لذلك رسول الله ﷺ كان يقول في يوم عاشوراء ذلك يوم كانت تصومه الأنبياء فصوموه أنتم " وعندما هاجر إلى المدينة وفي أول سنة هجرية وقبل أن يُفرض صيام شهر رمضان أمر رسول الله ﷺ بصيام يوم عاشوراء فبعث رجل من قبيلة أسلم يؤذن في الناس من أكل فليمسك بقية يومه ومن لم يكن أكل فليصم فإن اليوم يوم عاشوراء ، وسُئل رسول الله ﷺ عن صيام يوم عاشوراء فقال إن كنت صائماً بعد رمضان فصم في شهر الله المحرم فإن فيه يوم تاب الله فيه على قوم ويتوب على آخرين - يشير إلى توبة الله على آدم عليه السلام ويشير إلى توبة الله على قوم يونس عليه السلام فإن الله عز وجل تاب على قوم يونس كما يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم عاشوراء - من هنا نعلم أن

رسول الله ﷺ لم يكن مقلداً لليهود ولا متبعاً لهم في صيام ذلك اليوم ولكنه عندما علم أنهم يصومونه لأن الله عز وجل نجا فيه موسى وأن موسى صامه قال أنا أولى بموسى منكم لأن العمل الصالح تقتدي به ولا يضرك من أي وعاء خرج، ولكن رسول الله ﷺ أراد أن يخالف اليهود فقال إن عشت لقابل لأصومن التاسع والعاشر لذلك أهل العلم في دين الإسلام وقد أخذوا حديثاً لرسول الله ﷺ يقول فيه يوم عاشوراء تصومه اليهود فصوموه أنتم وصوموا يوماً قبله أو يوماً بعده فكان صيام يوم عاشوراء في الفقه على أربعة أوجه إما تصوم يوم عاشوراء فقط ورسول الله ﷺ ما صام غير العاشر وإما تصوم يوم التاسع والعاشر وإما تصوم يوم العاشر والحادي عشر وإما أن تصوم يوماً قبله ويوماً بعده .

ونحن كذلك أولى بنبي الله موسى عليه السلام من اليهود وذلك لأننا نعطيه حقه وقدره بينما هم آذوه ولم يتبعوه وخالفوا أمره وما جاءهم به من الله عز وجل والله عز وجل يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَجِيهًا﴾ الأحزاب 69 ولكنهم كيف آذوا موسى عليه السلام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ كان بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم عوارت بعض بينما كان نبي الله موسى حيي ستير لا يرى جلده فقالوا والله ما يستتر عنا موسى إلا لعيب فيه فأراد الله عز وجل أن يبراه فلما اختلى عنهم ليغتسل وخلع ثيابه وتركها على حجر إذا بقدره الله عز وجل يجعل هذا الحجر يطير بثيابه فأخذ موسى يجري خلف الحجر ويقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى وصل إلى القوم فرآوه بغير ثياب من أحسن الناس خلقه فبراه الله عز وجل بمعجزة من عنده .

من أراد صيام يوم عاشوراء فليصم لأن رسول الله ﷺ صامه وحبب
في صيامه فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ صيام يوم عرفة
يكفر سنتين سنة ماضية وسنة قابلة وصيام يوم عاشوراء أحسب على
الله عز وجل أن يكفر سنة ماضية، ولأننا كلنا ذنوب وآثام وأوزار
نحتاج إلى غسلها والتطهر منها ونحتاج إلى مغفرة الله عز وجل لنا فعلينا
أن نتزود فإن خير الزاد التقوى .



العشر من ذي الحجة

يقول رسول الله ﷺ من غدا إلى مسجد يريد أن يتعلم علماً أو يعلمه كان له كأجر حجة تامة " يريد أن يرغبنا في مجالس العلم لأن أهل العلم على النقيض من أهل الجهل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ، وأهل العلم في دين الإسلام لهم فضل عظيم لذلك رسول الله ﷺ كان يرغبنا في دروس العلم فقال هذا الحديث وقد بدأ بمن يريد أن يتعلم لأن عزمه أكبر فإن الذي يعلم الناس قد يأخذ بعضاً من أجره من ثناء الناس عليه ولكن المتعلم يكون إخلاصه أكبر والله عز وجل أعلم بقلوب عباده فمن كانت نيته خالصة للعلم كان له أجر حجة تامة كأنه خرج إلى بيت الله الحرام وأدى مناسك الحج بغير أن يتكلف شيئاً وما ذلك على الله بعزيز فإن خزانته لا تنفذ وعطاؤه لا مانع له فهو صاحب الملك والملكوت يرزق من يشاء بغير حساب .

قال رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه يا أبا ذر لأن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله عز وجل خير لك من أن تصلي مائة ركعة - والمعنى هنا ليس الحفظ فقط فإنه سهل ميسر ولكن المعنى تعلم كل ما يحيط بهذه الآية من سبب نزول ومن فضلها ثم يقول : يا أبا ذر لأن تغدو فتتعلم باباً من أبواب العلم عمل به أو لم يعمل خير لك من أن تصلي ألف ركعة - سواء عمل الناس بما تعلموا أو لم يعملوا به فإنك عليك بذل العلم لأن الله عز وجل ما أمر أحداً أن يرغم الناس على اتباع ما يعلمهم إياه إنما يبذل لهم العلم وقد يكون منهم من لا يستطيع أن يعمل بما علم لعذر عنده وحتى إن لم يعمل به الناس فقد حصل هذا المعلم أجر وثواب بذل العلم وهو

كأنه صلى ألف ركعة ، وهو جزاء عظيم فكم يستغرق صلاة ألف ركعة من وقت ومجهود هذا إن استطاع أن يؤديها ، إن دين الإسلام فيه الخير كل الخير والله عز وجل يختص أياماً وأوقاتاً يجعل فيها الثواب عظيم لكي يحصل المسلم ما لم يحصله في أوقات شغله أو عذره وذلك من فضل الله عز وجل على الناس والله عز وجل يقول ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ البقرة 189 يسألونك يا محمد عليك أفضل الصلاة والسلام عن الهلال والله عز وجل يجيب فإن من إرادة الله عز وجل أن يكون هذا الهلال ميقاتاً لعبادة فرضها الله على الناس مثل صوم رمضان فقال صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فلا نصوم حتى يأذن لنا الله عز وجل ولا نفطر حتى يأذن لنا الله عز وجل ، وكذلك إرادة الله إذا كان وقوفاً على عرفات فإن عرفات مكاناً محدداً يجب الوقوف فيه في وقت محدد حدده الله عز وجل وبينه لرسوله ذلك المكان لا يستطيع غير الحجيج أن تتواجد فيه عند رؤية الهلال ولا يستطيع أحد أن يشارك الحجيج بالوقوف فيه إلا إذا كان بينه وبين الهلال وقتاً كافياً لذلك إرادة الله لم تكن كما أراد في صيام رمضان ولكنه جعل الوقوف بعرفات في اليوم التاسع بعد رؤية الهلال وذلك لكي يعلم الناس في مشارق الأرض ومغاربها أن الوقوف على عرفات هو في اليوم التاسع ورسول الله ﷺ كان إذا رأى الهلال أو علم برؤيته كان يقول اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام هلال خير ورشد ربي وربك الله "

كان الهلال إيذاناً من الله في أن نشرع في عبادته ومن أفضل الأيام التي اختصها الله عز وجل بالفضل وجعل فيها خير وبركة هي العشر من ذي الحجة وقد أقسم الله عز وجل بها فقال ﴿وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ

عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ . وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ ﴿ الفجر 1 - 4 والله عز وجل يقسم بما يشاء من خلقه وإذا أقسم الله عز وجل بشيء من خلقه إنما يريد أن يلفت النظر إليه فأقسم بالفجر ليدلنا على أن بعد الظلام نور قد ظهر ووضح فكل ظلام لا بد أن يعقبه نور كما أنه إيذاناً بالخروج للسعي على الرزق فهو وقت النشاط والعمل ، ثم أقسم الله عز وجل بليال عشر والشفع والوتر ورد فيها الكثير من التفاسير ولكن المشترك أن الله أقسم بها ليلفت أنظارنا إليها لفضل فيها وخصوصية عن سواها من الليالي والأيام لذلك وجب علينا أن نترقبها ونتحراها لنعمل فيها الخير بقلوب مخلصة لله عز وجل حتى نحظى فيها بالأجر والثواب وغسل الخطايا والتخلص من الأدران التي قد علق بنا فيما سبق من شهور السنة ، وفي حديث عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ الليالي العشر هي العشر من ذي الحجة والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر " يقول أن الله عز وجل أقسم بهذه الأيام العشر من ذي الحجة والوتر الذي أقسم به هو يوم الوقوف بعرفة والشفع هو يوم النحر فإذا أقسم الله بها فيجب أن نتبها لها وقد جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال سئل رسول الله ﷺ عن الليالي العشر والشفع والوتر فقال العشر هي العشر من ذي الحجة والشفع والوتر هي صلاتكم منها شفع ومنها وتر - أي إنها إما تكون صلاة رباعية أو صلاة فردية مثل صلاة المغرب - وقال بن عباس أن الشفع صلاة الفجر لأنها ركعتين والوتر صلاة المغرب لأنها ثلاثة " فكان هذا تفسير وقول ، وجاء عن رسول الله ﷺ أن الوتر هو الله عز وجل الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، جاء ذلك في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لله عز وجل تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر " قالوا وما الشفع قال الشفع هو خلق الله عز

وجل كل خلقه جعله الله من ذكر وانثى فكان الله عز وجل وتراً
وكان خلقه شفعا .

هذه الأيام العشر المباركة إذا أدركناها فكيف نستقبلها وما
نفعل فيها ؟ من استطاع أن يصوم نهارها فليفعل فإن رسول الله ﷺ ما
كان يترك صيامها كما جاء في حديث عن أم المؤمنين حفصة رضي
الله عنها أنها من الأيام التي لم يكن رسول الله ﷺ يترك صيامها فقالت
أربعة ما كان يدعهن رسول الله ﷺ العشر وعاشوراء وثلاثة من كل
شهر وركعتين قبل الغداة " رسول الله ﷺ لم يكن يترك هذه الأربعة
التي منها صوم هذه الأيام العشر الأوائل من شهر ذي الحجة ، وقد جاء
في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ما من أيام العمل
الصالح فيها أحب إلى الله من العشر من ذي الحجة يعدل صيام يوم فيها
صيام سنة وقيام ليلة فيها قيام ليلة القدر - كان كل هذا الثواب
العظيم والأجر الكبير للعمل الصالح في هذه الأيام العشر ، وقد يقول
قائل لا أستطيع صيام هذه الأيام العشر لأي سبب من الأسباب فإنها
تطوع وليست فرضاً فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ ما
من أيام أعظم عند الله عز وجل من العشر من ذي الحجة فأكثرُوا فيها
من التهليل والتحميد والتكبير " من هنا نعلم أن العمل الصالح له
أشكال عديدة وبنوده كثيرة ليست قاصرة على الصوم فقط فإن أقلها
وأسهلها ما ذكره رسول الله ﷺ في هذا الحديث التكبير والتهليل
والتحميد فهو لا يكلف شيئاً ولا يحتاج إلى مجهود أو تعب إنما ينطلق بها
اللسان فقط فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ لا تبطأ ألسنتهم عن
الذكر في العشر وكانوا يجهرون بها ويرفعون أصواتهم بالتكبير في
الطرقات حتى أنه جاء عن عبد الله بن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما

أن الصحابة كانوا يكبرون في الطرقات وفي الأسواق حتى ترتج الأسواق والطرقات من تكبيرهم " كانوا يكبرون وكانوا يسألون الله العفو والعافية فكان ذلك لمن لا يستطيع الصوم فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها فمن لم يستطع ذلك فليصدق ويكثر من الصدقات في هذه الأيام فإنه جاء في حديث عن رسول الله ﷺ نقله إلينا عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال ما من أيام أحب إلى الله عز وجل العمل الصالح فيهن من العشر يقصد العشر من ذي الحجة قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع بشيء من ذلك .

كل العمل الصالح في هذه العشر مطلوب حتى وإن كان كلمة طيبة أو أن تلقى أخاك ووجهك له طلق أو أن تفشي السلام أو تعين وتساعد الناس على قضاء حوائجهم أو ذكر الله عز وجل وقراءة القرآن فإن القرآن يأتي شافعياً لأصحابه يوم القيامة ، كان هذا فضل هذه الأيام العشر .

ولكن من أفضل هذه الأيام العشر يوم عرفة فإن الصيام فيه مشاركة للوقوف على عرفات من الحجيج فإن رسول الله ﷺ يقول صيام يوم عرفة يكفر سنتين سنة ماضية وسنة قادمة " فكان صيام هذا اليوم مكفراً عن الذنوب في سنة ماضية وسنة قادمة وكيف يكون مكفراً لسنة قادمة فإن الصيام إذا ما كان كما يجب أن يكون الصيام فسوف يمنع صاحبه من ارتكاب الذنوب والمعاصي لأنه يولد في داخل الصائم شحنة من الإيمان تمنعه من ارتكاب المعاصي في عامه القادم ، والواقفون على عرفات لا يصومون ولكنهم يلبنون يقولون لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك

بينما نحن هنا نتطلق ألسنتنا بالتكبير وبذكر الله والتسبيح والتحميد حتى نشاركهم وقوفهم في هذا الموقف العظيم .

ومما نشاركهم فيه أيضاً إذا استقبلنا العشر من ذي الحجة نمتنع عن قص الأظافر أو حلق الشعر لأنه جاء في حديث عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظافره " وقد يسأل سائل هل ذلك مستحب نقول نعم هو مستحب فإن التشبه بأهل الخير واجب لعل الله عز وجل يطلع على ما قلوبنا فيأجرنا بأجرهم لأننا نقلدهم وذلك أفضل من أن نقلد من هم ليسوا على ديننا من أهل الغرب في الفجور والفحش من القول والفعل ونترك تقليد أهل التقوى والإيمان ، كما أن المحرم لا يقرب زوجته ولا يقتل الصيد ويتجرد من المخيط يحرم في إزار ورداء ولا يأخذ من شعره ولا يقلم أظافره فإن كل ذلك هو تعبد لله عز وجل ، والذي أمرنا به في سائر بلاد الإسلام من التقليد هو عدم الأخذ من الشعر وقلم الأظافر فقط رحمة من الله ورسوله بنا وهو من السنة التي أمرنا بالعمل بها ما استطعنا .

أيام العيد

دخل أبو هريرة رضي الله عنه السوق ذات يوم ثم نادى بأعلى صوته يا أهل السوق - وأهل السوق هم أصحاب المتاجر وأصحاب المكاسب والمنافع وأهل البيع والشراء - إن ميراث محمد صلى الله عليه وسلم يُوزع في المسجد ، فانطلق كل أهل السوق إلى المسجد يبحثون عن الغنائم والعطايا فلما لم يجدوا شيئاً من ذلك عادوا مرة أخرى إلى السوق وقالوا يا أبا هريرة ما وجدنا شيئاً يُوزع في المسجد قال فما وجدتم قالوا وجدنا ناس تصلي وناس يتلون كتاب الله عز وجل وناس يتدارسون العلم فقال لهم أبو هريرة رضي الله عنه فذلك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم

وقال بن جبير رضي الله عنه من عمل لله طاعة فهو ذاكِر لله عز وجل وخير الذكر لله عز وجل عبادته " والله عز وجل يقول ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الذاريات 56 - 58 ربنا جل وعلا أغنى الأغنياء فهو غني عن عبادة العباد كلهم ولكن إرادته أن يأمرهم بأن يعبدوه فمن استجاب كان له أجر عظيم ومن لم يستجب فعليه الوزر ويقول قائل :

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابد هما قطبان

ومدارهما بالأمر أمر محمد لا بالهوى والنفس والشيطان

والله عز وجل يقول في حق رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ الحشر 7 فإذا أمرك محمد صلى الله عليه وسلم بأمر ما

فاعلم أن الأمر هو الله عز وجل وأن رسول الله ﷺ هو المبلغ عن ربه هو المكلف بتبليغ رسالة رب العالمين إلى الخلق أجمعين .

إن لله عز وجل في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها ومن هذه الأيام أيام الحج والعمرة تلك الأيام كان الناس فيها يسيرون في طرقات المدينة ومكة يذكرون الله بالتكبير والتهليل وبنشيد التوحيد لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، كانت هذه الأيام من أفضل الأيام عند الله عز وجل فعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ما من أيام أفضل عند الله عز وجل من عشر ذي الحجة فقال رجل يا رسول الله هن أفضل من عدتهن جهاداً في سبيل الله - إذا كان إنسان جاهد في عشر أيام أخرى غيرها - فقال له رسول الله ﷺ إن هذه لا تعدل تلك ، وقال جابر رضي الله عنه هن أفضل من عدتهن جهاداً في سبيل الله ثم يقول رسول الله ﷺ وما من يوم أفضل عند الله عز وجل من يوم عرفة ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء يقول ملائكته انظروا إلى عبادي جاءوني شعثاً غبراً من كل فج عميق يرجون رحمتي ولم يروا عذابي أشهدكم أنني قد غفرت لهم " فإذا كانت هذه الأيام فيها كل هذا الفضل وكانت خلاصتها وأفضلها يوم عرفة ذلك اليوم لم يكن رسول الله ﷺ يترك صيامه في غير الحج فكان يصومه ويقول يوم عرفة يكفر سنة ما ضية وسنة قابلة " والقابلة بأن يمنعك الصوم من اجتتاب المعاصي ، ومن كان في الحج فلا صوم عليه في ذلك اليوم لأن أم الفضل رضي الله عنها سئلت هل رسول الله ﷺ صائماً أم لا فبعثت إليه بلبن فشربه وهم ينظرون لأن الحجيج يتعرضون للمشقة ولحر الشمس فكان من رحمة الله بهم أن لم يجعل لهم صياماً في هذه الأيام ولكن من هم في

ديارهم في كافة مشارق الأرض ومغاربها فلم أن يصوموا يوم عرفة مشاركة منهم لوفد الحجيج في تعبهم ومشقتهم ، ورسول الله ﷺ كان يحرص في ذلك اليوم على أن يتوجه إلى الله عز وجل بالدعاء من أول يوم عرفة إلى آخره كان يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وكان يكثر من ترديده ويقول خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وقال أهل الفقه فيها أن رسول الله ﷺ قال إن من أفضل الدعاء وخير الدعاء أن تقول هذه الكلمات وهذه الكلمات ليست دعاءً فإنك لا تقول فيها اللهم ارزقني واشفيني إنما كان ذلك ثناءً على الله عز وجل واعترافاً بأنه مالك الملك والملكوت وأنه وحده لا شريك له فمن شغل نفسه به طوال يوم عرفة فإن الله عز وجل يعلم حاجته ويعلم ما يجول بخاطره لأنه لا يخفى عليه شيء فإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور والله عز وجل مطلع على ما يرجوه العبد فيقول رسول الله ﷺ قال الله عز وجل من شغله ثناءه عليّ عن مسألتني أعطيته أفضل ثواب الشاكرين " ولذلك من شغل نفسه يوم عرفة بدعاء الثناء على الله عز وجل أعطاه الله ما يتمناه ويرجوه ولم يطلبه من الله عز وجل .

كان رسول الله ﷺ يبدأ بتكبيرات العيد من فجر يوم عرفة وهذه التكبيرات هي ذكر لله وأمرنا أن نشغل هذه الأيام بالتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد لله عز وجل فكانت تكبيرات العيد إنما هي ذكر لله تبدأ من فجر يوم عرفة وتستمر بها دبر كل صلاة حتى عصر آخر أيام العيد ولا يقتصر التكبير فقط دبر كل صلاة وإنما نشغل أنفسنا بها ونردها بألسنتنا في كل وقت في أيام العيد والله عز وجل

وجل يقول ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ البقرة 203 كان الأمر من الله عز وجل بالذكر في هذه الأيام وقال لنا بعد الذبح لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كانت التقوى هنا تتحصل بذكر الله والمداومة عليه ، وهذه الأفعال هي من سنة رسول الله ﷺ التي يجب أن نفعّلها ونحافظ عليها لأن اتباع سنته فيه تمييز لأمة الإسلام تُعرف بها .

ومن هذه السنن أن تكون صلاة العيد في الخلاء والذهاب إلى الصلاة من طريق والعودة من طريق آخر حتى يلقي أكبر عدد من الإخوان والأصحاب وتكون الألفة والمودة والسرور بين الناس ، وفي عيد الأضحى كان رسول الله ﷺ لا يأكل إذا خرج للعيد لا يطعم حتى يعود من الصلاة فيأكل من نسكه وقد جاء في حديث أن رسول الله ﷺ كان لا يخرج يوم الفطر حتى يأكل تمرات ويأكلهن وتراً على خلاف يوم الأضحى لا يأكل حتى يعود لأن عيد الفطر يجب كسر الصيام أما عيد الأضحى فإنه عيد أكل وشرب وتضحية ، وكان رسول الله ﷺ يأمر بالإغتسال قبل الخروج للصلاة والتطيب ولبس أحسن الثياب فقال ذلك يوم جعله الله لكم عيداً فاغتسلوا فيه وإن كان عند أحدكم طيباً فلا يضره أن يمسه وعليكم بالسواك " وجاء في حديث عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا كان يوم العيد يأمرنا أن نلبس أحسن الثياب ونتطيب ويأمر الجميع بالخروج حتى النساء والفتيات فكان يخرج نساء وبناته لصلاة العيد " وجاء عن أم عطية رضي الله عنها قالت كنا نؤمر يوم العيد أن نخرج العواتق والحيض ليشهدن الخير وفرحة المسلمين ويعتزل الحيض المصلى .

رسول الله ﷺ كان لا يذبح أضحية إلا بعد الصلاة فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أول ما نبدأ به يومنا أن نصلي ثم نرجع فننحر - والصلاة هنا تعني الصلاة وسماع الخطبة بعدها لأن من السنة ألا يذبح أحد إلا بعد ذبح الإمام لذلك لا يصح أن ينطلق الناس بعد الصلاة إلى الذبح ويتركون الإمام يخطب ويلقي موعظة - فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء " كان ذلك هدي محمد ﷺ وكان إهراق الدم لمن عنده سعة من المال لمن يستطيع لأن الذي يستطيع ولا يضحي توعده رسول الله ﷺ بشيء خطير كاد أن يخرج من الملة فقال من وجد سعة أن يضحي ولم يضحي فلا يقربن مصلانا .

من ذلك نعلم أن الأضحية سنة مؤكدة عن رسول الله ﷺ ما تركها أبداً وكان يواظب عليها رغم أنه لم يكن لديه سعة من المال حتى أن بيته لم يكن يوقد فيه ناراً شهرين كاملين ولكنه كان يحرص على هذه الشعيرة تقرباً إلى الله عز وجل وفي حديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ ما عمل آدمي عمل يوم النحر أفضل من إهراق الدم وإنها تأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظافرها وإن الدم يقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفساً " ذلك لأن دين الإسلام دين تراحم ومودة الغني فيه وجود على الفقير .

عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام وهي أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل " وكان رسول الله ﷺ يقول من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، والذي ليس عنده سعة لكي يضحي فإن رسول الله ﷺ قد

ضحى وتحملها عنه فإنه أتى بكبش أملح يمشي في سواد ويطأ في سواد وينظر في سواد وقال لعائشة رضي الله عنها هلمي المديّة واشحذيهما بحجر ثم سمى وكبر وقال اللهم هذا عن محمد وآل محمد وعن من لم يضحى من أمة محمد " بذلك تحمل رسول الله ﷺ برحمته وشفقته الأضحية عن كل فقير في أمته لا يستطيع أن يضحى حتى لا يحزنوا وحتى لا يحسبوا أنهم أقل شأنًا ممن يضحون .

ومن السنة في عيد الأضحى التعجيل بالصلاة في أول وقتها بينما في عيد الفطر يكون التأخير فيها لآخر وقتها فقد كان رسول الله ﷺ يصلي صلاة العيد في عيد الفطر والشمس على ارتفاع رمحين وكان يصلي في الأضحى والشمس على ارتفاع رمح والسبب في تأخير صلاة الفطر أن زكاة الفطر يجب إخراجها قبل صلاة العيد فكان من باب التوسعة على الناس تأخير الصلاة حتى يتمكنوا من إخراج زكاة فطرهم وسبب تعجيل صلاة الأضحى حتى يتسع الوقت لمن يقومون بذبح الأضاحي وتوزيعها على الفقراء والأهل والأصحاب ، وقد كان الناس على عهد رسول الله ﷺ يحيي بعضهم بعضاً بقول تقبل الله مني ومنكم لأنك عبدت الله بالذكر وبالصلاة والإغتسال والتطيب والملبس الجديد الحسن وبالسواك وبالأضحية وبكل أمر أمر به رسول الله ﷺ واستجبت له فيه .

الحج والأضحية

إن يوم التروية هو اليوم الذي يخرج فيه الحجاج من مكة بعد أن تزودوا وخير الزاد التقوى ينطلقون إلى منى وقد أحرموا وخرجوا بإحرامهم يلبنون لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وعند الوصول إلى منى يؤدون بها خمس فرائض الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم ينطلقون بعد صلاة الفجر إلى عرفات ولا يدخلونها إلا بعد صلاة الظهر ويصلون معه العصر جمع تقديم في وادي عُرنة في مسجد نمرة ثم يدخلون عرفات ويمكنون فيها حتى غروب الشمس بقليل ثم ينطلقوا ويفيضوا من عرفات إلى المشعر الحرام إلى المزدلفة ثم يخرجون من المزدلفة بعد صلاة الفجر إلى العقبة لأداء منسك الرجم ، لماذا يرحمون إبليس في هذا الموضع بالذات ؟ لنعلم إنها سنة نبي الله إبراهيم عليه السلام فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال فيما قاله إن إبليس عرض لنبي الله إبراهيم عند العقبة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض ثم لقيه عند العقبة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض ثم لقيه عند العقبة الصغرى فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض ، ويقول عبد الله بن عباس رضي الله عنه الشيطان ترجمون وسنة أبيكم إبراهيم تتبعون " ولنعلم أن تعرض الشيطان لإبراهيم عليه السلام في تلك الأماكن إنما كان في أشد الأوقات وأصعبها عليه حيث أمره الله عز وجل بذبح ابنه الوحيد الذي رزقه الله به بعد عمر طويل حيث بلغ عمره وقتها ستة وثمانين سنة فينطلق هذا الشيخ بابنه وزوجته إلى هذا المكان القفر حيث أوحى الله إليه بأن يذبح ولده إسماعيل عليه السلام والله عز وجل يقول ﴿وَقَالَ إِنِّي

ذَاهِبْ إِلَىٰ رَبِّ سَيِّهْدِينِ . رَبُّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ . فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ
 حَلِيمٍ . فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ
 فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ
 مِنَ الصَّابِرِينَ . فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ
 صَدَقْتَ الرَّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَّبُكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ
 الْمُبِينُ . وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٠﴾ الصافات 100 – 107 في هذه الآيات
 يخبرنا الله عز وجل بالقصة كما أرادها لتكون لنا درساً على مر
 العصور ونذكرها في هذه المناسبة من كل عام ونأخذ منها العبرة
 والعظة فقد عرض الشيطان لإبراهيم عليه السلام يقول له إن الذي رأيته
 في المنام رؤيا وليست رؤيا حق ولكن رؤيا الأنبياء وحياً من الله عز وجل
 كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ ولكن الشيطان أراد أن يثني من
 عزيمته فقال له إن ما رأيته في المنام ما هي إلا إرهابات وليست أمراً
 بالفعل فما كان من إبراهيم عليه السلام إلا أن أخذ سبع حصيات من
 الأرض وقذفه بها ، وكذلك عرض هذا الشيطان على السيدة هاجر
 وقال لها أتدريين أين يذهب إبراهيم بابنك فقالت ليحتطب قال بل لكي
 يذبحه قالت إنه أرحم بابنه فكيف يفعل ذلك قال لها إنه يقول إن الله
 أمره بذلك قالت إن كان الله أمره بذلك فليفعل ما أمره الله به ، كان
 هنا النموذج والمثل في التسليم والانقياد لإرادة الله عز وجل وأمره ، لذلك
 لم يستطع الشيطان أن يتغلب عليهم ، ثم كانت محاولة أخرى من
 الشيطان مع إبراهيم عليه السلام فعرض له عند العقبة الثانية لأنه يعلم
 أن هذا الشيخ إنسان بشر وآتاه الله بهذا الولد على كبر والولد قد شب
 وبلغ معه السعي ولكن الشيطان لم يفلح مع إبراهيم عليه السلام فذهب
 إلى إسماعيل عليه السلام فعرض له وقال له كما قال لأبيه فقال له
 إسماعيل إن كان الله قد أمره بذلك فليفعل ما أمره الله به فلم يجد

الشیطان منهم استجابة ولم یفلح فی صرفهم عن طاعة الله عزوجل ،
وعندما وصلوا إلى المكان الذي أراد إبراهيم علیه السلام أن ینفذ فيه
أمر الله ماذا یقول له إسماعیل علیه السلام قال یا أبت اشدد وثاقي حتی
لا أنتفض فیتطایر الدم مني فیصیب ثوبك فینقص أجري واشحد شفرتك
حتى تقوى على تنفیذ أمر الله ، ثم قال له واكُبني على وجهي حتی لا
ترى وجهي فتأخذك الشفقة عن تنفیذ أمر الله ، وعندما وصل الأمر
منهما إلى التسليم التام بأمر الله والطاعة الخالصة لوجهه وشرعا فی
التنفیذ تأتي رحمة الله عزوجل بهما یقول الله عزوجل ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا
وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَّبُكَ
نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ . وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ الصافات 103 – 107 من
هذه القصة نتعلم الإنقیاد إلى الله عزوجل فی كل ما أمر به وما نهى
عنه فإن كل ما أمرنا الله به لن یصل إلى ما أمر به نبيه إبراهيم فإن
كل أمر دون ذلك هو سهل هین أن نطیع الله فيه ونستسلم له فإن
إبراهيم وإسماعیل علیهما السلام عندما انقادا إلى رب العزة رغم صعوبة
الإختبار حتی أن الله عزوجل وصفه بالبلاء المبين لأنه لا یقوى علیه إلا
أولوا العزم من الرسل فكان الجزاء لهما جنات رب العالمین ورضی الله
عزوجل ، بینما ما یأمرنا نحن به الله عزوجل إنما ینصب فی مصلحتنا
ویقیم حیاتنا الدنیا زکیة نقیة ویدخلنا جنة رب العالمین فإن فيه
مصلحتنا نحن فی الدنیا والآخرة کمثل أن ینهاننا الله عزوجل عن شرب
الخمر لأنها ضارة وتؤذي الإنسان ولم یطلب منا جزاء ولكن الله عزوجل
یقول ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ
لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۚ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾
الأحزاب 36 فقد ضل عن الصراط المستقیم فقد أورد نفسه المهالك ولا
حول ولا قوة إلا بالله العلی العظيم وكذلك یقول الله عزوجل ﴿ إِنَّمَا

كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ النور 51 فمن سمع وأطاع فهو من المفلحين ومن سمع وعصى فهو من الخاسرين ، وكذلك يأتي الفرج من عند الله عز وجل لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فأرسل الله عز وجل كبش عظيم يكون فداءً لإسماعيل عليه السلام لأن من يتق الله يجعل له مخرجاً ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً فقد توكلنا على الله وامتننا لأمره فكان ذلك دليلاً على تقوى قلبيهما وبالتقوى يكون لكل هم فرجاً ومن كل عسر يسراً ، لذلك إذا وجدنا الأعداء يلتقون حول أمة محمد ويتربصون بهم ويجعلون لعدوهم الصهيوني اليد العليا في المنطقة فلنعلم أن كل ذلك ليس سببه تقدمهم وتطورهم في السلاح والعتاد لأن الله عز وجل هو الذي يهب لهم هذا التطور ولو شاء لأمسك عنهم ولكن سبب ذلك هو عدم الإنقياد من أهل الإسلام لأوامر الله عز وجل وعصيان أكثر ما أمر به رسول الله ﷺ فكان ذلك دليل على عدم تقوى قلوبهم فما كان لله أن ينصرهم أو يعزهم أو يفرج كربهم أو يرزقهم إلا بالعودة لطاعته وتنفيذ ما أمر به واجتناب ما نهى عنه إذا أرادوا أن تقوم لهم قائمة ولكن لا حياة لمن تنادي فلن نتصر إلا إذا كنا من أهل الإيمان لأن الله عز وجل يقول وكان حقاً علينا نصر المؤمنين .

إن سنة أبينا إبراهيم نستن بها إلى يوم القيامة فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال سئل رسول الله ﷺ ما هذه الأضاحي قال هي سنة أبيكم إبراهيم قالوا فما لنا فيها يا رسول الله قال لكم فيها بكل شعرة حسنة قالوا ومن الصوف قال بكل شعرة من الصوف حسنة .

وهذا القربان ما كانت بدايته مع نبي الله إبراهيم إنما هو من قديم فإن الله عز وجل يقول ﴿وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۚ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ المائدة 27 ونجد مرة أخرى كلمة المتقين كان ذلك القربان مرتبط بالتقوى والنية الصالحة حتى يكون مقبولاً عند الله وكان ذلك من قابيل وهابيل قدم أحدهما حزمة من قمح وقدم الآخر كبشاً ومعه الإخلاص فكان القبول من الله لمن جمع مع قربانه الإخلاص لله عز وجل ، وكذلك من بعدها كان تقديم القربان دليلاً على النبوة والرسالة كما يقول الله عز وجل ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عِهْدٌ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ آل عمران 183 كانوا يقولون ذلك لرسول الله ﷺ أين قربانك نحن لا نؤمن برسول حتى يأتينا بقربان ويكون ذلك القربان دليلاً على أن المرسل نبي من عند الله رب العالمين كان ذلك القول منهم كفراً وزيادة في عدم قبول اليقين وزيادة في معاداة رسل الله ومحاربة للحق .

إن الحجاج الذين تجمعوا من كل مكان في عرفات تتطلق ألسنتهم بشعار التوحيد تجتمع قلوبهم على لا إله إلا الله محمد رسول الله والله عز وجل يقول ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الحج 27 هذا الجمع الذي أتى من كل فج عميق إنما يدل على أن في اتحادنا قوة على الأعداء لأن الله عز وجل يقول ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۚ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الأنفال 46 التنازع سبب الفشل وسبب الضعف لذلك يقول رسول الله ﷺ تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة " والله

عز وجل يقول ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۚ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۚ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ الحج 34

ويقول الله عز وجل ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۚ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۚ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الحج 36 والأضحية هي التسمية التي تطلق على ما يضحي به أهل الإسلام على ذبائحهم في جميع أقطار الأرض وليس في مكة ولكن التي في مكة تسمى هدياً ، والأضحية لها ميعاد محدد فإنها عبادة ولا تكون العبادة إلا بما شرع الله لنا ونقله إلينا رسوله ﷺ كما أن لها أنواع إن كانت من غيرها لا تعتبر أضحية وهي الغنم والبقر والإبل وأما وقتها فهو بعد صلاة عيد الأضحى وهي من أفضل الأعمال التي أمرنا بها في ذلك اليوم فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ ما عمل آدمي عمل أفضل عند الله عز وجل يوم النحر من إهراق الدم وإن الإضحية لتأتي بأظلافها وأشعارها وأصوافها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفساً " أي يكون ذبحها بطيب نفس لأنها عبادة لله عز وجل ، وهي لا تكون إلا بعد صلاة العيد وبعد الخطبة كما جاء في حديث لرسول الله ﷺ قال من ذبح قبل صلاة العيد فإنما يذبح لنفسه ومن ذبح بعد الصلاة والخطبة فقد أصاب النسك " وعن البراء بن عازب ؓ قال : قال رسول الله ﷺ أول ما نبدأ به يومنا أن نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أتم نسكه وأصاب سنة المسلمين ومن ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء " وعبد الله بن عباس ؓ يقول قال رسول الله ﷺ

ما أنفقت الورق في شيء أفضل من نحيرة يوم عيد " فإن الزبيحة أفضل الصدقة وأفضل من شراء اللحوم وتوزيعها وأفضل من كل الأمور التي تشبه ذلك لأننا إذا فعلناها نكون قد أدينا عبادة لله عز وجل ونعلم أنه لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ، الله عز وجل هو الذي يرزق ثمنها وهو الذي إذا تم ذبحها جعلها قربة ينال بها الإنسان الأجر والحسنات بعدد شعرها ووبرها .

وهناك من الناس من يخطيء ويلوث يده بدماء الأضحية ثم يلطخ بها الجدران أو يخمس بها على البنيان ولنعلم أن هذا الفعل هو من أفعال الجاهلية فقد جاء في حديث رواه بن جريج رضي الله عنه قال كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودماءها فقال صحابة رسول الله ﷺ نحن أحق بالنضح منهم فأنزل الله عز وجل قوله ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَآ دِمَآؤُهَا وَلَآ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ الحج 37 ، ولنعلم أن سورة الكوثر لم تكن بمناسبة عيد الأضحي ولكنها نزلت بمكة قبل أن يشرع لعيد الأضحي أو الفطر ومعنى فصلي لربكم وانحر أي أن صلاتك يجب أن تكون لله عز وجل وحده لا شريك له وأن تكون ذبائحك كذلك خالصة لوجه الله وحده لا شريك له لا يكون الذبح لنصب أو لصنم فإن رسول الله ﷺ ذبح ذبيحته ووجهها ثم قال وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له بذلك أمرت وأنا أول المسلمين .

ولنعلم أن هذه الأضحية يكلف بها كل أهل بيت من أهل الإسلام ولكن قيل فيها إنها مؤكدة على الكفاية ولكن الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه أوجبها في حق من يملك النصاب في الزكاة وفي حديث رواه

أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من وجد سعة فلم يضحى فلا يقربن مصلانا " أي الذي عنده كفاية من المال يستطيع ويقدر على دفع ثمن الأضحية ثم يحجم عنها ولم يفعلها ولم يطعم الفقراء والمساكين من أمة محمد ﷺ فإنه يكون قد أخطأ في حق دين الإسلام وقد أبعد رسول الله ﷺ عن المصلى الذي يجتمع فيه أهل الإسلام للصلاة ، ولماذا لا يقربه لأنه أصبح من المقصرين .

وعندما كان أبو بكر رضي الله عنه خليفة وأميراً للمؤمنين لم يكن يضحى وكذلك كان عمر رضي الله عنه من بعده لأنهما كانا يخافا أن يقربا مال بيت مال المسلمين فكانا يأخذان منه ما يكفي الزاد فقط فلم يكن معهما من المال ما يكفي الأضحية حتى أن عمر رضي الله عنه وهو أمير للمؤمنين يأتيه أحد عماله من ولاية بعيدة بنوع من الحلوى لم يعهده أهل المدينة فسأله أمير المؤمنين هل أكل منها كل أهل الإسلام هل معك ما يكفيهم منها فقال له لا يا أمير المؤمنين فلم يطعمها لأنها لم تكن تكفي إلا له ولمن حولة من المقربين لذلك لم يطعمها ، فكان من شدة حرص الصديق وعمر رضي الله عنهما على أموال المسلمين كانا لا يضحيان ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو على فراش الموت يأمر ابنته أسماء بأن يكفنوه في ثوبه القديم الذي يرتديه وقال لها إن الفقير أولى بالثوب الجديد لذلك كان أبو بكر وعمر من عظماء القادة في تاريخ دولة الإسلام فقال عنهما علي بن أبي طالب رضي الله عنه رحم الله أبا بكر وعمر لقد أتعبا الولاة من وراءهما تعباً شديداً وكلفوهم أمراً عظيماً " لأنه ليس هناك حاكم يحكم أهل الإسلام من بعد أبي بكر وعمر استطاع أن يسير على نهجهما ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

من لم يمتلك القدرة على أن يضحي فلا يرهق نفسه ويكلفها
فوق طاقتها لأن رسول الله ﷺ ضحى عن كل من لا يستطيع من أمة
الإسلام فإنه قد ذبح كبشاً وقال اللهم هذا عن أمة محمد من شهد لله
بالوحدانية ولي بالبلاغ ثم ذبح كبشاً آخر وقال اللهم هذا عني وعن أهل
بيتي وعن من لم يضحي في أمة محمد ﷺ ، ثم يقول راوي الحديث أبو
رافع رضي الله عنه فيطعمهما المساكين .

ورسول الله ﷺ الذي هو القدوة والمثل وهو المتبع قولاً وفعلًا كان
يقسم الأضحية إلى ثلاث ثلث لأهل بيته وثلث يهديه وثلث للفقراء
والمساكين ، وكان الأمر فيه اليسر فمن وزعها كلها فلا إثم عليه ومن
أكلها كلها فلا شيء عليه ومن أهداها كلها فيجوز له ذلك فإن
الحكم فيه توسعة .

الحج وتكفير الذنوب

قال رسول الله ﷺ لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تتخذوا قبوري عيداً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تصلني حيث كنتم " ينهانا رسول الله ﷺ أن نجعل بيوتنا مثل القبور خالية من رحمة الله بعدم ذكر الله وبعد الملائكة عنه وبقلة البركة فيه بعدم الصلاة فيه ، ثم ينهانا أن نتخذ قبره عيداً ويأمرنا بالصلاة عليه ونحن في أي مكان فإن أجرها يتساوى فيه الواقف أمام قبره والذي في آخر الدنيا فإن الله عز وجل ضمن أن يوصل إليه صلاتك أينما كنت وذلك المكان الذي دفن فيه رسول الله ﷺ إنما هو حجرة من حجرات بيته فكان يقول ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة فكان هذا المكان الطاهر الذي تفوح منه رائحة المسك إنما هو جزء من الجنة وأما من كان في أي بلد في مشارق الأرض أو مغاربها ولكنه يريد أن يحصل ذلك الأجر ويحظى بالجلوس في روضة من رياض الجنة قال له رسول الله ﷺ ليس عليك أن تذهب إلى ذلك المكان بعينه لتتال أجره لأنه قال لأصحابه إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة يا رسول الله قال حلق العلم ، من هنا كانت حلقات العلم في أي مكان في العالم إنما هي إحدى رياض الجنة التي أمرنا رسول الله ﷺ أن نرتع منها ونستشيق رائحتها ونمكث فيها ما استطعنا ونهل منها العلم ، فقد كان رسول الله ﷺ يجلس في ذلك المكان يعلم الناس وكان ذلك في السنة السادسة من الهجرة فنزل قول الله عز وجل ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ. لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ الحج 27 - 28 نزلت هذه

الآية فكان فرض الحج من الله عز وجل على الأمة ، ورسول الله ﷺ حج حجة الإسلام في السنة العاشرة من الهجرة فقال في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه "فكان الحج مكفراً للذنوب ، وفي حديث رواه جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة " فكان الحج والعمرة مطهراً للإنسان من الذنوب والخطايا والأوزار والآثام ، وقد أشار رسول الله ﷺ إلى الكعبة ويقول هذا البيت دعامة الإسلام من خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان على الله عز وجل إن قبضه أن يدخله الجنة وإن رده رده بأجر وغنيمة " كان الحج مكفراً للذنوب كما أنه محمل بالأجر والثواب العظيم وقد أخبرنا رسول الله ﷺ عن الذنوب التي يطهرها الحج والعمرة عندما وقف وهو في الحج وسط الناس وقال أيها الناس في أي شهر هذا قالوا الله ورسوله أعلم فقد كانوا يحسبون أنه سوف يسميه بغير اسمه فقال أليس هذا الشهر الحرام قالوا بلى قال وفي أي بلد هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال أليس هذا البلد الحرام قالوا بلى قال وأي يوم هذا أليس يوم النحر قالوا بلى قال فإن دماءكم وأعراضكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا " بتلك الكلمات القليلة الموجزة علمنا رسول الله ﷺ أن الحج لا يكفر الظلم ولا يمحي المظالم التي تقع من عباد على عباد وقد فهم أصحابه كلامه بهذا النهج وطبقوه عملياً مثل عمر رضي الله عنه وهو أميراً للمؤمنين يجمع الناس في موسم الحج ويجمع عماله وولاة الأمر في الأمة من أقطار الدولة المنتشرة في كل أرجاء الأرض حيث كانت دولة الإسلام حدودها تصل إلى أرمينيا وأذربيجان وحتى أفريقيا جنوباً والصين شرقاً ثم يقول أيها الناس إنني لم

أبعث عليكم عمالي هؤلاء ليضربوا أبشاركم أو يسبوا أعراضكم أو يأخذوا أموالكم وإنما بعثتهم ليعدلوا بينكم وليقسموا فيئكم بينكم فمن فعل فيه غير ذلك فليقم - ولو كان الحج مكفراً لكل الذنوب لكفر هذه الأفعال التي عددها أمير المؤمنين من الحكام من ضرب الناس وسبهم وأكل أموالهم بالباطل ولكن لأن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه علم وتعلم من رسول الله ﷺ أن الحج لا يكفرها عندما قام رجل من عامة الناس وقال يا أمير المؤمنين إن عاملك فلان ضربني سوطاً ظلماً فيأمر بذلك الأمير أن يقوم ثم يسأله هل عنده بينة تبرر ضربه لهذا الرجل فلم يجد فعلم أنه ضربه ظلماً فأعطى للرجل سوطاً وقال له اضربه كما ضربك فقام عمرو بن العاص رضي الله عنه وقال يا أمير المؤمنين كيف نحكم الناس إذا ضربناهم ضربونا قال أمير المؤمنين اسكت يا عمرو فوالله لقد استقضى رسول الله ﷺ من نفسه ثلاثة أيام يخرج من بيته قبل موته يقول أيها الناس من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقض منه ومن كنت سببت له عرضاً فهذا عرضي فليستقض منه ومن كنت أخذت منه مالاً فهذا مالي فليستقض منه ، يطلب من الناس أن يأخذوا حقهم منه في الدنيا قبل أن يغادر إلى الآخرة قبل أن يقابل الحكم العدل حيث الموازين بالقسط أراد أن يبريء ذمته - قال عمر رضي الله عنه اسكت يا عمرو إما يستقضي منه أو يتحلله من تلك الضربة ، وذلك لأن دين الإسلام لا يبيح الظلم أبداً ولا يكفره إلا أن يُرد هذا الظلم عن المظلوم أو يعفو ويغفر هذا المظلوم أما غير ذلك فلا يكفره شيء حتى ولا الجهاد في سبيل الله الذي هو أعلى رتبة من الحج والعمرة فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله القتل في سبيل الله يكفر الذنوب جميعاً قال رسول الله ﷺ يكفر كل شيء إلا الأمانة " وذلك لأن أكل الأمانة إنما هو ظلم لصاحبها والظالم لا يكفر عنه حتى وإن مات وهو

يقاتل في سبيل الله لأن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ، بحسب
إمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه
وماله وعرضه .

في وسط أيام الحج جمع رسول الله ﷺ الناس ثم قال قالت اليهود
ليس علينا في الأميين سبيل وكذبت اليهود ألا إن كل شيء من أمر
الجاهلية تحت قدمي هاتين موضوع إلا الأمانة فإنها مؤداة لكل بر
وفاجر " وجاء بالمثل من اليهود لأنهم كانوا يقولون عن أنفسهم نحن أبناء
الله وأحباءه فكانوا يأكلون أموال الناس بالباطل وينتهكون أعراضهم
ثم يقولون ليس علينا في الأميين سبيل فكان هذا الظلم محرماً في
شريعة الإسلام ، لذلك عندما جاء ناس يستفتون عبد الله بن عباس رضي الله عنه
يسألونه بأنهم عندما يكونوا في الحرب قالوا نصيب الدجاجة في الغزو
فناكلها أي إنها تقع في أيديهم وقت الحرب فقال لهم وماذا تقولون قالوا
نقول ليس في ذلك بأس قال لقد قلتُم والله كما قالت اليهود ليس علينا
في الأميين سبيل إنه لا يحل لكم أن تأكلوا إلا بطيب خاطر منهم " حرم
علينا دين الإسلام أن نأكل دجاجة اليهودي أو النصراني إلا بطيب
خاطر منه حتى وإن كان في الحرب والنزال والغزو فكيف إذا كانت
تلك الدجاجة لواحد من أهل الإسلام ولذلك رسول الله ﷺ يقول من أخذ
مال أخيه بيمينه أوجب الله عز وجل له النار وحرم عليه الجنة " الذي
يُقسم بأغلظ الإيمان أن هذه الأرض له أو أن هذا المال ملكه بينما هو
ملك أخيه المسلم أوجب الله عز وجل له النار وحرم عليه الجنة لا يكفر
عنه هذا الذنب الحج ولا العمرة ولا حتى الجهاد في سبيل الله أو القتل
شهيداً في ميدان الحرب وذلك ينطبق حتى على أقل شيء من مال أو غيره
لأن الصحابة رضوان الله عليهم سألوا رسول الله ﷺ قالوا يا رسول الله

حتى وإن كان شيئاً يسيراً قال حتى وإن كان عوداً من أراك " إلى هذه الدرجة الظلم محرم في دين الإسلام حتى وإن كان في عود سواك ليس له قيمة كبيرة ولكنه اعتبره خيانة للأمانة لا يكفرها حج ولا عمرة ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ وهو يطوف حول الكعبة ويقول ما أطيبك وما أطيب ريحك وما أعظمك وما أعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده للمؤمن أعظم حرمة عند الله منك دمه وماله وعرضه .

قال عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ يُحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده ثم يناديهم مناد بصوت يسمعه من دنا كما يسمعه من بُعد أي يسمعه كل الخلائق يقول أنا الملك الديان أي أن الله هو المتكلم يقول أنا الملك الديان لا يحل لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطالبه بمظلمة حتى اللطمة فما فوقها - يقول لنا رسول الله ﷺ لو أن هناك واحداً من أهل الجنة وعليه مظلمة لأحد وإن كان من أهل النار فلا يحل له أن يدخل الجنة بسببها حتى وإن حج واعتمر وصام وقام وصلى وزكى حتى وإن كانت تلك المظلمة لطمة فما فوقها - قالوا يا رسول الله كيف ونحن نُحشر حفاة عراة غرلاً من أين سوف نؤدي الحقوق ونرد المظالم قال رسول الله ﷺ إنما هي الحسنات والسيئات جزاءً وفاقاً " وكذلك جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يقول عندي عامل يسيء ويظلم وأنا أضربه على ذلك فأين أنا يوم القيامة قال له إن كان ضريك له أكثر من شتمه وسبه كان له وعليك وإن كان ضريك له أقل من شتمه وسبه فلك وعليه - إنها موازين القسط يزن الله عز وجل بها حقوق العباد فهو الذي قال إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا - ولما سمع الرجل

ذلك من رسول الله ﷺ أخذ يقول يا ويلي يا ويلي فقال له رسول الله ﷺ أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقُسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۚ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۚ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ» الأنبياء 47 مِثْقَالَ حبة من خردل تلك أقل شيء يدركه الإنسان بعينه المجردة ولكن الله عز وجل جعل لنا في الدنيا مما صنعه البشر ما يجعلنا لا نستبعد أن يحاسبنا الله على ما هو أقل من حبة الخردل فهي الكمبيوتر والأجهزة الإلكترونية التي تحسب وتعد وتراقب وتسجل كل صغيرة وكبيرة وكل حركة وسكنة في الكون المحيط بنا كله ثم يكون كل ذلك مدوناً مكتوباً بالصوت والصورة نستدعيه وقت ما نشاء وتلك صنعة البشر فما بالنا بصنعة الله عز وجل ، ورسول الله ﷺ يضرب لنا مثلاً ويقول تؤدي الحقوق يوم القيامة إلى أصحابها ثم ضرب لنا مثلاً حتى يُقتَصَّ للشاة العجماء من الشاة القرناء ويسأل العود لما خدش العود الشجر إذا خدش عوداً آخر بجانبه ثم يُقال لكل هذه المخلوقات كونوا تراباً عندها يقول الإنسان يا ليتني كنت تراباً - لأن الإنسان لما يرى هذا الحساب يدرك أنه لا محالة محاسب على كل صغيرة وكبيرة اقترفها يعرف نفسه أنه فرط في كذا وأضاع حقوق هذا لذلك يتمنى أن يكون تراباً ولا يُحاسب .

الحج يكفر الذنوب كلها التي بين العبد وربّه أما حقوق العباد فلا يكفرها حج ولا عمرة ولا حتى شهادة في سبيل الله ، فمن كان عليه مالاً لأحد فليرده له ومن كان شتم أو سب أحد يحاول أن يسترضيه حتى يسامحه فإن لم يتمكن من ذلك دعا له ليل نهار عسى أن يوفيه حقه .

رسول الله ﷺ يقول إذا خرج الحاج حاجاً بنفقة طيبة ووضع قدمه في الغرز ثم قال لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ناداه ملك من السماء زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور وإذا خرج بنفقة خبيثة وهو مضيع للأمانة وآكل لأموال الناس ويظن أنه سيرجع من حجته مغفور الذنب وإذا لبي رد عليه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك زادك حرام وراحلتك حرام وحجك مأزور غير مبرور .

ما يقوم مقام الحج

الحج من أفضل العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل فإن فيه مغفرة للذنوب وتطهيراً للنفس من الآثام ، ورسول الله ﷺ يقول تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة " الحج والعمرة إنما يطهر الله بهما الذنوب ما عدا الذنوب التي تتعلق بحقوق العباد ورسول الله ﷺ يقول العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة " وكذلك يقول وهو يشير إلى الكعبة هذا البيت دعامة الإسلام وضمن الله لمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر إن قبضه أن يدخله الجنة وإن رده رده بأجر وغنيمة ، وإنما يحج الناس بالأموال والمال أمره عظيم في هذه الدنيا التي نحياها فإن الذي رزقه الله مالاً وأنفقه في مرضات الله وفي سبيله كان فيه كل الخير وإذا أنفقه فيما يغضب الله وفي سبيل الشيطان فإن فيه الوبال كله على صاحبه والله عز وجل يقول ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ آل عمران 92 وأبو طلحة الأنصاري رحمه الله عندما تلا رسول الله ﷺ هذه الآية قال يا رسول الله أحب أموالي إليّ بيرحاء وإني أخلعها لله عز وجل - وكانت هذه حديقة غناء بها أطيب الثمار تنازل عنها هذا الصحابي الجليل وجعلها في سبيل الله عندما سمع هذه الآية وكان هذا المال مال رابع فقد قال له رسول الله ﷺ ذلك بيع رابع .

ويقول رسول الله ﷺ إنما مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر رجل آتاه الله مالاً وعلماً وهنا كان العلم علم الدين فهو يعمل بعلمه في ماله فيضعه في حقه ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فيقول لو كان لي مثل

فلان لفعلت فيه مثلما فعل فهما في الأجر سواء كأن يقول لو أعطاني الله مالا لخرجت به حاجاً ومعتماً أو أنفته في سبيل الله كما فعل أبو طلحة فهما في الأجر سواء يأخذ أجر الحج والعمرة رغم أنه لم يخرج ولم يغادر ولا يملك نفقته ولم يتحمل مشقته ولكنه حصل على ثواب الحج والعمرة ثم يقول رسول الله ﷺ ورجل أعطاه الله مالا ولم يعطه علماً منحه الله المال ومنع عنه العلم بالدين واليقين بالإسلام فأنفق ماله في غير حقه ورجل لم يعطه الله عز وجل مالا ولم يعطه علماً فيقول لو كان لي مال لفعلت مثل ما فعل فلان الذي أعطاه الله مال ولم يعطه علماً فأنفق هذا المال في معصية الله وفي الشهوات يقول رسول الله ﷺ فهما في الوزر سواء .

يقول الله عز وجل ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿التوبة 91 - 92﴾ المريض الذي ليس عنده قوة والضعيف الذي ليس عنده شدة والذي لا يجد ما ينفق ولكنه يشتهي الحج والعمرة فهؤلاء أعطاهم أجر أعظم من الحج والعمرة لأن هذه الآيات نزلت فيما هو أعظم من الحج والعمرة أجراً فقد جاء ناس كما يقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال أتينا رسول الله ﷺ نحن الأشعريين فقلت يا رسول الله لا نجد ما يحملنا فاعطنا دواً حتى نخرج إلى الجهاد في غزوة تبوك فقال لنا والله ما عندي ما أحملكم عليه حتى تخرجوا إلى الجهاد فأخذوا يبيكون من شدة حزنهم على تخلفهم عن الجهاد بسبب فقرهم وقلة حيلتهم لذلك رسول الله ﷺ قال لأصحابه رضوان الله

عليهم وهو في رجعته من تبوك قال إن في المدينة ناس ما قطعتم من وادياً وما صعدتم شرفاً إلا كانوا معكم شاركوكم في الأجر قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال حبسهم العذر كانوا يقولون لو أن عندنا مال لأنفقناه في سبيل الله لو أننا أصحاء لخرجنا لو معنا ما نركبه لخرجنا لو أن عندنا قوة لخرجنا إلى الجهاد وإلى نصر رسول الله ﷺ ونصر دين الإسلام فهم في الأجر سواء "

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد سرتهم جسداً وسرنا نحن أرواحاً

إنا أقمنا على عذر ومن أقام على عذر فقد راحا

كنا نحن وهم في الأجر سواء إذا تمنينا صادقين وأخلصنا النية لله عز وجل أن نكون معهم حيث الله عز وجل لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء الفقراء إلى رسول الله ﷺ وقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور من الأموال والنعيم المقيم بالأجر كله - هؤلاء الفقراء يقولون لرسول الله ﷺ الأغنياء يحصلون على الأجر كله لأنهم ينفقون من أموالهم في سبيل الله ويتصدقون على الفقراء ويخرجون للحج والعمرة ويجاهدون في سبيل الله بأموالهم وبأنفسهم كما إنهم يشاركونا في الصلاة والصيام فإنهم بلا شك سيكونون من أهل الجنة فقال رسول الله ﷺ ألا أحدثكم بما إن فعلتموه لحقتم من سبقكم ولم يدرككم أحداً بعدكم وكنتم خير من كنتم بين ظهرائه إلا من عمل مثله أي أرشدهم إلى العلاج وإلى ما يكافئه ما يفعله الأغنياء ولحقتم بهم في الأجر سواء بالحج أو العمرة أو النفقة ولم يدرككم أحد بهذا الفضل وكنتم خير أهل الأرض قالوا ما هو يا رسول الله قال تسبحون الله عز وجل وتحمدون الله عز وجل وتكبرون الله عز وجل دبر كل صلاة ثلاثاً

وثلاثين " فكان هذا العمل السهل البسيط الميسر إنما يبلغ من عمله مرتبة وأجر من حج واعتمر وما هو إلا من ذكر الله عز وجل ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ألا أدلكم على خير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فيضربوا أبشاركم وتضربوا أبشارهم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل " فكان ذكر الله عز وجل من أسمى الأعمال الصالحة وأعلاها رتبة ومكانة ومنزلة عند الله عز وجل من الحج والعمرة والجهاد في سبيل الله ومن الزكاة وإنفاق المال وكان أفضل هذا الذكر هو سبحانه الله والحمد لله والله أكبر دبر كل صلاة مفروضة ، وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله إني أصلي الخمس ولا أزيد وأصوم رمضان ولا أزيد وليس في مالي صدقة ولا حج ولا عمرة فأين أنا يوم القيامة إن مت على ذلك قال له رسول الله ﷺ أنت معي في الجنة إذا حفظت من نفسك ست من قلبك الغل والحسد ومن لسانك الكذب الغيبة والنميمة ومن عينيك أن تنظر بهما إلى حرام أو تزدرى بهما مسلماً .

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال إني أشتي الجهاد ولا أقدر عليه - رجل يتمنى ويريد الجهاد ولكنه لا يستطيع ليس عنده مال أو ليس عنده قوة أو به مرض وضعف - قال له رسول الله ﷺ هل لك أم قال نعم يا رسول الله قال له برها فإنك إن فعلت فأنت حاج ومعتمر ومجاهد " من هنا كان بر الرجل لوائته يعادل ويحصل به أجر الحج والعمرة وأجر الجهاد في سبيل الله رغم أنه ما خرج حاجاً ولا معتمراً ولا تلاقى مع عدو في ميدان الحرب ولكنه فقط حافظ وداوم على أن يبر أمه .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من صلى الصبح في جماعة ثم جلس يذكر الله عز وجل حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كان له كأجر حجة تامة تامة تامة "

من أراد أن يحصل أجر الحج والعمرة بدون أن ينفق الأموال الكثيرة وبغير جهد ومشقة السفر فما عليه إلا أن يفعل ما قاله رسول الله ﷺ أن يخرج من بيته إلى المسجد يصلي الفجر في جماعة ويمكن بعدها يذكر الله أو يقرأ القرآن حتى تطلع الشمس وترتفع فيصلي ركعتي الضحى فهل هناك أسير من ذلك فإن دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ أراد الله عز وجل به أن يدخلكم الجنة فجاءكم باليسر كله ولم يأت بالعسر ولم يكلف الإنسان ما لا يطيق فكانت أسير الأمور وأسهلها له بها أجر عظيم مثل أصعب الأمور وأثقلها وخرج بها من ذنوبه كيوم ولدته أمه تماماً مثل الحاج والمعتمر الذي سافر وتحمل المشقة والتعب ووضع رجله في الغرز ثم نادى لبيك اللهم لبيك فناداه مناد من السماء لبيك وسعديك حجك مبرور غير مأزور لأن نفقته طيبة يقبلها الله عز وجل . ومن أسباب قبول الله عز وجل للحج والعمرة حضور الجمعة يقول رسول الله ﷺ إن الله عز وجل فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في سنتي هذه فمن تركها في حياتي أو بعد مماتي وله إمام عادل أو جائر فلا جمع الله له شمله ولا يسر عليه أمره ولا صلاة ولا صيام له ولا زكاة ولا حج له حتى يتوب فإن تاب تاب الله عليه " فكان حضور صلاة الجمعة من أسباب قبول الله عز وجل لسائر الأعمال الصالحة ومنها الحج والعمرة .

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قرأ قول الله عز وجل ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ . أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ الواقعة 10 - 11 ثم قال بعد أن دفع من عرفات ليس السابق اليوم من سبق به بغيره إنما السابق من غفر الله ذنبه ومحا عنه خطيئته .

العبادات وحسن الخلق

عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله ﷺ كأن على رؤسنا الطير أي لا يتكلمون يسمعون به بكل تركيز وإمعان واحترام فجاء قوم فقالوا يا رسول الله من أحب عباد الله إلى الله عز وجل قال أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً .

قال رسول الله ﷺ إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة - ومجلس محمد ﷺ إنما هو في الفردوس الأعلى في أعلى درجات الجنة على الإطلاق - قال أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون " ما ذكر رسول الله ﷺ كثرة الصلاة والصيام والحج والعمرة والزكاة ولا حتى الجهاد في سبيل الله عز وجل إنما فقط ذكر حسن الخلق الذي هو أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة ، والإنسان يجتهد في العبادات حتى يغفر الله له الذنوب والخطايا ويقبله في الصالحين وكذلك حسن الخلق فقد قال رسول الله ﷺ حسن الخلق يذيب الذنوب والخطايا كما تذيب النار الثلج والخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ، وما من عبادة إلا والغاية والهدف منها أن تحسن الخلق ، فكما هو الصيام يقول فيه رسول الله ﷺ من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغي أن يتحفظ منه كفر ما قبله " إذن الغاية من العبادة أو توصل الإنسان إلى حسن الخلق ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ليس الصيام من الطعام والشراب إنما الصيام من اللغو والكذب " ، وجابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه يقول إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك ودع أذى الناس ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك

سواء " ويقول رسول الله ﷺ رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه إلا التعب والسهر "

ومن الناس من يعتكف في رمضان وهي عبادة بها مشقة كبيرة وتعب ولها ثواب كبير فهل هؤلاء الذين اعتكفوا حصلوها ؟ نرجوا أن يكونوا قد حصلوها ، من عبد الله بن عباس رضي الله عنه الذي كان معتكفاً في مسجد رسول الله ﷺ ليس في أي مسجد لأنه الركعة فيه بألف ركعة فيما سواه ولكن رغم ذلك دخل رجل إلى المسجد فرآه عبد الله بن عباس محزوناً مهموماً فذهب إليه وقال له ما لي أراك محزوناً فقال الرجل عليّ دين لفلان وليس معي قضاءه - هو يعلم أنه ممن يردون الحقوق وليس ممن يأكلون أموال الناس بالباطل ولكنه تعثر عن السداد - فقال له أتريد أن أكلم لك صاحب الدين قال إن أردت فأخذ عبد الله بن عباس نعليه وانطلق مع الرجل وخرج من المسجد فيراه رجل من المسجد يقول له يا عبد الله أنسيت أنك معتكفاً قال والله ما نسيت ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول من مشى في حاجة أخيه حتى يبلغها كان أفضل له من أن يعتكف عشر سنين - ليس عشرة أيام في رمضان ولا عشرة شهور في العمر كله إنما هي عشرة سنين اعتكاف بما فيها من صلوات وقيام وذكر .

والله عز وجل يقول ﴿ ائْتِلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ العنكبوت 45 ولذلك قال رسول الله ﷺ من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له ، وكذلك يقول من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً " والله عز وجل غني عن صلاة العباد كلهم وإنما أمرهم بها ليرفع بها من درجاتهم

ويحسن بها أخلاقهم فمن لم تؤدي صلاته الغرض منها ولم تحسن خلقه وتتهاه عن الفحش والفسوق فكأنه لم يصلي لا ثواب له بها .

والله عز وجل يقول في الحج ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۚ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ البقرة 197 رسول الله ﷺ وهو يطوف حول الكعبة الذي هو من أعظم العبادات كان ينظر إلى الكعبة ويكلمها كما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ وهو يطوف حول الكعبة ويقول ما أعظمك وما أعظم حرمتك وما أطيبك وما أطيب ريحك والذي نفس محمد بيده للمؤمن أعظم حرمة عند الله منك دمه وماله وعرضه " وقال للحجاج والعمار بعد أن أدوا مناسكهم عند رجوعهم إلى ديارهم قال من تم نسكه وسلم المسلمون من لسانه ويده رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه " لماذا لأنه أتم النسك وسلم أهل الإسلام من فحشه فلم يتفوه بكلمة تؤذي أحداً كما سلموا من بطشه أي أن الحج هذب خلقه فكان الجزاء مغفرة الذنوب ، وقد جاء رجل وقال يا رسول الله أصلي الخمس ولا أزيد وأصوم الشهر ولا أزيد وليس في مالي صدقة ولا أملك نفقة الحج والعمرة فأين أنا إذا مت على ذلك قال رسول الله ﷺ أنت معي في الجنة إذا حفظت من نفسك ست من قلبك الغل والحسد ومن لسانك الغيبة والكذب ومن عينيك أن تنظر بهما إلى حرام أو تزدرى بهما مسلماً " وهذه الأمور الست التي اشترطها عليه إنما هي من محاسن الأخلاق ومن كمالها من حرص عليها تمتع بالخلق الحسن وحظى بحب الناس له في الدنيا ولكن ما جزاءه في الآخرة إنما جزاءه كما قال له رسول الله ﷺ

إن فعلتها تدخل الجنة معي على راحتي هاتين وبسط راحتيه كأنهما ركوبة لهذا الإنسان .

عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله أصلي الخمس وأصوم رمضان وأخرج زكاة مالي أين أنا إذا مت قال أنت مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ما لم تعق والدك ، العبادات الله عز وجل غني عنها وعن من يؤديها فإن الملك كله له لو شاء لطمسهم وجاء بقوم غيرهم ولكنه قال لنا في الحديث القدسي إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطل بها على خلقي ولم يبت مصراً على معصيتي ورحم الأرملة والمسكين من أجلي ذلك نوره كنور الشمس أكلته بعزتي وأستحفظه ملائكتي وأجعل له في الظلمة نوراً وفي الجهالة حلماً ومثله في خلقي كمثّل الفردوس في الجنة " كان كل ذلك جزاء الخلق الحسن .

والإمام الشافعي رحمه الله يقول :

إذا أردت أن تحيا سليماً من الردى ودينك موفور وعرضك صينى
فلا ينطقن منك اللسان بسوءة فكلك سوءات وللناس ألسن
وعيناك إن أبدت إليك معاييب فدعها وقل يا عين للناس أعين

من حرص على أن يكون من أصحاب الخلق الحسن في الدنيا كان في الآخرة من السعداء لأنهم فازوا برحمة الله عز وجل فإنه يُقال حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم أعمالكم وتزينوا للعرض الأكبر يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية ، ورسول الله ﷺ يقول توبوا إلى الله قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغلوا وصلوا ما بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم

له وبكثرة الصدقة في السر والعلانية تؤجروا وتجبروا وتتصروا ، ومن أعظم ما يتسلح به المسلم أن لا يزال فمه رطباً بذكر الله فإن السماوات السبع والأراضين السبع وما بينهن وما فوقهن لو وضعت في كفة ووضع لا إله إلا الله في الكفة الأخرى لرجحت بهن ، ورسول الله ﷺ يقول والذي نفس محمد بيده لا وحشة على أهل لا إله إلا الله عند موتهم ولا وحشة على أهل لا إله إلا الله في قبورهم وكأنني بأهل لا إله إلا الله يخرجون منها ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن .

الدعاء

يقول رسول الله ﷺ آتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فتنزل الرحمة " الله عز وجل عندما يغشى أهل الإسلام فإن الرحمة هي المحصلة والمغفرة للخطايا ويستجيب الله للدعاء فإن في رمضان الدعوة مستجابة ويباهي الله عز وجل بهم ملائكته لأن الملائكة فطرهم الله على الطاعة أما الإنسان فهو مخير ومركب فيه الخير والشر فإذا جنح للخير وتعامل مع طاعة الله كان أفضل من الملائكة المقربين ويباهي الله بهم ملائكته بتقواهم وإيمانهم وتقربهم إلى الله وطاعتهم له وحسن عبادتهم له وكل هذه الأمور إنما هي تقرب من الجنة وتبعد عن النار ، ثم قال رسول الله ﷺ وينظر الله عز وجل إلى تنافسكم فيه فأروا الله عز وجل من أنفسكم خيراً فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل " الشقي هو من يُحرم من رحمة الله والمحروم هو الذي يُحرم من دخول الجنة .

وقد نزلت آية مع آيات الصيام يقول الله عز وجل ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ البقرة 186 هذه الآية قرأها رسول الله ﷺ كما جاء في حديث لجابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ثم قال رسول الله ﷺ بعد أن قرأها أمرت ربي بالدعاء وتوكلت بالإجابة أي أمرت يا ربنا بأن ندعوك وضمنت الإجابة لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك فرض صمد لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفواً أحد نشهد أن لقاءك حق ووعدك حق والجنة حق والنار حق وأنتك تبعث من في القبور " هذا حديث رسول الله ﷺ يقول

لنا فيه أن الله عز وجل أمر الناس بالدعاء وكذلك جعل على نفسه عهداً بالإجابة فكان هنا الدعاء عبادة ، وفي حديث للنعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ الدعاء مخ العبادة ثم تلا قول الله عز وجل ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر 60 كان الأمر بالدعاء في أول الآية وكان عدم الدعاء هو استكبار عن عبادة الله عز وجل ، ورسول الله ﷺ كما جاء في حديث لأبي هريرة رضي الله عنه يقول ما من شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء " أفضل العبادة أن تلجأ إلى الله وتدعوه وترجوه وأنت خاشع ترفع إليه يديك تطلب منه كشف الضر أو سعة الرزق أو الشفاء من مرض وكل حاجة لك ترجوها وتعلم أن الله عز وجل سميع قريب مجيب لأن الله عز وجل ضمن الإجابة كما جاء في الحديث القدسي الذي رواه رسول الله ﷺ عن رب العزة فقال يا بن آدم واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين عبادي أما التي لي أن تعبدني ولا تشرك بي شيئاً - أي الإخلاص في العبادة لله عز وجل وحده وعدم المراء فإن الرياء شرك - والتي لك ما عملت من عمل وفيتك إذا عملت خيراً فهو لك وإذا عملت شراً فهو لك ولا تلومن إلا نفسك والتي بيني وبينك منك الدعاء ومني الإجابة والتي بينك وبين عبادي أن ترضى لهم ما ترضاه لنفسك .

وللدعاء أوقات فضيلة جعلها الله عز وجل ، منها شهر رمضان المبارك لأن رسول الله ﷺ قال ذاكراً لله في رمضان مغفور له وسائل الله في رمضان لا يخيب " ورسول الله ﷺ يقول ثلاثة دعوات مستجابات دعوة الصائم حتى يفطر ودعوة الإمام العادل ودعوة المظلوم " وكذلك يقول للصائم دعوة لا ترد ، ومن أوقات إجابة الدعوة يوم الجمعة في أي ساعة فيه وكذلك دبر كل صلاة مكتوبة وفي السجود فقد قال رسول الله

ﷺ نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً وساجداً فأما الركوع فسبحوا الرب فيه وأما السجود فأكثرها فيه من الدعاء قمن أن يُستجاب لكم ، وإجابة الدعاء لها شروط وضعها رسول الله ﷺ منها أن يكون الطعام من حلال طيب فقد جاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ وقال له يا رسول الله ادعوا الله أن يجعلني مستجاب الدعوة - وسعد من العشرة المبشرين بالجنة فكانت إجابة رسول الله عليه ليست له وحده وإنما لكل الأمة - قال له يا سعد أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقذف باللقمة الحرام في جوفه لا يقبل له عمل أربعين يوماً " فكان هنا الأكل من حرام ولو لقمة واحدة لا يقبل الله بها عمل العبد أربعين يوماً لا صلاة ولا زكاة ولا صوم ولا أي عمل صالح وكذلك لا يستجيب لدعاءه ، ومن شروط إجابة الدعاء أن يكون الداعي موقن بالإجابة وأن يدعو الله رغبة ورهبة فقد جاء في حديث رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض فإذا سألتهم الله فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله عز وجل لا يستجيب لمن دعاه عن ظهر قلب غافل " الله عز وجل يريد أن تكون عقول الأمة صحيحة تفهم وتعي ما تدعوه فإذا دعوت وقلت اللهم أطلق سراح المسجد الأقصى الأسير لا بد أن تكون مدركاً لمعناها تعلم بأن لك عدو لدود يتربص بأهل الإسلام لا يريد لهم وحدة ولا قوة حتى يتمكن من سرقة الأرض من تحت أقدامهم فإن هذا العدو ما ترك حلمه بأن يكون له دولة من النيل إلى الفرات وهو ماض في تحقيق هذا الحلم والأقصى ما هو إلا جزء من هذا المخطط الشيطاني وهو قلب هذا الوطن وتلك الأمة .

ومن شروط إجابة الدعاء عدم تعجل الإجابة فإن الله عز وجل كما قال رسول الله ﷺ إن الله عز وجل يستجيب للعبد ما لم يعجل يقول دعوت ولم يستجب لي فإنك لا تعلم أين الخير وما هي الفائدة فإن رسول

الله ﷺ يقول ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم أو قطيعة رحم - الدعوة يجب أن تخلو من الإثم ومن قطيعة الرحم ومن ظلم الناس ومن أكل الحقوق فإنه جاء في حديث آخر يقول فيه رسول الله ﷺ لا يدعو أحدكم على نفسه لا يدعو أحدكم على ولده أو على خادمه ولا يدعو أحدكم على ماله فلعله أن يصيب ساعة إجابة فيستجاب له ، فيكون هو الخاسر بذلك الدعاء - إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن يعجل لك دعوتك وإما أن يصرف عنك من السوء مثلها وإما أن يدخرها لك ليوم القيامة وهذه الثالثة فيها كل الخير لأن الدنيا زائلة بما فيها وأما الآخرة فهي الحيوان ، فقال الصحابة يا رسول الله إذن نكثر قال الله أكثر ، وليدعو كل واحد منكم لأخيه فإن دعوة الأخ لأخيه مستجابة فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يستجيب الله لدعوة الأخ لأخيه عن ظهر الغيب موكل عند رأسه ملك يقول ولك مثلها وأكثر الدعوات استجابة ما كانت عن ظهر الغيب .

وكذلك مما أوصانا به رسول الله ﷺ حتى يكون الدعاء مستجاب أن يبدأ الإنسان دعاءه بالحمد لله ثم يدعو بما شاء وهناك الكثير من الأدعية ما هو مأثور عن رسول الله ﷺ فمن لم يحفظ منها شيئاً فيدعو بكل ما يرجوه لنفسه من الخير فإن الله عز وجل كريم حلیم ، وسلمان الفارسي رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ إن ربكم حيي كريم يستحي من عباده أن يرفع يديه بالدعاء حتى يظهر بياض إبطيه ، وكان يكرر الدعاء ثلاثة فكان إذا استغفر يستغفر ثلاثاً وإذا دعا الله دعاه ثلاثاً ، ثم يختم الإنسان الدعاء بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

الذكر والدعاء

يقول الله عز وجل ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ البقرة 152 ويقول الله عز وجل ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد 28 وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه قال لصاحب له تعال نؤمن بالله ساعة قال له أولسنا بؤمنين قال نذكر الله عز وجل فنزداد إيماناً ، وأصحاب رسول الله هم أهل التقى والصلاح إلا أنه قال لصاحبه تعال نذكر الله عز وجل لأنه يعلم أن في هذا الذكر الخير الكثير فإن الله عز وجل يقول ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب 35 الذي أعده الله لهم المغفرة والأجر العظيم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذاكر الله في رمضان مغفوراً له " كما أن الذكر في كل وقت وحين هو عبادة وقربى إلى الله عز وجل لأن الله عز وجل يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ الأحزاب 41 - 42 لأنه هو الذي يصلي عليكم وصلاة الله عز وجل هي مغفرة ورحمة للمؤمنين وزاداً إلى جنة عرضها السماوات والأرض فلماذا يبخل الإنسان على نفسه بهذا الفضل العظيم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها لدرجاتكم وخير لكم من إنفاق الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فيضربوا آبشاركم وتضربوا آبشارهم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل " .

ويقول الله عز وجل ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ

يَرُشُ دُونَ

البقرة 186 ومناسبة هذه الآية كما يروي أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يقول كنا في سفر مع رسول الله ﷺ فكنا إذا صعدنا شرفاً أو هبطنا وادياً رفعنا أصواتنا بالتكبير والتسبيح فقال رسول الله ﷺ ارفقوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته "مما يدل على أن الله عز وجل قريب ممن يدعوه ويذكره أقرب له مما يتصور ويتخيل فمن لزم الدعاء والذكر كان في معية الله عز وجل كلما ذكر أو دعا وبقدر حرصه على الذكر بقدر حرص الله عز وجل على التقرب منه وأكثر لأنه سبحانه هو الذي قال يا عبادي من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً ومن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولاً " وقد قال لنا رسول الله ﷺ أن الله عز وجل يقول أنا عند حسن ظني بعدي بي وأنا معه ما ذكرني " وقد لا يتخيلها الإنسان بعقله المحدود كيف يكون الله عز وجل معه كلما ذكره ولكن فليتدبر الإنسان في ملك الله وملكوته الذي هو في قبضته فكيف لا يمكنه أن يكون قريباً إلى عبد من عباده فإن الله عز وجل يقول ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۚ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ المجادلة 7 ومع تقدم العلوم والتكنولوجيا وما ابتكره واخترعه الإنسان بفضل من الله وإرادته استطاع الإنسان أن يخترع من الأجهزة ما يمكنه أن يتتبع الإنسان في أي مكان في الأرض ويحصي عليه أفعاله وأقواله وكل ما يهمس به في جهاز صغير لا يتعدى حجمه كف اليد وذلك صنع البشر فما بالنا بصنع الله عز وجل وقدرته الذي خلق هذه العقول وبصرها بما

تفعله وسوى هذه الأنفس فإنه بلا شك قادر على أن يراهم جميعاً ويكون معهم حيث كانوا ولذلك يقول الله عز وجل ﴿سُئِرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۚ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت 53

وقد أوردنا فيما سبق أن الإنسان قد يدعو الله عز وجل ولا يرى استجابة لهذا الدعاء ذلك لأنه لم يرى إلا حاجته وطلبه هو وما يريده هو أما ما يريده الله منه فلا يفعله ولا يراه فإن الله عز وجل لا يقبل دعاء ممن كان أكله من حرام وقد قال رسول الله ﷺ يسافر الرجل أشعث أغبر - وجاء بمثل المسافر لأن دعوته مستجابة - يرفع يديه إلى السماء يقول يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام فأنى يستجاب له " ، وكذلك من الأمور التي لا تجعل الدعاء مستجاب عدم الأمر بالمعروف وعدم النهي عن المنكر لأن هذا الأمر مكلف به كل مسلم في هذه الأمة كل حسب علمه وأدناها من لا يجد رجل يصلي يدعوه إلى الصلاة أو رجل لا يصوم فيدعوه إلى الصيام أو يجد رجل يفعل شيئاً قبيحاً فينهاه ويقول له استحي من الناس واستحي من الله كان ذلك أدناها وذلك لأن رسول الله ﷺ يقول لتأمرن بالمعروف وتتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يُستجاب لهم "

وكذلك من أسباب عدم استجابة الدعاء الظلم فمن كان ظالماً لأحد من الناس لن يقبل الله له دعوة لأن الله عز وجل تكفل باستجابة دعوة المظلوم فكيف يستجيب للظالم ويقول قائل :

ولا تظلمن إذا كنت مقتدراً فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لا تتم

وجاء في حديث أن رسول الله ﷺ أمر معاذ بن جبل رضي الله عنه وقال له يامعاذ اتقي دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب ، والله عز وجل يستجيب لدعوة المظلوم يرفعها فوق الغمام ويقول وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين ، الله عز وجل لا يستجيب لظالم ، وإبراهيم بن أدهم كان رجل من التابعين ذهب إليه الناس وقالوا له يا إمام لماذا ندعوا الله عز وجل ولا يُستجاب لنا فقال عرفتم الله عز وجل ولم تؤدوا حقه - عرفتم أن الله عز وجل هو ربكم ولا تؤدون الحقوق التي أمركم بها - وقرأتم كتاب الله ولم تعملوا بما جاء فيه وقلتم نحب رسول الله ﷺ ولم تتبعوا سنته وقلتم نكره الشيطان وأنتم تتبعونه وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا بعمل أهلها وقلتم نكره النار ولم تعملوا بما ينجيكم منها وعرفتم أن الموت حق ولم تستعدوا له وطعنتم في إخوانكم ونسيتم عيوبكم وأكلتم نعمة الله ولم تشكروه عليها وودعتم موتاكم ولم تعتبروا بهم " كان ذلك القول لأبراهيم بن أدهم يتضمن العديد من الأمور التي تحول بين الدعاء وبين الاستجابة ولكن من تجنبها كان من أهل الإيمان واليقين إذا رفع يديه إلى الله بالدعاء فلا يردهما صفراً .

والله عز وجل يستجيب لدعاء المضطر إمتحاناً له فإن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول : قال رسول الله ﷺ لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة " أي أن الدعاء يمنع البلاء .

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر " لأن الله عز وجل إذا أراد منع القضاء ألهمك ثواب الدعاء الذي يرد عنك هذا القضاء ، وجاء في حديث

آخر عن رسول الله ﷺ يقول فيه الدعاء يرد القضاء والبر يزيد في العمر
وصلة الرحم تزيد في الرزق .

وقال رسول الله ﷺ حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم
بالصدقة واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع " فإن الله عز وجل
رحيم قريب مجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السوء .

من الزكاة

يقول رسول الله ﷺ من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله عز وجل يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده "

وفي حديث قدسي يقول الله عز وجل إذا تقرب عبدي مني شبراً تقربت إليه ذراعاً وإذا تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً وإذا أتاني يمشي أتيته هرولاً "

عن عبد الله بن عباس ؓ قال : قال رسول الله ﷺ فقيه واحد أشد على الرحمن من ألف عابد " وعن العرياض بن سارية ؓ يقول وعظنا رسول الله ﷺ موعظة زرفت منها الأعين ووجلّت منها القلوب قلنا يا رسول الله هذه موعظة مودع فيما تعظنا قال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها - تركنا رسول الله ﷺ على الواضحة على الأمر الواضح الذي لا لبس فيه ولا غموض تركنا بعد أن بين لنا كل أمور الدين لم يخفى منها شيء لأنه نزل عليه قول الله عز وجل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة 3 قال لهم رسول الله ﷺ أنه تركهم على الطريق المستقيم الذي لا ينحرف يميناً ولا يساراً فمن انحرف فهو هالك لا محالة فقال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ " علينا أن نتبع سنة رسول الله ﷺ فإن فيها الخير كل الخير لأنه بين لنا بها الدين وأوضح لنا مراد رب العالمين فكان منهاجه هو المنهاج المستقيم ،

ومما أوضحه وبينه لنا من فرائض الدين باب الزكاة فإنها من أسس الدين ودعائمه التي يقوم عليها ، والزكاة فرضت بعد هجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وليس معنى ذلك أن المسلمين لم يكونوا ينفقون من أموالهم في سبيل الله قبل الهجرة ولا يتصدقون ولا يطعمون فقيراً أو مسكيناً رغم أنهم كانوا في فقر وعوز شديد حتى أن رسول الله ﷺ كان يصف حاله وحال صاحبه بلال ؓ يقول في حديث رواه أنس بن مالك ؓ أخفت في الله وما كان عليهم أن يخيفوني وأوذيت في الله وما كان يؤذى أحد وقد مرت عليّ ثلاثون وما لي وبلال إلا ما يوارى إبط بلال ، ولكن كان منهم أهل اليسار مثل الصديق ؓ وعثمان ؓ وعبد الرحمن بن عوف ؓ فكانوا ينفقون ويطعمون ويتصدقون ويعتقون الرقاب حتى قبل أن تكون الزكاة فرضاً في السنة الثانية من الهجرة حين نزل قول الله عز وجل (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) . آل عمران 92 ولكن صحابة رسول الله ﷺ كانوا يتعاملون من القرآن غير ما نتعامل نحن فتلك الآية سمعها واحد من صحابة رسول الله ﷺ أبو طلحة ؓ الذي كان أكثر الأنصار مالاً وثراءً وكان عنده حديقة يحبها كثيراً اسمها بيرحاء فذهب إلى رسول الله ﷺ وقال له يا رسول الله إن أحب أموالي لدي بيرحاء وإني أشهدك أنني جعلتها صدقة لله عز وجل فضعها يا رسول الله حيث أردت ، فكان ذلك تجاوبه مع آيات الله عز وجل تصدق بأحسن وأفضل أمواله تلك الحديقة المثمرة فقال له رسول الله ﷺ بخ بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح ولكني أرى أن تضعها في الأقربين - رسول الله ﷺ قال له تلك تجارة رابحة مع الله عز وجل ، وجاء رجل من الأعراب قال يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال له رسول الله ﷺ أن تعبد الله لا تشرك به شيئاً والصلاة المكتوبة والزكاة المفروضة فقال

الرجل والله لا أزيد عليها أي أنه لن يتطوع بأكثر منها فقال رسول الله ﷺ من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا الرجل .

عندما بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قاضياً قال له القاعدة والقانون الذي يسير عليه وينفذ بنوده فقال له إنك تقدم على أهل كتاب فكيف تتعامل معهم قال بما يا رسول الله قال له أدعوهم إلى الإيمان بالله إلى شهادة ألا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أجابوا وآمنوا فأعلمهم أن الله عز وجل فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة فإن هم أجابوا لذلك - ولننظر إلى التدرج في الدعوة إلى دين الله ليس كما نرى هذه الأيام إذا وجدنا من يرتكب المعاصي لا نأخذه بهذا النهج فيجب أن نقول له أولاً أن ما ترتكبه هو معاصي وأن الصلاة تنهاك عنها أما أن نزجره ونتوعده ونهدده ونتهمه بالكفر والفسق والفجور فإن هذا ما أمر به رسول الله ﷺ كما كان يعلم معاذ بن جبل فقال له - فإن أجابوك فأعلمهم أن الله فرض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقراءهم - هذه الصدقات تؤخذ من الغني وترد إلى الفقير منهم وتدرج للأقرب فالأقرب لأن الأقرب أولى بالمعروف ثم الأدنى فالأدنى فكان ذلك تعليماً من رسول الله ﷺ لسفيره إلى اليمن معاذ بن جبل في كيفية دعوة الناس إلى دين الله عز وجل وكذلك هو تعليم لكل داع من بعده وإلى يوم القيامة لا يتغير ولا يتبدل ذلك المنهج لأن كل من أخذ به وسار عليه أفلح ونجح وآمن على يديه وبسببه الكثير من الناس وفتح الله على يديهم الكثير من البلدان في أقصى الأرض وأدناها .

بعد وفاة رسول الله ﷺ حدثت فتنة في العالم الإسلامي وكان خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي حارب تلك الفتنة وؤدها

في مهدها فإن بعض الناس ممن أسلموا ولكنهم كانوا على النفاق عندما طلب منهم أن يؤدوا زكاة أموالهم قالوا كنا نؤديها لمحمد ﷺ ومحمد قد مات فما بال أبو بكر فقال الصديق والله لو منعوني عقال بغير كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه فيقول له عمر رضي الله عنه كيف تقاتل قوماً شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ورسول الله ﷺ يقول في حديث له أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا فقد عصموا مني أموالهم ودمائهم إلا بحقها وحسابهم على الله ، فقال له الصديق يا عمر إن الصلاة حق الله جعلها لنفسه والزكاة حق الله جعلها لعباده ، وكذلك أوضحها علي رضي الله عنه حين قال إن الله عز وجل جعل في أموال أغنياء أمة محمد ما يسد حاجة فقراءها والله ما جاع وما عرى فقير إلا بتقصير الأغنياء ألا إن الله عز وجل محاسبهم حساباً شديداً ومعذبهم عذاباً أليماً " ، وهذا ما نراه بأعيننا ليل نهار نرى الكثير من الفقراء لا يجدون طعاماً ولا كساءً بينما نجد في المقابل الغنى الفاحش عند بعض الناس يملكون المليارات من الأموال بينما هم يمنعون حق الله عز وجل الذي جعله في أموالهم للفقراء لذلك نجد العراة والجياع في طول البلاد وعرضها ألا إن الله محاسبهم حساباً شديداً على تفريطهم في حق هؤلاء الفقراء ، الذي شرعه الله وجعله فريضة في دين الإسلام يجب على كل صاحب مال بلغ النصاب ، وما جاء علي رضي الله عنه بذلك الحكم من عنده إنما من قول الله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذَوْقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ التوبة 34 - 35 والذي يمنع فضله

ولا يخرج الزكاة يقول فيه رسول الله ﷺ من كان عنده مال فمنع

صدقته مثل له يوم القيامة ثعبان الشجاع الأقرع يأخذ بلهزمته ويقول له أنا مالك أنا كنزك - أين المضر ليس له مضر وأما الذين يخرجون زكاة أموالهم يقول الله عز وجل فيهم ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ . كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ . وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ . وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ . وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ الذاريات 15 - 20 عدهم الله عز وجل من أهل التقوى الذي أعطى واتقى كانت التقوى بعد العطاء كما قيل لأهل النار ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ، فكان بعد الصلاة مباشرة إطعام المساكين وكان البر في سبيل الله .

والبر والإنفاق إنما يكون على قدر الطاقة لا يكلف الله نفساً إلا وسعها حتى وإن كانت تلك الصدقة شق تمره ، يقول رسول الله ﷺ في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه من تصدق بعدل تمره من كسب طيب فإن الله عز وجل يتلقاها بيمينه ويرببها لأحدكم كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل جبل أحد " وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم قال أن تتصدق وأنت شحيح - أي من يتصدق وماله قليل يكفيه بالكاد ولكنه رغم ذلك ينفق منه ويتصدق بينما الغني لا يؤثر فيه إنفاق المال لأن عنده منه الكثير ، والله عز وجل يقول ﴿وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ . وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المنافقون 10 - 11 وقد أراد الله عز وجل بهذا التشريع أن يكون المجتمع الإسلامي وأمة الإسلام كلها تعيش في تآلف وتراحم يسود الود أرجاءها ينتفي منها الحقد والغل والحسد بين الناس ، وقد أعطاها رسول الله ﷺ لأبي ذر فقال له يا أبا ذر إذا صنعت مرقعة فأكثر ماءها وتعهدها بها إلى جيرانك "

كتم النعمة

يقول رسول الله ﷺ من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً في الدنيا ستره الله عز وجل في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده .

فمن كان في مجلس به ذكر لله عز وجل فإنه في معية الله ورضوانه حتى أن الفراغ الذي بين الجلوس من الناس تملؤه الملائكة لأن مجلس العلم تفيض عليه رحمة الله وخير العلم أن نتدبر في آيات الله عز وجل وندرسها ونتفقه فيها فإن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كنا إذا تعلمنا عشر آيات لا نتركها حتى نتعلم معانيها ونعمل بها ثم نأخذ عشرًا أخرى .

وسورة النساء هي سورة مدنية إلا آية واحدة منها يقول الله عز وجل فيها ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ النساء 58 نزلت هذه الآية في مكة يوم الفتح ، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول ما نزلت سورة النساء إلا وأنا عند رسول الله ﷺ " ورسول الله ما تزوج عائشة رضي الله عنها بيقين إلا في شوال من السنة الأولى من الهجرة أي بعد دخوله المدينة ، وسورة

النساء هي دستور المسلم وتسمى سورة النساء الكبرى لأن هناك سورة أخرى تسمى سورة النساء الصغرى وهي سورة الطلاق .

وسورة النساء فيها الكثير من القوانين والأحكام لدولة الإسلام لذلك أعداء دين الإسلام إنما يحاربونها وكانوا ولا يزالون يحاولون كل فترة من الزمن العمل على تحريفها تارة أو محوها تارة أخرى وما استطاعوا وخابوا وخسروا .

يقول الله عز وجل ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا. وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا . وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ۝﴾ النساء 37 – 39 وإذا تمعنا في كلمات هذه الآيات نقول إنها تتحدث عن الشح والبخل والبخل يكون في الأموال والعروض ولكننا نعجب كل العجب إذا علمنا أسباب نزولها فعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال كان أحبار اليهود يبخلون بما عندهم من العلم فنزل قول الله عز وجل " الذين يبخلون ويأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ " فكان هنا البخل بالعلم بما آتاه الله من العلم يبخل به على الناس فكان ذلك طعناً في اليهود ، وعبد الله بن عباس رضي الله عنه قال كانت اليهود يختالون بأموالهم ويكتمون ما أنزل الله عز وجل في توراتهم من نعت وصفة رسول الله ﷺ فنزل قول الله عز وجل " الذين يبخلون ويأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ... " عبد الله بن عباس قال أن اليهود كان عندهم الأموال والجاه وهم تجار الذهب في قينقاع وكانوا يملكون _____ون مصر_____ الشروة فكانوا يختالون بذلك ويتكبرون فنزل قول الله عز وجل

﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ فقال عبد الله بن عباس أن آفة اليهود أنهم يستكبرون على خلق الله ويقولون إنهم من جنس غير جنس باقي البشر وأنهم أبناء الله وأنهم شعب الله المختار كما قالوا ليس علينا في الأميين سبيل فكل الخلق عداهم بهائم وعبيد لهم مسخرين لخدمتهم، ثم قال عبد الله بن عباس ؓ ويكتمون ما أنزل الله عليهم في التوراة من صفة رسول الله ﷺ فنُعتوا بالبخل وبأنهم يأمرون الناس بالبخل ، وقد كان بين أهل المدينة وبين اليهود حروب وتنافس وتصارع فكانوا يقولون لهم لقد أظلنا زمان نبي نقاتلكم معه قتل عاد وأرم فلما جاء رسول الله ﷺ كفروا به بغياً وحسداً .

وعبد الله بن عمرو بن العاص وزيد بن ثابت رضي الله عنهما أمرهما رسول الله ﷺ أن يتعلما اللغة العبرية ويتقناها وذلك حتى يستطيعون أن يدركوا ماذا يقول أعداء الإسلام وماذا يدبرون له فاستطاع عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ أن يتعلم العبرية وقرأ التوراة وترجمها فقال وجدت صفة رسول الله ﷺ في التوراة يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يتبع السيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله عز وجل حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح الله به قلوباً غلفاً وأعينا عمياً وآذاناً صماً " كانت هذه هي صفات رسول الله ﷺ استخرجها عبد الله بن عمرو بن العاص من لباب التوراة ولكن أحبار اليهود كانوا يكتمونها ، وإذا كان ذلك سبب نزول هذه الآيات فإنها كذلك إلى قيام الساعة تعنى البخل والشح الذي نهانا الله عز وجل عنه فإنه هو الذي رزقنا وهو الذي يتفضل علينا بالنعيم لكي يبتلينا فيها ، وعن جابر بن عبد الله الأنصاري ؓ قال : قال رسول الله ﷺ اتقوا

الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم دعاهم أن سفكوا دمائهم واستحلوا محارمهم " ورسول الله ﷺ إنما يذم البخل ويقول وأي داء أدوأ من البخل - إذا كان هناك أمراض مستعصية فإن البخل أكثر منها شدة ، ورسول الله ﷺ ينفي عن البخيل الإيمان فقال لا يجتمع غبار في سبيل الله عز وجل ودخان جهنم في جوف عبد أبداً - والغبار في سبيل الله هو كناية عن المجاهدين في سبيل الله - ولا يجتمع بخل وإيمان في قلب عبد أبداً " لأن الكريم الذي يجود يعلم أن الله هو الرازق وأنه سوف يخلفه خيراً مما أنفق فذلك إيمان بالله وأما البخيل فهو في شك يظن أن ما ينفقه مغرمًا ولن يأتيه غيره ، فمن كان بخيلاً أو به شيئاً من البخل فإن إيمانه في المقابل على قدر بخله في علاقة عكسية ، لأن دين الإسلام يحض على الكرم والجود والعطاء ولكنه كذلك ينهى عن الإسراف والتبذير والسفه في إنفاق المال ، ورسول الله ﷺ شدد على كلمة الإيمان عندما قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن قالوا من يا رسول الله قال من بات شعبان وإلى جواره جاره يبيت جائع وهو يعلم به " فكان هنا نفي الإيمان عن هذا البخيل الشحيح الذي لم يطعم جاره رغم علمه بحالته ، ومن أنواع البخل من يبخل خوفاً من زوال ما لديه من النعم وكذلك خوفاً من الحسد لذلك نجد دائماً البخيل ينكر النعمة ويغطيها ويخفيها فكان كتمانهم لما آتاهم الله عز وجل من فضله هو بخل وكفر لأن من تعريف كلمة الكفر ستر الشيء وكتمان أو تغطيته ، وهناك حديث يتداوله الناس فيما بينهم وهذا الحديث قال فيه الإمام السيوطي أنه ضعيف وقد يكون موضوعاً يقولون قال رسول الله ﷺ استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود " وذلك الحديث إنما يتناقض مع آيات الله عز وجل مما يدل على ضعفه فإن الله عز وجل يقول فأما بنعمة ربك فحدث

، وكذلك يتناقض هذا الحديث مع أحاديث لرسول الله ﷺ يحض فيها على إظهار نعم الله عز وجل والإعتراف بها فقال في حديث رواه أبو بكر بن عبد الله المزني رحمه الله قال : قال رسول الله ﷺ من أعطي خيراً فلم يرى عليه بغيضاً لنعمة الله معادياً لها " وذلك لأن التحدث عن النعمة إنما هو شكر لتلك النعمة ، وعن النعمان بن بشير رحمه الله قال : قال رسول الله ﷺ لا يشكر القليل من لا يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعمة شكر وكتمانها كفر ، أي يجب الشكر على كل نعم الله عز وجل صغيرها وكبيرها وكذلك يشكر من أدى إليه معروفاً أو كان سبب في نعمة رزقه الله بها فإنه بشكره للناس إنما يؤدي شكر الله على تلك النعمة لأنه إن لم يشكر الناس لم يكن شاكراً لله عز وجل ، ثم كان الأشد أن التحدث عما أنعم الله عز وجل به على الإنسان هو من الشكر بينما كتمانها كفر والعياذ بالله ، وقد جاء مالك بن نضالة الجشمي قال كنت عند رسول الله ﷺ وعليّ ثياب رثة فقال لي رسول الله ﷺ أعندك مال قلت يا رسول الله عندي من كل المال فقال لي إذا آتاك الله مالاً فليرى أثره عليك " لأن هذا الغني عندما يبدي ويظهر أثر نعمة الله عليه يكون قد شكر الله عليها ولأن الناس عندما ينظرون إليه فسوف يقولون أن الله عز وجل هو رازقه .

وعن أبي سعيد الخدري رحمه الله قال : قال رسول الله ﷺ إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده " وعندما أمر الله عز وجل بالجوّد والكرم وعدم البخل اشترط أن يكون هذا الإنفاق أو إظهار تلك النعمة أو التحدث عنها إنما يكون فيه الإخلاص لله عز وجل ليس رياء ولا سمعة فإن الله عز وجل يقول ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ

النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا
فَسَاءَ قَرِينًا . ﴿ النساء 38

ومن أنفق ماله حتى يقول عنه الناس إنه كريم جواد أو إرضاءً
للرحم فإن رسول الله ﷺ قال هي للرحم وليس لله فيها شيء ، وأم
المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله عبد الله بن جدعان
كان يطعم الطعام ويصل الرحم هل ذلك نافعه يوم القيامة - كان هذا
رجل من المشركين ولكنه كان سخي كريم يطعم ويصل - قال رسول
الله ﷺ لا إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين " وكذلك
جاء يوم القيامة برجل سخي فقال وهو يحاسب أمام الله عز وجل يا رب
كنت أنفق في سبيلك وأنصدق فتد عليه الملائكة وتقول كذبت إنما
كنت تفعل ليقال سخي جواد وقد قيل ، لذلك يحرم يوم القيامة من
أجرها لأنها لم تكن خالصة لوجه الله عز وجل ، كما أن الشيطان
يمسك بيد المنفق ويخوفه من الإنفاق ويضع أمامه السدود حتى لا ينفق
وكذلك يحبب إليه الإمساك لذلك كان الأمر بتجنبه وعدم طاعته لأنه
قرين السوء فقال الله عنه ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ
ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة 268
لذلك الإمام الشافعي رحمه الله يقول إذا كثرت عيوبك في البرايا وسرك أن
يكون لها غطاء تستر بالسخاء فكل عيب يغطيه كما قيل السخاء .

الْأَمَانَةُ

يقول الله عز وجل ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آل عمران 75 إن دين الإسلام هو دين الأمانة بينما ما عداه من ملل لا يهتم بها إلا قليل ممن رحم الله ، وقد جاء بعض من الناس إلى رسول الله ﷺ وقالوا يا رسول الله إن اليهود يأكلون أموال الناس بالباطل ويقولون ليس علينا في الأميين سبيل ، فقام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً قال ألا إن كل أمر من أمور الجاهلية تحت قدمي هاتين موضوع إلا الأمانة فإنها مؤداة لكل بر وفاجر - لا تقول هذا فاسق يحل لي أكل ماله أو هذا يهودي أغتصب ماله أو نصراني أكل ماله حلال لأن ذلك هو ما نهى عنه رسول الله ﷺ في خطبته هذه إلى الناس أجمعين ، لأن من قال هذا القول وأكل بسببه مال الناس كان مثله مثل اليهود لما قالوا ليس علينا في الأميين سبيل لا فرق بينه وبينهم ولكن لماذا يقول اليهود هذا القول لأنهم يعتقدون ولا زالوا أنهم شعب الله المختار وأنهم أبناء الله وأحباؤه وسائر البشر دونهم ليسوا إلا بهائم ولكن الله خلقهم على صورة البشر حتى لا يأنف منهم اليهود تلك شريعتهم وشرعهم الذي يؤمنون به .

إن الأمانة في دين الإسلام لها شأن عظيم ففي حديث رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ اضمنوا ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعدتم وأدوا إذا أوتنتم وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم " هذه الستة

أمر من فعلها والتزمها يضمن رسول الله ﷺ له الجنة وكيف لا وهى أمور تجعل من صاحبها أبعد ما يكون عن كل ما هو قبيح ذميم وكل ما نهى الله عز وجل عنه وورسله وتجعل ممن يفعلها أقرب ما يكون من كل ما أمر الله عز وجل به وورسوله .

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال جاء رجل من أهل العالية إلى رسول الله ﷺ - والعالية مكان مرتفع خارج المدينة مما يدل على أنه يريد أن يتعلم أمور دينه وما كان ملازماً لرسول الله ليرى أفعاله ويسمع أقواله - قال يا رسول الله أخبرني عن ألين شيء في ذلك الدين وأشد شيء فيه قال يا أخا العالية ألين شيء في هذا الدين شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأما أشد شيء في هذا الدين الأمانة فإنه لا دين لمن لا أمانة له " أخف شيء وأسهل ما في دين الإسلام أن ينطق الإنسان بالشهادتين فإنهما لا يكلفان شيئاً وأما أشد ما فيه الشيء الذي لا ينفع معه صلاة ولا صيام ولا زكاة ولا حج ولا جهاد في سبيل الله ولا إنفاق ولا غيره إنما ينتفي بسببها الدين هو ضياع الأمانة .

والأمانة من الأمور التي عرضها الله عز وجل على جميع خلقه فلم يقبلوها خوفاً من تبعثها بينما قبلها آدم والله عز وجل يقول ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۚ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الأحزاب 72 كان ظالماً لنفسه جاهلاً بتبعاتها والأمانة التي عرضت هي تكاليف ذلك الدين جميع ما أمر الله عز وجل به وكل ما نهى عنه فكانت هذه هي الأمانات التي استأمن الله عز وجل عليها عباده أن يؤديها بحقها فإن الله عز وجل يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا

أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ الأنفال 27 لا تخونوا الله بأن تعصوه ولا تخونوا رسول الله فيما بلغكم به من رب العالمين .

ومن الأمانات الحكم بين الناس فإن الله عز وجل يقول ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ النساء 58 وكان هذا الأمر من أشد الأمانات فقد جاء أبو ذر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله ألا تستعملني ألا توليني أمراً قال فضرب بمنكبي ثم قال يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى ما عليه فيها " ، وإن توظيف أهل الوظائف وتعيين أهل الخبرات أمانة في دين الإسلام فعن يزيد بن أبي سفيان قال قال لي الصديق رضي الله عنه عندما بعثني إلى الشام قال لي يا يزيد إن لك قرابة وأخشى ما أخشاه أن تؤثرهم بالأمر بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقول من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم والعياذ بالله ، وكذلك ممتلكات وأموال الأمة أمانة في أعناق هؤلاء الذين يحكمون يجب عليهم أن يحافظوا عليها ولا يأكلوا منها شيئاً إلا بما يستحقون لأن رسول الله ﷺ وقف أمام الناس جميعاً وأمسك بشعرة من بغير وقال أيها الناس إنني لا يحل لي من مالكم ولا هذه الوبرة ، وعمر رضي الله عنه عندما ولي أمر المسلمين كان لا يأكل حتى يأكل الناس ولا يشبع حتى يشبعوا وكان في عام المجاعة يتحدث إلى بطنه ويقول لها كركري كما شئت فلن تأكلي حتى يأكل المسلمين ، وهو الذي يقول ليس لي في مالكم حق وإنما أنا في مالكم كوالي اليتيم إذا استغنيت استعفت وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، وكذلك الأمر على

المستوى الأقل من ذلك فإن من يعمل عندك إنما له عندك أمانه تؤديها إليه إن أدى ما عليه كما أن عمله عندك أمانة لأبد أن يؤديها كما ينبغي لأن رسول الله ﷺ يقول من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول " أي من كلفناه بعمل وأخذ عليه رزقه الذي ارتضيناه معه فما أخذه سواه كأن يوفر من عمله أو يقصر فيه فإنه غلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفي كل نفس بما كسبت .

ذلك هو منهج الإسلام في العمل والتعاملات بين الناس بالأمانة من أكبر شيء إلى أدنى شيء حتى أن من الأمانات الحديث بين الناس فمن أمن أحد على حديث فأفضى به فقد خان الأمانة لأن رسول الله ﷺ يقول إذا حدث الرجل الرجل حديثاً ثم التفت فهو أمانة " فمن أفشى سراً أدى إلى ضرر صاحب هذا السر فقد ارتكب اثماً وهو لا يدري وقد خان الأمانة ، ومن الأمانة الحديث بين الرجل وزوجته وما يحدث بينهما فمن أفشاه منهما فقد خان الأمانة جاء في حديث رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن من أشد الأمانات الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشرا سرهما " وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت كنا عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء وجود فقال رسول الله ﷺ لعل رجل يخرج ويقول فعلت بأهلي كذا وكذا ولعل واحدة تخرج وتقول فعلت مع زوجي كذا وكذا ، قالت فاشربت الأعناق وتطلعت الأبصار وما استطاع أحد أن ينطق بشيء فقالت أسماء بنت يزيد والله يا رسول الله إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن فقال رسول الله ﷺ لا تفعلوا ذلك فإن من فعل ذلك كأنه شيطان لقي شيطانة في الطريق ففعل بها والناس ينظرون " ذلك المثل ضربه رسول الله ﷺ ليبين شدة هذا الأمر وفجحه كأن شيطان مارس الفاحشة مع شيطانة في الطريق أمام الناس جميعاً فأبي

شناعة في هذا المشهد وكيف يرضاه على نفسه أحد من الناس ، وكذلك من الأمانة الإستشارة في الأمر فإن رسول الله ﷺ يقول المستشار مؤتمن " وكذلك يقول رسول الله ﷺ من أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانته " ومن الأمانة الشراكة بين الناس فإن الشراكة يباركها الله عز وجل وينميها ويجعل فيها البركة إذا أمن بعضهم بعضاً وأدوا ما عليهم فيها فإن رسول الله ﷺ يقول في حديث قدسي عن رب العزة أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فإن خان أحدهما صاحبه خرجت من بينهما " الله عز وجل يكون مع الشريكين وبينهما ما لم يخونا بعضهما وإذا خرج الله عز وجل من هذه الشراكة فما يكون مصيرها إنما إلى الفناء .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ما خطب رسول الله ﷺ إلا قال لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له " مما يدل أن الأمانة لها وضع عظيم في دين الإسلام يجب على كل من يؤمن بهذا الدين أن يؤدي حقها ولا يفرط فيها لأنها من أسس هذا الدين ومن دعائمه التي يقوم عليها ومن فرط فيها حتى وإن كان شهيداً فلن يدخل الجنة حتى يؤدي ما عليه فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ القتل في سبيل الله يكفر الذنوب جميعها إلا الأمانة يؤتى بالعبد يوم القيامة وإن قُتل في سبيل الله فيقال له أدي أمانتك فيقول كيف أؤديها وقد ذهب الدنيا فيأمر به إلى الهاوية ثم يقول رسول الله ﷺ فتتمثل له الأمانة كما قبضها فيهوي إليها ويرفعها على منكبيه ويصعد بها ثم إذا ظن أنه نجا تهوي به فهو في أثرها أبد الآبدين ، ثم قال رسول الله ﷺ والصلاة أمانة - فلينظر كل منا إلى صلاته هل أتم ركوعها وسجودها والقرأة فيها والخشوع فيها - والصوم أمانة والزكاة أمانة والكيل أمانة ، وعدد رسول الله ﷺ

أمور في الأمانة لو سردناها ما اتسع لها المقام ، وأشهر هذه الأمانات
الودائع والأنفس فإن الأولاد والأهل ودائع يجب رعايتها والحفاظ عليها
وأذا أخذها الله عز وجل فقد استرد وديعته كما أن أنفسنا أمانة ووديعة
عندنا يحاسبنا الله عليها يوم القيامة فلنستعد ليوم الحساب فإننا ننقل
من دار فناء إلى دار شقاء أو دار رشاد فلنحاول أن نكون من أهل الرشاد
فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل فإنما هي كفتا ميزان بهما
الحسنات والسيئات فمن رجحت كفة حسناته فهو من أهل الجنة التي
هي معدة لأهل الإسلام جميعاً إذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً
رسول الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن
المنكر وأطاعوا الله عز وجل وأطاعوا رسول الله ﷺ فإن الله عز وجل
يقول ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا
عَلِيمًا﴾ النساء 147

البيع والشراء

يقول قائل :

لم أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد زخراً وعند الله للأتقى مزيد

ذلك القائل عندما نظر إلى الدنيا ببصيرة ثاقبة وجد أن السعادة ليست في جمع المال وإن كان جمع المال من أسباب السعادة ولكن الذي يملك المال قد تكون سعادته ناقصة لأنه يهتم بأمور منها نماء ذلك المال ومنها الخوف عليه من النقصان أو الضياع ولكن من هو السعيد بحق الذي يملك تقوى الله عز وجل فبتقوى الله ترتاح القلوب وتطيب الدنيا ، والتقى هو الذي يكون في معية الله يراه الله حيث أمره ويفتقده حيث نهاه ويقول قائل :

إذا لم يكن للمرء لباس من التقى تراه عرياناً وإن كان كاسياً
وخير ثياب المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصياً

إن دين الإسلام أمرنا أن نتزود بالحلال الطيب وأن نسعى في طلبه وأن نتجنب الحرام الخبيث بكل وسيلة فعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ إن الله عز وجل يحب أن يرى عبده يسعى في طلب الحلال " وطلب الحلال في كل أمورنا كالمال والزواج وغيرها ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ طلب الحلال واجب على كل مسلم ومسلمة " فكان ذلك فريضة مثلها مثل الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وعن رافع بن خديج رضي الله عنه قال سئل رسول الله ﷺ عن

الكسب الطيب قال عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور " فكان العمل بكل أنواعه سواء كان عملاً يدوياً أو ذهنياً يمارسه الإنسان ليتكسب من ورائه هو كسب طيب وكذلك البيع المبرور وهو الذي لا غش فيه ولا خيانة .

ورسول الله ﷺ إنما كسب الكسب الطيب بهذين الأمرين فكان وهو صبي يعمل بيده في رعي الغنم وكان وهو شاباً يعمل بالبيع والتجارة ، ولا نجد أحد من الناس إلا وينطوي تحت هذه العناوين إما يعمل بيده وإما يبيع وإما يشتري ولكن لهذا الأمر فقه وعلم يجب على أهل الإسلام أن يتعلموه ، وعمره ﷺ إنما كان يدخل الأسواق ويتفقد أحوال الناس فيه ويقسوا على بعض التجار ويقول لا يبيع إلا من يفقه وإلا أكل الربا شاء أم أبى ، والبيع والشراء إنما هو مبادلة مال بمال على سبيل التراضي ، والبيع والشراء هو نقل ملك بعوض على سبيل ما أمر به الشرع ، والله عز وجل أحل لنا البيع والشراء لأن المجتمع وتعاملات الناس لا بد لهم منها لذلك أحل الله البيع والشراء ، ولكن يكون الأمر قائماً على التراضي ضمن الحدود التي رسمها الله في شريعة الإسلام والله عز وجل يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النساء 29 كان هنا ذكر البيع والتجارة ثم كان التهديد بعدم قتل النفس بأكل الحرام أو بأن يظلم بعضكم بعضاً أو يضر بعضكم بعضاً ، ومن كان بائعاً يجب أن يكون هذا البيع مشهوداً ومعيناً فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال نهى رسول الله ﷺ عن بيع الثمر حتى يطعم وعن بيع صوف على ظهر وعن بيع لبن في ضرع وعن بيع سمن في لبن " ذلك الحديث ليس المقصود به تلك المسميات

بعينها إنما المقصود أن تكون عالماً معانياً للشيء الذي تشتريه وتدفع ثمنه كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لا تشتروا السمك في الماء فإنه غرر، فكيف تشتري لبناً وهو لا زال في ضرع البهيمة لم تشاهده أو تعينه أو تعلم مقدار ما دفعت ثمنه ، فإن دين الإسلام نهى عن بيع الغرر فقال رسول الله ﷺ من اشترى شيئاً لم يراه فهو بالخيار إن شاء رده " وقد ورد في هذا الحديث الرضا بين البائع والمشتري ولكن الرضا ليس على الإطلاق إنما له حدود وأصول يقوم عليها فعن ميمون بن مهران رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ البيع عن تراض والخيار بعد الصفقة - ثم جاء رسول الله بالميزان الذي يحكم المسألة وقال - ولا يحل لمسلم أن يضر مسلماً " إذا كان المشتري لا يعرف حقيقة قيمة ما اشتراه فلا تستغل ذلك بأن تزيد عليه في السعر فقد وقع عليه ضرر نهى عنه رسول الله ﷺ حتى وإن رضي المشتري بهذا السعر لأنه لا يعلم قيمته الحقيقية فذلك أيضاً نوعاً من الغش ونفس الحال لمن يشتري إذا عرض سعر أقل من القيمة لأن البائع لا يعلم قيمته الحقيقية فهو غش أيضاً وليس تراضي بينهما ، فإن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من غشنا فليس منا ، ثم يقول بعدها والمكر والخديعة والخيانة في النار " والمقصود هنا المكر والخديعة في البيع والشراء الذي هو بخلاف ما قاله رسول الله في حكم التراضي فمن فعلها كان له جهنم والعياذ بالله وكان أكله من هذا البيع حرام ، وكذلك من أحكام البيع والشراء قال رسول الله ﷺ لا بيع أحدكم على بيعة أخيه حتى يتم أو يذر " أي لا يرفع قيمة فوق ما يدفع أخيه حتى يتم بيعته أو يدعها ، وهناك من الناس من ينتظر حتى تتم البيعة ثم يقول للبائع كنت سأدفع لك فيها أكثر مما أعطاك فإن ذلك يوغر صدر البائع ويجعله يحقد على المشتري وقد يجعله جشعاً أو طماعاً فيما بعد فقد نهانا رسول الله ﷺ عن ذلك الأمر ، وهناك إنسان يدخل

السوق وهو لا يريد أن يشتري أو يبيع وإنما هدفه فقط أن يرفع على الناس قيمة ما يشترون فإذا رأى بيع حضره وقال أنا اشتري بأكثر وهكذا يفعل في كل بيع أو شراء وهذا له اسم في كتب الفقه يسمونه الناجش لأنه لا يبيع ولا يشتري وإنما يرفع الأسعار وقد يرفعها لحساب البائع أو يرفعها حقداً على الناس وفساد ما بينهم فإن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ الناجش آكل ربا خائن وهو باطل لا يحل ، وعبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه يقول عرض رجل سلعة ثم أقسم وحلف أنه أعطى فيها ما لم يُعطى ليوثق فيها رجل من المسلمين إنما أكل مال الناس بالباطل وأكل حراماً لأن رسول الله ﷺ يقول من أخذ مال أخيه بيمينه أوجب الله عز وجل له النار وحرم عليه الجنة " والله عز وجل يقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ آل عمران 77

صحابه رسول الله ﷺ ما تركوها هكذا ولكن قالوا يا رسول الله ولو كان شيئاً يسيراً قال ولو كان عوداً من أراك " فكم يساوي عود السواك حتى يدخل من أخذه بالحلف الكاذب يدخله النار خالداً فيها ، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أطيب الكسب كسب البائع - وليس شرطاً أن يكون البائع تاجراً فقد تبيع أنت شيئاً مما تملكه ولكن ما هي شروط ذلك البيع حتى يكون طيباً لنعلم أن المسافة بعيدة سحيقة بيننا وبين تعاليم محمد ﷺ قال - الذين إذا حدثوا لم يكذبوا وإذا وعدوا لم يخلفوا وإذا اتّمتنوا لم يخونوا وإذا اشتروا لم يزهّدوا وإذا باعوا لم يمدحوا وإذا كان عليهم لم يماطلوا وإذا كان لهم لم يعسروا رحم الله عبداً سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى وإذا قضى وإذا

اقتضى " والتزهد هو بخس سعر الشيء كأن يقول إن تلك السلعة فيها عيوب كذا وكذا وهى لا تساوي إلا كذا فهذا هو التزهد والخديعة في الثمن وإذا باعوه لم يمحذوا ما باعوه وإذا أجل من حقه شيئاً كان سمحاً في طلبه وإن كان عليه دين أداه ووفى به ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول إن الله عز وجل أمر عباده المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۚ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» المؤمنون 51 وقال لأهل الإيمان «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» البقرة 172 كان الأمر بأن نتحرى الحلال الطيب وهو في أيامنا هذه قد يكون الأمر صعباً ولكنه أمر من الله عز وجل لا بد أن نطيعه فيه وإن الحلال الطيب له مذاق حلو جميل وبيارك الله فيه ويجعل فيه النماء ، ولكن الحرام الخبيث فلننظر إلى من يأكلونه وكيف حالهم وكيف تكون نهايتهم فإن الله عز وجل جعل فينا آيات نراه بأعيننا لنعتبر بها يقول لنا فيها إن الحلال بين والحرام بين ، ورسول الله ﷺ يقول اللهم بارك لأمتي في بكورها " الذين يخرجون إلى السعي على الرزق مبكراً في طلب الحلال دعا لهم رسول الله بالبركة ، وكان ذلك قليل من كثير مما ورد في البيع والشراء ولكنه علامات بسيطة تدل على الطريق المستقيم لمن أراد أن يكون ماله من البيع والشراء والتجارة حلالاً طيباً لا شبهة فيه .

القرض

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ مثل ما بعثني الله عز وجل به من العلم والهدى - جاء رسول الله ﷺ بأمرين العلم والهدى وكل منهما يتم بعضه بعضاً - كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقياً قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان فيها الأجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وكان فيها فيعان لم تمسك ماءً ولم تنبت كلأً ذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما جاءني من العلم والهدى " مثل الذي نفعه الله عز وجل بما جاء به محمد ﷺ من العلم والهدى كمثل الأرض النقية التي قبلت الغيث وأنبتت به زرعاً ينتفع به الناس وكل حي وكذلك مثله كمثل الأرض التي احتفظت بهذا الغيث فكانت كأنها حوض أو بضر للماء ينتفع به كل حي فيشرب منه ويسقي الزرع ، ومثل الذي لم يرفع بذلك شأنًا ولم يقبل ما جاء به محمد ﷺ من العلم والهدى كأنه لم يقبل بدين الله عز وجل ولم يتبعه كان كأنه الأرض البور في الصحراء التي لم تستجب لنزول الغيث عليها فلم تنبت زرعاً ولم تكن خزاناً لهذا الماء إلى حين .

رسول الله ﷺ جاء بدين فيه الخير الكثير دين يعلي من قيمة الأخلاق الحميدة حتى يعيش الناس به في هذه الدنيا في سعادة وسلام وأمن وآمان فإذا انقلبوا إلى الدار الآخرة فاز فيها صاحب الخلق الحسن بجنة رب العالمين ، وقد حرص رسول الله ﷺ أن يعلم هذه الأمة الأمانة وكان هو القدوة والمثل منذ صغره فأطلقوا عليه اسم الصادق الأمين ،

فكان رسول الله ﷺ ما وعظ موعظة إلا ويقول فيها لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له .

ورسول الله ﷺ يقول أدي الأمانة لمن اتّمنك ولا تخن من خانك " والله عز وجل يقول ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۚ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝﴾ البقرة 283 وقد كان من سنة رسول الله ﷺ الرهن مقابل ما يقترضه من الناس ضماناً لهذا القرض وفي معنى القرض أنه قطع من مال إنسان يقرضه لإنسان آخر فكأنه اقتطع قطعة من ماله وأعطاه لأخيه ، ورسول الله ﷺ في يوم من الأيام أراد أن يقترض طعاماً لأهله ومن هو رسول الله إنما هو محمد الذي هد عروش الطغاة وكسر أعناق الجبابرة جيوشه كانت ترعب كسرى وقيصر ومع ذلك في أحد الأيام لم يجد في بيته طعاماً لأهله فأرسل إلى تاجر يهودي اسمه أبو الشحم يقترض منه شعير فقال ذلك اليهودي إنما يريد محمد أن يجتاح مالي فلما علم رسول الله ﷺ بما قاله اليهودي قال والله إنني لأمين في الأرض وأمين في السماء ولو أقرضني لأديت اذهبوا بدرعي هذا لأبي الشحم رهناً في وسق شعير ، فكان هذا الرهن ضماناً للقرض ، والناس اليوم تتعامل مع الرهن على أنه ملك لهم وما كان كذلك إنما هو أمانة لديه يجب أن يؤديها كما هي لمن اقترض منه وقت أن أدى ما عليه ولا يحل له أن يتصرف فيه أو ينتفع بسببه أو يجني مالاً من وراءه وإذا فعل وجب عليه أن يؤدي حق انتفاع لمالكه فإن رسول الله ﷺ يقول لبن الضرع يُشرب بنفقته إن كان مرهوناً والظهر يركب بنفقته إن كان مرهوناً وعلى الذي يشرب أو يركب النفقة " ومعنى ذلك أنه إن كان الرهن

مقابل القرض شيء ينتفع به مثل البقرة التي تحلب لبناً فإذا كان حائز الرهن ينتفع بهذا اللبن ويشرب منه فعليه أن ينفق عليها طعاماً وإن لم يفعل فقد أكل مال صاحبها وكذلك إذا كان المرهون حصاناً أو حميراً فإنه يركبه وينتفع به فعليه إطعام الدابة ما دام ينتفع به ، وكذلك اليوم نجد من الناس إذا كان مرهوناً عنده شيء مقابل قرض إذا حال موعد السداد ولم يوف في المقرض نجد صاحب الدين يأكل هذا الشيء المرهون فإنه لا يحل له ذلك ولكن إذا حال وقت وفاء الدين ولم يستطع المدين أن يسد ولم يصبر عليه المدين فإن الشيء المرهون يتم بيعه بقيمته ثم يأخذ منه وفاء الدين وإن تبقى شيء يرجع إلى صاحبه ، فقد حدث أيام رسول الله ﷺ أن رجلاً رهن داراً إيداء دين وعندما جاء الأجل لم يستطع أن يسدد فقال الذي تحت يده الدار المرهون هذا منزلي أي أكل هذا الرهن فقال رسول الله ﷺ لا يغلق الرهن على صاحبه له غنمه وعليه غرمه ، ومعنى ذلك أن الرهن مقابل دين أو ضماناً له لا يجوز التصرف فيه حتى وإن حال عليه موعد القضاء ولم يقضي صاحب الرهن لأن رسول الله ﷺ قال عن ذلك التصرف أنه من أفعال الجاهلية لأنه أكل لأموال الناس بالباطل والتصرف الصحيح الذي لا يكون فيه إهدار لحق صاحب الرهن أن يتم بيع ذلك الشيء المرهون ويأخذ صاحب الدين حقه ويرد الباقي إلى صاحب الشيء المرهون .

والقرض في دين الإسلام مشروع ومسموح به للتفيس عن الكربات وقضاء الحوائج لذلك جعل الله لمن يقضي حوائج الناس ثواباً وأجرأ عظيماً ورسول الله ﷺ يقول من أقرض مسلماً قرضين كانت له صدقة قرض " أي الذي يقرض مسلماً قرضين فإن الله عز وجل يجعل له القرض الثاني وإن استرده كأنه صدقة تصدق بها وكان له أجرها

كاملاً ، ورسول الله ﷺ قال عندما أسري بي رأيت مكتوب على باب الجنة الحسنة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقلت يا جبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة فقال لأن السائل يسأل وعنده أما المقترض فإنه لا يقترض إلا من حاجة " لذلك على المقترض ألا يطلب القرض إلا إذا كان لديه حاجة ضرورية له فإننا نجد بعض الناس هذه الأيام يقترضون لشراء أشياء ليست من الضروريات التي لا غنى عنها وإنما هي كماليات التي لا تجلب نفعاً من وراءها ، ورسول الله ﷺ يحكي لنا عن إنسان اقترض فماذا كان موقفه يوم القيامة قال يدعى بصاحب الدين حتى يقف أمام الله عز وجل ويقول له يا بن آدم فيما أخذت هذا الدين - فيما ضيعت حقوق الناس لأنه لو رد هذا الدين في حياته ما وقف أمام الله في هذا الموقف ولكنه انتقل إلى الدار الآخرة وعليه ديناً لم يرده - فيقول يا رب أخذت ذلك الدين ما أكلت وما شربت ولكن أصابني حريق أي إنه اقترض لكي يعوض ما ضاع منه في الحريق ، ويأتي آخر يقول سُرِق مالي فاقترضت لكي أعوضه وثالث يقول أصابتني وضیعة فيقول الله عز وجل صدق عبدي فيدعى بشيء - الذي اقترض للضرورة الله عز وجل أدى عنه - يقول رسول الله ﷺ فيدعى بشيء فيوضع في ميزانه فترجح كفة حسناته على كفة سيئاته فيدخل الجنة بفضل الله عز وجل ورحمته ، ورسول الله ﷺ يعلمنا أن القرض لا يكون إلا لضرورة حتى وإن لم يستطع السداد أدى الله عز وجل عنه يوم القيامة فقال رسول الله ﷺ الله عز وجل يقضي يوم القيامة عن ثلاثة خرجوا من الدنيا ولم يؤدوا ما عليهم فمن هم هؤلاء الثلاثة ؟ يقول من ضعفت قوته واستدان ليتقوى على عدو الله وعدوه أي إنسان جاع ليس عنده ما يطعمه فأصبح في ضعف فاستدان حتى يطعم نفسه ويتقوى حتى على عبادة الله عز وجل فتلك ضرورة ملحة فكان ذلك الأول الذي يقضي الله عنه دينه

يوم القيامة ، ورجل مات عنده مسلم فلم يجد ما يكفنه ويواريه إلا بدين أي رجل استدان لشراء كفن أخيه المسلم فذلك يؤدي الله عنه ، والثالث رجل خاف على نفسه العزوبة فنكح خشية الله عز وجل أي رجل في سن الزواج خاف على نفسه أن يقع في المعصية فاقترض ليتزوج ويعف نفسه فهذا يقضي الله عنه دينه يوم القيامة إن لم يستطع قضاءه في الدنيا .

والقرض لابد أن يكون معلوم القدر حتى لا يكون هناك خلافاً عليه وعندما يقترض الإنسان يقترض لأجل محدد يسميه ويقول اقترضني كذا حتى يوم كذا فقد قال رسول الله ﷺ من أسلف فليسلف بكيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم وذلك لأن صاحب الدين لابد له أن يعلم متى يسترد دينه ولا يترك الأمر مفتوحاً وإذا جاء صاحب القرض يريد ماله في موعده يجب أن يوفي المدين إليه بالحسنى فإن رسول الله ﷺ يقول لا قدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من قويتها غير متعتع ، لا قدس الله أمة صاحب الحق فيها لا يستطيع أن يأخذ حقه ثم يقول رسول الله ﷺ ومن انصرف عنه غريمه وهو راض ، والغريم الذي هو صاحب الدين عندما جاءه وطلب دينه أعطاه ورد له الدين وانصرف عنه وهو راض يقول رسول الله ﷺ ومن انصرف غريمه وهو راض سلط الله عليه دواب الأرض وحياتان الماء يدعون له ، كان ذلك جزاء من وفى دينه في موعده وأرضى من اقترض منه وليس عبد يلوي غريمه وهو يجد صاحب الدين جاءه يسترد دينه ثم يماطله وهو عنده الوفاء أما إذا لم يكن عنده وفاء الدين وجاء صاحب الدين فذلك أمر آخر إنما ذلك عنده وفاء الدين وجاء صاحبه وليس من عبد يلوي غريمه وهو يجد إلا كتب عليه كل يوم وليلة وكل جمعة وكل شهر ظالم وإذا كتبها الله عز وجل فمن أين يجد الفرار منها ، ونفس المؤمن معلقة لا ترفع إلى ربها حتى يقضى عنه

دينه ذلك الذي يموت وعليه دين لا ترفع روحه ولا تستقر في مكانها حتى يُقضى عنه دينه ، ورسول الله ﷺ يقول أن الذي يقترض وهو في نيته ألا يؤدي هذا الدين يقف يوم القيامة أمام الله عز وجل في وضع مشين يقول رسول الله ﷺ أيما رجل استدان ديناً وهو لا يريد أن يؤديه فمات ولم يؤده لقي الله عز وجل يوم يلقاه وهو سارق " لماذا كان لصاً لأنه أخذ القرض وفي نيته عدم الأداء هو يريد أن يأكل مال أخيه فيعاقبه الله بعقوبة السارق ، ورسول الله ﷺ يقول والذي نفسي بيده لا تقتل نفس في سبيل الله ثم تعيش ثم تقتل ثم تعيش ثم تقتل وعليها دين إلا لم تدخل الجنة " كان ذلك الوصف للشهيد حتى وإن قتل ثم ردت إليه روحه فقتل في سبيل الله ثانية وثالثة لا يدخل الجنة وعليه دين ما نفعته الشهادة في سبيل الله إنما يقف أمام الجنة ولا يدخلها .

الظلم

إن تعلم العلم لله خشية ومدارسة العلم تسبيح لله عز وجل والبحث فيه جهاد وبذله لأهله مودة وبذله لغير أهله صدقة ، ولنعلم أن العلماء هم ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا علماً من أخذ به فقد أخذ بحظ وافر .

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك " ذلك القول موقوف على جابر بن عبد الله رضي الله عنه أي أنه ليس من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه من كلام ذلك الصحابي الجليل الذي تعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقه في دين الإسلام وهو يقول أن الصيام يجب أن يكون بكل الجوارح يصوم اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب وكل قول فاحش أو بذيء ثم يقول ودع أذى الخادم أي دع أذى الأقل منك الأضعف منك الذي لا يستطيع أن يرد عليك بطشك ثم يقول ولا تجعل يوم فطرك ويوم صومك سواء أي لا تجعل أيام الفطر مثل أيام الصيام إنما الصيام مدرسة لتهديب وتربية النفوس ، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش _ أما معنى الصيام فإنه لم يقيمهُ _ ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر والتعب " لأن الصيام والقيام من العبادات التي تكفر الذنوب وتغسل الخطايا فكيف يحصل الإنسان على هذا الأجر وهو يوم فطره مثل يوم صومه وقيامه للصلاة كما لو لم يقم للصلاة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لم تنهه صلواته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً " والله عز وجل يقول ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ العنكبوت 45 فكان كل ذلك مما فقهه جابر رضي الله عنه فقال ما قاله دع أذى

الخادم لا تظلم الضعيف فإن الضعيف له من الله ناصر قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بينما أنا أضرب خادماً لي إذا بصوت من خلفي يقول يا أبا مسعود فقلت للغلام اذهب وأنت حر لوجه الله - أعتقه لأنه علم أن الصوت هو صوت رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ لو لم تفعلها للفحتك النار ، هو فقط ضرب هذا الغلام الضعيف فقد يكون ظالماً له أو لا ولكن رحمة من رسول الله ﷺ عندما رآه يضربه نادى عليه ليكف عن ذلك ، وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال عندي خادم يسيء ويظلم وأنا أضربه على ذلك فأين أنا يوم القيامة قال رسول الله ﷺ إن كانت اساءته وظلمه أكبر من ضربك فلك وعليه وإن كان ضربك له أكبر من اساءته فله وعليك فانطلق الرجل الإعرابي يولول ويقول يا وليي يا وليي فقال رسول الله ﷺ ردوا إلي الرجل فلما جاءه قال له ألم تقرأ قول الله عز وجل ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ۖ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۖ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ الأنبياء 47 إنها موازين كفتان كفة فيها الحسنات وكفة فيها السيئات إن كنت ظالماً في ضربك له فله وعليك وإن كنت مظلوماً فلك وعليه ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان مدرسة في العدل والقسط بين الناس وكان مضرب المثل في عدله وقد لا وجود الزمان بمثله جمع الناس يوماً وقام فيهم خطيباً فقال أيها الناس إنني لم أبعث عمالي ليضربوا أبشاركم أو ليسبوا أعراضكم أو ليأكلوا أموالكم فمن فعل فيه غير ذلك فليقم - ماذا قال الحاكم العادل للرعية للشعب كله أنه لم يبعث عماله الولاة على الأقاليم مثل المحافظين أو مأموري الأقسام والعمد في القرى أو أي مسمى للوظيفة يكون فيه إدارة شئون الناس ما بعثهم لكي يضربوا ويسبوا ويأخذوا أموالهم إذن لماذا بعثهم - قال إنما بعثتهم ليقسموا بينكم فيئكم وليعدلوا بينكم - فكانت هذه هي الأساس

القاعدة التي يجب أن يسير عليها الحكام والمحكومين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فمن تعرض لغير ذلك من حاكم أو والي ليقف أمام أمير المؤمنين يعرض ما تعرض له من ظلم فوقف رجل قال يا أمير المؤمنين عاملك فلان ضربني سوطاً ظلماً وأمير المؤمنين ناداه يا فلان لما ضربته ولما تبين له أنه ظلمه رجع إلى قول رسول الله ﷺ عندما قال من ضرب سوطاً ظلماً اقتص منه يوم القيامة فقال له عمر رضي الله عنه للرجل اضربه كما ضربك فوقف عمرو بن العاص رضي الله عنه وقال يا أمير المؤمنين كيف نحكم الناس إذا ضربناهم ضربونا فقال له اسكت يا عمرو فوالله لقد استقاض رسول الله ﷺ من نفسه قبل أن يغادر الدنيا يخرج على الناس ثلاثة يقول أيها الناس من كنت ضربت له ظهراً فهذا ظهري فليستقض منه أيها الناس من كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقض منه أيها الناس من كنت أخذت منه مالاً فهذا مالي فليستقض منه - رسول الله ﷺ قال ذلك وهو أشرف الخلق وما كان ظالماً لأحد ولكنه المثل والقدوة الذي تأسى به عمر رضي الله عنه في عدله فكان أبعد ما يكون عن الظلم، وقد كان عمر رضي الله عنه في عام المجاعة لا يأكل ولا يطعم إلا مما يطعمه أهل الإسلام وكانت بطنه تكرر من الجوع فيقول لها كركري فلن تأكلي حتى يأكل الناس أي أنه جعل أكله من دون الناس ظلماً فابتعد عنه حتى أن عتبة بن فرقد جاءه في يوم من الأيام بنوع من الحلوى يصنعونه في أذربيجان التي كان والياً عليها فنظر إليها وقال له يا عتبة هل عندك منها ما يسع المسلمين قال لا يا أمير المؤمنين فقال له يا عتبة بن فرقد إنها ليس بكذك ولا كد ابئك ولا أمك أطعم الناس مما تطعم منه في رحلك ، أنت أميرهم والمسؤل عنهم لا تأكل إلا مما يأكل منه رعيتك أما إن كنت غير أمير ولست في موقع المسؤولية عن

الناس فاطعم ما شئت ، ثم قال له يا عتبة بن فرقد إياك ولبس الحرير وإياك وزى أهل الشرك .

كانت هذه هي تعاليم مدرسة محمد ﷺ تقول ثلاثة لا تُرد دعوتهم الصائم حتى يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويقول وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين .

والظلم ظلمات يوم القيامة فقد قال رجل لسفيان الثوري رحمه الله كانت صنعته حياكة الثياب قال إني أصنع الثياب للوالي الظالم فهل أكون بذلك من أعوان الظلمة فقال له سفيان بل أنت من الظلمة لأنك عندما تصنع له ثياباً سوف يخرج على الناس ويظلمهم أما إن كان من غير ثياب فلن يخرج قال له يا سفيان فمن أعوان الظلمة قال أعوان الظلمة الذين يبيعون لك الخيط والإبرة .

إنها يوم القيامة كفتي ميزان فمن علم أنه ظلم أحداً من الناس فليحاول أن يسترضيه في الدنيا قبل أن يكون في الآخرة لا دينار ولا درهم فإن الله عز وجل يقول ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ. مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ إبراهيم 42 - 43 الله عز وجل يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته أخذه عزيز مقتدر والله عز وجل يقول ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ هود 102

ومن الظلم الخوض في عرض إنسان أو سبه وشتمه أو أخذ ماله بغير حق حتى وإن كان شيئاً يسيراً فقد قال رسول الله ﷺ من أخذ أموال الناس بيمينه أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة قالوا يا رسول الله أو ولو كان شيئاً يسيراً قال ولو كان عود من أراك " لذلك يجب أن يتحلل

الإنسان من كل ظلم في الدنيا قبل أن يكون الميزان بالقسط فيجد ما عمل من حسنات يضيع أمام عينه وفاء لظلمه لهذا أو ذاك فمن كان ليس عنده حسنات يؤخذ من سيئات المظلوم ويوضع على هذا الظالم فلا مفر له يوم القيامة ، وقد سأل رسول الله ﷺ أصحابه يوماً قال أتدرون من المفلس قالوا الذي ليس له درهمٌ ولا ديناراً قال بل المفلس من يأتي يوم القيامة بالحسنات وقد ظلم هذا وشتم هذا وأكل مال هذا فيؤخذ من حسناته وتُعطى لهذا وهذا فيمسي وليس له شيء منها ثم يؤخذ من سيئاتهم وتطرح عليه ثم يطرح في نار جهنم " واللّٰهُ عز وجل يقول في الحديث القدسي يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا وكونوا عباد الله إخواناً " فليتق الناس الظلم لأنه مدون في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

الكسب الطيب

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ
ثلاثة أقسم عليهن لا يجعل الله عز وجل من له سهم في الإسلام كمن لا
سهم له وأسهم الإسلام ثلاثة الصلاة والصوم والزكاة - فكانت هنا
أسهم الإسلام هذه الثلاثة الصلاة فلا إسلام لمن لا صلاة له ، والصيام
كذلك فمن لم يصم بغير عذر فلا إسلام له والثالث الزكاة ورسول الله
ﷺ يقول في حديث له عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس
الإسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم شهادة أن لا إله
إلا الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان ، فمن ترك واحدة من هذه
الثلاثة فهو كافر بها جميعاً فمن لم يقر بالشهادة أو ترك الصلاة
جحوداً بها ومنكراً لها فهو كافر ومن ترك صوم رمضان منكراً
لمشروعيته ولفرضيته فهو كافر بدين الإسلام مرتد عنه لأن الذي قالها
هو رسول الله ﷺ وفي حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ
من أفطر يوماً في رمضان من غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه
صيام الدهر كله وإن صامه " ذلك لم يفطر جحوداً أو نكراناً ولكنه
أفطر تكاسلاً أو لأنه فاسق أو فاجر لأي سبب من الأسباب ليس لعذر
رخص الله به الفطر فهذا يكون عليه القضاء لأنه بعذر ورخصة بينما
من أفطر متعمداً لن ينفعه قضاء الدهر وإن صامه فإنه لا أحد يستطيع
أن يصوم الدهر - ثم تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ولا يتولى
الله عبداً في الدنيا فيؤليه غيره في الآخرة ولا يحب رجل قومياً إلا جمعه
الله معهم يوم القيامة - فكانت هذه الثلاثة أحب الصالحين ولست
منهم كما يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أنال بهم شفاعة ، أي حب

الصالحين له فائدة تعود على من يحبهم أنه ينال بها شفاعتهم وحبك للصالحين يجعلك من أهل الصلاح لأنك سوف تتشبه بهم ومن تشبه بقوم فهو منهم فإذا كنت تحب محمد ﷺ وصحبه فأنت معهم فقد جاء اعرابي إلى رسول الله ﷺ وقال له يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ما عندي ما تقول أنت ولا معاذ غير أني أحب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت - ثم قال رسول الله ﷺ والرابعة لو أقسمت عليها أرجو ألا آثم لا يستر الله عبداً في الدنيا إلا ستره الله في الآخرة .

وفي حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ الصيام نصف الصبر وعلى كل شيء زكاة وزكاة الجسد الصيام " الجسد ذلك بنیان الله عز وجل في أرضه أراد الله أن يكون له تزكية فكيف يكون الصيام تزكية له ؟ إن الصائم يظل صائماً طوال النهار ثم إذا كان الليل وحان موعد الإفطار فإنه لا يفطر إلا على حلال لا يفطر إلا من كسب طيب حتى يكون تزكية للجسد كما أمر الله عز وجل أن يكون الصيام زكاة للجسد ولنعلم أن دين الإسلام يحض ويرغب في الكسب الحلال الطيب الذي لا يداخله حرام سواء في رمضان أو غير رمضان وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نعلم أنفسنا وأبناءنا أن يكون طعامهم من حلال فإنه عندما رأى حفيده الحسين وهو طفلاً صغيراً يلتقط ثمرة من تمر الصدقة أخذ على يده وهي مجرد ثمرة وهو لا زال طفلاً لا يعي ولكنه نزعها منه ووضعها في مال الصدقة وهو يقول له كخ كخ نحن آل محمد لا نأكل الصدقة ، فكانت تلك من تعاليم رسول الله ﷺ للأطفال منذ الصغر حتى يشب الطفل على حب الخير وعلى حب الحلال الذي لا يداخله شبهة حرام ومنه تعلمنا أن نربي أبناءنا على ذلك النهج حتى يشبوا عليه فيبتعدوا عن كل ما هو حرام فيكون

ذلك التعليم واجبا على كل مربى لأنه لو لم يعلمه رجع الوبال والإثم عليه لأنه قصر في تربيته وتعليمه ، وكذلك من هذا الموقف تعلمنا أن من يأخذ الصدقة وهو غير مستحق لها ولا في حاجة لها يكون أكله لهذه الصدقة حرام لأنه أخذ شيئا ليس من حقه ، والله عز وجل يقول ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ آل عمران 161 وكذلك يقول الله عز وجل ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ المطففين 1 - 3 وأغلب الناس تظن أن هذه الآية نزلت فقط في الوزن والكيل ولكن شرحها أعم وأشمل من ذلك فإذا كنت موظفا لا تؤدي العمل المطلوب منك على أكمل وجه وكما يجب أن يكون تكون من المطففين وكل شيء تأخذه من غير حل لك فيه فأنت من المطففين ، ورسول الله ﷺ يقول إن الله عز وجل أمر عباده المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۚ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ المؤمنون 51 وكذلك يقول الله عز وجل للذين آمنوا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ .﴾ البقرة 172 ثم ذكر رسول الله ﷺ الرجل يخرج أشعث أغبر يرفع يديه إلى السماء ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام ويقول يا رب فأنى يستجاب له ، كان من أسباب عدم اجابة الدعاء الأكل الحرام ورسول الله ﷺ يقول أن الرزق الحرام لا ينفع في الدنيا ولا في الآخرة حتى وإن تصدق به الرجل كله ولو أخرجه في سبيل الله فإنه لا يقبله الله لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، ويقول رسول الله ﷺ إن الله عز وجل يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب ولكنه لا يعطي الدين إلا لمن يحب ، يعطي متاع الدنيا من الأموال وغيرها للمؤمن والكافر كما نجد اغنى الناس في الدنيا من اليهود وبعدهم النصارى ومن على

شاكلتهم ومنهم من ليس له دين ولا ملة ومنهم من يعبد غير الله فالله يعطي الدنيا لهذا وذاك ولكنه لا يعطي الدين إلا لمن يحبه ويحب له الخير والهداية والفوز في الدنيا والآخرة لأنه هداه إلى فعل الخيرات والحرص على الصلاة والزكاة والصيام وسائر الأوامر والنواهي في دين الإسلام فذلك الذي أحبه الله عز وجل ، ثم يقول رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه - لا يقول إنسان إنني مسلم حتى يكون لسانه مسلماً وقلبه مسلماً أي بالفعل وليس بالقول - ولا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه وما اكتسب عبد مال من حرام فينفقه فيبارك له فيه - البركة منزوعة من المال الحرام نجد من عندهم المليارات في شقاء وفي خوف ورعب على هذا المال ولا يميتهم الله عز وجل إلا وقد جعلهم مثلاً للأولين والآخرين - فيبارك له فيه أو يتصدق به فتقبل صدقته - لا يقبل الله عز وجل منه هذه الصدقة وإن قدم ماله كله فإنه مردود عليه ولا يتركه إلا كان زاده إلى النار هو الوقود الذي يصلى به في نار جهنم والعياذ بالله - إن الله لا يمحو الخبيث بالخبيث ولكن يمحو الخبيث بالطيب .

وقد كانت المرأة من الصالحات في العصور السابقة إذا خرج زوجها لطلب الرزق تودعه وتقول يا فلان لا تطعمنا من حرام فإننا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار .

الربا الذي حرمه الإسلام

عندما بعث الله عز وجل رسول الله ﷺ بالرسالة في مكة كان أهلها في جاهلية يتعاملون في أمور لم ينزل بها تشريع من قبل وكان من هذه الأمور التعامل بالربا وبخس البضائع وبظلم الناس بعضهم بعضاً ورسول الله ﷺ قبل أن تنزل عليه آيات وهو في مكة يقول الله عز وجل فيها ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ الروم 39 كانت هذه الآيات أول ما نزلت نزلت في مكة قبل أن يكون تشريع وقبل أن يكون حرام وحلال فكيف نزلت ولماذا نزلت ؟ فإنها ما أنزلت من فراغ فقد نزلت لأن أهل الجاهلية كانوا يتعاملون بالربا ولا يراعون الضعفاء وذوي الحاجة كانوا يريدون الثراء من أي طريق يمتصون دماء الناس والدليل على أنهم كانوا يتعاملون بهذه الأعمال أن وهب بن عمرو بن عامر وهو رجل من أهل الشرك عندما أرادوا بناء الكعبة بعد أن تهدم بعضها فأرادت قريش أن تعيد البناء تلك البناية التي فيها قصة حمل محمد ﷺ للحجر الأسود ، وهب بن عمرو بن عامر عندما طلب من أهل قريش التبرع والمساهمة في بناء الكعبة فقال لهم لا تدخلوا في بناءها من كسب إلا ما كان طيباً أي لا تدخلوا في بناء الكعبة من مكاسبكم من أرباحكم إلا ما هو حلال طيب ثم يقول لا مهر بغي ولا ضيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ، إذن من هذه الكلمات نعلم أن الناس في الجاهلية وقتها كانوا يتعاملون بهذه الأمور والكسب البغي هو التعامل في الزنا واستحلال أجور البغايا فكان يقول لهم ذلك مال حرام فلا تدخلوه في بناء الكعبة وكذلك قال لهم عن أموال الربا فإنها أموال

حرام ، كان ذلك قول رجل من أهل الشرك قبل أن تكون رسالة الإسلام وقبل أن تنزل آيات تحرمه إذن هذه الآية نزلت وكان ذلك الأمر معلوماً ونزلت في مكة وأهل مكة من المسلمين لا زالوا ضعفاء وفقراء يستغل الأقوياء والأغنياء من المشركين حاجتهم وفقرهم .

خرج رسول الله ﷺ إلى المدينة وفي المدينة يتواجد فيها يهود وما كانوا من أهلها أو أصحاب أرض فيها ولكنهم جاءوها هرباً من البطش والإضطهاد الروماني لهم فإن الإمبراطورية الرومانية كانت أشد عداوة لليهود فما كان لهم حصن يلجأون إليه إلا ذلك المكان في يثرب ، ولما دخل رسول الله ﷺ المدينة وجد هؤلاء الذين لا نجد نقيصة أو فجوراً منذ خلق آدم وإلى قيام الساعة إلا وهم فاعليها فنجد البهتان منشأه اليهود فوجد اليهود في المدينة يتعاملون في الربا وما نقل أهل مكة الربا إلا عن طريقهم رغم أن هؤلاء اليهود حرم الله عز وجل عليهم الربا في التوراة كما حرمه عليهم بعد ذلك نبي الله عيسى عليه السلام عندما دخل عليهم الهيكل في بيت المقدس كما يقول راوي القصة فيضرب موائد الصيارفة أهل الصرف أهل الربا جعلوا بوائقهم في بيت المقدس في داخله وما أمرهم الله بذلك بل نهاهم عنه يضرب موائد الصيارفة ويقول كتبت بيتي بيت عبادة وأنتم جعلتموه وكر لصوص فهل نصدقهم هذه الأيام عندما يطالبون ببيت المقدس هل حباً واحتراماً له ولكنها حجج يريدون منها طمس دين الإسلام وحربه ، ذلك الفعل وجده رسول الله ﷺ يفعلها اليهود وهو محرم عليهم والدليل على تعاملهم هذا أن رجل من يهود فنحاص قال للصديق ﷺ كلمات قبيحة ولكننا نعرضها لتعلم ونعلم من هم اليهود فإنها عقول الآباء التي جاء بعدها هؤلاء الأبناء ، جاء فنحاص إلى أبي بكر الصديق ﷺ قال ما بنا إلى الله من فقر وإنه إلينا

لفقير وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإنا عنه أغنياء وما هو عنا بغني
يحرم الربا ويعطينا أي إنهم أغنياء عن الله لا يرفعون أيديهم إليه بالدعاء
ولكن الله عز وجل يحتاج إليهم وكبرت كلمة تخرج من أفواههم وهذا
هو نهجهم ومعتقدهم يقولون أن الله حرم علينا الربا وهو يطلب منا الربا
من أين أتى بها هذا السفیه أتى بها من كتاب الله عز وجل في قوله
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۖ﴾
البقرة 245 ذلك الجاهل لم يعلم أن القرض الذي قرضه الله عز وجل
قرضه من أغنياء الناس يرد على فقراء الناس فما كان الله عز وجل
يريد منا أن نطعمه أو ننصره والله عز وجل يقول ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ
الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ . إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ
جَدِيدٍ . وَمَا ذَا لَكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ فاطر 15 - 17 كلام هذا السفیه
يدل على أنهم كانوا يتعاملون بالربا وكان ذلك نهجهم في ذلك الوقت
وبعد وصول رسول الله ﷺ المدينة تنزل هذه الآيات يقول الله عز وجل
﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ
سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا . وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ
بِالْبَاطِلِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ النساء 160 - 161
أخذهم الربا وقد نهوا عنه ثم يأتي بعد ذلك بأنهم كانوا يأكلون أموال
الناس بالباطل يبيعون الدينار بدينارين والدرهم بدرهمين فتتضخم
ثروتهم ، ويستمر التحريم وتنزل على رسول الله ﷺ آيات يقول الله
عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ آل عمران 130 - 132 كانت هذه
الآيات بعد التي نزلت من قبل ولنعلم أن ترتيب المصحف غير ترتيب
النزول ، نزلت هذه الآيات تقول لهؤلاء الناس لا تأكلوا الربا أضعافاً

مضاعفة ويأتي ناس في هذه الأيام يقولون أن الذي نهينا عنه ربا التضاعف أن يتضاعف رأس المال أضعافاً كثيرة أما إذا كان أقل فلا حرمة فيه من أين أتوا بها لا ندري ، والله عز وجل في كتابه العزيز يأتي بسور فيها إعجاز فكان المراد من هذه الآية أن هؤلاء اليهود كانوا يتعاملون بتلك المضاعفات في الأموال فكان التحريم للتضاعف حتى يشمل هؤلاء اليهود وليس للمضاعفة فقط وإنما لجنس الربا كله .

قبل أن ينتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى بتسعة أيام كما جاء في أغلب كتب التفسير وكما جاء في تفسير بن كثير نزل قول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ البقرة 278 وذلك حتى لا يأتي آت ويقول النهي كان عن الأضعاف المضاعفة وقد خاطب الله عز وجل المؤمنين الذين هم من أهل التقوى والتوحيد لا يتعاملون بتلك المعاملات فقد كان عمر رضي الله عنه يقول لقد تركنا تسعة أعشار البيع مخافة أن نقع في الربا ، كان ذلك من شدة التقوى والخوف من الله عز وجل أن تركوا تسعة أعشار الحلال مخافة أن يقعوا في نوع واحد من الربا ، وكان عمر رضي الله عنه يطلب من التجار الذين يتعاملون في الأموال أن يتعلموا الفقه وكان يقول لا يتجر في سوقنا إلا فقيه حتى يكون على علم ودراية تامة بالبيع ولا يقع في المحظور منها فيقع في ولو جزء من الربا .

أمة محمد ﷺ أمة علماء وأهل معرفة والحكمة هي طريقهم وسبيلهم في أي مكان كانوا أخذوها .

واستقر التحريم وكان لكل جنس الربا ، وفي حديث رواه أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح وهاء بهاء

مثلاً بمثل من زاد أو استزاد فقد أربى " ومعناه تحريم الربا الذي كان يتعامل به وقتها اليهود وأهل الشرك وكان على ثلاثة أشكال أولها كان الواحد من الناس يذهب إلى اليهودي أو المشرك ويقترض منه قرضاً ويشترط عليه أن يؤدي إليه كل شهر نصف صاع من الملح والنوع الثاني يشترط عليه أن يعطيه مائة جنية على أن يؤديها له مائة وعشرة إذا حل موعد القضاء فإذا لم يقضي في الميعاد قال له صاحب المال أزيد عليك عشرة وهكذا حتى يتضاعف المبلغ ، وكان النوع الثالث كان اليهود وهم في المدينة أعمالهم وتجارتهم وشغلهم أغلبه في الذهب وقد اشتهر بنو قينقاع بالتجارة فيه وكان لديهم خزائن موثقة لها مفاتيح وفي أماكن حصينة لا يستطيع لص أن يسرقها فكان أصحاب الأموال من العرب يحضرون إلى هؤلاء الصاغة أموالهم فيضعونها في هذه الخزائن الحصينة مقابل أجر يدفعونه لهم ، هذه الأموال عرف اليهود وهم أهل مكر أن أصحابها لا يطلبونها باستمرار بل يتركونها مدة من الزمن فاستفادوا من ذلك وعرفوا أن نسبة استرداد هذه الأموال عشرة في المائة واخترعوا صكوكاً يتعاملون بها فكانوا إذا جاءهم من يقترض أعطوه ذلك الصك وليس عندهم له وفاء إنما الوفاء في عشرة فقط ، هذه الأنواع من الربا إنما نزلت الآيات لتحريمها ، كما كان هناك نوعاً من الربا يقولون عليه ربا الفضل إذا اقترض أحد صاعاً من تمر يرده صاعين من تمر أو أي نوع من الحبوب المتداولة عندهم حتى وإن كان ذلك في نفس المجلس وقد يكون مؤجلاً فنهى رسول الله ﷺ أيضاً عن هذه المعاملة سداً للذريعة حتى لا تؤدي إلى الربا المحرم في دين الإسلام .

دولة محمد ﷺ يحميها تشريع دين الإسلام والناس فيها أموالهم مصانة وحقوقهم مكفولة ما داموا يتمسكون بكتاب الله عز وجل وسنة

رسوله فإن رسول الله ﷺ قال ما استحلقت قرية الزنا والربا إلا أنزل الله عليهم عذاباً من عنده " وهذه الأنواع من الربا انقرضت في دولة محمد ﷺ ولنعلم أن النصارى كانوا يتعاملون بالربا مثل اليهود لأن رسول الله ﷺ عندما صالح أهل نجران التي كان يقطنها نصارى ضرب بينه وبينهم معاهدة من شروطها ألا يأكلوا الربا ولا يتعاملون به فمن أكله فقد برأت منه الذمة ، ذمة الله عز وجل ورسوله وكان في حل من هذه المعاهدة .

ولكن هذه المعاملات عادت مرة ثانية إلى بلاد الإسلام وإن اختلفت مسمياتها وأشكالها مع الحروب الصليبية واحتلالهم لدول الإسلام وكانت أوروبا بدولها تتزعم تلك الحروب الإستعمارية فكان أول بنك أنشيء في مدينة البندقية سنة ألف ومائة وسبعة وخمسين ميلادية ذلك البنك هو الذي كان يمول تكاليف تلك الحروب وجاءوا بهذه المعاملات معهم التي تهدف إلى استنزاف الموارد والثروات حتى يتم إضعاف هذه الدول التي يستعمرونها فلا تقوى على حربهم ، والمرابي يأخذ أموال الذي يستقرض منه فيثري على حسابه وقد حدث ذلك مع كل الدول التي استعمروها في البداية يأتون إليهم بالقمح والشعير ثم يحضرون السلع الإستهلاكية التي لا فائدة منها ليغرونها بشراءها ويكون الدفع مؤجلاً بأضعاف السعر الأصلي وعندما لا يكون وفاءً لهذه الديون يترسخ الإستعمار في هذه الدول ويكون الوفاء من مواردها التي أنعم الله عليها بها وفاءً لتلك الديون .

والحكمة من تحريم الربا في دين الإسلام حكمة بالغة أرادها الله عز وجل ولكنها قد تخفى عنا هذه الأيام بصنع صانع فإن رسول الله ﷺ يقول في حديث له درهم واحد ربا أشد عند الله عز وجل من ستة

وثلاثين مصيبة خطيئة الزنا " فكان درهم واحد من الربا يعادل فعل الفاحشة وارتكاب الزنا ستة وثلاثين مرة فكيف يكون حسابه وعقابه ، ويقول رسول الله ﷺ الربا تسعة تسعين باباً أخفها أن يأتي الرجل أمه - هو أيسر معاملة في الربا وكأن الرجل قد أتى أمه ، والربا كما حرمه رسول الله ﷺ كما جاء عن علي رضي الله عنه قال الدينار بالدينار والدرهم بالدرهم ولا تفاضل بينهما " إذا كان رأس المال دينار تأخذ مقابله دينار - وإذا أردت صرف ورق بذهب فهو جائز ويكون في المجلس الواحد " أي يكون في معاملة واحدة أما إذا تأجل فالأصل فيه أن تكون النسبة من الريح وليس من رأس المال فإن رسول الله ﷺ يقول لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين فإني أخاف عليكم أن تقعوا في الربا " والله عز وجل يقول - ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۚ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ ۖ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة 275 وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ آكل الربا يقوم يوم القيامة مجنوناً يعرف بين الناس " كما أن أهل الصلوات وأهل السجود يعرفون بسيماهم في وجوههم من أثر السجود كذلك الذين يتعاملون بهذه المعاملات التي حرمها الله عز وجل لهم علامة تلك العلامة انهم يقومون من قبورهم كمجنون يخنق وكل أهل المشهد ينظرون إليه ويعلمون أنه ممن تعاملوا بتلك المعاملات التي حرمها الله عز وجل ، لذلك لعنة الله على اليهود الذين جاءوا بهذه المعاملات التي تدخل الناس جهنم والعياذ بالله وإذا قيل لهم لما تتعاملون بها وتعلمون أنها محرمة قالوا إنما هي محرمة فيما بين بعضنا بعضا وجاءت التوراة كما قالوا وذهبوا إن استقرضك أخاك فلا تقم له قيام الدائن ولا تأخذ منه

ربحاً لملك ، والأخ هنا يقصدون به اليهودي لليهودي أما سائر الناس فقالوا عنهم ليس علينا في الأميين سبيل لذلك استحلوا أموال سائر الناس وأعراضهم واستباحوا قتلهم فهل نخرج من الأمية والجهل ونتعلم أمور ديننا حتى لا نؤخذ من هذا الباب فإن أول ما خاطب الله عز وجل أمة محمد ﷺ قال اقرأ .

تابع الربا

يقول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.. فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتِغُوا فَلََكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ . وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة 278 - 280 وكذلك يقول الله عز وجل ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ البقرة 281 كانت هذه الآية آخر ما نزل على رسول الله ﷺ اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله آخر الآيات أنه لا ظلم عند رب العالمين إنما هي أعمالكم يحصيها عليكم فمن وجد في كتابه خيراً فخير وإن وجد في كتابه غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، وقد قال رسول الله ﷺ لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به خوفاً من الوقوع فيما به بأس " وكذلك يقول رسول الله ﷺ دع ما يريبك إلى ما لا يريبك البر ما أطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس " وعمره ﷺ قال تركنا تسعة أعشار الحلال مخافة أن تقع في الحرام " تركوا تسعة أعشار الشيء المباح مخافة الوقوع في المحظور المحرم ، ورسول الله ﷺ عندما أراد أن يمهد للناس ويربيهم على ألا يتعاملوا في الربا حتى يسلكوا طريق الصلاح والفلاح .

وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع يسمى بيع العينة فقال إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة واتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله فليترقبوا عذاباً من عنده لا يرفعه حتى يُراجعوا دينهم " فما هو البيع بالعينة الذي نهى عنه رسول الله ﷺ حتى لا يقترب من الربا فقد جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن جاءت من تقول لها يا أم المؤمنين إني دفعت لزيد بن أرقم شيء على ثلاثمائة من العطاء ثم إن زيد احتاج لهذا المال فباع لي ذلك العقد بثلاثمائة درهم قالت أم المؤمنين رضي الله عنها التي كانت تعلم مراد رسول الله ﷺ والتي كانت على فقه وبصيرة وهذه المسألة سقطت عن زيد بن أرقم وما كان ليسقط فيها ولكنها من المتشابهات التي أمرنا أن نتجنبها قالت قولي لزيد بن أرقم أنه قد أسقط جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب قالت يا أم المؤمنين أرأيتني إن أخذت الستمائة وتركك المائتين قالت ومن جاء موعظة من الله فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله " قول أم المؤمنين هنا في هذه المسألة التي حرمها لكي لا تقع في الربا قالت له إن فلاناً هذا اشترى منك سلعة معينة بثمانمائة جنيه إلى أجل بعد شهرين أو ثلاثة ثم احتاج إلى مال السلعة فجاءك يقول لك اشترى هذه السلعة بستمائة فيكون الستمائة هنا هي أصل المبلغ وعندما أراد تحصيلها فحصلها بثمانمائة فتكون المائتين هي الربا الذي حرمه الله عز وجل ، لذلك نهينا عن التحايل في هذه الأمور حتى لا نأكل الربا حتى لا نقع في لعنة الله عز وجل كما لعن رسول الله ﷺ اليهود في يوم من الأيام قال لعن الله اليهود حرم عليهم الربا وحرم عليهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا ثمنها " الله عز وجل حرم على اليهود الدهون والشحوم فجاءوا بها وجعلوا منها تماثيل ودمي ثم باعوها وأخذوا ثمنها وأكلوا به فكان ذلك التحايل سبباً من أسباب لعن الله عز وجل لهم وهم ملعونين إلى يوم

القيامة إلا إذا تابوا وأصلحوا ودخلوا في دين الإسلام وآمنوا بمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، ومن التحايل المنهي عنه أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وكان حبر هذه الأمة وكان من أكثر الناس فهماً لمراد الله عز وجل ورسول الله ﷺ فقد نهى عن بيع الدراهم بالدراهم وبينهما حرير ومعنى ذلك أن إنسان يريد أن يشتري دراهم بدراهم هذا هو الأصل ولكنه يحتال يأتي بقصاصة من حرير ويدعه من الدراهم التي عنده ويقول له بكم تشتري درهمي وحريري فيقول بدرهمين أو بثلاثة فكانت هذه من الحيل التي نهى عنها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، فكان النهي عن كل هذه الحيل سداً للذرائع وتجنباً للمتشابهات من المعاملات حتى لا نسقط في الربا المحرم .

والربا الذي حرمه الله عز وجل وحرمه رسول الله ﷺ هو كل زيادة مشروطة على رأس المال تعد ربا وأجمع علماء أهل الإسلام كما نقلوا عن رسول الله ﷺ أن كل زيادة مشروطة بالسلف تعد ربا أي كل نسبة على رأس المال إذا كانت بشرط أي يقول أعطني جنيها وأعطك فيه ثلاثة بالمائة أو سبعة أو عشرة أو أي نسبة كانت فإن هذه الزيادة تكون من الربا الذي حرمه الله عز وجل ورسوله وأجمعت عليه الأمة ، وكما جاء على لسان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن كل زيادة مشروطة بالسلف ربا ولو كانت صاعاً من شعير ، تلك الزيادة نهى عنها أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه سداً للذريعة أيضاً عندما عرضت عليه مسألة جاءه رجل وقال له يا أمير المؤمنين ما تقول في رجل أسلف طعاماً إلى أجل واشترط أن يقبضه في بلد كذا - المسألة هنا فيها مفارقة ولننظر كيف نتعامل هذه الأيام حيث يجب علينا أن نتعلم أمور ديننا جيداً يقول أن فلان اشترى قدر معين من الطعام كيلة مثلاً واشترط أن يوفيه تلك الكيلة ولكن في مكان آخر - قال عمر رضي الله عنه إني أكرهها وأين حق الجمل "

كان يومها حق الجمل وأين الحقوق هذه الأيام لأن الجمل هو الذي تحمل مشقة الحمل والنقل ، وقد جاء رجل إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنه وقال له أرايت يا أبا عبد الرحمن لو أسلفت رجل طعاماً على أن يعطيني أفضل منه فما تقول فيها قال إن السلف على ثلاثة أوجه سلف تريد به وجه الله عز وجل فلك وجه الله وسلف تريد به وجه صاحبه فلك وجه صاحبه وسلف تريد به أن تأكل خبيثاً فذلك الربا الذي نهانا عنه الله عز وجل ورسوله ، فكان النهي عن كل زيادة على أصل الشيء المقترض فقال الرجل فبما تأمرني يا أبا عبد الرحمن قال آمرك أن تمزق الصحيفة أي الصحيفة التي دون فيها هذا الشرط فإن رد لك مثل ما أخذ قبلت وإذا رد لك أقل مما أخذ فأجرك عند الله وإذا زادك أكثر مما أخذ منك طيبة بها نفسه فذلك شكر شكره لك " هنا معناها أن الفضل الذي عاد به إليك لم يكن مشروطاً فهو مباح من أين أتى بها عبد الله بن عمر رضي الله عنه فإن الصحابة ما كانوا يتكلمون من أنفسهم أو من رأيهم وما كانوا يحلون أو يحرمون جزافاً ولكنه جاء بها من حديث لأبي هريرة رضي الله عنه ورد في صحيح البخاري ومسلم يقول جاء رجل يتقاضى رسول الله ﷺ فأغلظ له القول فهم به الصحابة فقال لهم رسول الله ﷺ إن لصاحب الحق مقالا اشتروا له جملاً قالوا ما وجدنا إلا خير من جملة قال أعطوه إياه فإن خيركم أحسنكم قضاءً " ومعنى ذلك أن رسول الله ﷺ قد استلف بكرةً من رجل أي ناقة بكر فجاءه ذلك الرجل ليقضي إليه دينه ولكنه طلبه بغلظة وحدة فهم الصحابة أن يقتلوه فمنعهم رسول الله ﷺ عن ذلك وقال إن لصاحب الحق أي الدائن مقال أي إنه صاحب حق وأمرهم أن يشتروا له جملاً مثل جملة فقالوا ما وجدنا إلا أحسن منه أي لم يجدوا جملاً مثل جملة الذي سلفه بل ما وجدوا إلا أحسن منه فقال لهم أعطوه إياه فإن خير الناس أحسنهم قضاءً فكان الذي منع أن يكون ذلك ربا

أن ذلك القضاء الذي دفعه مع الزيادة هو لم يطلبها ولكنها كانت من حسن الرد من المديون .

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها جاءت إلى رسول الله ﷺ وقالت إن الجيران يستلفون الردة والخمير ويردون ذلك زيادة ونقصاً فقال لا بأس ذلك من البربين الناس " أي ذلك من الجود والكرم ولا يقصد به الفضل والزيادة ولو كانت النية هنا الفضل والزيادة فقد وقع في الربا فإن رسول الله ﷺ قال في حديث له الربا تسعة وتسعين باباً أدناه وأيسره وأخفه أن يأتي الرجل أمه والعياذ بالله "

إن دين الإسلام إذا حرم شيئاً فإن كل وسيلة تؤدي إليه مثله حرام فإن كل ما أدى إلى حرام فهو حرام كما أن كل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وصحابة رسول الله ﷺ وهم أهل تقوى كانوا يدعون ما يريهم إلى ما لا يريهم كانوا يدعون الحلال مخافة أن يقعوا في الحرام ، وقد مرت بأمة الإسلام الأعوام وجاءت ناس لا تبالي ولا تهتم الذي يأكلونه هل هو من حلال أم من حرام بينما رسول الله ﷺ يقول كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به .

وهناك قاعدة في دين الإسلام ما كانت حديثاً إنما هي من قواعد الفقه تقول كل قرض جر نفعاً فهو باب من أبواب الربا ، أي أن كل رأس مال جر زيادة عليه فهو وجه من أوجه الربا وإن تعددت المسائل والألفاظ فكانت تلك القاعدة لكي نقيس عليها كل معاملاتنا ، وعمره ﷺ أرسل إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه بتلك القاعدة قال له يا أبا موسى الفهم الفهم فيما يدور في صدرك إما لا تجده في كتاب ولا سنة ثم تنظر إلى النظائر " أي تقيس على مثله فإن كان في كتاب الله أو سنة رسوله فلا اجتهد ولا قياس ولا قول لقائل إنما هو قرآن يتلى وسنة

صحيحة مثبتة دونت عن سيد المرسلين إلى الإنس والجن أجمعين ،
فكانت تلك القاعدة من قواعد القياس في دين الإسلام الذي منع
التحليل حتى لا يأكل الناس أموال بعضهم البعض بالباطل .

وما كان إباحة القرض في دين الإسلام إلا للتيسير عن المعسر
وقضاء حوائج الناس وتفريج الكروب عنهم والقرض إما قرض استهلاك
وإما قرض إمداد وقرض الإستهلاك أن تستدين حاجة ملحة ضرورية
مثل الطعام والشراب أو لأي مصيبة ألت بك تستقرض لتقضي هذه
الحاجة الضرورية فكان ذلك القرض مباح ويكون قرضاً حسناً فيه
تأليف بين قلوب العباد فرسول الله ﷺ يقول من فرج عن مسلم كربة من
كرب الدنيا فرج الله عز وجل عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن
ستر مسلماً في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما
دام العبد في عون أخيه " وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : قال رسول
الله ﷺ قرض مرتين يعدل صدقة " أي إذا أقرضت إنساناً قرضاً ثم رده
إليك ثم اقترض مرة ثانية ثم رده إليك فيكون كأنه تصدق بقيمة هذا
القرض رغم انه قبضه ، وفي حديث رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ رأيت مكتوباً على باب الجنة ليلة أسري بي الحسنة بعشرة
أمثالها والقرض بثمانية عشر ضعفا فقلت يا جبريل ما بال الحسنة بعشرة
أمثالها وما بال القرض أفضل منها ويعود على صاحبه قال جبريل لأن
السائل يسأل وقد يكون عنده أما المقترض فلا يقترض إلا لحاجة " لذلك
يجب أن نعلم أن القرض في دين الإسلام ما كان مباحاً إلا لأمر ضروري
فإن رسول الله ﷺ يريد أن ينأى بأمته عن التواكل وأن تكون عالية
تتكف الناس الطعام فقد قال في حديث له يقتض من الذي عليه الدين
يوم القيامة إلا من تدين في ثلاث رجل أصابه ضعف فاستقرض ليتقوى

على عدو الله وعدوه - رجل يجاهد في سبيل الله وضعف عن ملاقاته الأعداء فهو يقترض ليتقوى على مجابهة ذلك العدو فذلك القرض مباح وإذا كانت الدولة تريد أن تشتري معدات عسكرية فإنه مباح - ورجل مات عنده مسلم فلا يجد ما يكفنه إلا بدين ورجل يريد أن ينكح ليعف نفسه " هؤلاء الثلاثة يؤدي الله عنهم يوم القيامة ، وجاء في حديث آخر عن رسول الله ﷺ قال فيه يؤتى بالذي عليه الدين يوم القيامة حتى يوقف أمام رب العالمين فيقول له لماذا أخذت أموال الناس فيقول يا رب إنك تعلم أنني ما أخذت هذه الأموال لطعام أو شراب أو كسوة إنما ألم بي ضرر فيقول الله عز وجل قد صدق عبدي فيؤمر بشيء يوضع في كفة حسناته فترجح بفضل الله عز وجل ، من هنا نعلم أن من استقرض فلا بد أن يكون لضرورة ومن أخذ القرض يجب أن يكون في نيته السداد والقضاء لأن رسول الله ﷺ يقول من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عز وجل عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله " ولنعلم أن ذلك القرض المأخوذ بنية الرد والسداد يجب ألا يكون مشروطاً بزيادة ولا يشترط فيه تفاضل فإن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ الدينار بالدينار والدرهم بالدرهم لا تفاضل بينهما " فكان ذلك هو قرض الإستهلاك القرض الحسن فقد كان رسول الله ﷺ إذا جاءه المتوفى وعليه دين لا يصلي عليه حتى يسددوا عنه دينه حتى لا يكون مات وعليه ديناً فيكون أكلاً لأموال الناس لذلك كان يقول من مات وترك مالاً فلورثته ومن مات وترك ديناً وضياعاً فأليّ وعليّ " أي على الدولة وعلى ولي الأمر سداد ما على هذا المتوفى الفقير المعدم من ديون وكذلك تعول أولاده تحميهم من الضياع إذا كان ليس عنده وفاء للدين أو ما يعول أولاده من بعده ، والنوع الثاني من القروض هو قرض إنتاج وهو أن تأخذ مالاً تريد أن تستثمره وتتميه ولكن هل معنى ذلك أن تأخذ

قرض مائة جنيهاً وتردها مائة وعشرة لا والله إنما كان في دين الإسلام الشركة وشركة الأبدان تحض على أن ندفع الأموال ونهينا عن كنزها والله عز وجل يقول ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التوبة 34 ما أمرنا بكنز الأموال ولكن بالتعامل فيها يكون مرابحة فإن هناك قاعدة شرعية تقول كل نسبة على رأس المال حرام وأي نسبة من الربح حلال أي أنك إذا اشترطت أن تدفع لواحد من الناس مائة جنية وتأخذها مائة وواحد كان ذلك الجنيه حرام وإذا اشترطت أن تدفع له مائة جنية وتكون شريكاً في الربح الناتج بأي نسبة طالما فيها تراض واتفاق فيكون ذلك حلال مباح .

ولنعلم أن الذين يتعاملون في الربا توعدهم الله عز وجل بحرب من الله ورسوله فهل هناك قوة تحت عرش الرحمن تستطيع أن تقف أمام الجبار أو ترد كيده والله ما يكون ذلك أبداً .

اللقطة

قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه لواحد من أصحابه تعال نؤمن ساعة فقال له صاحبه ألسنا بمؤمنين قال نذكر الله عز وجل فنزداد إيماناً ، فكان ذكر الله عز وجل فيه زيادة في الإيمان وبه تطمئن القلوب ومن أعظم الذكر أن يتواجد الإنسان في مجالس العلم فإن دين الإسلام هو دين العلم هو الدين الذي بدأ الوحي فيه باقراً فكان المطلوب من رسول الله ﷺ أن يقرأ وكان معلمه هو جبريل عليه السلام بأمر من الله عز وجل ، وفي دين الإسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ففي يوم من الأيام شاهد رجل الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ومعه القلم والمحبرة فقال له وأنت يا إمام تمشي بالمحبرة قال له بالمحبرة إلى المقبرة فكان في ذلك كناية عن أن طلب العلم لا يتوقف عند حد معين أو سن أو مكانة ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ يا أبا هريرة تعلم القرآن وعلمه للناس فإن مت على ذلك زارت قبرك الملائكة كما يُزار البيت العتيق وإذا أردت ألا تقف على الصراط طرفة عين فعلم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك - لأن رسول الله ﷺ يعلم أن ذلك ثقیلاً على الناس أن يجتهدوا لتلقي العلم .

من الأمور التي يجب أن نتعلمها لأنها تحدث لكثير من الناس ولا يعرفون كيفية التصرف فيها موضوع اللقطة وهي أن نجد في الطريق شيئاً فنلتقطه ونأخذه فما حكمه وكيف نتصرف فيه ونتعامل معه ، وتعريف اللقطة هي كل مال معصوم معرض للضياع لا يُعرف مالكة ، شيء له قيمة حتى وإن كان قيمته قليلة إنما هو مال معصوم معرض للضياع ، وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما

حذرا أهل الإسلام من إلتقاط شيئاً وأخذه حتى وإن كان يريد أن يحفظه لصاحبه وذلك لأن رسول الله ﷺ شدد في هذه المسألة فيكون التعامل معها أن أول شيء أن تُعرف هذا الشيء أن تنادي عليه تقول بين الناس إني وجدت شيئاً فمن ضاع منه شيء فهو عندي يعرفه قبل أن يأخذه وأقل تعريفه ثلاثة أيام ويعرفه في المكان الذي التقطه منه وكلما زادت القيمة زادت أيام تعريفه حتى تصل إلى سنة و ثلاث سنوات فإلى أي مدى يتحمل تلك المشقة ، يقول رسول الله ﷺ في الذي يجد الدرهم والحبل أي حبل الدرهم قدره جنيهاً هذه الأيام فمن وجد درهم أو حبلاً فليعرفه ثلاثة أيام وإذا كان فوق ذلك فليعرفه سبعة أيام وتطول المدة كلما علت القيمة حتى تصل إلى ثلاث سنين ، وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال وجدت صرة بها مائة دينار فذهبت بها إلى رسول الله ﷺ فقال عرفها سنة فعرفتها سنة فلم يطلبها أحد فأتيت بها رسول الله ﷺ فقال عرفها سنة ثم أتيتها فقال عرفها سنة ثم أتيتها فقال استتفقا سنة ثم سنة ثم سنة " وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال سئل رسول الله ﷺ عن لقطة الذهب والورق فقال اعرف عفاصها ووكائها - أي تعرف حجمه وقيمه ووضعه وتربط عليه ولا تخرج منه شيء - ثم عرفها سنة ولتكن وديعة عندك فإن لم يأتي ربها فلتكن وديعة عندك فإذا لم يأتي ربها فاستفقا ثم إذا جاء يوماً من الدهر فأدها إليه - وذلك لأن دين الإسلام لا يبيح إهلاك الأموال ولا كنزها إنما هي وديعة عنده لصاحبها فله ان ينفقها ولكن إذا جاء صاحبها في أي يوم يطلبها يجب أن تؤدي إليه - ثم سئل رسول الله ﷺ عن ضالة الإبل فقال رسول الله ﷺ مالك ومالها ترد الماء وتأكل الشجر - هي تعرف كيف تقضي أمورها فاتركها حتى يأتيها ربها - وسئل عن الشاة فقال هي لك أو لأخيك أو للذئب - وعندما شرحوا هذه الأخيرة قالوا أن الشاة إذا وجدت في مكان فيه هلاك لها

مثل الصحراء أو الغابة يكون لها هذا الحكم لأن رسول الله ﷺ قال هي لك أو لأخيك أو للذئب ولكنها لا تكون بين البيوت أو في أماكن تواجد الناس ولكن في مكان موحش غير مأهول .

إذن كيف يتصرف الإنسان فيما وجده في الطريق يعرفه على باب المسجد لأن التعريف داخل المسجد ممنوع لأن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا سمعتم من ينشد ضالته في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك " لأن المساجد لا تكون لذلك ولكن يكون ذلك على باب المسجد ، وهناك ناس من أهل الفقه قالوا أن الإنسان إذا كان أميناً فإنه من الأفضل أن يلتقط هذا الشيء حتى لا يعرضه للضياع والسرقه وجاءوا بها من قول الله عز وجل ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ التوبة 71 فأنت تحفظ لأخيك متاعه حتى يأتيك السؤال كيف أتصرف فيه والذي أجاب هو رسول الله ﷺ في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله ﷺ عن اللقطة فقال عرفها سنة فإن جاء ربها فادها إليه وإلا فتصدق بها - والصدقة هنا يعود ثوابها لصاحب الشيء وبعد ما تصدقت إذا جاء صاحب الشيء يطلبه وقد علم أنه كان عندك وهو ملك له تقول له أنك تصدقت به فإن قبل تصرفك في تلك الصدقة وأجازها فقد رضي بالأجر وثواب الصدقة وكان خيراً له وإذا لم يرضى غرمها الذي تصدق بها لأنها وديعة وأمانة عنده وعندما يغرمها الذي تصدق يعود ثوابها عليه ، والمقصود أن هذا الشيء لن تملكه بحال من الأحوال لأن رسول الله ﷺ يقول من وجد شيئاً فليشهد عليه ذوي عدل ولا يكتم ولا يغير " فإذا فعل ذلك وأشهد الناس على ما وجد فما يكون له أن يبيحه لنفسه في يوم من الأيام فقد أصبح وديعة ، وهناك أشياء بسيطة قد يجدها الإنسان في طريقه لا تساوي قيمة فإن دين الإسلام فيه اليسر ومنع الحرج عن الناس فيقول جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أباح رسول الله ﷺ للرجل أن

يلتقط الحبل والعصى ينتفع بها ، وكما يحدث هذه الأيام لكثير منا في المساجد نجد اللص يدخل المسجد ثم يسرق حذاء له قيمة ويترك مكانه آخر قديم ليس له قيمة فماذا يفعل من حدث معه ذلك في الحذاء الذي تركه اللص مكان حذائه ننظر إلى الفقه في دين الإسلام الذي ما ترك صغيرة ولا كبيرة في أمور الدنيا عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال فيمن سرقت ثيابه ووجد ثياباً مكانها قال لا يأخذها هو متأكد أن اللص ترك له هذه الثياب بدلاً من ثيابه الجيدة التي سرقها ولكن لا يباح له أن يأخذها وإن أخذها يجب عليه أن يعرفها سنة ثم يتصدق بها فلننظر إلى أي مدى حاول الشرع أن يدافع عن أموال الناس ويحفظها .

وهناك من العلماء من أجاز اللقطة في كل أرض الله ومنهم من لم يجزها في مكة لأن رسول الله ﷺ عندما سُئِلَ عن لقطة الحرم قال لا تلتقط لقطتها إلا لمعرف ، كأن تجد حقيبة وتعرف صاحبها تعرف أنها لأخ لك في الرحلة أو عليها اسمه هذه فقط هي التي يباح لك أن تلتقطها أما إذا كنت لا تعرف صاحبها فلا تلتقطها ، وكذلك يسأل الناس هذه الأيام إذا وجد دجاجة أو شيئاً مثلها ماذا يفعل بها ؟ عليه أولاً أن يقدر قيمتها كم تساوي من المال ثم تكون هذه القيمة ديناً عليه لصاحبها ثم ينتفع بهذه الدجاجة مخافة أن تهلك ولك أن تُطعمها وتسقيها حتى يأتي صاحبها وتعود عليه بما أنفقت ولا يحل أن تقول وجدتها في الطريق وهي حلال لي ، وكذلك إذا وجد الطفل الذي لا يعي ولا يدرك شيئاً إذا وجد شيء على والده تعريفه ، لأن دين الإسلام يحافظ على حقوق الناس ويرعى مصالحهم حتى أنه إذا ظلت عنده الوديعة سنوات يجب أن يعرفها لورثته من بعده حتى إذا وجدوا صاحبها يؤدوا إليه أمانة ووديعة مورثهم .

اللقطة ثانياً

يقول رسول الله ﷺ المسجد بيت كل تقي وضمن الله عز وجل لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط يوم القيامة " تكفل الله عز وجل بمن كان المسجد كأنه بيته من كثرة ما يتواجد فيه بالرحمة في الدنيا والآخرة وأن يجاوز الصراط بلا مشقة أو تعب حتى يصل إلى جنة رب العالمين ، ورسول الله ﷺ كان المسجد هو كل حياته كان فيه مدارس العلم وفيه الصلوات وتلاوة القرآن وكل شؤون الدولة ، وأبو هريرة رضي الله عنه دخل السوق ذات يوم فوجد الناس فيه قد انشغلوا بأمور الدنيا من البيع والشراء والريح والخسارة فنادى فيهم بأعلى صوته أن ميراث محمد ﷺ يوزع في المسجد فأسرع الناس إلى المسجد وهم يعتقدون أن هناك توزيع أموال وعطايا ولكنهم عادوا مرة أخرى كما ذهبوا فقالوا يا أبا هريرة ما وجدنا شيئاً يوزع في المسجد فقال لهم فما وجدتم قالوا وجدنا من يقرأ القرآن ومن يتعلم علوم الدين ومن يصلي فقال لهم ذلك ميراث محمد ﷺ أراد بذلك أن يوقظهم من غفلتهم ومن السعي وراء الدنيا وغرورها ، فإن المسجد كان مجالاً لتعليم الناس وتهذيبهم حتى إذا خرجوا منه كانوا قادة يتأسى بهم الناس لأنهم يكونوا مرآة لدين الإسلام فإن رسول الله ﷺ يقول في حديث من لم تنته صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً ، فالصلاة هنا كانت هداية للناس لكي يكونوا أبعد ما يكونوا عن الفحشاء والمنكر فإذا خرج الناس بعد صلاتهم من المساجد وارتكبوا الفحشاء والمنكر فكأنهم لم يصلوا بل كانوا يراءون بها ، ورسول الله ﷺ يقول الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهاً فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام كراعي يرعى حول حمى يوشك أن يقع فيها إلا إن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في الأرض

محارمه ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كلها ألا وهى القلب " لذلك يجب علينا أن نتعلم الحلال والحرام من نهج رسول الله ﷺ فقد قال في حديث له ما كنت أعلم إلا ما علمني الله " أي ما كان يعلم شيئاً لأنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب فما كان يعلم إلا ما علمه الله عز وجل إياه وكانت الوسيلة عن طريق جبريل عليه السلام فرسول الله ﷺ نقل إلينا شرع الله عز وجل كما أراد الله ، ومن الأمور الشرعية في دين الإسلام اللقطة وهى الشيء الذي يجده الإنسان في طريقه ولا يعلم له صاحباً أو مالِكاً وهذا الشيء يخشى هلاكه إن تركه مكانه أو ضياعه والذي التقطه لا يملكه بأي صورة من الصور ففي حديث رواه عياض بن حمار ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ من وجد لقطة فليشهد عليها ذوي عدل ولا يكتم ولا يغير فإذا جاء ربها ردها إليه وإلا فهي مال الله يأتيه من يشاء " من هنا فهم بعض الناس أنه يجوز لمن وجدها أن يملكها ولكن هذا المعنى لم يدل عليه فهم كامل للحديث فقد قيل قبلها في الحديث يُشهد على هذه اللقطة ذوي عدل وطالما أشهد عليها ولم يغير ولم يبدل فيها فهذا معناه أنه أشهد الناس على أن هذا الشيء لديه بتلك المواصفات هو ليس ملكاً له ولكنه ملكاً لصاحبه وهو امانة عنده وإلا لما يُشهد عليها الناس ولا يغير فيها ولا يكتمها حتى إذا ما تعرف عليها صاحبها يأتي ليأخذها والذي أكد هذا المعنى حديث آخر جاء به زيد بن خالد الجهني ﷺ قال سئل رسول الله ﷺ عن لقطة الذهب والورق فقال اعرف عفاصها ووكائها - أي اعرف قيمتها واغلق عليها حتى تحفظها - ثم عرفها سنة فإن جاء ربها وإلا استنفقها ولتكن وديعة عندك فإن جاء ربها يوماً من الدهر فردها إليه " فكان هنا المعنى واضح تماماً أنه لا يجوز لمن وجد هذه اللقطة من الذهب أو الورق أن يأكلها ويبدها ولكن قوله استنفقها أي

يصرفها لأن دين الإسلام ينهى عن اكتناز المال لذلك هو ينفقها بعد أن علم قيمتها فهذه القيمة تظل في ذمته أمانة لصاحبها إذا جاء في أي وقت ولو بعد سنوات ردها له كما هي قيمتها فإنها وديعة عنده والإنفاق في شرع الإسلام حتى لا يكتنز الناس الأموال ولا ينفقونها فتتأثر الدورة المالية في البلد وتعم البطالة لذلك يجب على كل من لديه مال أن يتعامل به سواء في تجارة أو مشروعات أو كل نشاط اقتصادي يجلب منفعة ومصلحة لصاحب المال ولمن يعملون عنده وحوله بسبب دوران هذا المال في المجتمع ولكن مع حفظ وصيانة أموال الناس الذي هو من الواجبات التي أمرنا بها في دين الإسلام .

ولكن هل يجوز لمن وجد هذه اللقطة أن يحصل على جائزة أو مقابل من صاحبها ؟ لا يجوز له ذلك إلا إذا أعلن صاحب اللقطة عن جائزة لمن يجدها وذلك قبل أن يجدها وليس بعد أن يجدها الذي لقطها لأن تلك تعتبر أمانة لديه يجب أن يؤديها فإن له ثواب عظيم وأجر كبير عند الله عز وجل ، والإنسان المخلص يعلم أن هذا المال ليس ماله حتى أنه جاء عند المغني لابن قدامة رحمته الله أن الذي يجد اللقطة ولا يعرف صاحبها ولو لمدة طويلة حتى إذا أشرف على الموت يجب عليه أن يعلم ورثته أن تلك اللقطة ليس ملكه ولا تحل لهم ميراثها .

وكذلك الذي يجد طفلاً لقيطاً فإن إلتقاطه هو فرض كفاية ولا يجب أن يدعه الناس فيتعرض للهلاك والضياع ودولة محمد صلى الله عليه وسلم متكفلة برعايته ، وقد جاء في حديث لحنين بن جميل قال وجدت ملقوطاً على أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتيته به فشهد لي عريف بالصلاح أي الذي يعرفه شهد له وقال يا أمير المؤمنين هذا الرجل من الصالحين فلتنظر إلى كلمات عمر رضي الله عنه الذي أراد أن يجعلها درساً وعلماً

للأمة قال للرجل اذهب به أي إنك تتكفل به وذلك الملقوط هو حر ليس مملوك ثم قال له ولك ولأئه وعلينا نفقته ، هذه الكلمات تعتبر قانون الذي يتولى الصرف والإنفاق على هذا الطفل اللقيط هي الدولة المجتمع كله يتكفل بنفقته والذي وجدته عليه ولايته يربيته وينشأه على أنه حر ولا يربطه ببنوة ولكن يربيته ويحاول أن يكرمه ويقول له أن أبويك قد ماتا ذلك من شدة حرص دين الإسلام على حفظ الحقوق ، وقد جاء إلى رسول الله ﷺ الجارود بن شرحبيل رجل من الصالحين وقال له يا رسول الله أسألك الحملان أي أريد دابة أعود بها إلى بيتي إلى وطني فقال له رسول الله ﷺ ما عندي ما أحملكم عليه فقال له الجارود يا رسول الله فإننا نجد دواب من دواب الناس فهل نتبلغ بها إلى بلادنا قال إياك وإياها إنها من خرق النار - حتى الدابة التي تمشي ويجدها الناس ليس لها صاحب معها نهى رسول الله ﷺ عن استعمالها حفظاً للحقوق ، ورسول الله ﷺ يقول لا يأخذ أحدكم متاع أخيه جاداً أو لاعباً ومن أخذ عصا أخيه فليردها عليه ، وجاء هذا المعنى في حديث آخر كان رسول الله ﷺ في المسجد ووجد رجل يبحث عن نعليه وكان أصحاب هذا الرجل قد اخفوا عنه نعليه مداعبة له فقال رسول الله ﷺ لا تروعوا المسلم لا تروعوا المسلم إن روعة المسلم شيء عظيم ، لا تجعله يرتعد على شيء يظن ضياعه حتى وإن كان شيئاً بسيطاً ومن باب المداعبة فكان ذلك من جمال وكمال دين الإسلام .

وقد كان رسول الله ﷺ هو القدوة والمثل في ذلك عندما كان يريد أن يقترض طعاماً لأهله أرسل إلى تاجر يهودي اسمه أبو الشحم فقال لليهودي إن مُحمداً يريد أن يجتاح مالي وعلم بها رسول الله ﷺ فقال والله إنني لأمين في الأرض أمين في السماء ولو استقرضني لأديت اذهبوا

إليه بدرعي هذا رهناً في صاع الشعير ، فعل ذلك لكي يطمئن ذلك التاجر اليهودي على ماله ويعلم أن حقه مصان وأن أمة محمد ﷺ لا تأكل أموال الناس بالباطل فما بالناس بأموال أهل الإسلام فإنه لا يباح بحال من الأحوال أن تأخذ مال أخيك إلا بطيب نفس منه فقد جاء في حديث رواه أنس بن مالك ﷺ يقول : قال رسول الله ﷺ لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه ، وكان ذلك الرهن من المواثيق التي تضمن استيفاء الحقوق وكان الأصل فيه أن يكون في السفر كما قال الله عز وجل ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ البقرة 283 ذلك الرهن كيف يتصرف فيه الإنسان المرهون عنده وهو ملك لصاحبه هو عنده فقط ليطمئن صاحب الحق على حقه ويضمنه به وجاء في حديث عن عبد الله بن جعفر ﷺ قال رهن رجل داراً في المدينة لأجل مسمى فمضى الأجل فقال الذي ارتهن هذا منزلي فقال رسول الله ﷺ له نماء وعليه غينه - والمعنى أن الذي عنده تلك الدار لا يجوز له أن يأخذه وفاءً لحقه ولكن يجوز له أن يبيعه بثمنه ثم يأخذ من هذا الثمن حقه ويرد الباقي لصاحب الدار وذلك حتى لا يكون هضماً للحقوق حتى لا يقول قائل هذا الرهن عندي وفاءً للدين فيحل لي أكله فقد كان ذلك التعامل بين أهل الجاهلية وأبطله محمد ﷺ وكذلك يحل الإنتفاع من هذا الشيء المرهون ما دام ينفق عليه يقول رسول الله ﷺ الضرع يحلب من نفقته والظهر يركب بنفقته ما كان مرهوناً ، ومعنى ذلك إذا الشيء المرهون بقرة فله أن يطعمها ويسقيها ويأخذ ما تحلبه من لبن مقابل تلك النفقة ، وقال رسول الله ﷺ من أخذ مال أخيه بيمينه أوجب الله عز وجل له النار وحرم عليه الجنة قالوا يا رسول الله ولو كان شيئاً يسيراً قال ولو كان عوداً من أراك ، والله عز وجل يقول ﴿وَلَا تَأْكُلُوا

أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْنُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ
أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿البقرة 188﴾ وفي القصة التي جاءت في
سورة الكهف عن أصحاب السفينة العبرة والمثل فقد قال الله عز وجل
﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ الكهف 79 إن الحقوق
في دين الإسلام مصانة وحق الإنسان كل إنسان حتى وإن كان من ملة
أخرى مصان لأن رسول الله ﷺ مات ودرعه مرهونة عند أبي الشحم
اليهودي في وسق شعير فكان ذلك نهج دين الإسلام رحمة بالناس كل
الناس وأماناً لهم على أموالهم وأعراضهم وأنفسهم في أمة محمد ﷺ فإن
واقعة الرهن هذه كانت في السنة الحادية عشر من الهجرة قبل وفاة
رسول الله ﷺ بثلاثة أيام دليل على أن حكمها ثابت لم يُنسخ .

السرقعة

دين الإسلام يحترم المال لأنه عصب الحياة واحترام ملكية الأفراد للمال هي حق من الحقوق التي كفله دين الإسلام وأوجب على صاحب المال أن يدافع عنه وقد حد لها الحدود ووضع لها القوانين التي تجعل الذين في قلوبهم زيغ ومرض أن يرتدعوا عن سرقتها ، ورسول الله ﷺ وهو يطوف ذات يوم بالبيت الحرام الكعبة المشرفة يسمعه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول وهو يخاطب الكعبة ما أعظمك وما أعظم حرمتك وما أطيبك وما أطيب ريحك - يكلم الكعبة يقول لها ما أعظمك وهي عظيمة لأن الله عز وجل جعل لها التعظيم وأمرنا أن نعظمها وهي طيبة حيث ينبعث منها العبير ويفوح منها العطر والمسك - ثم قال رسول الله ﷺ والذي نفس محمد بيده للمؤمن أشد حرمة عند الله منك دمه وماله وعرضه . والمال مصان في دين الإسلام والمال ليس نقوداً فقط إنما يطلق على كل ما يملكه الإنسان من عروض الدنيا ويحكي لنا كتاب الله عز وجل عن المال وحرمة فيما علمه الخضر لنبي الله موسى عليه السلام فإن الله عز وجل يقول ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ الكهف 71 عندما ركبنا في السفينة من غير أجره هل قابل هذا الصنيع وهذا الإحسان من أصحاب السفينة بالإحسان ولكن الخضر قابله بأن خلع لوحاً من السفينة وموسى عليه السلام تعجب من ذلك الفعل ولم يستوعب سببه فقال له أخرجت السفينة لتغرق أهلها ثم بعد ذلك يكشف له الحكمة مما فعل فقال الله عز وجل ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ الكهف 79 فكان فعله ذلك بإرادة وأمر من الله عز وجل لكي يحفظ هذه السفينة لأصحابها المساكين من بطش هدد بن بدر

ذلك الملك الذي كان يفتصب أموال الناس ويسرقها فأراد الخضر أن يمنعه عن سرقة هذه السفينة فجعل فيها عيباً فيتركها هذا اللص ، فكانت حماية الأموال مقدمة ، والسرقه إنما هي عيب من قديم وفعل مشين يحتقر الناس من يقوم به ويقدم عليه ويرتكبه والسارق عندهم مهين وكانت القصة التي قصها الله عز وجل في كتابه عندما أراد يوسف عليه السلام أن يحتال ويأخذ أخاه بنيامين فاستعمل الحيلة لذلك يقول الله عز وجل ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذْنٌ مُّوَدَّنٌ أَيْتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ . قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ . قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ . قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ . قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ . قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ۚ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ . فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾ يوسف 70 – 76 كانت تلك الكيفية بتدبير من الله عز وجل لكي يخلص بنيامين من وسطهم وما كان اتهام يوسف لهذه العير بأنها عير سرقة باطلاً فإنهم قد سرقوه من قبل من أبيه ووضعوه في البئر وباعوه بثمن بخس فكانوا هم لصوص من قبل وما تجنى عليهم يوسف عليه السلام عندما اتهمهم بالسرقه ، وذلك الأمر إنما هو امر مشين والسارق يريد أن ينفذ يده ويتبرأ من فعله ويمنع عن نفسه التهمه حتى لا يحتقره الناس ، وضع السقاية في رحل أخيه والسقاية هي إناء مرصع بالذهب يكيل به يوسف للناس العطاء ثم عندما قاموا بتفتيش رحالهم استخرجهم من وعاء أخيه قال والله ما سرقنا فماذا قال أخوته حتى يبرأون أنفسهم من أخيههم يقول الله عز وجل ﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ۚ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ يوسف 77 قالوا إن يكن

بنيامين لصاً فقد كان له أخ اسمه يوسف كان كذلك لصاً فهو مثله وكان ذلك اتهاماً منهم ليوسف باطلاً فإن تلك الفرية ألصقتها به عمة له وهو صغير لكي تحتفظ به عندها عندما أراد يعقوب أن يأخذه في رعايته وكان يوسف عند عمته وكانت تحبه فأرادت أن تحتفظ به عندها فوضعت نفائس اسحاق على بطنه ثم ربطت عليها وقالت سُرقت سُرقت وعندما فتشوا أهل الدار استخرجوها من يوسف فكانت حيلة منها واتهاماً ليوسف بالكذب ، ونجد في الإسرائيليات عن اليهود لعنة الله عليهم يقولون أن يوسف سرق صنماً وكان ذلك كذباً ويقولون أن يوسف كان يسرق من اخوته الطعام الطيب وكان ذلك كذباً فما كان يوسف لصاً أو سارقاً ولكنه كان مبرأ بيقين ، والسرقه هى عار على السارق تلاحقه في كل مكان ففي يوم من الأيام وقبل بعثة رسول الله ﷺ جاء دويك خلسة في ظلمة الليل يكسر باب الكعبة ويدخلها ليسرق ما بها من كنوز وهدايا ويستولي عليها ويهرب ولكنه يسقط ذات يوم وهو يحمل شيئاً مما سرقه من الكعبة فعرفوا أنه هو اللص إنما حكم فيه بقطع اليد لأنه كان سارقاً .

ودين الإسلام إنما يجعل حداً في السرقة بعقوبة قاسية لتدل على شناعة الفعل والجرم فكان تعريف السرقة في دين الإسلام من تعريف السارق هو المكلف الذي يُخرج من حرز غيره ما يزيد على ربع دينار خفية فكان ذلك تعريف السارق الذي يسرق هو مكلف أي يعلم ويدرك ما يفعله وأنه يخرج هذه الأموال من مكانها من حرز وأن تلك الأموال لها قيمة تزيد عن ربع دينار وأنه يأخذ ذلك خفية ، ودين الإسلام ما كان دين بطش أو تنكيل إنما أمر بقطع يد السارق ثم حدد القطع وجعله في أضيق الحدود لأن المقصود هو الزجر والمنع عن ارتكاب هذه الجريمة

فإنه لو أن يداً واحدة قطعت وعلقت على رقبة السارق وأشار الناس إليه بالبنان والكل علم أن هذا لص سارق وذلك جزاؤه فإن في ذلك ردعاً لكل من تسول له نفسه السرقة ، ولكن هذه العقوبة لأن المقصود منها الزجر والردع فإن الشرع في دين الإسلام لا ينفذها على كل أنواع السرقة إنما في أضيق الحدود فإن السارق الذي يسرق ليأكل ليس فيه قطع ولكن الذي يسرق لكي يشرب المخدرات أو يرتكب الفواحش وهو يملك قوت يومه من طعام فإن ذلك عقوبته القطع ، والذي يسرق ليأكل ننظر إلى معاملة رسول الله ﷺ له ابن شرحبيل ؓ يقول أصابتنا مخمصة من جوع شديد أي لا يجدون ما يأكلون فأتيت المدينة فتسورت حائطاً فأخذت سبيلاً ففرقتة وأكلته وأخذت منه في كسائي فجاء صاحب الحائط فضربني وأخذ ثيابي فأتيت رسول الله ﷺ فقال له ما أطعمته إذ كان جائعاً وما علمته إذ كان جاهلاً أي أنه كان جائعاً وأنت لم تطعمه وكان جاهل وأنت لم تعلمه ثم أمر لنا بوسق من طعام مما قطعه . وعمر بن الخطاب ؓ كان في عام المجاعة يربط حجراً على بطنه ويقول لبطنه كركري كما تشائين فلن تأكلي حتى يأكل أهل الإسلام وجيء بسارق سرق ليأكل فلم يقطع يد سارق في عام المجاعة ، ورسول الله ﷺ يقول لا قطع في حريسة جبل ولا تمر معلق فإذا آواه الجرين ففيه القطع إذا بلغ ثمن المجن ، ومعنى ذلك أنه تضيقاً على حد القطع في دين الإسلام وتحديداً له فجعل رسول الله ﷺ لا قطع إن كانت السرقة في شيء سارح في الجبل أو كان تمرّاً معلقاً ولكن العقوبة فيه أن يدفع مثل ثمنه مرتين وضرب نكال ، اللص هنا ليس مبرأً فإن رسول الله ﷺ قضى في السرقة التي ليس فيها القطع بمضاعفة العزم على السارق ، ومن يسرقون الناس إنما يقعون في وبال عظيم ويقتربون إثم

كبير وهؤلاء إذا نجوا بفعلتهم في الدنيا فإنهم لا نجا لهم يوم القيامة من العذاب العسير .

جاءوا بلص إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ يريد ألا ينفذوا فيه العقوبة قال له لا أخالك سرقت ما أظنك سرقت قال اللص بلى سرقت يا رسول الله فقطع رسول الله ﷺ يده فماذا قال السارق عندما قطعوا يده قال لها اذهبي قد كنتي تريدين أن تدخليني النار بالسرقة التي أسرق بها الناس ، وصفوان بن أمية ؓ كان نائماً في المسجد وعليه خميصة له كأنها مصلية فجاء سارق وسرقها من تحته وهو نائم وانطلق بها ذلك السارق عرفه الناس وجاءوا به وعرض أمره على رسول الله ﷺ فأمر بقطع يده ويأتي صفوان بن أمية ويقول يا رسول الله أقطع يده في خميصة لا تساوي ثلاثين درهماً أنا أهبتها له قال كان ذلك قبل أن تأتيني به ، أي أن العفو عن السارق يكون قبل الحكم عليه بالعقوبة ثم قال رسول الله ﷺ تجافوا الحدود بينكم فما جاء به إلي الأمير فلا عفا الله عز وجل عنه إن عفا ، من هنا كان القطع تضحية بالبعض حتى يكون للجميع علامة أنهم يمتنعون عن أن يقتربوا ذلك الإثم ، والناس تحسب أن السرقة هي التي تكون في خفية فقط أو تكون من حرز أي من بيت أو من مسجد ولكنها أشمل وأعم من ذلك فإن جحد العارية من السرقة وهو أن تستلف شيئاً من أخيك ثم إذا جاء يطلبه أنكرتة قلت ما أخذت منك شيئاً تجحد ذلك الشيء ، ومرة بنت سفيان المخزومية كما تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت هذه المرأة تستعير المتاع وتجحده ، كانت تأخذ من الصديقات والجيران الحلي وغيرها ثم إذا جاءت صاحبة الشيء تطلبه تقول لها ما أخذت منك شيئاً فأمر رسول الله ﷺ بقطع يدها فماذا يصنعون وهي من قوم شرفاء

لهم مكانة ومنزلة بين الناس وتكون هذه وصمة عار يلاحقهم جميعاً كل عائلتها وقومها قالوا فيما بينهم نرسل إلى من يكلم رسول الله ﷺ فيها فاختاروا اسامة بن زيد لأنهم يعلمون أنه حب رسول الله ﷺ فعندما جاء اسامة يكلم فيها رسول الله ﷺ احمر وجهه غضباً وقال له يا اسامة أتشفع في حد من حدود الله إنما هلك من كان قبلكم كانوا إذا سرق فيهم القوي تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ، فإلى أي مدى كان التشدد في الحدود وفاطمة هي سيدة نساء أهل الجنة لو كانت سارقة لقطع محمد ﷺ يدها .

استعجب رجل من قديم كيف تقطع يد السارق في ثلاثة دراهم في ربع دينار وتلك اليد إذا كانت في معركة وخصومة واعتدى انسان على يد إنسان فقطعها فإن ديتها خمسمائة جنيه ذهب أي نصف الدية ، فقال يد بخمس مئتين عزجد ودبت ما بالها قطعت في ربع دينار أجابه الآخر وقال له يد بخمس مئتين عزجد ودبت لكنها قطعت في ربع دينار حماية الدم أعلاها فإن حقوق الدماء هو الذي رفع قيمتها وأرخصها خيانة المال فلتنظر إلى حكمة الباري هذه يد خائنة يد لص خبيثة مريضة وهي عضو خبيث يجب بتره حتى يستقيم أمر المجتمع وتصان الأموال ويأمن الناس على أملاكهم وأموالهم ، والقائل يقول لما كانت أمانة كانت ثمينة كان لها قدرها وقيمتها وغلوها ولما خانت هانت أي عندما سرقت أصبحت هينة رخيصة لا قيمة لها مثلها مثل العضو في الجسد عندما يصاب بالغرغرينة فحتى لا يصاب الجسد كله ويسقم يجب بتر وقطع هذا العضو حتى يُحمي ويُصان باقي الجسد فهذه هي اليد الخبيثة التي أمر دين الإسلام بقطعها ، وفي يوم من الأيام سرق

سارق ترساً من مكان النساء في المسجد فأمر به رسول الله ﷺ ففقطعت يده وكذلك إذا سرق سارق ما كينة مكبر الصوت من المسجد فإنه جمع جريمة بجريمة أخرى وإثماً بإثم فإنه سرق واعتدى ليس على مال إنسان واحد فقط وإنما اعتدى على مال كل رواد هذا المسجد لأنه ملك لهم وكذلك هو منع ذكر الله وإقامة الصلاة والآذان أن يسمعه الناس عن بعد والذي يفعل هذا الفعل المشين إنما لعنه رسول الله ﷺ فقال لعن الله السارق فإنه ليس هناك جريمة في الإسلام ملعون صاحبها إلا السرقة ما لعن الزاني وما لعن الذي يرتكب موبقات أخرى فإن رسول الله ﷺ قال في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده لعن الله السارق يسرق الحبل فتقطع يده " فكان ملعوناً ومن لعنه رسول الله ﷺ ونحن لعناه فما ارتكبنا في حقه إثم ، وكذلك اللص يخرج من الإسلام لأنه كما جاء في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ أنه قال لا يزني الزان حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن فمن فعل ذلك فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه حتى يتوب فمن تاب تاب الله عليه " والله عز وجل يقول (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ .) المائدة 38 - 39 الله عز وجل يقبل توبة التائب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ومن لا ذنب له لا حد عليه فيها أيها السارق باب التوبة مفتوح أمامك تب إلى الله وعد إلى حظيرة الإسلام ولكن كيف يتوب السارق ؟ يرجع إلى الله عز وجل ويرد الحقوق إلى أصحابها فإذا فعل ذلك فقد تاب وأصلح وتقبل توبته أما أنه يسرق ويقول تبت إلى الله ويأكل ما سرقه فهو ما تاب ، يقول رسول الله ﷺ على اليد ما أخذت حتى تؤديه ، وهو مطالب بأن يستر على نفسه

فكيف يرد الحقوق يردها إلى صناديق المسجد ويردها إلى أهل الفقر
والمسكنة في أي مكان ويعود ثوابها إلى أصحابها ويكون قد خلص
نفسه من الوزر الذي كان يحمله والتبعة التي كانت عليه فرسول الله
ﷺ يقول من ألم بشيء من هذه القاذورات التي حرمها الله عز وجل
فليستتر بستر الله عز وجل ، وكذلك جاء في حديث رواه عبادة بن
الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً
ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين
أيديكم وأرجلكم فمن ألم بشيء من ذلك فأخذ بحده في الدنيا فهو
كفارة له ومن ستره الله عز وجل إلى يوم القيامة فأمره إلى الله إن شاء
عذب وإن شاء غفر .

الهبة

يقول رسول الله ﷺ إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا - إذا مر انسان بروضه غناء حديقه ذات بهجة فإنه يرتع فيها يحاول أن يمكث فيها قدر المستطاع يأخذ قسطاً من الراحة فما بالناس إذا كانت هذه الرياض من رياض الجنة - قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق العلم " فكانت حلق العلم هي رياض الجنة في أرض الله عز وجل وما كانت تسمية الروضة الشريفة في مسجد رسول الله ﷺ إلا لأنها كانت المكان الذي يلقي فيه رسول الله ﷺ على أصحابه العلم والحكمة ويفقههم في الدين .

ويقول رسول الله ﷺ طوبى لمن تواضع من غير منقصة وذل في نفسه من غير مسألة وأنفق مالا جمعه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة " ومخالطة أهل الفقه والحكمة إنما فيها الخير الكثير وفيها العلم والفقه في أمور الدين ومن أمور الدين موضوع الهبة وهي كل عطاء يهبه إنسان لإنسان آخر أو يطلبه الإنسان من الله عز وجل كما هو قول نبي الله سليمان رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ، وكما هو قول نبي الله زكريا رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين ، فإذا وهب إنسان لأحد مالا فهو يرجو ثوابه من الله عز وجل ، والصدقة كما نعلم بعشر أمثالها ثواباً ولكنها لا تحل لغني عنده مال ولا لذي قوة يستطيع الكسب أما الهبة التي هي عطية فإنها تحل وتجوز للغني أو القوي وفيها مودة ورحمة بين الناس فكانت هذه تسمى هدية ، ودين الإسلام يحرص على أن يكون بين الناس معاملات وهدايا حتى تكون الأواصر بينهم قوية فيكون المجتمع كله مترابطاً متحاباً فإن رسول الله ﷺ قال تهادوا

تحابوا ، إذن الهدية من أسباب الحب بين الناس ، وكذلك قال رسول الله ﷺ تهادوا فإن الهدية تذهب و غر الصدر ولا تحقرن جارة من جارتها أن تهدي لها ولو فرسن شاة " فإذا كان هناك شحنة بين اثنين من الناس وسبق أحدهما وقدم للآخر هدية فإنها تمحي ما في صدره من ضغينة فتألف القلوب ومهما كانت هذه الهدية بسيطة ينهانا رسول الله ﷺ أن نحقر منها حتى وإن كانت فرسن شاة إنما عليك قبولها بسعادة ولا ترده ، وفي حديث رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لو أهدى إليّ كراع لقبلت ولو دُعيت إليه لأجبت " والكراع هو جزء من عظم الذبيحة يقبله رسول الله ﷺ ولو أن إنسان دعاه على طعام وكان ذلك الطعام فقط هذه الكراع لأجابه إلى دعوته تواضعاً منه وتعليماً لأمة ، تلك الهدية التي أهداك إليها إنسان يجب أن تجازيه عليها وترد له هديته بهدية وإلا كيف تكون المودة متبادلة وتكون الصلة أقوى فلا يجوز أن تهجو من أهداك وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويرد خيراً منها " وقد يقول قائل ليس عندي مالاً أرد به الهدية بمثلها أو أحسن منها فإن دين الإسلام دين اليسر فقال رسول الله ﷺ من أدى إليكم معروفاً فكافؤه إن وجدتم فمن لم يجد فليدعو له بخير حتى تظنوا أنكم قد كافأتموه .

والعطاء قد يكون بشيء مقابل شيء فهذا نوع من التجارة وقد يكون العطاء مؤجلاً حتى ينقضي أجله فإذا كان كذلك يسمى وصية ولكن الهبة هي تمليك الإنسان ملكه لغيره في حياته بغير عوض أو مقابل فيصبح مالكا له يتصرف فيه كيف يشاء لأنه أصبح ملكه وأنت في حال حياتك فإنها لا تكون مؤجلة بعد وفاة الواهب .

ومن أسماء الهبة النحلة وأكثر الناس يعطون أولادهم تلك العطية فهي تسمى نحلة ، وهناك ناس تفضل واحداً من أولادهم على الباقي فتخصه بعطية أكثر من غيره ولأن دين الإسلام يريد أن تسود المودة والألفة بين الناس ولا يكون حقد وغل وحسد وبغضاء بينهم والأولى أن تكون تلك المودة بين أولي القربى فإنها صلة للرحم وأقرب الأرحام الأخوة والأخوات فإذا كان هناك تفضيل لأحدهم على الباقي فذلك من شأنه أن يثير بينهم البغضاء فكان ذلك الفعل مكروهاً في دين الإسلام يحاسب عليه فاعله ولذلك أمرنا الله عز وجل بأن نساوي بين الأولاد ولا نفضل أحدهم على الآخر سواء كان صغيراً أو كبيراً ورسول الله ﷺ يقول إن المقسطين يوم القيامة على منابر من نور "الذين يعدلون في حكمهم وفي أهليهم وحاولوا القسط بينهم فهم العادلون فإن الحكم بالعدل ليس مقصوراً فقط على الحكام ولكن مأموراً به كل وال حتى الرجل على أهله أن يحكم بينهم بالعدل والقسط ، ونحن في العدل بين الأولاد أمرنا أن نسوي بينهم ليس فقط في المأكل والمشرب والملبس وإنما كذلك في الأمور المعنوية في الحب والمعاملة حتى لا يكون بينهم غيرة وتنافس فالمساواة بين الأولاد تكون حتى في القبلية فإذا قبلت ولداً لك وهم ينظرون فعليك أن تقبل بقية أولادك وإلا وقعت فيما نهى الله عنه فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ ساووا بين أولادكم ولو كنت مفضلاً أحداً على أحد لفضلت النساء " وليس معناها أن التفضيل مباح للنساء ولكن معناه أنه ينهى عن المفاضلة بين الأولاد وإن كان رخص في المفاضلة لجعلها للنساء من الأولاد وذلك لضعفها ولكن ليس هناك تفضيل فإذا كنت في حياتك الدنيا أنت تساوي بين الأولاد في الطعام والشراب والكسوة وتلك أمور بسيطة في الحياة ، ولكن هناك من الناس من يفضل ويخص ولداً له بأشياء ثمينة

ذات قيمة عالية وقد حدث ذلك أيام رسول الله ﷺ فعن الشعبي أن النعمان بن بشير رضي الله عنه وكان النعمان مدلولاً لأنه أول مولود يولد للأنصار بعد دخول رسول الله ﷺ المدينة هذا النعمان بن بشير والده أعطاه عطية دون سائر أخوته فقالت زوجته عليك أن تذهب إلى رسول الله ﷺ حتى يشهد على ذلك هي تريد أن توثق تلك العطية فقالت لا أجيز هذا العطاء لأبني حتى تُشهد عليه رسول الله ﷺ فجاء به والده إلى رسول الله ﷺ وقال له إني نحت ابني هذا نحلة وسماه فقال له رسول الله ﷺ ألك أولاداً غيره قال نعم يا رسول الله قال هل نحت أخوته مثله قال لا بل هو فقط فقال رسول الله ﷺ له إن لهم من الحق عليك أن تعدل بينهم كما أن لك من الحق عليهم أن يبروك - إذا كنت تريد البر من أولادك فيجب عليك أن تعدل بينهم - أشهد على ذلك غيري فإنني لا أشهد على جور " وليس معنى ذلك أنه لو ذهب إلى غيره وأشهدهم كان ذلك مباح وتفضيل النعمان على سائر أخوته جائزاً ، إنما رسول الله ﷺ يعلم أنه إذا لم يشهد فليس هناك واحداً من أهل الإسلام سوف يشهد فكان ذلك هو أمر المراد منه الإنكار ، من هنا قال الإمام أبو حنيفة والشافعي والثوري وعمر بن الخطاب والصدّيق رضي الله عنهم أن تفضيل واحداً من الأبناء على سائر أخوته إنما هو حرام ، والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه قال إن الإنسان حر يتصرف في ماله كيف شاء فإذا كان الولد مريضاً مرضاً مزمناً أو كان عنده عيال لا يستطيع النفقة عليهم إلا بشق النفس فللوالد أن يعطيه هبة وينحله نحلة غير أخوته ولكن عليه أن يرضيهم وأن يأخذ موافقتهم على تلك الهبة .

وكما قلنا أن الهبة أو النحلة تكون في حال حياة الشخص فإن توفي وتلك النحلة لم يقبضها الولد الذي سماه فإنما تسمى هنا وصية

والوصية لا تنفذ إلا برضى سائر الورثة فإنه لا وصية لو ارث إلا إذا رضى الورثة فإذا نحل إنسان نخلة من ماله لأحد أبنائه وكان ذلك محرماً أو مكروهاً فإن الله عز وجل سوف يحاسبه ولكنه لا بد أن يقبض ذلك الشيء للذي وهبه إياه وإذا لم يقبض فإنه حرام ، والصديق ﷺ كان قد أهدى لأُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ثمر عشرين نخلة وقبل أن ينضج ذلك التمر وتقبضه أُم المؤمنين جاءه مرض الموت وهو على فراش الموت استدعاها وقال لها يا عائشة إنك ما قبضتي ذلك التمر وما حزتيه فهو ميراث وإنما هما أخواك وأختاك فهم الورثة الذين يرثون ثم قال إن الله عز وجل أعطى لكل ذي حق حقه في آيات الميراث ولا وصية لو ارث ، وكذلك عمر ﷺ وهب ابناً له اسمه عاصم وهبه عطية ثم قال كأنه يقر العدل وعدم الجور مع الأبناء قال الإنحال ميراث ما لم يقبض أي أن العطية والهبة لواحد من الولد إنما هي ميراث ما دام ذلك لم يقبض الذي أعطيته إياه ولم يحصل عليه ، ودين الإسلام يأمرنا بالعدل حتى لا يأتي الظالم يوم القيامة وشقه أعوج وأمرنا أن نعدل بين الأبناء ونسوي بينهم في العطاء وفي المأكل والمشرب والملبس وإذا كان شيئاً ثميناً فأجاز الفقهاء أن نعطيهم منه وأن تكون التسوية كما كانت في الميراث ويعطي للذكر مثل حظ الأنثيين فإن ذلك هو العدل الذي ذكره الله عز وجل في كتابه وإنما التسوية بين الرجال والنساء في الأمور المعاشية في الطعام والشراب والملبس وما شابه ذلك .

القسم

يقول قائل : لست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد ، ليست السعادة في جمع المال والغنى والرفاهية إنما السعادة في تقوى الله عز وجل لأن تقوى الله لها ميراثها في الآخرة في حياة سرمدية أبدية لا تنتهي ، وإن الناصح والعاقل والحكيم الذي يبيع دنيا زائلة فانية مهما طالت أيامها ولياليها فلن يصل فيها إلى عمر نوح عليه السلام فالحكيم هو الذي يبيع هذه الدنيا ويشترى بتقوى الله عز وجل الآخرة ، ثم يقول وتقوى الله خير الزاد زخراً وعند الله للأتقى مزيد ، عند الله عز وجل مزيد من الرحمة للمتقين عند الله حدائق وأعناباً وكواكب أتراباً وكأساً دهاقاً لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً جزاءً من ربك عطاءً حساباً .

الله عز وجل لا يظلم أحداً إنما الإنسان هو الذي يقدم لنفسه فمن جاء في الآخرة يوم الحساب وقرأ كتابه المنشور أمامه فإذا لم يجد فيه شيء يدخله الجنة فلا يلومن إلا نفسه ، وقد جعل الله عز وجل هذه الحياة الدنيا مزرعة للآخرة فمن زرعها بخير حصد الخير ومن زرعها بغير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، ورسول الله ﷺ يقول لنا الحلال بين والحرام بين وبينهما متشابهاً - بين الحرام والحلال أمور تتشابه يختلف عليها الناس لذلك قال الله عز وجل لنا أسألو أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ، فمن اختلط عليه أمر ولم يستطع أن يفرق فيه حلال أم حرام فيجب عليه أن يسأل أهل العلم ومن لم يسأل فهو المخطيء وعليه الوزر - ثم يقول رسول الله ﷺ وبينهما أمور متشابهاً لا يعلمهن كثير من الناس كراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيها - أي

كراعي غنم يسرح بها لتأكل من خشاش الأرض وهناك سور ذلك الراعي إذا لم يحافظ على غنمه فإنها قد تدخل من هذا السور تدخل ذلك الحمى وتأكل مما فيه - ثم يقول رسول الله ﷺ ألا لكل ملك حمى ألا إن حمى الله محارمه - كل ملك في الأرض له حماية على أسوار قصره تمنع الناس من الدخول عليه ومن تعدى ودخل يتعامل معه هؤلاء الحراس كذلك الله عز وجل غني عن التشبيه والتنظير ومحارم الله عز وجل هي كل ما حرمه على عباده وهي السور الذي يحيط بقصر الله عز وجل في الجنة فإياك أن تقع فيها ثم يقول رسول الله ﷺ ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ، ورسول الله ﷺ يقول للإسلام علانية تدخل المسجد تصلي الناس كلها تراك وتخرج إلى الحج يراك الناس وتصوم رمضان فيعلم الناس الإسلام علانية يجب عليك أن تظهره يصعد المؤذن يرفع الأذان فيكون إشهداً للإسلام ثم يقول رسول الله ﷺ والتقوى هاهنا التقوى هاهنا ، لأنه كم من مصل وليس له من صلاته إلا الركوع والسجود وكم من حاج وليس له من حجه إلا التعب وكم من صائم وليس له من صيامه إلا الجوع والعطش لأنه تعامل بالظاهر فقط بينما ما يكنه قلبه من تقوى مخالف لذلك .

ومن الأمور التي يقع فيها كثير من الناس بالخطأ والنسيان أو بالجهل وعدم العلم والدراية هي القسم والأيمان فنجد كثير من الناس يقسم بالكعبة أو النبي أو أحد أبويه وكل هذه الأيمان ما أنزل الله بها من سلطان ولأن الدين ليس بالرأي إنما هو بالعلم والتعلم ولأن دين الإسلام نزل على رسول الله ﷺ من رب العالمين وأمرنا وهدانا إليه حتى نكون على الصراط المستقيم ، ولكن الله عز وجل يقسم بما يشاء من

خلقه فيقول ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ . وَطُورِ سَيْنِينَ . وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾
اليتين 1- 3 أما نحن فلا يجوز لنا أن نقسم بها وكذلك يقسم الله عز
وجل ويقول ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا . وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاها . وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا .
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا . وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا . وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا . وَنَفْسٍ
وَمَا سَوَّاهَا﴾ الشمس 1 - 7 وكذلك يقول الله عز وجل ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا
يَغْشَى . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى . وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ الليل 1 - 3
فإن الله عز وجل يقسم بما يشاء من خلقه ليس لأن هذا الشيء المقسوم
به عظيماً أعظم أعظم إلى الله عز وجل حاش لله أن يكون فإن الله عز
وجل رب الملك والملكوت وهو خالق كل شيء ومليكه ولكنه يقسم بما
شاء ليلفت الأنظار إلى هذه الأشياء حتى تكون دليلاً وهدى إلى الإيمان
برب العالمين ، وليس قسم الله عز وجل كقسم أي إنسان فقد نهينا أن
نقسم إلا بالله عز وجل وحده لا شريك له أو بصفة من صفاته فمن أقسم
بغير ذلك فقد ارتكب محرماً وعليه اثم ووزر ، ورسول الله ﷺ يقول لا
تحلفوا بأبائكم ولا تحلفوا بأمهاتكم ولا تحلفوا بالأجداد لا تحلفوا إلا
بالله عز وجل ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون - الذي يحلف بالله عز وجل
لا بد أن يتحرى الصدق في يمينه لأنه يحلف بأعظم العظماء بالله الواحد
الأحد فيجب عليه أن يكون على ثقة ويقين بأن ما يحلف عليه صدقاً
وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال أن رسول الله ﷺ أدرك ركباً فسمع
عمر رضي الله عنه يحلف بأبيه فقال رسول الله ﷺ إن الله عز وجل ينهاكم أن
تحلفوا بأبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت " هنا كان
تعليم رسول الله ﷺ لعمر الفاروق الذي فرق الله به بين الحق والباطل
ولكنه لم يكن يعلم الحكم فيها لذلك كان تعليمه له هو تعليم
لل بشرية كلها ولم يمنعه مكانة عمر ومنزلته أن يعلمه لأنه يعلم أمة
بأكملها لذلك قال عمر رضي الله عنه فوالله ما حلفت بها منذ أن قالها رسول

الله ﷺ ذاكراً أو ناسياً ، لأنهم كانوا يمتثلون لما يأمر به رسول الله ﷺ
 لأنهم يعلمون أنها أوامر من الله عز وجل فقد قال رسول الله ﷺ إن الله
 ينهاكم فكانت تلك الأوامر والنواهي هي عقيدة لأنهم يعلمون أن لهم
 بها ثواب على فعلها وعليهم إثم وعقاب إذا خالفوها ، ورسول الله ﷺ
 يحذرنا من بعض القسم والأيمان نسمعه من بعض الناس يقولون يا شيخ
 أكون بريئاً من ملة الإسلام إذا لم يكن هذا الشيء أو ذاك هو يريد أن
 يؤكد ما يقوله فإذا لم يكن هذا الشيء على حق ويقين يبرأ بالفعل من
 دين الإسلام لذلك ينهانا رسول الله ﷺ عن هذا القسم كما جاء في
 حديث عن أبي هريرة ؓ يقول : قال رسول الله ﷺ من حلف فقال إني
 بريء من الإسلام فإن كان كاذباً فهو كما قال وإن كان صادقاً فإنه
 لن يرجع إلى الإسلام سالماً " لأنه خدش ما بينه وبين دينه ، ويقول ثابت
 بن الضحاك ؓ قال رسول الله ﷺ من حلف بغير ملة الإسلام فهو كما
 قال " لذلك من حلف بغير ذلك فهو مطعون في إيمانه ومشكوك فيه إذا
 كان على علم ويقين ، وكذلك نجد من الناس من يقول وبالأمانة كذا
 هذه أيضاً نهى عنها رسول الله ﷺ فقال من حلف بالأمانة فليس منا " أي
 أنه ليس من أمة محمد ﷺ ، هذه الأحاديث تصل إلى حد الزجر والنهي
 عن الفعل فمن فعل فقد ارتكب الحرام ولكن ماذا إذا وقع في ذلك أحد
 سهواً أو نسياناً أو خطأ كيف يصحح ذلك الخطأ ، فقد كان في عهد
 رسول الله ﷺ ناس حديثي عهد بالإسلام كانوا قبله يعبدون اللات والعزة
 وكانوا قبل الإسلام كثيراً ما يحلفون بها فاعتادت عليها ألسنتهم
 فيخرج منهم القسم بها رغماً عنهم فقال رسول الله ﷺ في حديث رواه أبو
 هريرة ؓ قال من حلف باللات والعزة فليقل لا إله إلا الله " فكان
 كفارة ذلك القسم بغير الله عز وجل عن طريق الخطأ أو النسيان أن

يقول لا إله إلا الله لأن دين الإسلام لا يأخذ الناس بالخطأ والنسيان ولا ما استكروها عليه إنما يأخذ الناس بالإنعقاد النية وما وقر في القلب .

هناك يمين تسمى يمين لغو والله عز وجل يقول ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ البقرة 225 أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي كانت من أعلم الناس بتفسير القرآن لأن الذي علمها هو رسول الله ﷺ قالت اللغو في الأيمان أن يقول الرجل لا والله بلى والله - كأن تقول لأحد والله تأتي معي والله لا تذهب أنت هنا لا تقصد يمين وإنما هي يمين لغو وكذلك أن تقسم على شيء حدث وأنت تعتقد ذلك ولكنه ما حدث فهذا أيضاً يمين لغو لا أثم فيه ولا كفارة له لأن الله عز وجل قال في الآية الأولى غفور حلیم يعلم أن ذلك الذي قلته لا انعقاد فيه للأمر ولا انعقاد فيه لليمين إنما أنت تريد أن تكرم ضيفاً .

أما اليمين الذي نؤاخذ عليه هو اليمين المنعقد نحلف بالله عز وجل على أن نفعل شيئاً ثم لا نفعله أو تجد في عدم فعله أفضل فهذا عليه ألا يبر بيمينه بل يدعه للأحسن فقد جاء في حديث عن عمران بن حصين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : قال رسول الله ﷺ لا يمين ولا نذر لأبن آدم فيما لا يملك ولا في معصية الله عز وجل ولا في قطيعة رحم " فمن لا يملك شيئاً لا يقسم عليه كأن تقسم أن تعطي إنسان شيئاً لا تملكه كذلك ليس هناك يمين في معصية الله كأن يقول إنسان والله لن أصلي اليوم فهذا اليمين لا ينعقد ولا في قطيعة رحم كأن يقول إنسان والله لن أزور أخي أو لن أبر أبي كل هذه الأنواع من القسم واليمين والحلف لا بد أن يحث في يمينه ويكفر عنها ، رسول الله ﷺ يقول في هذا الحديث فمن حلف على يمين

ورأى غيرها خيراً فليدعها ويفعل الذي فيه خير ثم يكفر عن يمينه ،
كان ذلك أمر من رسول الله ﷺ وكانت هذه هداية الله عز وجل الذي
يقول في كتابه العزيز عندما حلف الصديق ﷺ ألا يصل قريباً له اسمه
مسطح لأن هذا القريب كان ممن خاضوا في عرض ابنته أم المؤمنين
عائشة رضي الله عنها في حديث الأفك وكان يتصدق عليه لفقره
وقرأته فأقسم أن يمنع عنه الصدقة فقال الله عز وجل ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُو
الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِيَ الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَلْيَغْفُوا وَلْيَصْنَعُوا ۚ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النور 22 لما نزلت هذه الآية قال الصديق ﷺ إني أحب
أن يغفر الله لي ثم كفر عن يمينه وعاد يتصدق على قريبه هذا .

القسم ثانياً

يقول رسول الله ﷺ الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تقسم
ظهره والتحابب في الله والتودد في العلم يقطع دابره " كانت المحبة لوجه
الله عز وجل والمودة في العلم تقطع دابر الشيطان ثم يقول رسول الله ﷺ
فإذا فعلتم ذلك تباعد عنكم الشيطان كبعد الشمس عن مغربها ، وقد
جاء في حديث عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ إن لله
عز وجل عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على
منازلهم وقربهم من الله عز وجل ، يقول أبو مالك الأشعري ﷺ فجثا رجل
على ركبتيه وهو يقول صفهم لنا يا رسول الله قال إنهم ناس من أفناء
الناس ومن نوازع القبائل ليس بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله
وتصافوا يجعل الله عز وجل لهم يوم القيامة منابر من نور يجلسون عليها
ويجعل وجوههم نوراً وثيابهم نوراً يفرح الناس ولا يفرعون وهم أولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون " الجلوس في صحبة الأخيار يجلب الخير

والتعلم والتودد فيه أي يكون في سبيل الله عز وجل له فضل عظيم وخير كثير ينفع صاحبه في دنياه ويكون له زخراً في الآخرة لأن رسول الله ﷺ يقول ما من شيء يقرب إلى الجنة إلا أمرتكم به وما من شيء يقرب إلى النار إلا نهيتكم عنه ، فكل الفضل في حياة رسول الله ﷺ وسيرته وفي العلم الذي ورثنا إياه ، ومن أمور العلم والفقه في دين الإسلام موضوع القسم أو اليمين وكانت العرب قديماً وقبل الإسلام إذا أقسم واحد منهم للآخر يضع يده اليمين في يده اليمين لذلك سمي يمين ، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما سمع رجلاً يقول والكعبة فهل هناك في دين الإسلام أعظم من الكعبة التي عظمها الله وشرفها حيث نتوجه إليها في صلاتنا ونستقبلها في حجنا ونطوف حولها ونوجه إليها رؤس موتانا في قبورهم ولكن هذا الذي حلف بالكعبة قال له عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا تحلف إلا بالله عز وجل فأني سمعت رسول الله ﷺ يقول من حلف بغير الله عز وجل فقد كفر وأشرك ، أي جمع له الكفر والشرك والعياذ بالله فمن حلف بغير الله عز وجل يكون آثماً بتلك اليمين .

والله عز وجل يقول ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ المائدة 89 فكانت هذه الأيمان المنعقدة هذه اليمين إذا لم تكن تحت ثلاثة أمور فأنت فيها وحلف

ألا يكون فيها معية لله وألا يكون فيها قطع رحم وألا تكون حلف على ما لا يملك ، وقد جاء ناس من الأشعرين منهم أبو موسى الأشعري ومنهم أبو مالك الأشعري جاءوا إلى رسول الله ﷺ في وقت كان يجهز فيه الجيش للحرب وقالوا يا رسول الله احملنا أي اعطنا دواب تحملنا نصل بها إلى ذلك العدو الذي تحاربه فحلف رسول الله ﷺ وقال ما عندي

ما أعطيكُم حلف أنه ليس عنده دواب تحملهم للحرب ويقول الله عز وجل ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ التوبة 92 هذه آية في سورة التوبة تقص لنا هذه القصة كان صحابة رسول الله ﷺ مرتفعوا الأنوف كانوا أسوداً يحبون الجهاد لأنهم يعلمون منزلته العظيمة فعندما كانت هذه الغزوة وأمر بها رسول الله ﷺ جاءوه ليحملهم فحلف أنه ما عنده ما يحملهم عليه ثم جاءته دواباً فهل في هذه الحالة يقول رسول الله ﷺ إني حلفت ألا أحملهم فلن أحملهم بعد أن جاءت الدواب هل يبر بقسمه ولا يحمل هؤلاء الناس لمجاهدة الأعداء أم أنه يحنث في يمينه ويحملهم فأرسل إليهم وأعطاهم دواباً فقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه لقد حلفت يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ واللّه إني إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها - فلا نحلف على يمين ونجد خيراً منها إلا أتينا بالخير وكفرنا عنها فإن رسول الله ﷺ يقول واللّه لأن يرجع أحدكم بيمينه في أهله أتم عند الله من أن يخرج كفرته التي فرضها الله عز وجل " لو أن أحداً حلف في بيته على شيء على ابن له لن أعطيك هذا الشيء وإن كان طعام ، رسول الله ﷺ يقول إذا لم تحنث بهذا اليمين وتطعم الولد تكون آثماً لأن الخير من اليمين هو الإطعام ومن خالف قول رسول الله ﷺ يآثم بل هو أمر من الله عز وجل الذي يقول ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة 224 لا تجعل يمينك حائلاً بينك وبين أن تبر الناس وتقسط إليهم وتصلحهم وتحسن إليهم وتصلح بينهم لكي تنال الثواب العظيم والرضا من رب السماوات والأرض ، والصديق ﷺ عندما رجع في يمينه ألا يتصدق على قريب له لأنه كان ممن خاضوا في حديث الإفك ونزلت الآية من الله

عز وجل قال نحب أن يُغفر لنا وهو واحداً من الذين بُشروا بالجنة واحد من الذين قال لهم رسول الله ﷺ أن للجنة ثمانية أبواب يدخل صاحب الصلاة من باب الصلاة وصاحب الصيام من باب الريان وصاحب الصدقة من باب الصدقة وقال للصديق ﷺ أنت تدخل من كل هذه الأبواب ، فكيف بنا نقسم على قطيعة الرحم وهي باطلة ثم نبرها ولا نحث فيها ولا نتحللها كيف نفعل ذلك ورسول الله ﷺ قال أنه لا يحلف على يمين ويرى في غيرها خيراً منها إلا أتى الذي هو خير وتحللها ، وكيف نتحلل من اليمين ؟ يقول الله عز وجل ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْغُلُوبِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۚ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

المائدة 89 كان الحكم فيها من الله عز وجل أولها إطعام عشرة مساكين والثانية أو كسوتهم والكسوة أكبر وأعم من الإطعام والثالثة تحرير رقبة - وتحرير الرقبة في الكفارة لأن دين الإسلام أول من دعا وعمل على تحرير الناس من الرق والعبودية وفك أسرهم - كانت هذه الثلاثة للتخيير تختار منها ما شئت تكفر بها عن يمينك فإن لم تجد أو تستطع أيا من الثلاثة فعليك صيام ثلاثة أيام ، والإطعام لم يكن فيه تشدد ولكن قال الله عز وجل من أوسط ما تطعمون أي ليس شرطاً فيه نوع الطعام فمن كان طعامه بسيطاً فهو يطعم منه ومن كان غير ذلك يطعم منه ومتوسط عدد الوجبات وجبتين تطعمهم لعشرة مساكين والإمام أبو حنيفة رحمه الله أجاز لنا أن نخرج القيمة للوجبتين للعشرة مساكين أو لمسكين واحد تعطيه القيمة على أن يتصرف فيها طعاماً وشراباً عشرة أيام وجاء بها من حديث لرسول الله ﷺ ، والكسوة أن تستر

العورة فإذا كانت امرأة تستر عورتها بجلباب وخمار وإذا كان رجل فعليك ستر عورته ويجوز اخراج هذه الثياب جديدة أو غير جديدة ولكنها تصلح للاستعمال والستر وكذلك يجوز أن تعطيههم قماشاً وهم يتصرفون فيه كيفما أرادوا ، واليوم لا يوجد رقاب لعتقها لذلك من لم يستطع أن يطعم أو يكسو عليه الصوم ثلاثة أيام ولكن إذا كان في قدرته الإطعام أو الكسوة فذلك أولى والصوم يكون أياماً متصلة أو متفرقة وتكون النية فيها كفارة عن يمين .

من الأفضل ألا يعرض الإنسان نفسه للقسم والحلف واليمين كما نجد الكثير من الناس لا يتم جملة من كلامه إلا ويقول والله كذا والله كذا ولا يلقون لذلك بالاً بما أقسم وحلف فعلينا أن نتجنب القسم قدر ما نستطيع ، وهناك قسماً لا كفارة له إذا حنث فيه الإنسان كما أخبرنا رسول الله ﷺ بأن نقول في القسم إن شاء الله فلا كفارة للحنث بهذا اليمين لأنه معلق على أمر الله وقدره .

الييمين الغموس

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ جاء لقمان بجراب من خردل ثم أجلس ابنه ثم جعل يعظه وكلما وعظه موعظة أخرج حبة من الخردل ونحاشها حتى فرغ ما في الجراب ثم قال لابنه يا بني إني وعظتك موعظة لو وعظتها لجبل لتفطر قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه فتفطر ولده " ورسول الله ﷺ نقل إلينا طرفاً من حكم لقمان ومواعظه لابنه فكان لقمان الحكيم يعظ ابنه يقول له يا بني إن الحكمة أسكنت المساكين مساكن الملوك أي أن الحكيم عندما تعلم الحكمة وأصبح حكيماً بحكمته هذه سكن قصور الملوك ، ومما وعظه به قال له يا بني إذا أتيت مجلساً فارمهم بسهم الإسلام ثم اجلس في ناحيتهم فإذا سمعتهم خاضوا في ذكر الله عز وجل فادلي بسهمك معهم فإن كنت جاهلاً علموك وإن كنت عالماً ازددت علماً وإن نزلت عليهم من الله رحمة وسعتك ، وإذا سمعتهم لم يخوضوا في ذكر الله فتنحى عنهم فإنك إن كنت جاهلاً ازددت جهلاً وإن كنت عالماً لم ينفعك علمك وإن نزل عليهم سخط من الله يصيبك منه ، ومجالس العلم تحفها الملائكة وتنزل عليها الرحمة وتغشاها السكينة من الله عز وجل ، ورسول الله ﷺ يقول من سلك طريقاً يريد به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وأفضل العلم أن نتفقه في دين الله عز وجل حتى نتعلم أمور ديننا التي نتعامل بها في حياتنا الدنيا فلا نقع في محظور أو حرام ومن الأمور التي نجدها في حياتنا كثيراً نوع من اليمين لا كفارة له بل أن صاحبه يدخل به جهنم والعياذ بالله وهو اليمين الصابرة وهذه لا كفارة لها إلا أن تؤدي الحقوق إلى أصحابها فإنها اليمين التي يقطع بها حق أو

يمنع بها حق ويكون بسببها ظلماً للناس فلا كفارة له إلا بأداء الحقوق التي بسبب هذا اليمين ضاعت على الناس ورفع الظلم الذي كان بسببه وأصحاب الحقوق هذه كأنها أمانات عندك ورسول الله ﷺ عندما فتح مكة سمع قولاً من يهود قالوا ليس علينا في الأميين سبيل أي أنهم يأكلون حقوق العباد ويغتصبون البلاد وينتهكون الأعراض كما جاء في تلمودهم لأن الناس من غير ملة اليهود كأنهم دواب واليهود فقط هم شعب الله المختار فإذا اغتصبوا شيئاً منهم فلا عقوبة عليهم فيه فعندما سمع رسول الله ﷺ قول اليهود هذا قال كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع إلا الأمانة فإنها مؤداة لكل بر وفاجر ، لذلك يكون أداء الأمانة لكل الناس دون النظر إلى ملتهم أو دينهم أو تقواهم أو فجورهم إنما هو صاحب حق له أمانة لا بد لها من أداء ، وقد جاء بعض الناس إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنه يسألونه فقالوا إنا نجد في الغزو والسفر الدجاجة فنأكلها قال لهم وماذا تقولون قالوا نقول ليس في هذا بأس - أي أنهم يقولون نأكله فإنه لأصحاب الذمة يهود أو نصارى - فقال والله لقد قتلتم كما قالت اليهود ليس علينا في الأميين سبيل إنهم إذا أدوا ما عليهم حُرمت عليكم أموالهم إلا بطيب نفس منهم ، هذه حقيقة دين الإسلام وجوهره لا يبيح أكل حقوق الناس مهما كانوا .

واليمين الصابرة هي التي تصبر صاحبها في نار جهنم ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من حلف على يمين فاجرة يقطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان " من حلف على يمين هذه اليمين أخذ بسببها مال غيره وهو لا يحق له غضب الله عز وجل عليه وسمع هذا القول الأشعث بن قيس رضي الله عنه فقال كان بيني وبين يهودي أرض فجحدتها فقدمت به إلى رسول الله ﷺ فقال رسول

الله ﷺ لي ألك بينة قلت لا يا رسول الله فقال إذا بينتك أو يمينه أي
 لليهودي أن يحلف على ما يقول فقال الأشعث يا رسول الله إذن يحلف
 وذهب مالي ، أي أنه يعلم أن اليهودي سيحلف على الكذب ليأكل
 الأرض ولكنه ليس أمامه حيلة لأنه لم يأتي بشهود على ما يقول وليس
 معه ما يثبت به كلامه أو حقه في الأرض فنزل قول الله عز وجل
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي
 الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ آل عمران 77 كان ذلك حكم الذي يحلف على شيء
 ليس من حقه ليغتصبه سواء قل ذلك الشيء أو كثر فتكون عاقبته يوم
 القيامة ألا ينظر الله إليه ولا يكلمه ولا يقبل له حسنات وإن كانت مثل
 الجبال ولهم عذاب أليم ، وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال : قال رسول
 الله ﷺ نصب رجل سلعة في السوق وحلف أنه أعطي فيها ما لم يعطى
 ليوقع فيها رجل من المسلمين - أي أن الرجل جاء بسلعة وعرضها في
 السوق للبيع ثم أقسم أنه جاء فيها مثلاً عشرة جنيهاً بينما لم يأتها
 ذلك المبلغ بل قال ذلك لينال فيها أكثر من العشرة جنيهاً لأنها
 لا تساوي هذا المبلغ ولكنها تساوي أقل منه فهذه الزيادة التي ارتضاها
 البائع والمشتري تكون مال مكتسب باليمين الصابرة فكان حكمها
 ما جاء في الآية السابقة ، ورسول الله ﷺ يقول من أخذ مال أخيه بيمينه
 حرم الله عز وجل عليه الجنة وأوجب له النار " من أخذ مال أخيه بالقسم
 عليه يقسم أن هذا الشيء له وهو ليس له كان له النار وأصحاب رسول
 الله ﷺ لأنهم كانوا يحرصون على اتباع ما يأمرهم به رسول الله ﷺ
 قالوا يا رسول الله ولو كان شيئاً يسيراً قال وإن كان عوداً من أراك ،
 ولو كان عود سواك لا قيمة له ، عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال : قال
 رسول الله ﷺ من أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل

النفس بغير حق واليمين الغموس وما حلف حالف بالله يمين صابرة فأدخل فيها جناح بعوضة إلا كانت نكته في قلبه يوم القيامة " ومعنى اليمين الغموس أي التي تغمس صاحبها في جهنم والعياذ بالله وإن حلف على شيء باليمين الصابرة قدره قدر جناح البعوضة أكله ظلماً وعدواناً ورسول الله يضرب لنا بتلك الأمثلة حتى يعظم الذنب في قلوب الناس حتى لا يستصغر الناس قيمة شيء فيأكلونه ظلماً وعدواناً ويتحرى الإنسان الدقة فيما يحلف عليه فتكون علامة سوداء في قلبه يوم القيامة دليلاً على أنه اغتصب بيمينه حق غيره لذلك عدها رسول الله ﷺ من الكبائر وفي حديث آخر قال خمس لا يكفرها شيء الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والتولي يوم الزحف وبهت مؤمن ويمين فاجرة يقتطع بها مالاً بغير حق ، وقد قال رسول الله ﷺ لأصحابه يوماً أتدرون من المفلس قالوا الذي لا درهم له ولا دينار فقال المفلس الذي يأتي يوم القيامة ومعه حسنات أمثال الجبال أي أنه كان في الدنيا يعمل الصالحات التي تجعل له الكثير من الحسنات ثم يقول ثم ظلم هذا وأكل مال هذا وشتم هذا وضرب هذا فيؤخذ من حسناته وتعطى لهذا وهذا سداداً لمن ظلمهم وأكل أموالهم وشتمهم وضربهم يأخذون من حسناته التي مثل الجبال حتى يصبح لا حسنة له فيصبح مفلساً لا حسنات له تدخله الجنة فإنه لا ينفع يوم القيامة الدينار ولا الدرهم إنما هي حسنات وسيئات ثم يقول رسول الله ﷺ حتى إذا نفذت حسناته أخذ من سيئاتهم ووضعت عليه تطرح عليه ثم يطرح في نار جهنم فكان ذلك جزاءً وفاقاً لما اقترف في حق الناس .

اليمين الغموس ثانياً

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد " وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في دين الله عز وجل ، ورسول الله ﷺ يقول الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهاة فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام " لذلك وجب على كل ذي عقل أن يتعلم ويتفقه في أمور الدين حتى لا يقع في الأمور المتشابهة فيقع في الحرام ، ويقول الله عز وجل ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . لَّا يُؤْخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِنْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ البقرة 224 – 225 ولنعلم أن اليمين لا تمنع من البر والمعروف وصلة الأرحام ، ومن حلف يميناً وأقسم على ارتكاب معصية فلا يفعلها أما البر فيجب فعله لأن رسول الله ﷺ قال لا يمين في معصية الله ، كأن يقسم إنسان ألا يصوم أو لا يصلي أو لا يتصدق ، وكذلك قال لا يمين فيما لا يملك ابن آدم أي لا يقسم إنسان أن يعطي إنسان شيئاً وهو لا يملكه ثم يقول ولا يمين في قطيعة رحم ، فمن حلف ألا يكلم زوجته فعليه أن يكلمها ومن حلف أن يقاطع أخاه أو أحد من رحمه فعليه أن يصلهم ، وقد كانت حادثة ومثلاً لذلك ما كان من الصديق رضي الله عنه عندما تكلم في عرض ابنته عائشة رضي الله عنها الناس في حادثة الإفك ومنهم قريب لها من رحمها فهو قريب للصديق رضي الله عنه وكان يتصدق عليه لفقره وحاجته فأقسم الصديق ألا يتصدق عليه بعد ما كان منه في حق ابنته التي برأها الله عز وجل من فوق سبع سماوات في آيات تتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فلما أقسم الصديق على ذلك نزل قول الله

عز وجل ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ
وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۚ أَلَا
تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النور 22 كان معنى
هذه الآية يا صديق يا خليفة رسول الله ﷺ قريبك وقع في عائشة لا تمنع
الصدقة التي كنت تتصدق بها عليه ثم يعطي الله الجائزة على ذلك
فقال ألا تحبون أن يغفر الله لكم ومن لا يحب أن يغفر الله له لذلك لما
سمعتها الصديق ﷺ وهو من المبشرين بالجنة قال أحب أن يغفر الله لي ،
وأعاد لقريبه ما كان يتصدق به عليه ، ذلك لأن دين الإسلام دين العفو
دين السماحة يأمر بصلة الرحم لذلك يقول رسول الله ﷺ من حلف على
يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليأتي ما هو خير "
ولكن كيف يكون التكفير عن اليمين ؟ جاء أبو موسى الأشعري رضي الله
من مكان بعيد وكان فقيراً إلى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله جئنا
لتحملنا أي يريدون ما يركبونه فقال رسول الله ﷺ والله ما عندي ما
أحملكم عليه ثم انصرف وبعدها جاءت إلى رسول الله ﷺ ركائب
فأرسل إلى الأشعريين فجاءوا فأعطى كل واحد منهم جمللاً ، وعندما
خرجوا قالوا فيما بين أنفسهم أن رسول الله قد حلف لقد استكرهنا
رسول الله ﷺ عندما أخذنا هذه الركائب ، والله عز وجل يقول ﴿وَلَا
عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لَتَذْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا
وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ التوبة 92 كانت
هذه الآية تروي قصة هؤلاء الأشعريين قوم أبي موسى الأشعري رضي الله
يحسبون أنه نسي أنه قد حلف فقال رسول الله ﷺ إني إن شاء الله
لا أحلف على يمين فأرى في غيرها خيراً منها إلا تحللتها ، أي تحلل من
هذه اليمين بكفارة اليمين ، عندما تحلف على شيء أن تفعله أو لا تفعله
ثم وجدت أن الخير في عكس ما حلفت عليه تحنث بهذا الحلف وتكفر

عنه بالكفارة التي حددها الله عز وجل بإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يستطع من ذلك شيئاً فعليه بصوم ثلاثة أيام .

وهناك يمين لا كفارة لها كأن تقول والله كذا إنما هي يمين لغو لا شيء فيها ، وهناك إيمان لا كفارة لها ولكنها تدخل صاحبها جهنم والعياذ بالله فقال رسول الله ﷺ خمس ليس لهن كفارة الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وبهت المسلم واليمين الغموس ، وهى التي تغمس صاحبها في نار جهنم والعياذ بالله ، وفي حديث رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس بغير حق ويمين صابرة تصبر صاحبها في جهنم والعياذ بالله ، والله عز وجل يقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ آل عمران 77 قال الأشعث بن قيس رضي الله عنه هذه الآية نزلت في كان بيني وبين يهودي نزاع على أرض أي كان بين الأشعث بن قيس نزاع مع رجل يهودي على أرض وضع اليهودي يده عليها فجاء به إلى رسول الله ﷺ فقال له يا أشعث بينتك أو يمينه فقال الأشعث إذن يا رسول الله يحلف وذهب مالي فأنزل الله عز وجل هذه الآية ، ورسول الله ﷺ يقول من أقتطع مال أمريء مسلم بيمين صابرة حرم الله عز وجل عليه الجنة وأوجب له النار ، فكانت هذ اليمين التي يريد بها قائلها أن يأكل أموال الناس بالباطل سبباً في دخوله جهنم وبئس المصير فكل قسم يضر غيره فهو يمين غموس حتى وإن لم يكن فيه أكل مال فقد يكون يمين أو قسم يدخل غيره به السجن ظمناً لذلك صحابة رسول الله ﷺ عندما سمعوا قوله من أخذ مال

أخيه بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار قالوا يا رسول الله ولو كان شيئاً يسيراً قال ولو كان عوداً من أراك ، حتى وإن كان عود سواك لا قيمة له ولكنه حصل عليه بيمين صابرة يدخل صاحبه النار ويحرم عليه الجنة ، وكذلك من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت فإن رسول الله ﷺ سمع رجل يحلف بالكعبة فقال من حلف بغير الله فقد أشرك .

النذر من قديم

يقول رسول الله ﷺ الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم " الشيطان كأنه ذئب للإنسان مثل ذئب الغنم إنما يأكل من الغنم القاصية والناحية فعليكم بالجماعة وعليكم بالمساجد ، إذا كنت تريد أن تتجو من الشيطان فهناك وسيلتين أن تخالط خلق الله وأن تلجأ إلى المساجد ، ولقمان الحكيم أوصى ابنه قال له يا بني إذا أتيت المسجد فارمهم بسهم الإسلام ثم اجلس في ناحيتهم فإن سمعتهم خاضوا في ذكر الله فأدلج بسهمك فإن كنت جاهلاً علموك وإن كنت عالماً ازددت علماً وإن تصبهم رحمة من الله تصبك وإذا سمعتهم خاضوا في غير ذكر الله فتتحى عنهم فإنك إن كنت جاهلاً ازددت جهلاً وإن كنت عالماً لم ينفعك علمك وإن ينزل عليهم سخط من الله يصبك ، لذلك وجب علينا أن نسعى في طلب العلم ومخالطة العلماء وأهل الفقه حتى نتفقه في أمور ديننا ، والله عز وجل يقول ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ البقرة 207 هناك من يبيع نفسه لله عز وجل وهذا هو البيع الرابع لأن الله عز وجل يقول ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبَشِّرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكُمْ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة 111 فإذا كان الله عز وجل هو الشاري فإن البيع رابع لا محالة بكل يقين لأن الله عز وجل يقول ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ ۚ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب 23 أهل الإسلام عندما

كانوا رجالاً كان الخلق يهابهم كان الجهاد في سبيل الله هو غايتهم يبيعون أنفسهم وأموالهم لله ، وكانوا يتعاملون في الجهاد وتحرير الأرض بالنذر كان الواحد منهم ينذر نفسه لله عز وجل يبيع نفسه لله عز وجل والنحب في الآية ليس الأجل والموت إنما النحب هنا هو النذر أي ينذر نفسه لله عز وجل وكان منهم صلاح الدين الأيوبي الذي ينبغي علينا أن نقول رضي الله عنه لأنه من الرجال الذين ينذر أن وجود علينا الزمان بمثله الذي نذر نفسه لتحرير بلاد الإسلام من الإستعمار الصليبي وكان ينذر ألا يغتسل من جنابة حتى يحرر الأرض وحتى يعيد لأهل الإسلام مجدهم وعزهم فكان الله عز وجل يمكنه من أن يفي بنذره .

والنذر إنما هو عبادة من قديم فقد كان عبد المطلب جد رسول الله ﷺ وهو في الجاهلية نذر أن يذبح واحداً من أولاده إن رزقه الله بعشرة من الولد فكان الذبيح هو ابنه عبد الله والد رسول الله ﷺ ، والنذر عبادة من قديم أقدم من ذلك فقد جاء في كتاب الله عز وجل قوله ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ آل عمران 35 نذرت إن رزقها الله عز وجل بمولود أن تهبه لله عز وجل يكون في خدمة بيت المقدس ، فالنذر هو التزام قرابة غير لازمة في الشرع يتقرب بها العبد لله عز وجل ، ولكن النذر التي يتعامل به الناس إنما هو منهي عنه لأن من الناس من يقول إن نجح ابني فسوف أصوم عدد من الأيام أو أذبح كذا أو أتصدق بكذا ذلك النذر بهذه الكيفية إنما هو منهي عنه ومردود على صاحبه لأنه نذر مشروط كأنه يشترط على الله عز وجل ألا يفعل ذلك الخير إلا إذا حقق الله عز وجل له مراده لذلك قال رسول الله ﷺ لا تنذروا فإن الله عز وجل لا يعطي على الرشوة " وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال نهى رسول الله ﷺ

عن النذر وقال إنه لا يأتي بخير إنما يستخرج به الله عز وجل من مال البخل ، نهى عن النذر المشروط لأنه لا يأتي بخير لأن الله عز وجل هو الفعال لما يريد يقول الله عز وجل ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۚ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ يونس 107 الله عز وجل إذا قدر الخير لأحد فهو نافذ سواء قدم نذراً أم لا فهو الذي يشفي المريض من ضره فالنذر هنا لا يقدم ولا يؤخر شيئاً في إرادة الله عز وجل ولا يجلب نفعاً ولا يرد ضرراً ولكن الله عز وجل يستخرج هذا النذر ويجريه على لسان العبد حتى يستخرج من مال البخل ما يكون فيه صدقة وطعاماً للفقير ، والنذر الذي أمرنا به هو نذر الطاعة لا بسبب معين كأن تتذر صيام أيام معينة طاعة وتقرباً إلى الله عز وجل أو تتذر ذبح شاة تتصدق بها على الفقراء والمساكين تقرباً إلى الله فذلك قربة إلى الله عز وجل والله عز وجل يقول ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ۚ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ البقرة 270 وذلك النذر يجب الوفاء به ، فإن هناك من ينذر نذراً يرهقه لا يستطيعه كأن يقول نذرت لله عز وجل أن أتصدق بنصف مالي أو أن أصوم ثلاثة أشهر أو أي فعل قد لا يقوى عليه فإن الله عز وجل لا يريد للناس أن يعذبوا أنفسهم ما يفعل بعذابهم إنما هو الرحمن الرحيم فمن نذر شيء لا يستطيع أن يفي به عليه كفارة لهذا النذر فعن عبد الله بن عباس ؓ قال : قال رسول الله ﷺ من نذر نذراً لم يسميه فكفارته كفارة يمين - بمعنى إذا قال إنسان عليّ لله ولم يسمي هذا النذر فعليه كفارة يمين - ومن نذر نذر معصية فكفارته كفارة يمين " وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول : قال رسول الله ﷺ من نذر أن يطع الله عز وجل فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصيه " فمن نذر ألا يصلي أو ألا يصوم فذلك النذر مردود عليه وعليه أن يصلي

ويصوم عليه أن يتصدق ويصل قرابته عليه أن يصلح بينه وبين الناس ، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ من نذر نذر معصية فعليه كفارة يمين ومن نذر نذراً لا يطيقه فعليه كفارة يمين ومن نذر نذراً يطيقه فليفي به " كأن ينذر رجل فقير يعول أولاداً أن يتصدق بكذا فلا يفي بنذره ولكن عليه كفارة يمين ولكن من كان يستطيع أن يفي بنذر فيجب عليه أن يفي به ، والنذر هذا إنما هو عبادة فلا يكن في شيء غير العبادة رسول الله ﷺ وهو قائم يخطب الناس وجد رجلاً واقفاً في حر الشمس فسأل ما بال الرجل قالوا يا رسول الله هذا أبو اسرائيل نذر أن يقف في الشمس ولا يجلس ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم ، فقال رسول الله ﷺ مروه فليستظل وليجلس وليتكلم وليتم صومه " ذلك لأن كل هذه الأمور التي نذرها ليست بعبادة إلا الصوم فهو عبادة وعليه أن يتمه ، وكذلك جاء عقبة بن عامر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ وقال نذرت أختي نذراً أن تحج ماشية ولا تختمر أي إنها لا تستظل من الشمس فقال له رسول الله ﷺ مرها أن تختمر وأن تركب فإن الله عز وجل لا يفعل بعذاب أختك شيئاً "

النذر هو عبادة والعبادة لا تكون إلا لله عز وجل وحده لا شريك له فلا ينذر إنسان لولي أو لشيخ مهما علت رتبته ومهما ظهرت كرامته لأن الشيخ والولي والنبي هو ميت والميت لا يملك أن يتصرف في حق نفسه فكيف يتصرف في حق الآخرين فمن اعتقد أن هذا الشيخ أو ذاك يملك له ضراً أو نفعاً فقد كفر وأشرك بالله عز وجل ، وقد جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ وقالت إني نذرت أن أذبح في بواته - مكان كانوا يذبحون فيه في الجاهلية - فقال لها أفيه وثن يُعبد قالت لا يا رسول الله فقال لها أوفي بنذرك ، وكذلك من نذر أن يعتكف في مسجد معين بذاته فله أن

يعتكف في أي مسجد لأن المساجد كلها لله عز وجل ولكن من نذر أن
يعتكف في المسجد الحرام أو في المسجد النبوي فلا يعتكف إلا فيهما
وكذلك المسجد الأقصى لأن هذه المساجد الثلاثة لها مكانة عالية
ومنزلة عظيمة لأن رسول الله ﷺ قال الصلاة في المسجد الحرام بمائة
ألف صلاة فيما سواه والصلاة في مسجدي هذا بألف صلاة فيما سواه
والصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة فيما سواه لذلك كان
النذر هنا يختلف ، وكفارة عدم الوفاء بالنذر مثل كفارة اليمين إطعام
عشرة مساكين أو كسوتهم فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، والله
عز وجل يقول ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾
الإنسان 7

بر الوالدين

يقول رسول الله ﷺ ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ، تلك الرحمة التي أمرنا بها رسول الله ﷺ أمرنا أن نتعامل بها مع الوالدين مع الآباء والأمهات وتلك الرحمة هي أمر وفرض فرضه الله عز وجل علينا فإن الله عز وجل يقول ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ الإسراء 23 - 24 كانت تلك أوامر من الله عز وجل أنزلها في كتابه العزيز وفرضها على أمة محمد ﷺ أن يكونوا أبراراً بالوالدين رحماء بهم حتى تكون هذه المعاملة بالبر والرحمة هي عبادة نتعبد إلى الله عز وجل بها فكان بر الوالدين في دين الإسلام عبادة نعاملهما بالرحمة واللين في الكلام ولا يقل أحداً من الناس أن والدي سبب صغري وكبري لا يقول أن النطفة التي من صلبه واستقرت في رحم أمه هي السبب في تعاملي معهما بهذه الرحمة ولا يقول قائل إن أمي حملتني تسعة أشهر وأرضعتني حولين كاملين إن كان ذلك هو البر للوالد والوالدة فإن الأمر بالمنع عن العقوق هنا لم يكن لذلك السبب فإن الأمر بالبر هنا هو عبادة لله عز وجل ، وعن عبد الله بن عباس ؓ قال وينسب القول إلى رسول الله ﷺ قال في تلك الآية لو كان يعلم الله عز وجل أدنى من كلمة أف لقالها أي لو كان في علم الله عز وجل أدنى من هذه الكلمة أو أبسط منها لقالها فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار نسبت هذه الكلمات إلى رسول الله ﷺ أو أنها

أدخلت عليه وعلى أي حال فإن كلمة أف التي نهينا عنها في كتاب الله عز وجل فإن النهي يكون أكثر فيما سواها ولننظر إلى عمر الوالد وعمر الوالدة فإنهما كلما تقدما في السن فإن قول أف لهما أكبر والتعنت معهما أكبر حتى مجرد النظر لهما بحدة أكبر فإن عدم التودد لهما وطلب الرحمة لهما وعدم طلب الصفح منهما هو أكبر ، وعبد الله بن عباس رضي الله عنه الحبر في دين الإسلام يقول نزلت ثلاث آيات مقروونات بثلاث لا يقبل الله عز وجل واحدة حتى يكون معها قرينتها يقول نزلت ثلاث آيات تلك الآيات لها قرين أي كلمة ولها ما يناظرها فإذا فعلت الأولى ولم تفعل الثانية فإن الأولى لا تقبل فما هي هذه الآيات يا حبر الأمة يا من علمتنا ونقلت إلينا تفسير القرآن يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنه نزل قول الله عز وجل ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فمن أطاع الله عز وجل ولم يطع رسول الله ﷺ لا يقبل الله منه لماذا لأن طاعة رسول الله ﷺ من طاعة الله عز وجل فمثلاً هل نجد في كتاب الله عدد ركعات كل صلاة هل نجد كيف نحج ونعتمر فكانت طاعة رسول الله ﷺ في تلك الأمور هي طاعة لله عز وجل فالله عز وجل لا يقبل من انسان طاعة له حتى تكون قرينتها طاعة رسول الله ﷺ وهما يسيران معاً في طريق واحد هذه الأولى ، وقال الله عز وجل ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فمن أقام الصلاة ولم يؤدي الزكاة لا يقبل الله منه إذا كان عليه زكاة واجبة فإن الذي يفرض في أمر من أوامر الله في ركن من أركان الإسلام عن قصد ونية وتعمد وجحود ونكران له كأن يقول في نفسه إن الزكاة ليست واجبة أما إذا لم يخرج الزكاة تكاسلاً ولكنه يقر بفرضيتها ووجوبها فهذا عاص مقصر ولكن من أنكرها فقد كفر والعياذ بالله ، والثالثة قال الله عز وجل ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ نشكر الله عز وجل على نعمه كما أمرنا أن نشكر والدينا فهما سبب وجودنا

لذلك قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه فمن شكر الله ولم يشكر والديه لا يقبل الله منه .

ويقول الله عز وجل ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ النساء 36 جعل الله عز وجل الشرك به وعبادته مع الإحسان بالوالدين كأنهما متلاصقتين فكيف بنا ونجد من الناس يعاملون الآباء والأمهات بالجحود والغلظة والقسوة سواء بالقول أو بالفعل أو حتى بالنظر إليهما بجحود كيف يكون ذلك في أمة محمد صلى الله عليه وسلم التي أمرت أن تعامل الآباء والأمهات بالرفق واللين حتى وإن كانوا على الشرك والكفر حتى وإن كانوا على غير ملة الإسلام أمرنا الله أن نعاملهم بالبر والإحسان فقال الله عز وجل ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۚ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لقمان 15 حتى وإن عمل الوالد أو الوالدة على استمالتك للشرك ودعوك إلى ذلك كان الأمر من الرحمن عدم الطاعة حتى لا تكون من أهل الشرك والأمر الثاني أن تصاحبهما في الدنيا معروفاً أن تصاحبهما بالمعروف بالطيب واللين من الكلام كما كان نبي الله إبراهيم عليه السلام يعامل والده ، يقول الله عز وجل ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا . يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ ۖ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ مريم 44- 45 كانت هذه الكلمات من نبي الله من رسول الله إبراهيم وهو يكلم والده المشرك بينما نجد في هذه الأيام من يقاطع والده لأنه يشرب الدخان أو لأنه يفعل كذا أو كذا بينما نبي الله أراد أن يأتي به إلى حظيرة الإيمان فكان المقام هنا هو الوفاء وليس الجحود كانت فيها شدة ما كان فيها لين ما

كان فيها معاملة بالبر كما أمرنا الله عز وجل وأمرنا رسول الله ﷺ ،
وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال أي العمل أحب إلى الله
عز وجل قال رسول الله ﷺ الصلاة على وقتها قال ثم أي يا رسول الله قال
بر الوالدين قال ثم أي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله ، فكان
الجهاد في سبيل الله الذي له منزلة عظيمة في دين الإسلام الذي هو
وسيلة الأمة إلى الجنة الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما ترك قوم الجهاد إلا
أصابهم الله بالذل ، الجهاد الذي هو من أسمى العبادات في دين الإسلام
حتى أن رجل جاء إلى رسول الله ﷺ يقول يا رسول الله إني أبتغي الهجرة
والجهاد فقال له أبتغي الأجر من الله قال نعم قال له هل لك والد أو
والدة قال كلاهما فقال له رسول الله ﷺ ارجع فأحسن صحبتتهما ، إذا
كنت تبتغي أجر وثواب الجهاد في سبيل الله وإن كان أحد من والديك
على قيد الحياة فإن برهما أعلى أجراً ومرتبة من الجهاد في سبيل الله
أعلى رتبة من القتال والاستشهاد في غمار المعركة ، وعن أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله إني
أشتهي الغزو في سبيل الله فقال له هل لك من والديك حي قال كلاهما
قال ففيهما فجاهد ، جاهد في حسن معاملتهما وحسن صحبتتهما وفي
الرحمة بهما وقضاء حاجتهما .

إن عقوق الوالدين من أكبر الكبائر التي يدخل فاعلها جهنم
والعياذ بالله ففي حديث لجابر رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً
فقال يا معشر المؤمنين اتقوا الله وصلوا أرحامكم فإنه ما من ثواب
أسرع من صلة الرحم وإياكم والبغي فما من عقوبة أسرع من عقوبة
البغي وإياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام
ولا يجد ريحها عاق .

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله شهدت أنه لا إله إلا الله وأنت رسول الله وصليت الخمس وصمت رمضان وأديت زكاة مالي فأين أنا إن مت قال له رسول الله ﷺ إن مت على ذلك فأنت مع النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين يوم القيامة ما لم تعق والديك " فكان نيل تلك الدرجة الرفيعة في الجنة مشروطاً بعدم عقوق الوالدين فمن فعل كل هذا بينما هو عاق لوالديه لم ينل هذه المنزلة والمكانة .

والعقوق يكون في ثلاثة أمور الإيذاء الذي تفعله مع والديك تحسبه صغيراً فيكون مع الوالدين كبيراً ذلك الإيذاء قد يكون صغيراً إذا كان مع أي أحد من الناس ولكنه إذا كان تجاه الوالدين يكون كبيرة من الكبائر من الموبقات التي تحرص على أن يسامحك فيها تتذلل إليهما حتى تكفر عنك هذه واحدة أما الثانية عدم الإستجابة للأمر والنهي الذي يكون فيه كرامة الولد ففي حديث الجهاد إذا أمرك الوالد أو الوالدة بألا تخرج للغزو فلا خروج للغزو فما بالك بالأقل من الجهاد منزلة .

والثالثة السفر من بلد إلى بلد آخر يكون فيه مشقة على الوالد أو الوالدة ولا يكون فرضاً على الولد ذلك هو قول أهل الفقه في تلك المسألة وجاءوا بحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء رجل مهاجراً من اليمن فقال يا رسول الله إني هاجرت إليك فقال رسول الله ﷺ ومن تركت في اليمن قال تركت أبوان قال ارجع إليهما فاستئذنهما فإن أذنا لك فهاجر وإلا فبرهما ، فكان هنا بر الوالدين وطاعتهما في منزلة الهجرة فقال أهل الفقه في دين الإسلام أنه ليس للولد أو البنت أن يخرجاً في سفر إلا بإذن والديهما فإن لم يأذنا فلا يسافرا ولكن الإستثناء في الحج المفروض أي حج الفريضة ففيه الخروج حتى وإن لم يأذنا له أما

حج التطوع فلا خروج فيه حتى يأذن له ، فإذا كان الأمر كذلك فلننظر في ما نصنع مع والدينا نجد أن المسافة شاسعة والمقارنة صعبة عسيرة بين ما يجب علينا فعله تجاههما وبين ما نقوم به لهما فكل يوم نسمع عن من يلعن ويسب والديه ومن يضرب بل ويقتل أباه أو أمه وقد نهينا حتى عن إنكار فضلهما فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قالوا يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه " لأنه إذا سب الرجل أحداً من الناس فهذا الآخر بالتالي يسب أباه وأمّه فيكون قد جلب لهما السب والشتم ونحن نجد من يتضحكون فيما بينهم بسب ولعن وشتم الوالدين فأَيُّ فحش وفسوق يقع فيه هؤلاء اللاهون العابثون بالكبائر من الأمور ورسول الله ﷺ قال من شتم والديه نزل عليه مثل أحد من العذاب في قبره ومن مات وهو عاق لوالديه ضمه القبر حتى تختلط أضلاعه ، وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله هل عليّ من بر أبواي بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما أي الدعاء لهما بالمغفرة والإستغفار لهما وطلب الرحمة لهما ثم قال وإنفاد عهدهما أي إذا تركا وصية تنفذ ثم قال وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما أي أقاربهم أهل الأم وأهل الأب لا تقطع صلتهم بعد وفاة الأم أو الأب ثم قال وبر صديقهما ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه أي الذين كان والده يصلهم ويبر بهم في حياته من أصدقائه وأحباءه .

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قالوا بلى يا رسول الله قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قال ألا وقول الزور وألأوقول الزور وأخذ يكررها حتى قال الصحابه ليته

يسكت ، وقال رسول الله ﷺ كل الأمور يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه معجله لصاحبه في الحياة وقبل الممات ، الذي يعق والديه ليعلم جيداً أنه سوف يذيقه الله عز وجل نكالاً وخذياً وسوف تتراكم عليه الأوزار وينزل عليه البلاء في دنياه قبل آخرته في حياته قبل موته ، والعاق لوالديه إنما هو يقدم لنفسه ما سوف يلقاه من أولاده فليُنظر كل منا ماذا يقدم لنفسه فإنه كما تدين تدان وقد قال رسول الله ﷺ لأهل الإسلام جميعاً عفا نساءكم وبروا آباءكم يبركم أبناءكم ، وذلك ليعلم كل إنسان أنه كما كان يعامل والديه سوف يعامله أبناءه ، ورسول الله ﷺ صعد يوماً على المنبر فسمعه الصحابة وهو يصعد يقول آمين آمين آمين وبعد أن نزل سألوه عن ذلك فقال جاءني جبريل عليه السلام وقال لي يا محمد تعس عبداً أدرك أبويه أحدهما أو كلاهما الكبير ولم يدخله الجنة قل آمين فقلت آمين ثم قال تعس عبد أدرك رمضان ثم خرج منه ولم يُغفر له قل آمين فقلت آمين ثم قال تعس عبد ذُكرت عنده فلم يصلي عليك قل آمين فقلت آمين ، ومن أتعسه الله عز وجل بسبب حرمانه من هذه الفضائل فقد أدخله الله عز وجل النار بيقين ، إن دين الإسلام دين الرحمة والمحبة والخير كله .

الأصدقاء

يقول الله عز وجل ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ
وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ آل عمران 103 بفضل الله عز وجل ومن
رحمته أن ألف بين القلوب وما أصعبها بين الناس لذلك يقول الله عز
وجل في آية أخرى ﴿وَالَّذِينَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۖ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا
أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الأنفال
63 فكان دين الإسلام ورسالة محمد ﷺ تدعوا إلى الحب والود بين
الناس وتألّف قلوبهم فإنما المؤمنون أخوة ورسول الله ﷺ عندما دخل
المدينة أول ما فعله أن آخى بين الناس ما كانت هناك قرابة وما كانت
هناك أرحام بينهم ولكن كانت أخوة في دين الإسلام الأخوة التي أمرنا
الله عز وجل بها والتي كان فيها الفضل الكبير والخير الوفير من رب
العالمين فإنه في حديث رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ما
تحابا رجلان في سبيل الله إلا كان أحقهما إلى الله عز وجل أشدهما
حبا لصاحبه ، رجلان يتحابا تكون بينهما الصفاء والأخوة من هما
أقربهما إلى رب العالمين أقربهم إلى رب العالمين أشدهما حبا لصاحبه ،
ويقول أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ حول العرش منابر من نور عليها
ناس وجوهم نور وثيابهم نور - حول العرش عند رب العالمين منابر
أماكن أعدت لناس يشع النور من وجوهم وثيابهم هم دخلوا الجنة
مكانهم حول العرش لماذا كانت لهم تلك المكانة وهذا الفضل لأنهم
تحابوا في الله ليس بينهم أرحام أو مصالح دنيوية ولكنهم تحابوا في الله
فقط ، وفي حديث قدسي يقول رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل حقت

محبتي للذين يتحابون في الله والذين يتدارسون في الله والذين يتبادلون في الله والذين يتبارون في الله " إذا كان الله عز وجل أوجب على نفسه حب ذلك الرجل الذي يصنع ذلك الصنيع فكم من منزلة تكون هذه وقد قال القائل أكثر من الأخوان أكثر من الأصدقاء فإنهم عون إذا استتقتهم أنقذك فما بكثير ألف خل وصاحب ، وإن عدوا واحداً لكثير ، إذا كان لك أنت من الأصدقاء قليل فحاول أن تزيد عددهم وإن كان لك عدواً واحداً فحاول أن تستميله لتتقي عداوته ويتحول إلى صديق لأن عدواً واحداً كثير ، لذلك يجب الإكثار من الأصدقاء فإن فيها فضل كبير فإن علي بن أبي طالب عليه السلام قال أكثروا من الإخوان فإنها عدة في الدنيا والآخرة ثم يقول ألم تسمع قول أهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ، أي أن أهل النار يطلبون الصديق والحميم واحداً فقط .

وكما قال أهل السلف عليك بأن تكثر من الصحبة والأخوان فإن لكل مؤمن شفاعة ، الله عز وجل جعل لكل مؤمن شفاعة يشفعه في صديقه أو قريبه أو نفسه فلعلك تتال شفاعة أحدهم لعلك تكون صاحباً لرجل صالح من أولياء الله تتال شفاعته فإن صحبة ومصاحبة الأخيار فيها كل الخير في الدنيا والآخرة ويجب البعد عن الفسقة وأصحاب المعاصي لأن صحبتهم فيها الهلاك في الدنيا والآخرة لأن التقى الصالح يقربك إلى الله عز وجل فلا تفرط في صحبتته أبداً فإن الله عز وجل يقول ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا . يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۚ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ۝﴾ الفرقان 27 - 29 الذي يصاحب الظلمة والفسقة من الناس يكون هذا

حاله يوم القيامة الندم ، والأكبر منها قالها عقبة بن أبي معيط في يوم من الأيام عندما كان مصاحباً لأبي بن خلف وكلاهما صنف واحد ولكن عقبة كان أقرب إلى الإسلام وتقرب إلى رسول الله ﷺ ولكن صحبة الأشرار منعت أن يكون من أهل الإيمان فكان من الذين حشروا إلى جهنم لأنه مات على الشرك فيكون هذا قوله يوم القيامة ليتني لم أطع فلان أو أتخذ خليل وصاحب وصديق ، وكذلك هذا قول كل من فعل مثله واتبع أصحاب السوء وسمع لقولهم وفعل فعلهم من الفسق والفجور وكل الموبقات ، لذلك يجب أن نتخير الأصدقاء لتكون محبتنا لهم ابتغاء وجه الله عز وجل ليس من أجل ماله أو سلطته ونفوذه أو حاجة لك عنده فإن رسول الله ﷺ يقول من أعطى الله ومنع الله وأحب الله وأبغض الله فقد استكمل الإيمان ، فمن كان حبه خالصاً لوجه الله عز وجل ينال الأجر العظيم ينال جنة رب العالمين ، يقول أبو هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ أنه قال خرج الرجل يوماً زائراً لصديقه فأوكل الله له ملكاً يسأله إلى أين قال زيارة أخي قال هل لك عنده حاجة قال لا قال هل لك به قرابة قال لا قال ألنعمه له عندك قال لا قال فلما تزوره قال إني أحبه في الله فقال إن الله أرسلني أبلغك أنه أحبك بحبك إياه وأوجب لك الجنة " فكان بحب الرجل لصديقه لوجه الله عز وجل أن أحبه الله وأدخله الجنة كانت تلك هي الجائزة والنعمة حب الله عز وجل له ثم أوجب له الجنة .

إن للأخوة في دين الإسلام حقوق أولها أن يكون الأخ وأخيه والصاحب وصاحبه لحمه واحدة ماله كأنه ماله وزاده كأنه زاده وأن يكون كل واحد منهما على استعداد أن يبذل لأخيه أو صاحبه ما عنده لأن الصداقة والحب في الله يخلو من المصالح ومن الأموال فإن الصديق

يأتي لصديقه والأخ يأتي لأخيه يقول له كما قال الأنصاري للمهاجر
عندما آخى بينهم رسول الله ﷺ قال أحدهم لأخيه لي زوجتان فانظر
أيهما ترغب فأطلقها لك فتزوجها وهذا مالي أقتسمه بيني وبينك هذا
هو الاستعداد للبذل والعطاء بين الأخوة والأصدقاء ولكن هل يغتنم
الصاحب الفرصة ويأخذ منه نصف ماله ويتزوج من إحدى زوجتيه ويقول
إنه يحبني ولن يمانع في العطاء لا والله بل يجب أن يقول له بارك الله لك
في مالك وفي زوجتيك ، وكذلك قال الأنصار يارسول الله اقسم بيننا
وبين إخواننا المهاجرين النخل والتمر ولكن قال المهاجرون بل نكفيكم
العمل وتكفوننا المؤنة أي نشارككم في العمل ونأخذ أجراً من الثمر .

والإحسان إلى الأخ والصديق ومد يد العون له فيه ثواب كبير
عند الله عز وجل فإن الصدقة على الصديق والأخ ثوابها أكبر من
الإنفاق على الفقراء والمساكين وعلمنا هذا من قول علي بن أبي
طالب رضي الله عنه الذي كان من أعلم الناس بمراد رسول الله ﷺ وأعلم الناس
بشريعة الإسلام فقال لو أن عندي عشرين درهماً أنفقها على أخ لي في
الله - لم يقل أخ لي في الشيطان أو في الهوى والمفاسد والفجور - أحب
إليّ من أن أنفق مائة درهم على المساكين ، ذلك لأن هذا الإنفاق يجلب
المودة والمحبة في الله ومن شأنه أن يزيد الألفة بين القلوب والترابط بين
أفراد المجتمع الواحد ، وكذلك يقول لو أن لي صاع من طعام يجتمع
عليه أخوة لي في الله أحب إليّ من عتق رقبة ، صاع من طعام تجمع عليه
أخوة لك في الله كل واحد يأخذ منه لقمة أو لقمتين كان ذلك فيه
أجر عتق رقبة .

يقول رسول الله ﷺ المؤمن مألوف يؤلف ولا خير فيما لا يألف
ولا يؤلف ، وكذلك قال رسول الله ﷺ ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة

الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود للكفر كما يكره أن يُقذف به في النار .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن كان لك مودة وقربة فحاول ألا تفرط فيها أبداً ويكون عدم التفريط بالمودة والقرب والحب في الله ويكون بخفض الجناح واللفظ به والهواة معه إن هو ارتكب خطأ أو وقع في معصية فيجب عدم مقاطعته ومفارقتها بسببها ولكن يجب عليك أن تأخذه بالرفق واللين حتى يستقيم أمره ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه يقول إذا تبين لك خطأ في صاحبك فلا تقاطعه فإن المرء يعوج ساعة ويستقيم أخرى ، وذلك لأن الخطأ وارد من كل إنسان فإذا ما أخطأ معك صديقك فلا تقطع ما بينك وبينه من مودة فإن ذلك فيه خطر كبير وليس في الناس معصوم فعليك أن تكون به رفيقاً كما علمنا رسول الله ﷺ في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال حُد رجل بين يدي رسول الله ﷺ المعصية الإثم الذي ارتكبه شرب الخمر والحد نفذ فيه فقال رجل من الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به يشرب الخمر فقال رسول الله ﷺ لا تعينوا الشيطان على أخيك ، لا يكن أحدكم عوناً للشيطان على أخيه بل تحاول أن تردّه إلى حظيرة الإيمان بالتوبة إلى الله عز وجل والرجوع إلى الطريق المستقيم .

هذه الصحبة والأخوة في الله إنما يبغضها الشيطان لأن فيها الخير لابن آدم فيحاربها بكل سبيل فإن نصح الصديق صديقه وأمره بمعروف أو نهاه عن منكر نجدها ثقيلة على مسامع الصديق فينفر من صديقه فيصبح كل منهما وحيداً ولكن لا يتوقف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن الإمام الشافعي رحمته الله يقول من نصح أخاه علانية

فقد فضحه وشانه ومن نصحه سرّاً فقد حفظه وصانه ، وليس على الصديق أن يتخلى عن أخاه وصديقه إذا ما علم عنه شيئاً يشينه ولنا المثل في الصديق ﷺ فقد كان يتصدق على قريب له بينما هذا القريب خاض في حديث الأفك عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقال الصديق وحلف ألا يتصدق عليه بعدها فأنزل الله عز وجل قوله ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِيَ الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۚ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النور 22 فكان هذا السلوك مرفوضاً من عند الله عز وجل فلا يجوز منع العون عن الصديق والأخ والقريب لأنه ارتكب خطأً لذلك لما سمع الصديق هذه الآية قال إني أحب أن يغفر الله لي وظل ينفق على هذا القريب ، ولنعلم أننا عندما نحسن معاملة الصديق والأخ حتى في النصيحة فلا نكثر عليه فإن كنت في كل يوم معاتباً لم تجد يوماً من تعاتبه ، ورسول الله ﷺ كان من آدابه ألا يعيب على الناس سلوكهم أو قولهم فكان يقول ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا .

ومن حق الصديق على صديقه أن يدعو له في كل وقت فإن رسول الله ﷺ قال من دعا لأخيه بخير بظهر الغيب ناداه ملك ولك مثله " فكل ما يدعو به من خير لأخيه يكون له مثله فيكون هنا الدعاء فيه خير لكليهما ، والمودة بين الأخوة والأصدقاء لأبد أن يكون فيها حكمة وحنكة واعتدال فإن رسول الله ﷺ يقول أحب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وأبغض عدوك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما " أي أن الاعتدال في العلاقة مع الناس على قدر الاستطاعة لأن ذلك أمر في دين الإسلام أمرنا به رسول الله ﷺ ، ولنعلم أنه إذا كان هناك إنسان يظاهر عدوك عليك فاعلم أنه ليس لك بحبيب

أو صديق فإن الإمام الشافعي رحمه الله يقول إذا ظاهر صديقك عدوك فقد اشترك في عداوتك .

وكما يُقال في العلاقة بين الناس يُقال أيضاً فيما بين الدول والشعوب فإن الكل هنا يكون وحدة واحدة فمن ناصر أو أيد عدو فقد اشترك في عداوة الدولة الصديقة له ، وعلى بن أبي طالب رحمه الله يقول إن أخاك الصدق الذي لا يخدعك ويضر بنفسه لينفعك ، ليس بصديق ليس بصاحب الذي يخدعك فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اعتزل عدوك واحذر من صديقك ولا تعطي سرك إلا للأمين من القوم ولا أمين إلا الله عز وجل .

إن الحب في الله والبغض في الله من علامات الإيمان وإن كثرة الأصدقاء والأخوة فيها الخير الكثير لذلك وجب الحرص على مصاحبة الأتقياء من الناس حتى يكونوا عوناً في الدنيا وهداية للآخرة .

تحية أهل الإسلام

يقول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا. وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا . تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۝﴾ الأحزاب 41 - 44

فكانت تحية أهل الإسلام في كل زمان ومكان هي السلام فسلموا على أنفسكم تحية من الله مباركة طيبة ، ورسول الله ﷺ عندما سُئِلَ عن بر الحج قال الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة قيل يا رسول الله ما بره قال بره إطعام الطعام وإفشاء السلام وطيب الكلام ، وكذلك علمنا رسول الله ﷺ عندما ندخل مكة وننظر إلى البيت الحرام أن ندعو ونقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام فحينئذ يا ربنا بالسلام - يطلبون من الله عز وجل أن يحييهم بالسلام ، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ السلام اسم من أسماء الله وضعه في الأرض فأفشوه بينكم فإن الرجل إذا مر على القوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم بالسلام وإن لم يردوا عليه رد عليه من هم خير منهم وأطيب " اجعل لسانك ينطق به ليل نهار سلم على الناس عندما تلقاهم فإنك بالسلام تذكر الله عز وجل وتحصل على الأجر الكثير ويزيد فضلك على الناس ولا يقل أحد إنهم لم يردوا السلام فلا أسلم عليهم لأن الأجر في الثانية أكبر حيث أن الذي يتولى الرد هم الملائكة ، ومن علامات الإيمان من الإشارات التي تدخل الجنة وقد جاء ذلك في صحيح البخاري في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا

فعلتموه تحاببتهم أفشوا السلام بينكم " فكان هنا علامة الإيمان هي الحب في الله كيف تعلم أنك مؤمن عندما تجد الناس يحبونك في الله وتحبهم في الله فإن المؤمن مألوف يؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف كما قال رسول الله ﷺ فمن أراد أن يجعل لنفسه ميزان يزن به إيمانه فلينظر إلى مدى حب الناس له في الله ومدى حبه لهم في الله هل هو محبوب أم مكروه فمن وجد بعضاً من الكره في نفسه للناس أو في الناس تجاهه فعليه بالدواء الناجع الذي دلنا عليه محمد ﷺ ألا وهو إفشاء السلام فيما بيننا وبين الناس عامة فمن فعل ذلك أحبه الناس وأحب هو الناس ، وكان هناك دواء آخر دلنا عليه رسول الله ﷺ فقال ثلاثة يصفين لك ود أخيك أن تسلم عليه إذا لقيته وأن توسع له في المجلس وأن تتاديه بأحب أسماءه إليه " هذه الثلاثة أمور من شأنها أن تزيد الألفة والمودة بين الأخوة والأصحاب فيقوى الحب في الله بينهم وإنما هي إرشادات وأوامر من رسول الله ﷺ ونصائح غالية لأنها تدلنا على أقصر السبل إلى جنة رب العالمين وهي أمور سهلة يسيرة لا تكلف مشقة أو عناء أو تحتاج انفاق مال فما أسهل أن تلقى أخاك بالسلام وتفسح له في المجلس ليجلس فيه وتتاديه بالأسم الذي يحبه وليس العكس لأنه قد دخل رجل على رسول الله ﷺ وهو جالس في جماعة فقال السلام عليكم فرد عليه رسول الله ﷺ وقال عشر حسنات ثم دخل آخر وزاد عليها ورحمة الله فرد عليه رسول الله ﷺ وقال عشرون حسنة ودخل ثالث فزاد عليها وبركاته فرد عليه وقال ثلاثون حسنة ، فكان بهذه الجملة البسيطة أن كسب ثلاثين حسنة ولم تكلفه شيئاً ، وللسلام حكمة في دين الإسلام وهو سنة مؤكدة وهو عبادة نعبد بها الله عز وجل ولكن لا يبالي بها الناس فإننا نعبد الله عز وجل على حسب ما جاء به رسول الله ﷺ وقد قالوا أن إلقاء السلام سنة مؤكدة ورد السلام فرض واجب ، وإن رسول الله ﷺ كان ينقلب إلى السوق فيسلم على الكبير والصغير

وعلى الغني والفقير وعلى العبد والحر من أهل الإسلام ، لا تفرقة بين الناس وكان كذلك يسلم على الرجال ويحيي النساء فعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت دخل رسول الله ﷺ المسجد وعصبة من النساء قعود فأولى إليهم بالتسليم ، أي أنه أكد السلام بالإشارة باليد فكان سلامه عليهن كلاماً وإشارة باليد .

وإذا دخل الرجل بيته عليه أن يسلم على أهله فقد قال رسول الله ﷺ لأنس بن مالك ﷺ إذا دخلت على أهلِكَ فسلم عليهم ، فهذا السلام فيه بركة على البيت وأهله كما أنه عبادة لله عز وجل وإن لم يكن في البيت أحد فليسلم على نفسه بأن يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وقد نسمع من بعض الناس من يقول كثرة السلام تقل المعرفة وهذا القول لا يستقيم في المجتمع المسلم بل على العكس منه فإن رسول الله ﷺ في حديث رواه أبو هريرة ﷺ قال : قال : قال رسول الله ﷺ إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه فإذا حال بينهما شجر أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه " فكان ذلك القول نافياً لما يردده بعض الناس من أن كثرة السلام يقل المعرفة ، وإذا كانت جماعة من الناس في طريق ولقيت جماعة أخرى فيكفيهم أن واحداً منهم يلقي السلام وكذلك أن يرد عن الجماعة الأخرى واحداً منهم أيضاً وجاء ذلك الأمر من رسول الله ﷺ في حديث رواه علي بن أبي طالب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ إذا مر القوم على جلوس فيكفي أن يسلم منهم واحداً ويكفي من الجلوس أن يرد منهم واحداً ، ومن السنة أن يسلم الماشي على الجالس والراكب على الماشي والواقف يسلم على الجالس والكبير على الصغير ، والأمر بالسلام مطلوب فيما بين الناس من أهل الإسلام ولكن ما يكون الوضع إن كان هناك ناس من ملة أخرى ؟ يقول رسول الله ﷺ لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام - تحييم بأي تحية أخرى لأن السلام

عبادة وهو دعاء لا ينفعه فهو على الشرك والكفر ولكن التحية له ورد التحية واجبة ، والتحية ما منعها رسول الله ﷺ حتى مع اليهود الذين كانوا في تحيتهم له يدعون عليه بالموت فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت دخل جماعة من يهود على رسول الله ﷺ فقالوا السام عليك فقالت أم المؤمنين وعليكم السام واللعنة - هم يحرفون الكلمة عن أصلها بدلاً من السلام عليك يقولون السام عليك ولا يلحظها أحد وفي نيتهم السام لأنها تعني الموت لذلك سمعتها أم المؤمنين وردت عليهم فقال لها رسول الله ﷺ عليكي بالرفق يا عائشة في الأمر كله فإن الله رفيق يحب الرفق قالت ألم تسمع لقولهم هي تظن أنه لم يسمع كلمة السام قالت ألم تسمعهم يا رسول الله قال أو لم تسمعي كيف أجبتهم فقد قلت لهم وعليكم ، ورأي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ومذهب الإمام الشافعي أن نرد على اليهود والنصارى والمجوس فقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فرد عليه السلام لا تسأل ما دينه ولا عقيدته فرد عليه وإن كان مجوسياً فإن الله عز وجل يقول ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ النساء 86 والآية لم تحدد تحية من أهل الإسلام أو من غيرهم وكذلك في آية أخرى يقول الله عز وجل ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ ۖ كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَ اللَّهُ عَلَيْكُم فَتُبَيِّتُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ النساء 94 وعلى ذلك لو أخذنا بقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وكذلك هو قول الإمام الشافعي فمن أراد أن يرد عليهم السلام فلا شيء فيه ومن لم يرد عليهم فقد أخذ بالأحوط فإنه يكون تعامل مع هؤلاء الناس بتحية ليس فيها عبادة ولادعاء لهم ، وكذلك الأمر مع أهل الفسق والفجور الذين يجاهرون بفسقهم لا نسلم عليهم لأنه جاء في حديث رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لا تسلموا على شربة الخمر -

هو علم وعرف بيقين أنه يشرب الخمر اشتهر بذلك فقال لا تسلموا على شربة الخمر - ولا تعودوهم إذا مرضوا ولا تصلوا عليهم إذا ماتوا "

والمصافحة عند السلام لها أجر كبير فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما ما لم يفترقا " فكانت هنا المصافحة فيها خير أكثر من مجرد إلقاء السلام ، وقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله أحدنا يلقي أخاه أينحني له فقال له رسول الله ﷺ لا قال الرجل أيلتزمه ويقبله قال لا - إنما الإلتزام والتقبيل عند قدومه من سفر، وإن رسول الله ﷺ التزم جعفر رضي الله عنه عندما عاد من هجرة الحبشة - قال الرجل أيصافحه قال نعم " والمصافحة لها آداب علمنا إياها رسول الله ﷺ ومنها أنه عندما يصافح الرجل الرجل ويضع يده في يده لا يشيع عنه بوجهه ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا استقبل الرجل فصافحه لا يصرف وجهه عنه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه وكان رسول الله ﷺ لا ينزع يده من يد مصافحه حتى ينزع هو وما رأي رسول الله ﷺ رافعاً ركبتيه أمام جليس أمامه قط - رسول الله ﷺ وهو أشرف الخلق وأقرب الخلق إلى الله عز وجل ما كان متكبراً على عباد الله ما كان يجلس أمام الناس ويضع ساقاً على ساق ولكنه كان متواضعاً وعلى خلق طيب كريم لأن الذي أدبه هو رب العالمين ولما سُئِلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه قالت كان خلقه القرآن وفي حديث آخر قالت كان كأنه قرآن يمشي على الأرض ، فمن حاول أن يتشبه بفعله وخلقه قدر ما يستطيع فقد أفلح في الدين والدنيا والآخرة .

عيد الميلاد

قال رسول الله ﷺ الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات - الحلال الطيب لا يخفى على أحد من ذوي الفطرة السليمة والعقول الحليمة وكذلك الحرام لا يخفى على أحد ولكن هناك أمور مشتبها لا يعلمها كثير من الناس وهذه يجب على الإنسان المسلم أن يسأل عنها حتى لا يقع في الحرام - ثم يقول رسول الله ﷺ فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام " ورسول الله ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم إنما يمثلها لنا ويصورها فقال كراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه كأنه هناك راعي له غنم وهناك حمى محمية لصاحبها ولها سور فإن ذلك الراعي عندما يغفل عن غنمه فسوف تدخل ذلك المكان الممنوع المحاط بسياج وعندها تتعرض لشيء يضرها ثم قال ألا لكل ملك حمى وحمى الله محارمه ، ذلك السياج الذي صاحبه هو الملك الحي القيوم إنما هو ما حرمه علينا فأياك أن تقترب منه ثم يقول رسول الله ﷺ ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب " لذلك فاجعلوا قلوبكم مطمئنة بالإيمان ممتلئة تقوى ويقين حتى لا تزيغ عن الحق المبين ويرضى عنا رب العالمين الذي أنعم علينا بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى ومن نعم الله علينا الأولاد والأحفاد والذرية والولد إنما هو ربحانة أبيه وأمه هو الدرة النفيسة عندهما يحيطانه بكل رعاية فهو مهجة النفوس وقرة العين وصدق القائل عندما قال أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض إذا هبت الريح على أحدهم لا تقوى العين على الغمض ، فالإنسان بفطرته التي فطره الله عليها يحب أولاده وأحفاده أكبر من

حبه لنفسه ويظل يطلب من الله عز وجل أن يرزقه بالذرية مهما طال به العمر فإن نبي الله إبراهيم عليه السلام كان في الثمانين من عمره عندما دعا الله أن يرزقه بهذه النعمة ، وكذلك كان نبي الله زكريا عليه السلام عندما دعا الله وطلب منه الذرية الطيبة فرزقه الله عز وجل بحيى ، ورسول الله ﷺ إنما كان المثل القائم الحي الذي علمنا كيف نحب أولادنا وبناتنا فقد كانت بناته قررة عينه وبالأخص فاطمة رضي الله عنها كان يحبها حباً جماً ورسول الله ﷺ ظهر حبه لولده إبراهيم جلياً عندما كان ابنه يجود بروحه فيضمه ويشمه وتدمع عينيه ويقول إنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون ، وكذلك كان يحب حفيديه الحسن والحسين حباً جماً ففي يوم من الأيام جاء إليه الأقرع بن حابس كان معروفاً بغلظة القلب فلما رأى رسول الله ﷺ يقبل الحسن والحسين قال له يا رسول الله أتقبلون الولد إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم فقال له رسول الله ﷺ وما أملك لك إن كان الله عز وجل نزع الرحمة من قلبك ، وكان ينظر إلى الحسن والحسين وهما يتعثران مشياً فيحملهما ويقول إنكم لتجنبون ، الولد يجبن والده إذا كان نداء الجهاد يقول أولادي لمن أتركهم ، إنكم لتجنبون وإنكم لتبخلون ، نجد من عنده أولاد يبخل عن الصدقة ويقول أولادي أولى وأحق بها ، وإنكم من ربحان الجنة ، ورسول الله ﷺ الذي قال فيه القائل بك بشر الله السماء فزينت وتضوعت مسكاً بك الغبراء ، يا محمد عليك أفضل الصلاة والسلام يوم مولدك إنما بشرت السماء فتلألأت نجومها وكواكبها وبُشرت الأرض بقدمك فأصبح أديهما وترابها مسكاً ، عندما ولد فرح به أهله وأعمامه وجده وأحبه حباً شديداً حتى أن جده يذبح له الذبائح ليأكل منها كل أهل قريش كانت عقيقة كبيرة والعقيقة كما نرى هي من قديم وكانت موجودة في الجاهلية يصنعون الولائم فرحاً بالمولود ولما جاء

مُحمد ﷺ ما أبطلها لأن الإسلام ما أبطل كل أمور الجاهلية ولكن أبطل منها الشرك والفجور وكل ما يخالف شرع الله عز وجل وترك الطيب منها فكانت العقيقة من الأمور الطيبة التي أبقي عليها دين الإسلام من أمور الجاهلية وكلمة العقيقة في معناها نسبة إلى الشعر الذي يتواجد على جسم كل مولود وارتبط هذا الاسم بذلك الفعل لأنهم كانوا في اليوم السابع من مولده يحلقون هذا الشعر ويذبحون له ويلطخون رأسه بدم الذبيحة بدلاً من هذا الشعر فجاء الإسلام فأقر أمور ونهى عن أمور أقر بالعقيقة والوليمة والذبح ولكنه أبطل تلطيخ رأس المولود أو جسده بدم الذبيحة فعن بريدة ﷺ قال كنا في الجاهلية نلطيخ بالدماء وأصبحنا في الإسلام نلطيخ بالزعفران ، ورسول الله ﷺ أمر بالعقيقة وفعلها فقد عرق عن الحسن والحسين بذبح شاة وعن عبد الله بن عباس ﷺ قال عرق رسول الله ﷺ عن الحسن بشاة وقال يا فاطمة احلقي رأسه وتصدقني بوزن شعره فضة يقول عبد الله بن عباس فوزناه فكان درهماً أو بعض درهم " يتصدق بمثل وزن شعر رأسه فضة للمساكين والفقراء ، وعن سمرة بن جندب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ كل مولود رهين بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويحلق ويسمى " فكان كل مولود من الأمة مرهون بتلك الوليمة التي بها نشكر الله عز وجل على النعمة التي أنعم بها علينا بذلك الولد وعندما ندعوا الناس لهذه الوليمة فإنهم يأكلون منها ويدعون لذلك المولود فعن الحسن البصري ﷺ قال التهنئة بالمولود مبروك للمولود وشكراً للواهب ، فكان الدعاء للوالد بأن يرزقه الله برزقه ودعاء للمولود بأن يكون باراً بوالديه ، ورسول الله ﷺ في حديث رواه سلمان بن عامر الضبي ﷺ يقول مع الغلام عقيقته فأهرقوا عنه دماً وأميطوا عنه الأذى " فكان إهراق الدم إنما هو إمطة للأذى عن ذلك المولود ، وتلك النعمة هبة من الله عز وجل يجب رعايتها

وبث التوحيد فيها منذ الولادة برسالة الإسلام ويكون ذلك بالأذان في أذنه اليمنى وإقامة الصلاة في أذنه اليسرى فعن أبي رافع رضي الله عنه قال رأيت رسول الله ﷺ يوم ولد الحسين أذن في أذنه وقال من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى لا تضره أم الصبيان ، وذلك لأن أول كلمات يسمعه وتنفذ في أذنه في مخه وعقله هي كلمات تجمع دين الإسلام ورسالة التوحيد .

والعقيقة هي سنة مؤكدة عن رسول الله ﷺ فعن أم مكرز قالت : قال رسول الله ﷺ في الغلام شاتان متكافئتان وفي الجارية شاة ، فالعقيقة تُعرف بأنها الذبيحة التي تذبح للمولود ولكن نجد العجب أن رسول الله ﷺ رغم أنها ذكرت في جميع كتب الفقه بالعقيقة إلا أن رسول الله ﷺ كره ذلك الاسم فسمها بأي اسم إلا العقيقة وذكرت بالعقيقة لأنه اسم الشعر الذي يولد به المولود فعن رسول الله ﷺ أنه جاءه رجل وسأله عن العقيقة ماذا يصنع فيها ويتعامل بها فقال له إن الله عز وجل لا يحب العقوق فكان في ذلك كراهية من رسول الله ﷺ للإسم لأنه مشتق من العقوق لأن دين الإسلام ينهى عنه ويأمر بالمودة والرحمة والبر بالوالدين فإن الرجل عندما سأله قال لذلك إن الله لا يحب العقوق ثم قال من ولد له مولود فأحب أن ينسك له فليفعل ، من هنا جاء في المغني لابن قدامة رحمته الله أن تعريف العقيقة الشعر الذي يولد به المولود وتعريفها هي الطعام الذي يُصنع ويُدعى إليه الناس فكان كل طعام يُصنع ويُحتفل به للمولود إنما هو احتفال أمرنا به في دين الإسلام فإن الذبح هنا ليس بواجب ولا فرض فإن ذلك الإحتفال كما أنه سنة مؤكدة كذلك الذبح فيه سنة فمن أراد أن يحتفل ولا يذبح فلا شيء عليه ولا وزر فإن ابن قدامة قال في المغني فإنها وليمة لسرور حادث ونعمة

متجددة ، هنا النعمة المتجددة هى مع استمرار وجود المولود أو الحفيد ومع مرور الأعوام كلما نظر إلى ذلك المولود حتى ولو بلغ من العمر عتياً فإنه مصدر سرور وفرح لوالديه وأجداده ولهم أن يقيموا ولائم يدعون إليها الناس وتلك الوليمة ليس لها وقت محدد فإنها قد تكون في اليوم السابع وقد تكون في اليوم الرابع عشر وقد تكون في دوران تلك السبعة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولنا إذا لم يكن احتفال للمولود عند مولده أن نحتفل به مهما بلغ عمره وكان ذلك قول ابن قدامة في المغني ، من هنا سئل الشيخ عطية صقر عليه رحمة الله يوم أن كان مفتياً عن عيد الميلاد فقال إن عيد الميلاد هو الوليمة الذي يطلق على العقيقة فإذا كان الاحتفال ليس فيه محرمات وليس فيه ما يتعارض مع شرع الله فليس فيه شيء ، ورسول الله ﷺ قال من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد ، ذلك الحديث صحيح ولكن عندما يأتون به في مثل هذه الأمور فإنه ليس في مكانه فإن دين الإسلام عبادات وعادات فالذي يُحدث في العبادات ذلك هو الذي يختص به ذلك الحديث فإن احداثه مردود عليه وعبادته باطلة لأن العبادات الأمر فيها التوقيف أي ننظر في فعل رسول الله ﷺ فيها ونفعل مثله أما العادات فإن الأمر فيها الإباحة لذلك القوانين الشرعية تقول لنا لا نشرع عبادة إلا بتشريع من الله ولا نحرم عادة إلا بتحريم من الله أو من رسوله ، ورسول الله ﷺ يقول الحلال ما أحله الله في كتابه والحرام ما حرمه الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه ثم تلا قول الله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ

نَسِيًّا﴾ مريم 64

توفير الحياة

عن أبي ذر رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة وما بناءها قال رسول الله ﷺ بناءها لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها من مسك وحصباءها اللؤلؤ والياقوت وحشيشها الزعفران ومن يدخلها ينعم لا ييأس أبداً ويخلد لا يموت - ينعم فلا ييأس أبداً فهو في نعيم مقيم ولا يموت فهو في شباب دائم مستمر فإن أهل الجنة على سن ثلاث وثلاثين سنة على سن نبي الله عيسى عليه السلام وعلى ملاحه وجمال نبي الله يوسف عليه السلام ، تلك الجنة إنما هي حظيرة أهل الإسلام والإيمان ، وأهل الإيمان في الدنيا إنما تعذبهم بعض الأمور تشغلهم بعض الوقت عن الآخرة ولكنهم لا يخرجون عن أهل الإيمان فعن أبي ذر رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله إذا كنا معك كنا من أهل الآخرة وإذا تركناك شغلنا أمور الدنيا وشممنا النساء والأولاد - فهل قال لهم أنتم حينئذ من أهل الجحيم ولستم من أهل الإيمان هل قال لهم أنتم من المنافقين هل قال لهم كيف تفعلون ذلك عندما تكونوا معي تشغلكم أمور الآخرة وعندما تخرجون من المسجد تشغلكم أمور الدنيا وتتسون الآخرة فذلك لا يستقيم ولكن رسول الله ﷺ الذي جاء بدين يراعي فطرة الناس واختلافهم ويعامل الناس على أقدارهم وما يحتملون وما يطيقون - قال رسول الله ﷺ لو أنكم على كل حال تكونون على الحال التي تكونوا عليها عندي لصافحتكم الملائكة في الطرقات ولزارتكم في البيوت ولو لم تذنبوا لجاء الله عز وجل بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر الله لهم " إذن دين الإسلام ليس دين تزمت ولا تعصب ولا غلو إنما الأمر فيه

يكون على قدر طاقة البشر واستطاعتهم أن يكونوا مع رسول الله ﷺ حيث أمر ولا يجدهم حيث نهى .

من ذلك المدخل نريد أن نتكلم عن اللحية وإطالتها أو تقصيرها أو حلقها نحاول أن نستجلي الأمر حتى يكون الناس على بصيرة في هذا الشأن ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ خالفوا المشركين وفروا اللحية وأحفوا الشوارب " فكان أول الحديث أمر بمخالفة أهل الشرك فإن أهل الشرك وقتها كانوا يحلقون ثم كان الأمر بإحفاء الشارب ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إحفوا الشارب وأعفوا اللحى ولا تتشبهوا باليهود " وفي حديث رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ إنهكوا الشوارب وأعفوا اللحى " وفي مذاهب أهل الإسلام الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في مذهبه يحرم حلق اللحية ويقول بأنها تُترك على طبيعتها لا يؤخذ منها شيء والإمام مالك والشافعي قالوا أن إطلاقها واجب ولكن عليك أن تهذبها كما كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يأخذ منها ويهذبها وإذا حاولنا أن نناقشهم لماذا قالوا بالوجوب قالوا لأن الله عز وجل قال على لسان الشيطان ولأمرنهم فليغيرن خلق الله ، وقالوا إن الله عز وجل خلق الرجل وزوده باللحية فكان خلق الله له على هذه الصورة فإذا حلقها يكون قد غير في خلق الله ، هذه الأولى والثانية أن رسول الله ﷺ أمر بإطلاقها وتوفيرها فيكون أمراً من رسول الله ﷺ فمن حلقها فقد خالف أمره ، والثالثة قالوا أنه كما قال رسول الله ﷺ لا نتشبه بأهل الشرك لأنه قال من تشبه بقوم حُشر معهم ، وأما الرابعة قالوا إن الحالق إنما يتشبه بالنساء ورسول الله ﷺ قال لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ، لذلك كله كان هذا مذهب الجمهور الذين قالوا بأن

تركها واجب وأن حلقها محرم كما في مذهب الإمام أبي حنيفة ، ولكن كثير من علماء الأمة قالوا أن إطلاق اللحية وتوفيرها هو من السنن قالوا إنه مندوب فإن الذي يطلقها سوف يُثاب على ذلك وله أجر التشبه برسول الله ﷺ والذي يحلقها ما ارتكب كبيرة وليس من أهل النار ولكنه خالف شيئاً من أمور السنة فمن أين جاءوا بهذا القول ، قالوا أن رسول الله ﷺ في حديث روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يقول عشر من الفطرة - الفطرة التي خلق الله الناس عليها - قالت قص الشارب وترك اللحية والختان والسواك وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة والمضمضة والاستنشاق وانتقاص الماء " من هذا الحديث استدل العلماء أن توفير اللحية قال فيها رسول الله ﷺ إنها من سنن الفطرة ولما نظروا إليها كلها وجدوا إنها كلها ليس فيها وجوب إنما هي من المستحبات ومن السنن من فعلها فله أجر وثواب وتقرب بها إلى الله ولكن من تركها لا إثم عليه وليس من أهل الجحيم ، والشيخ محمود شلتوت عندما عُرِضت عليه هذه المسألة قال أن تقليد أهل الشرك منهي عنه في أمور دينهم التبعية بمعنى أن يعلق صليب أو يضع على رأسه شيئاً يضعه اليهود أما ذلك الأمر فإنه اليوم ليس تقليداً لأهل الشرك لأن أهل الشرك إنما يتعاملون بخلافه لأننا إذا نظرنا إلى القسيس نجده قد أطلق لحيته وكذلك الحاخام يطلق لحيته فقال الشيخ محمود شلتوت فمن هنا يجب على المسلم إذا أراد أن يخالف أهل الشرك أن يحلق لحيته ذلك قوله وذلك اجتهاده وإذا اجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر.

وهناك أمر من الأمور قال العلماء من أهل الإسلام أنه يجب على الرجل فيه أن يحلق لحيته بسببه فما هو ذلك الأمر ؟ عندما نفوس في كتب الفقه نجد أشياء لا تخطر على بال كثير من الناس فما هو الذي

قاله أهل العلم في هذه المسألة قالوا إذا كان هناك إنسان متزوج وله زوجة تلك الزوجة تتأذى من لحيه زوجها فإنه يجب عليه أن يحلقها من أجل زوجته وقالوا أن هناك قانون في دين الإسلام يقول لا ضرر ولا ضرار وإن إطلاق اللحية إنما هو حق من حقوق الله الأمر فيه على التسامح إطلاق اللحية شيء بينك وبين الله عبادة تتعبد بها إلى الله ليس لها تأثير على الخلق وليس فيها ظلم أو ضرر لأحد فمدارها على التسامح بمعنى لو إطلاق اللحية فيه وزر فهذه مسألة بين الإنسان وربه يغفرها له أو لا ، أما إطلاق اللحية إذا تأذت منها الزوجة كان ذلك حق من حقوق العباد وقد يكون مصدر للبغض والمشاحنة ، فإن كان الأمر في المذاهب الأربعة بوجوب إطلاق اللحية وما دام قال ناس من أهل العلم أن ذلك الأمر سنة فليس على إنسان أن يعترض عليه لأنه أصبح من الأمور المختلف عليها فمن تعامل مع أي رأي فيها فلم يخطأ .

وإطلاق اللحية في دين الإسلام ما كان من الأمور التعبدية وما كان دليل على الإيمان فإن رسول الله ﷺ يقول الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق وعندما نراجع تلك الشعب كلها لا نجد فيها إطلاق اللحية أو إزالتها ، والذي أكرمه الله عز وجل وأطلق لحيته فيجب عليه أن يراعي ذلك ويعلم أنه يتمثل برسول الله ﷺ أما عندما يطلقها ويزيدها ويجعلها منفرة ونجد على وجهه عبوس ويتعامل على أنه من الأصحاب الأجلاء ومن أهل الجنة ومن سواه من العصاة المذنبين فإنه هنا يكون قد خالف من يتمثل به بتلك اللحية لأن رسول الله ﷺ يقول ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق ، لذلك من أطلق لحيته يجب أن يكون على

خلق كريم حتى لا يكون قد خالف رسول الله فيما هو أشد من إطلاق
اللحية أو حلقها .

ورسول الله ﷺ يقول لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من
دلوك في إناء المستسقي أو أن تلقى أخاك ووجهك له طلق ، فمن لقي
الناس بوجه عبوس وبتعالي وكبر وغرور فقد خالف ما أمر به رسول الله
ﷺ فيما هو أهم وأثقل في الميزان ، ورسول الله ﷺ يقول إن من أحبكم
إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطئون
أكنافا الذين يألفون ويؤلفون ، وكذلك يقول المؤمن ألف مألوف ولا
خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ، فلا يجوز أن يتعمد هؤلاء المغالون أن لا
يلقوا السلام على الناس لأن رسول الله ﷺ يقول لن تدخلوا الجنة حتى
تؤمنوا ولم يقل لن تدخلوا الجنة حتى تطلقوا اللحية قال لن تدخلوا الجنة
حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا إذن لن يؤمن من لا يحب الناس ثم
يقول ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم ،
وقد يكون هذا الذي لا تلقي عليه السلام وتتهمه بالفسق ولا تعامله
بالإحسان قد يكون أعلى منك شأنًا عند الله وقد يكون يحمل قلباً
مؤمناً بيقين وإخلاص لله عز وجل أكثر منك ، وقد جاء رجل إلى رسول
الله ﷺ وقال يا رسول الله أصلي الخمس ولا أزيد وأصوم الشهر ولا أزيد
وليس في مالي صدقة ولا حج فأين أنا إذا مت على ذلك قال له رسول
الله ﷺ الذي كان يحب الناس في عبادة الله ولا ينفرهم منها قال له أنت
معي في الجنة ولكن اشترط عليه شروطاً كلها من حسن الخلق في
التعامل مع الناس ولم يكن فيها إطلاق اللحية قال له أنت معي في الجنة
إذا حفظت ست من صدرك الغل والحسد ومن لسانك الكذب والغيبة
ومن عينك ألا تنظر بهما إلى حرام ولا تزدرى بهما مسلماً – لا تنظر إلى

حرام وكذلك لا تنظر إلى مسلم بإزدراء وتكبر وعلو فإن رسول الله ﷺ يقول إن الله عز وجل لا ينظر إلى صوركم ولا أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم التقوى ها هنا التقوى ها هنا ، فمن أطلق لحيته فقد ابتغى بها التقرب إلى الله فله الثواب الوفير ولكن يجب عليه أن يعمل بما تفرضه عليه هذه اللحية من وقار ويتعامل بها على إنها رسماً لرسول الله ﷺ وعلامة على أن يسير على طريقه ونهجه فمن فعل غير ذلك فقد أهانها ، والذي حلقها إنما هو فرط في سنة ولكنه ما كان من أهل الجحيم وما كان من العصاة ، ولكن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول في هذه الأمور الثانوية عندما سأله عن صبغ الشعر لأن رسول الله ﷺ كان يصبغ شعره ويأمر به حتى يخالف اليهود والمشركون فلما سألوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هذه المسألة قال إنما كان ذلك والإسلام قُلُ أما وقد اكتمل الإسلام وأخذ بجيرانه فكل أمرئ وما يختار .

العناية بالشعر

يقول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه مادحاً رسول الله ﷺ :

هو الرسول فمن يحرم نوافله والخير منه فقد أذرى به القدر
فثبت الله ما أتاك من حسن تثبت موسى ونصراً كالذي نصرنا
إني تفرست فيك الخير نافلة والله يعلم أنني ثاقب النظر

عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يقول إن رسول الله ﷺ إنما سن لكم سنن
الهدى وعلمكم الخير كله ثم يقول فيه مادحاً :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق نور من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا موقنات أن ما جاء به واقع

إن تعلم العلم فيه الخير الكثير لحياة الإنسان في دنياه وآخرته
فإن سعيد بن جبير رضي الله عنه يقول كل عمل فيه طاعة لله عز وجل فهو ذكر
لله عز وجل ، وإن كثير من أمور الحياة قد لا نعلم أنها من الدين مثل ما
يختص بشعر الرأس وهو نعمة من نعم الله علينا والعناية بكل نعمة
أنعمها الله علينا هي عبادة وشعر الرأس هو تاج عليها فمن رزقه الله عز
وجل ذلك فليحمد الله ويشكره عليه ومن حرمه الله منه فليصبر على ما
انتقص منه فإن الله عز وجل سوف يعوضه عنه بنعمة أخرى وسوف يثيبه
على ذلك النقص وصبره عليه ، والشعر في دين الإسلام له أحكام يفصل
عنها كثير من الناس وهي من الأمور التعبدية وبها نطيع رسول الله ﷺ
ونأخذ أجر الطاعة من الرحمن ، وفي حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه يقول من
كان له شعر فليكرمه " إذن هذا الشعر على رأسك له حقوقاً عليك

ومن تلك الحقوق إكرامه كما أمر رسول الله ﷺ ولكن كيف نكرم الشعر بأن نقويه ونطيبه ونحافظ عليه ، وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال : دخل رجل على رسول الله ﷺ ثائر الرأس أشعث اللحية فقال له رسول الله ﷺ أما كان لهذا دهن يسكن به رأسه ولا يدخل كأنه شيطان " تعجب رسول الله ﷺ من هيئة هذا الرجل فإن قليل من الدهن يسكن هذا الشعر المبعثر وتلك اللحية المنفرة وكان وصفه لهذا الشكل كأنه شيطان فكان الأمر من رسول الله ﷺ أن يرجل شعر رأسه ويطيبه ويعتني به ، وهذا الشعر الذي هو نعمة من الله عز وجل ما أمر رسول الله ﷺ بحلقه إلا في موضع واحد في نسك من مناسك الحج والعمرة عند التحلل من الإحرام ، ورسول الله ﷺ يقول لا توضع الرؤوس إلا في حج أو عمرة ، أي لا يحلق أحد شعر رأسه كاملاً يجعله على لحم الرأس إلا في الحج والعمرة واعتبر رسول الله ﷺ أن من يتخلص ويحلق هذا الشعر تماماً كأنه مثلى وتوعد الذي يفعله بأحد من الناس تنكيلاً به أو عقاباً له بالخزي والعار يوم القيامة فقد قال رسول الله ﷺ من مثل بالشعر لا خلاق له يوم القيامة " لأنه اعتبر ذلك تمثيلاً به وله عقاب يوم القيامة ، وهناك أنواع من الحلاقة انتشرت في ونهى عنها رسول الله ﷺ ونجد مثلها في أيامنا هذه بأن يأخذ ويحلق تماماً بعض الرأس ويترك البعض الآخر طويلاً فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال نهى رسول الله ﷺ عن القزع قالوا وما القزع قال أن يحلق بعض الشعر ويترك بعضه " فمن حلق الجوانب وترك المقدمة فقد قزع وإذا حلق المقدمة وترك الجوانب فقد قزع وذلك نهى عنه رسول الله ﷺ .

ذلك الشعر الذي أكرمنا الله عز وجل به ونحن في الشباب والصغر يكون لونه مثلاً أسود قاتماً ومع تقدم العمر يعتريه التغيير

بالتدريج ويتغير لونه ويظهر فيه البياض أو في بعض الشعرات ولم
 يتركها رسول الله ﷺ بل جعل لهذا الأمر نظام وهذا الدليل على الشيب
 إنما هو في رأس الرجل نور وصفه رسول الله ﷺ بذلك فعن عمرو بن
 شعيب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا تنتفوا الشيب فإنه نور المسلم وما
 من مسلم يشيب شيبة في الإسلام إلا كتب الله عز وجل له بها حسنة
 ورفعها بها درجة وحط عنه بها خطيئة " فهذا الحديث يحبب في الشعر
 الأبيض ولا ينفر منه ويقول القائل الشيب في رأس الفتى حسن به والشيب
 في رأس الفتاة قبيح ، ولكن هناك أمور تغير الشيب ومن حق الزوجة
 عليك أن تغيره ومن الأمور التي تبيح تغييره أن تدخل المهابة في قلوب
 الأعداء فعن صهيب الرومي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن من أحسن ما
 أختضبتن به السواد فإنه أرغب لنساءكم وأرهب لكم في صدور
 عدوكم ، الذي عنده زوجة فمن حقها عليه أن يتجمل لها فإذا كانت
 تريد أن تراه في شعر ليس به شيب فعليه أن يجيب وكذلك إن كان بينه
 وبين الأعداء نزال وقتال فإن كان أكثر المقاتلين في جيش أهل الإسلام
 يعلو رأسهم المشيب استهان بهم الأعداء وظنوا إنهم كباراً في السن لا قوة
 لهم فلهم أن يعالجوا هذا الشيب من الشعر حتى يرهبهم الأعداء ، ولكن
 هناك أحاديث لرسول الله ﷺ ينهى فيها عن تخضيب الرجل بالسواد
 وكان ذلك النهي حتى لا يكون تدليساً على الناس أو إخفاء وتزييفاً
 لحقيقة عمره كأن يريد الزواج من فتاة وهو قد ظهر في رأسه المشيب أو
 بعضه فيخضب شعره بالسواد حتى يبدو أصغر عمراً مما هو عليه
 فيكون ذلك غشاً نهى عنه رسول الله ﷺ وقال في حديث رواه أبو ذر رضي الله
 عنه قال أحسن ما غيرتم به الشيب الكرم والحنة ، أي تغيير لون المشيب
 بلون غير الأسود ، وكل ما سلف هو في حق الرجل وشعره ولكن ما هو
 الذي في حق المرأة فإذا كان ذلك في حق الرجل الذي يستطيع أن

يستغنى عن شعر رأسه ولن يضره كثيراً فنعلم أن العناية بالشعر عند النساء أعظم شأنًا وأحسن قرينة لأنها إذا كانت زوجة فيجب عليها أن تحسن من هيئتها لزوجها لأن الشعر في المرأة من الأمور التي ترغب فيها زوجها ، وعلي بن أبي طالب عليه السلام يقول إذا خطب أحدكم امرأة فليسأل عن شعرها كما يسأل عن جمالها فإن الشعر أحد الجمالين ، وإذا كان ترجيل الشعر للرجال مطلوباً فإن النووي يقول الترجيل لشعور النساء أولى وجاء ذلك في شرح مسلم وإذا كان صبغ الشعر للرجال قال رسول الله ﷺ إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم فإن تغيير الشيب عند النساء أولى ، وكذلك لها أن تصبغ شعرها بأي لون من الألوان إذا كانت تريد أن تتحبب إلى زوجها ، ذلك الذي يزيد في شعر النساء عن شعر الرجال إنما هو التصفيف فإن لها أن تفعله لنفسها أو تستعين بامرأة أخرى تصنعه لها وتزينها أما إنها تذهب إلى رجل من الرجال يصفف لها شعرها فإن ذلك محرم في دين الإسلام ، ورسول الله ﷺ يقول لأن يطعن أحدكم بمخيط من حديد في رأسه خير له من أن يمس امرأة لا تحل له ، وللمرأة أن تطيل شعرها ولها أن تقصره ولكن لا يحل لها أن تحلقه فإنه عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : نهى رسول الله ﷺ المرأة أن تحلق شعرها ، ولكن لها أن تهذبه وتقصر منه ، وقد جاء في صحيح البخاري ومسلم أن زوجات النبي كن يأخذن من شعورهن حتى تكون كالوفرة أي كانوا يقصون شعورهن ولا يطيلونها ، فإن للمرأة أن تفعل في شعرها كل ما يجعلها في صورة جميلة ولكن كل ذلك في داخل بيتها ولزوجها ولا تظهره إلا أمام محارمها ولكن ما نجده اليوم هو أمر عجيب فإنها إذا كانت في البيت نجد شعرها أشعث أغبر ثم إذا كانت ذاهبة إلى خارج البيت صفت شعرها وهذبتة فإنها بذلك آثمة ورسول الله ﷺ يقول صنفان من أهل النار لم أراهما رجال معهم سياط كأذناب البقر

يضرِبون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات كأن
رؤسهن أسنمة البخت المائلة " أي أن المرأة تخرج من بيتها مزينة الشعر
تختال بنفسها ثم إذا كانت في البيت أمام الزوج تصبح منفرة فإنها
صنف من أهل النار ذكره رسول الله ﷺ وهو الذي يقول لا يدخلن الجنة
ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا . وهذه الأمور
أمرنا بها حتى نكون على هيئة حسنة يألفنا الناس وتعتني المرأة بنفسها
ومظهرها حتى يألفها زوجها أما إنها تتزين عندما تخرج لكي يراها
الناس جميلة فإنها لم تنتهي عما نهى الله لأنها تكون مثار فتنة وإذا
كان ذلك الفعل متفشي في مجتمع تكون الفتنة أكبر يجب أن نذكر
بها لأن الذكرى تنفع المؤمنين .

حديث الذباب

عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ إذا جمع الله عز وجل الأولين والآخرين يوم القيامة ينادي مناد بصوت يسمعه الخلائق يقول سيعلم أهل الجمع من هم أولى بالكرم ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة " ورسول الله ﷺ يقول المسجد بيت كل تقي وضمن الله عز وجل لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى جنة رب العالمين " لأن في المسجد نتعلم علماً ينفعنا في ديانا وآخرتنا ، وقد جاء في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه ثم لينزع فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء " والذين يحاربون دين الإسلام مع اختلاف مناهجهم إذا رأوا هذا الحديث ظنوا أنهم قد وجدوا ما ينتقصون به منه وجدوه سبيلاً للطعن في صحيح البخاري الذي جمع السنة وبالتالي طريقاً لهدم الدين بكامله وهذا إما أن يكون جاهلاً وإما يكون عالماً ولكن العصبية والعداء للدين هو الذي يحركهم لأنهم عندما يطعنوا في هذا الحديث إنما يتحدثون فيه مع من لا علم لهم حتى يتناقلوه فيما بينهم عن جهل ، وصحيح البخاري هو أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل وكل ما جاء فيه صحيح وذلك الحديث قاله رسول الله ﷺ بيقين ولكن علينا أن نفهم معناه حتى نرد كيد هذا الطاعن المشكك وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ذلك الحديث شرحه عالم من علماء أمة محمد ﷺ الأجلاء هو أبو قتيبة الدينوري المتوفى سنة مئتان وستة وسبعين هجرية أي أن شرح الحديث والدفاع عنه كان من قديم فالذين يخرجونه هذه الأيام

هم جهلة ، فقال أبو قتيبة إن في خلق الله عز وجل ما يتجاوب مع حديث الذبابة وجاء من خلق الله بأمثلة منها الحيات التي تمتليء بالسم الزعاف ولكن هذا السم يُستخرج منه الترياق الذي يعالجه ويبطل مفعوله بل ويُستخرج منه أيضاً ما يُعالج أمراضاً أخرى ، وجاء كذلك بسم العقرب وقال إنه يشفي من لدغة العقرب وسم العقرب بنسب معينة يعالج أمراض الروماتيزم والروماتيد ، وهناك مثلاً واضحاً من خلق الله يحمل الشيء وضده ولا نستطيع أن ننكره أليست النحلة إذا تكاثرت بأعداد كبيرة على إنسان فلدغته يكون في ذلك هلاكه ورغم ذلك فإنها تُخرج شراباً فيه شفاء للناس مما يدل على أن النحلة تحمل الداء والدواء في آن واحد فإذا قال رسول الله ﷺ وذكر ذلك في الذبابة فإنه ليس بغريب عند العقول السليمة ، ولا نجد ملة من الملل أو عقيدة من العقائد تدعو وتحصر على ما يُعرف بالطب الوقائي كما هو في دين الإسلام فإن الوقاية التي جاءت في نصوصه ومنها ما يُعتبر فرض من الفرائض كان منها الغسل حتى إن لم يكن هناك سبب للغسل أن نغتسل كل أسبوع فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن الله عز وجل جعل لكم يوم الجمعة عيداً فاغتسلوا فيه وعليكم بالسواك ومن كان عنده طيب فلا يضره أن يمسه " وكل الأنبياء والرسل من قبل كانوا مأمورين بالوضوء فريضة بينما يتخذها تابعيهم سنة ولكنه في دين الإسلام فريضة لا تصح الصلاة إلا به وهذا الوضوء يوم القيامة يعرف به رسول الله ﷺ أمته حيث قالوا يا رسول الله وكيف تعرف أمتك ممن يأتون بعدك قال تأتون غراً محجلين من أثر الوضوء ، ودين الإسلام يحض على غسل اليدين قبل الطعام وبعده فإن رسول الله ﷺ يقول بركة الطعام الوضوء قبله وغسل اليدين بعده ، كما أمر بغسل اليدين قبل النوم وعند الاستيقاظ فقال من نام وفي يديه ريح غمر فأصابه شيء فلا يلومن إلا

نفسه ، ويقول إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يضع يديه في الإناء حتى يغسلهما ثلاثاً فإنه لا يعلم أين باتت يدها ، والأعجب من ذلك كله أنه يقول تخللوا فإنه نظافة والنظافة مع الإيمان والإيمان مع صاحبه في الجنة ، فجعل التخليل وتنظيف ما بين الإنسان من بقايا الطعام يؤدي إلى دخول الجنة فإذا كان ذلك هو دين الإسلام وما يأمر به ويحرص عليه حتى يستقيم أمر الإنسان المسلم ولا تعتل صحته ويكون في أفضل صحة وأتمها باتباع هذه الأوامر فإنه الطب الوقائي في دين الإسلام حيث تمتع الأمة التي تتعامل بأحاديث رسول الله ﷺ وتتبع سنته أن تتفشى فيها الأمراض والأوبئة ، ويقول رسول الله ﷺ إن الله عز وجل طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة جميل يحب الجمال فتنظفوا أفنيتكم ولا تتشبهوا باليهود .

من أخرج فضلاته من بول أو غائط أو نجاسة في الطريق في أي طريق من طرق المسلمين فعليه لعنة الله وكذلك لعنة الملائكة والناس أجمعين " فالإي مدى كان التشديد في هذه الأمور التي تكون في الساحات وفي البيوت والطرق فإن فيها الوقاية من كل وباء ، ثم يقول رسول الله ﷺ لا يورد مريض على مصح وفروا من المجزوم فراركم من الأسد ، يقول اتقوا أن تجالسوا المريض الذي يحمل عدوى مرض يؤدي من يجالسه وأن يتجنبه بكل ما يستطيع ولن يغني حذر من قدر ولكن الأخذ بالحيلة أمر واجب وذلك الأمر هو نهج دين الإسلام ، فما هو معنى حديث رسول الله ﷺ إذا وقع ذباب في إناء أحدكم فليغمسه ثم ينزعه فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء ، ولنعلم أن رسول الله ﷺ لا يقول الشيء ونقيضه ولكن إرادة الله عز وجل أن ينطق بهذه الكلمات ويكون هذا الحديث في يوم من الأيام بعده بسنوات طويلة أن

يكون دليلاً على نبوته وعلى صدق رسالته وعلى لسان من يدعون عداوته وعداوة رسالته فإن مجلة متخصصة في الأبحاث الطبية تسمى مجلة العلوم الطبية الإنجليزية في عددها رقم ألف وسبعمائة وثلاثين الصادر سنة ألف وتسعمائة وسبعة وعشرين ميلادية أي في أوائل القرن العشرين ذكرت أن أهل التجارب والأبحاث الطبية المتخصصة الذين بالتأكيد لم يكونوا يعلمون شيئاً عن حديث الذباب هذا الذي قاله رسول الله ﷺ في محاضرة لهم ذكرها بعدها بأعوام الدكتور إبراهيم مصطفى بتاريخ تسعة عشر من شهر مارس سنة ألف وتسعمائة وواحد وثلاثين ميلادية في القاهرة وكذلك دوت هذه المحاضرة في مجلة المنار الإسلامية ومجلة التوحيد فماذا قال هذا الرجل قال إنهم بالتحليل وبالعلم والأبحاث المضنية ثبت لهم أن الذبابة إذا ما وقعت في جراثيم فإنها تفرز مادة تسمى بكتريوفاج ومعناها بالعربية آكلة الجراثيم فكانت الذبابة تفرز هذه المادة من جسدها تأكل ما علق بها من جراثيم فبذلك أثبتوا بأنفسهم بعد مئات السنين صدق ما قاله رسول الله ﷺ وما كانوا يعلمون عن مقالته هذه شيئاً فقالوا أن الذباب يحمل في جسده المادة المضادة للجراثيم الضارة التي تحملها ، وفي ذلك الوقت كان هناك طبيب اسمه دريل عندما اجتاحت الكوليرا الهند فانتفع بهذه الأبحاث عن الذباب فسلط عليه داء الكوليرا حتى يفرز الذباب المادة المضادة لهذا الداء فتكون لديه مضادات لمرض الكوليرا يعالج به المصاب من البشر فكان بذلك القضاء بإذن الله عز وجل على هذا المرض ، وفي البرازيل في نفس هذا الزمن وبنفس الطريقة سلطوا على الذباب الدسنتاريا والحمى الشوكية فأفرز الذباب المواد المضادة لهذه الأمراض فعالجوا بها المرضى وكانت تلك كلها أمراضاً مستعصية على العلاج وقتها وكان فيها هلاك من يمرض بها وأصبحت بفضل هذا الاكتشاف صفحة في

تاريخ محاربة المرض في وقتنا هذا ، وتمر الأيام حتى يأتي الدكتور أمين رضا الذي كان متخصصاً في علاج كسور العظام والقرح المزمنة بهذه البكتيريا التي يفرزها الذباب ، من هنا كان ذلك الحديث الذي أرادوا به أن يكون طعناً في كتاب صحيح البخاري وعامل من عوامل هدم السنة ومن ثم الدين كله إذا به يتحول إلى دليل على صدق النبوة ، ذلك النبي الأمي الذي ما كان في زمانه تشريح ولا تحاليل أو أبحاث ولم ينطق أحد من الخلق في زمانه بكلمة بكتيريا أو جراثيم إنما الذي أنطقه بهذا الحديث هو الله عز وجل الذي يقول في حقه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ النجم 3 - 4 وكذلك يقول الله عز وجل ﴿سُئِرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۚ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت 53

حديث الذباب حديث صحيح وما أمرنا بنص الحديث أن نأتي بالذباب ونضعه تعمداً في الإناء ما أمرنا بذلك ولكن الذي أمرنا به أن نغطي الإناء وأن نكفيء السقاء كما قال لنا رسول الله ﷺ وخمروا الآنية أي أمرنا ألا نضع الكوب ونتركه على وجهه وإذا كان فيه شراباً أو طعاماً أمرنا أن نخمره أي نغطيه ، ولم يأمرنا في الحديث بأن نجعل مزارع للذباب ولكن أمرنا بأن نتقيه قدر المستطاع ، ورسول الله ﷺ ما نطق بهذا الحديث إلا ليكون آية ولم يأمرنا أن نشرب من هذا الإناء الذي وقع فيه الذباب حتى وإن كان حلال مباح فليس في الطعام والشراب ما يُجبر على أكله أو شربه إنما نأكل ونشرب ما نستسيغه فإن الضب أكله حلال ورسول الله ﷺ ما كان يأكله وسأله خالد بن الوليد ﷺ أهو حلال أم حرام قال حلال ولكني لا أستسيغه لم يكن بأرض قومي فأكله خالد بن الوليد ﷺ على مائدة رسول الله ﷺ فلم

ينكر عليه أكله ، ما أمرنا أن نشرب الشيء الذي وقع فيه الذباب
وكان القائل يقول إذا وقع الدباب على طعام رفعت يدي ونفسي تشتهي
فضعف عن الطعام ولو شهياً إذا وقع الذباب وقاء فيه .

هؤلاء الذين يهاجمون دين الإسلام في هذه الأيام كان يجب
عليهم أن يتعلموا وأن ينظروا فيما يأكلون هم أنفسهم وما يشربون فإن
هناك في أوروبا مطاعم يرتادها الكثير من الناس يأكلون الضفادع
ويشربون ماءها يستسيغونها فلماذا لم ننكرها عليهم كما يفعلون هم
لأن دين الإسلام عظيم ومنيع ومستهدف بالعداء والحرب ولكنه كما
يقول قائل فإن البحر إذا أمسى زائلاً فلن يضره إن ألقى فيه غلام
بحجر.

دين الإسلام هو دين قوي الحجة والبيان وهو قوي برسول الله ﷺ
الذي أنزل الله عليه قرآنه وعلمه الحكمة والحديث وقوي بعلماءه
وبالآيات التي يجعلها الله عز وجل برهاناً على صدقه وتأيداً لهذا الدين .

لا عدوى ولا طيرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ تعلم القرآن ثم علمه للناس فإنك إن مت على ذلك زارت قبرك الملائكة كما يُزار البيت العتيق وإذا أردت ألا تقف على الصراط طرفة عين فعلم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك - وذلك لأن الجنة هي ربوة بحسن والعمل لها فيه مشقة أما النار فإنها ميسرة بشهوة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه كما جاء في صحيح البخاري قال : قال رسول الله ﷺ لا عدوى ولا هامة ولا طيرة ولا صفر " وكذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه كما جاء في صحيح مسلم تلك الأربعة ثم زاد عليها ولا نوء ولا غول ، فقال رجل يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيجرب أحدها فتجرب كلها قال رسول الله ﷺ فمن أعدى الأول " تلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ تنفي أن تكون هناك عدوى تنتقل تلك الأمراض وتسبب الإصابة بها وتنفي أن تكون هناك هامة أو طيرة أو صفر والصفر في الحديث قالوا أنه داء يصيب المعدة في الإنسان يسبب صفرة في الوجه المعروف اليوم بداء الكبد مرض الصفراء الذي ينتقل بالعدوى وفي الجاهلية كانوا يتشائمون من شهر صفر وكانوا يبدلون به بالمحرم عاماً ويحرمون صفر عاماً فنفي رسول الله ﷺ عن شهر صفر الشؤم ، ورغم ذلك نجد أحاديث أخرى لرسول الله ﷺ صحيحة وكانت من القوة لدرجة أن أهل العلم عندما تفقهوا فيها قالوا إنها نسخت الأحاديث الأخرى التي سردناها وما كانت ناسخة لها فإن رسول الله ﷺ يقول في حديث له رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال لا يورد مريض على مصح وفروا من المجزوم فراركم من الأسد " في هذا الحديث يقول لا تختلط

بالمريض الذي ينتقل مرضه بالعدوى وكذلك في الحيوانات ألا تختلط ببعضها البعض المريضة بالسليمة فإذا نظرنا نظرة سطحية قد يظن الناس أن هناك تعارض بين هذه الأحاديث ولكن يجب أن ندقق في المعاني فإن رسول الله ﷺ أعطي البلاغة كلها . وعمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما خرج خلف جيشاً فاتحاً فكان في طريقه يمر على بلد قالوا له إن وباء الطاعون انتشر فيها فقال البعض ندخل فيها فإنه لا عدوى وقال آخرون لا ندخلها حتى لا نهلك ولم يكن عند عمر رضي الله عنه علماً بها فسأل الناس من عنده علم بها عن رسول الله ﷺ فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يا أمير المؤمنين لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا سمعتم أن الطاعون بأرض وأنتم خارجها فلا تدخلوها وإن كنتم بداخلها فلا تخرجوا منها ، عندما سمع عمر رضي الله عنه هذا الحديث رجع ولم يدخل القرية التي بها الطاعون وامتنل لأمر رسول الله ﷺ فقال له أحد الصحابة أفراراً من قدر الله يا أمير المؤمنين فقال له نفر من قدر الله إلى قدر الله ، فهل كان في ذلك تناقض بين الأحاديث ؟ الذي يوضح لنا ذلك هو شرح الأحاديث والذي شرحها هو رسول الله ﷺ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا يعدي شيئاً شيئاً فقام له رجل وقال - لأن رسول الله لم يكن جباراً من الجبابرة ولا فرعون من الفراعين يقول ما أريكم إلا ما أرى ثم يوردهم الهلاك ولكنه كان يقبل الرد من أصحابه ثم يبين لهم - قال يا رسول الله ما بال النقرة من الجرب تكون في مشفر البعير فتجرب الإبل كلها - يرد الرجل على رسول الله ﷺ يقول له إنك تقول أنه لا عدوى من المرض بينما نحن نجد غير ذلك فإن الإبل تعدي بعضها بالجرب - فقال له رسول الله ﷺ فمن أعدى الأول " أي أن البعير الأول الذي أصيب بالمرض من أين جاءت العدوى ، من هنا رسول الله ﷺ يقول لنا أن الله عز وجل فعال لما يريد وإنما هو الذي أراد أن يُصاب الأول فإذا

أصيب الثاني فإنه بقدر الله عز وجل ، ثم رسول الله ﷺ يستمر في الإيضاح والشرح فيقول لا هامة ولا صفر إن الله عز وجل خلق كل نفس وكتب حياتها ومصاها ورزقها وأجلها ، والله عز وجل يقول ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ الحديد 22 الله عز وجل كما قال رسول الله ﷺ جاءني جبريل فنفت في روعي وقال لن تموت نفس حتى تستوفي أجلها ولن تموت نفس حتى تستوفي رزقها " فالذي له عمر لن تنال منه عدوى ولا يهلكه مرض وإذا انتهى أجله سلط الله عليه العدوى أو المرض فيقضي عليه أو لا يسلط عليه شيئاً أبداً ورغم ذلك يموت ، ومن هنا جمعت العدوى مع صفر فكان النهي عن التشاؤم من شهر صفر لأن التشاؤم شرك بالله عز وجل فقال رسول الله ﷺ الطيرة شرك الطيرة شرك الذي يتشائم فقد أشرك مع الله عز وجل قوة أخرى ، والناس قد تتشائم من أيام معينة مثل يوم الأربعاء أو غيره أو من شهر مثل فبراير وكل تلك الأمور إذا فعلها المسلم إنما يكون قد أشرك لأنه تطير وهذا التطير لا يكون إلا إذا أثر في فعل إنسان أو منعه من فعل ، فعن عبد الله بن عباس ؓ قال الطيرة هو ما ردك أو أمضاك ، فإذا تشائم إنسان من شيء وتعامل مع ذلك الشيء فيكون عمل لذلك الشيء حساباً إما رده عن فعل وإما أمضاه في فعل ، ورسول الله ﷺ سئل هذا السؤال عن معاوية بن حكيم ؓ قال قلت يا رسول الله منا ناساً يتطيرون فقال إن ذلك شيء يجده الإنسان في نفسه ولكن لا يصدنكم - كل إنسان يتأثر ولكن متى يكون مشركاً عندما يتأثر فيصد نفسه عن الإقدام أو السفر فإنه يصد نفسه عن العمل وهنا تكون الطيرة عملت عملها فيجب أن يتعاملوا بما علمنا إياه رسول الله ﷺ فعن عبد الله بن عمر ؓ قال : قال رسول الله ﷺ من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك قالوا

يا رسول الله وما كفارة ذلك قال كفارته أن تقول اللهم لا يأتي بالخيرات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك " أي ترد نفسك إلى الله الواحد الأحد نقول يا رب أنت الذي تملك لي الخير والنفع امنع عني الشر كله فإنه لا حول ولا قوة إلا بك يا مالك الملك والملوك ، وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً - المسلم لا يرده التشاؤم - قالوا يا رسول الله فمن وجد شيئاً من ذلك - لأن الإنسان بطبيعته يخاف ويهتز إذا ما وجد شيئاً لا يرتاح له حتى أنهم في يوم من الأيام وعبد الله بن عباس رضي الله عنه في مجلسه يعلم الناس كما يروي عكرمة رضي الله عنه فمر طائر يصيح فقال رجل من الجلوس خير خير فقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه لا خير ولا شر - فقال لهم رسول الله ﷺ إذا وجد أحداً شيئاً من ذلك فليقل اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك " كان ذلك مما يقوله الإنسان إذا ما وجد في نفسه تشاؤم من شيء ما يرجع الأمر كله لله عز وجل الذي يقول ﴿وإن يمسسك الله بضرٍ فلأكاشف له إنا هو وإن يردك بخيرٍ فلأراده لفضله ۖ يصيب به من يشاء من عباده ۖ وهو الغفور الرحيم﴾ يونس 107

ورسول الله ﷺ أردف عبد الله بن عباس رضي الله عنه خلفه على دابته وهو غلام فقال له يا غلام ألا أعلمك كلمات أحفظ الله يحفظك إحفظ الله تجده تجاهك وإذا استعنت فاستعن بالله وإذا سألت فاسأل الله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف " وقد قالوا لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يا أم المؤمنين إن الناس يتشائمون من شهر شوال

ويقولون الزواج فيه لا يستمر فقالت والله لقد تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وبنى بي في شوال فأني نساءه أحظى عنده مني ، ورسول الله ﷺ لكي يبطل التشاؤم والتطير تزوج عائشة رضي الله عنها في شهر شوال وكذلك تزوج أم سلمة رضي الله عنها في شوال فكانتا نعمة الزوجة كليهما .

وقد يسأل سائل وما الهامة التي وردت في حديث رسول الله ﷺ هي التي يقول عنها الناس في هذه الأيام إذا كان هناك من مات مقتولاً أو محروقاً أو تردى من شاهق في بيت من البيوت قال الناس إن عفريته سوف يلزم هذا المكان الذي مات فيه وقد يؤدي ويفعل كذا أو كذا فتلك هي الهامة لذلك نهانا عنها رسول الله ﷺ وقال أنه لا يوجد شيئاً من هذا .

وأما النوء فإن رسول الله ﷺ قال على أثر مطر أتدرون ماذا قال ريكتم قالوا الله ورسوله أعلم قال : قال الله عز وجل : أصبح مؤمناً بي وكافر فمن قال مطرنا بنوء كذا أو كذا فهو كافر بالله ورحمته فهو مؤمن بالله كافر بالكواكب .

وأما الغول فهو ما يخوف به الناس وقد يكون الغوريلا ، ولكن رسول الله ﷺ ذكره من عتاة الجن فقال : إذا تغولت عليكم الغيلان فعليكم بالأذان .

كتم النعمة

يقول رسول الله ﷺ ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده " فمن كان في اجتماع مع الله عز وجل يتلو أو يدرس القرآن أو سنة رسول الله ﷺ فإنه في نعمة من الله عز وجل وفضل لم يحظ به من لم يحضر هذا الاجتماع ، فمن كان في جلسة ذكر لله فهو في معية الله عز وجل وفي رضوان منه حتى إن الفراغات التي تكون بين الجالسين في المسجد إنما تملؤها الملائكة فتفيض الرحمة من الله على هذا المجلس ، وخير العلم ما يجمع نفعاً في الدنيا والآخرة وما يجمع ذلك الخير إلا التدبر والتفقه في آيات الله عز وجل فإن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كنا إذا تعلمنا عشر آيات لا نتركها حتى نتعلم معانيها ونعمل بها ثم نكون مع عشر آيات أخرى ، وسورة النساء هي سورة مدنية إلا آية واحدة منها فإنها مكية يقول الله عز وجل فيها ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ النساء 58 هذه الآية نزلت يوم فتح مكة ، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول ما نزلت سورة النساء إلا وأنا عند رسول الله ﷺ ، وقد تزوج بها رسول الله ﷺ بيقين في شهر شوال من السنة الأولى من الهجرة أي بعد دخوله المدينة ، وسورة النساء إنما هي دستور المسلم وتسمى سورة النساء الكبرى لأن هناك سورة أخرى في القرآن تسمى سورة النساء الصغرى وهي سورة الطلاق ، وسورة النساء هي دستور لأن فيها كثير من قوانين الدولة الإسلامية لذلك الغرب

يحاربها وقد كانوا ولا يزالون يحاولون التحريف فيها ومحوها من المصحف وخابوا وخسروا ، وفي هذه السورة آيات لها دلائل كثيرة يقول الله عز وجل فيها ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا . وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا . وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ النساء 37 - 39 هذه الآيات لها أسباب نزول فإنها تتحدث عن الشح والبخل الذي لا يكون إلا في الأموال وفي العروض ولكننا نعجب كل العجب عندما نعلم سبب نزولها فعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال كان أحبار اليهود يبخلون بما عندهم من العلم فنزل قول الله عز وجل الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل فكان البخل هنا الذي يكتُم العلم ولا يبذله للناس فكان ذلك مطعناً في اليهود ، وفي تفسير آخر عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال كانت اليهود يختالون بأموالهم ويكتمون ما أنزل الله في توراتهم من نعت وصفة رسول الله ﷺ فنزل قول الله عز وجل الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ، وقال أن اليهود كان عندهم الأموال والجاه وهم تجار ذهب في قينقاع ويملكون مصادر الثروة فكانوا يختالون ويفخرون ويتكبرون فنزل قول الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ النساء 36 فقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن أمة اليهود يستكبرون على خلق الله ويقولون أنهم جنس غير الجنس وإنهم أبناء الله وأحباؤه وإنهم شعب الله المختار وقالوا ليس علينا في الأميين سبيل ، ثم قال ويكتمون ما أنزل الله عليهم في التوراة من نعت وصفة رسول الله ﷺ فنعتوا بالبخل وكذلك كانوا يأمرون الناس بالبخل ، وكانوا يقولون لأهل المدينة لقد أظلمنا زمان نبي نقاتلكم معه قتل عاد وإرم فلما جاء رسول الله ﷺ كفروا به بغياً

وحسداً ، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو من الذين أمرهم رسول الله ﷺ أن يتعلموا لغات أخرى حتى يفهموا لغة اليهود وغيرهم من الناس لأن دين الإسلام يحرص على العلم حتى يكون المسلم على وعي ودرايه بكل ما يحيط به فتعلمها وأتقنها وترجم التوراة قال وجدت صفة رسول الله ﷺ في التوراة يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمينين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يتبع السيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله عز وجل حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به قلوباً غلفاً وأعينا عمياً وآذاناً صماً ، كانت هذه صفات رسول الله ﷺ استخرجها عبد الله بن عمرو بن العاص من لباب التوراة ولكن أحبار اليهود كانوا يكتُمونها ، فإذا كان ذلك سبب نزول الآية فإنها عاملة إلى يوم القيامة تعني البخل والشح ، والله عز وجل ينهانا عنهما لأنه هو الذي يرزقنا ويغنينا من فضله بما أنعم علينا وجعل تلك النعم في أيدينا حتى تكون لنا ابتلاءً فإن رسول الله ﷺ في حديث رواه جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم دعاهم أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم " وكذلك رسول الله ﷺ يمحو عن البخيل الإيمان فقال لا يجتمع غبار في سبيل الله عز وجل ودخان جهنم في جوف عبد أبداً ولا يجتمع بخل وإيمان في قلب عبد " لأن الكريم الجواد يعلم أن الله عز وجل هو رازقه وإن أنفق فسوف يخلفه الله خيراً منه ولكن البخيل الشحيح ليس عنده إيمان بأن رازقه هو الله ويظن إن أنفق مما عنده على أصحاب الحقوق فقد ينفذ ماله ولا يصبح عنده مال ، من هنا قال رسول الله ﷺ أنه لا يجتمع بخل وإيمان في قلب واحد فعلى قدر بخل البخيل يكون قلة إيمانه ، ودين الإسلام يحض على الكرم والجود لذلك شدد رسول الله ﷺ على ربط الإيمان به فقال

والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قالوا من يا رسول الله قال من بات شبعان وإلى جواره جاره جائع وهو يعلم به " فكان هنا أيضاً نفي الإيمان عن البخيل الصحيح لأن البخيل يبخل خوفاً على زوال أو نقصان النعمة التي عنده وكذلك يكتُم النعمة خوفاً من الحسد .

ويقول الله عز وجل ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فكان الكتمان هنا هو كفر بالنعمة التي أنعمها الله عليه ، وهناك حديث يتداوله بعض الناس وهو حديث ضعيف كما جاء في السيوطي عند التحقيق وقال أنه قد يكون موضوعاً ، ذلك الحديث يتداوله بعض الناس عندما تقول له لا تكتم النعمة فيقول قال رسول الله ﷺ واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود ، وذلك الحديث إنما يناقض آية من آيات الله عز وجل مما يدل على ضعفه فإن الله عز وجل يقول ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ الضحى 11 وهناك الكثير من أحاديث رسول الله ﷺ يأمر فيها بعدم كتم النعمة بل والتحدث عنها لأن ذلك من عوامل شكر الله عليها فقال من أعطي خيراً فلم يوري سمي بغيضاً لنعمة الله معادياً لها ، يبغض نعمة الله لأنه كتمها ، وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا يشكر القليل من لا يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعمة شكر وكتمانها كفر " أي يجب الشكر على كل نعم الله عز وجل سواء كانت قليلة أم كثيرة ، وشكر الناس على ما يقدمونه من فضل أو خدمة إنما هي بإرادة الله عز وجل أجراها على أيديهم فمن لم يشكر هذا الإنسان فإنه لم يشكر الله ثم أوضح أن التحدث عن تلك النعمة فيه شكر لله عز وجل وعلى النقيض كتمانها وسترها كفر بالله عز وجل ، وقد جاء ملك بن نضالة رضي الله عنه قال كنت عند رسول الله ﷺ

وعليّ ثياب رثة فقال لي رسول الله أَعِنْدَكَ مال قلت يا رسول الله عندي من كل المال فقال إذا آتاك الله مالاً فليرى أثره عليك " من آتاه الله مال وسعة في الرزق فعليه أن يُظهر أثر تلك النعمة عليه في ثيابه في دابته فيما يأكله ويشربه حتى لا يكون قد كتم النعمة وبذلك يكون قد شكر الله عليها لأن الناس عندما ينظرون إليه وهو في هذه الحالة فسيقولون أن الله عز وجل رزقه وأغناه وكفاه ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده " وكذلك أمرنا الله عز وجل عندما نخرج هذا المال وننفقه في أوجه الخير أن يكون عملنا هذا خالصاً لله عز وجل فقال **﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾** النساء 38 فمن كان إنفاقه رياء وسمعه حتى يقول الناس عنه إنه كريم جواد فما حصل من أجر على نفقته لأن رسول الله ﷺ قال إنها للرحم وليست لله فيها شيء وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله عبد الله بن جدعان كان يطعم الطعام ويصل الرحم هل ذلك نافعه يوم القيامة - ذلك واحد من المشركين كان جواداً سخياً يطعم الطعام ويصل الرحم لذلك تسأل أم المؤمنين هذا المشرك هل ينفعه فعل الخيرات والإنفاق على الناس رغم كونه مشرك قال لها رسول الله ﷺ لا إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين لأنه يعمل ذلك العمل لكي يراه الناس ويقولون عنه ما يمدحونه ، وكذلك جيء برجل سخي يوم القيامة وقال لله عز وجل وهو يحاسبه يا رب كنت أنفق في سبيلك وكنت أتصدق بكذا وبكذا فترد عليه الملائكة وتقول كذبت إنما كنت تفعل ليقال سخي جواد وقد قيل إذن النية هنا لم تكن خالصة لوجه الله عز وجل ، لذلك قال الله عز وجل بعدها ومنعك أن تتخذ قريناً يقول ذلك القرين وهو الشيطان لأنه

يخوف من البذل والعطاء ويحبب الفجور والفسوق وكذلك هو حال قرين
السوء الذي يضر ولا ينفع فمثله كمثل الشيطان الذي يعدكم بالفحشاء
والمنكر بينما الله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم ،
وكذلك نجد من الزوجات من تقوم بذات الفعل مع زوجها تقول له
الأولاد يحتاجون هذا المال الذي تتفقه على الغرباء أو الأهل والأرحام فهم
أولى به فيقبض الرجل يده عن أرحامه خوفاً على أولاده ، لذلك يكون
الحرص على مصاحبة التقي الصالح لأنه يدل على كل خير بينما
الصديق الفاجر إنما يدل ويزين كل فاحش من الأمر الذي يكون أشد
من الشيطان نفسه وأكبر خطراً على الإنسان منه فليُنظر كل واحداً
منا من يصاحب ومن يخال .

الصور والتماثيل

يقول القائل تعلم العلم يا فتى تحوز فخر النبوة فالله قال ليحيى خذ الكتاب بقوة ، ومن تعلم العلم يجب أن تكون نيته أن يتعلمه لله عز وجل لأنه بالعلم يكون أقوى من الجن فإن نبي الله سليمان عليه السلام عندما طلب أن يأتيه أحد بعرش بلقيس قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك فكان هذا العمل يستغرق منه وقتاً معيناً ولكن الذي آتاه الله العلم كان أقوى وأعلم من الجن فقد كان خادماً لسليمان اسمه آصف قال أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك أي في لمحة من البصر قبل أن تكمل العين رمشها فإذا بعرش بلقيس مستقراً أمام نبي الله سليمان فهذا الرجل تفوق بالعلم الذي لديه على الجن ولم يكن ذلك كلاماً إنما هو فعل واقع لأن الله عز وجل قال ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ النمل 40 رآه مستقراً عنده ما كان خيلاً ولكنه كان حقيقة ملموسة ، من أجل ذلك كان أول الأمر في دين الإسلام هو الأمر بالعلم والتعلم فكان أول خطاب من الله عز وجل لرسوله اقرأ مما يدل على أن أمة الإسلام يجب أن تكون أمة العلم تقود العالم ولكننا عندما تخلفنا عن قول الله عز وجل اقرأ سبقتنا الأمم ، ونبي الله سليمان آتاه الله قدرات كثيرة وملكاً عظيماً كما يقول الله عز وجل ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۚ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۚ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۚ وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ . يَعْمَلُونَ لَهُ

مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ۖ اعْمَلُوا
 آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۖ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ سبأ 12 - 13 ذكرت
 الآية أن الجن كانوا يعملون لسليمان عليه السلام التماثيل فهل كانت
 تلك التماثيل تُعبد عندما أمرهم سليمان بصناعتها ؟ ما كان لنبي الله
 سليمان أن يأمر بذلك وما كانت تلك التماثيل تُعبد أيامه فإنه أمر الجن
 أن تعمل له تماثيل الأنبياء والصالحين والمحسنين وكان يقصد بها أن
 الناس إذا رأتها تذكروهم واتخذوهم قدوة ومثل في طاعة الله عز وجل
 ولكن مع مرور السنين عبد الناس التماثيل بغير حق وجعلوها شركاء
 لله عز وجل ، ورسول الله ﷺ عندما دخل مكة يوم الفتح وجد في فناء
 البيت الحرام ثلاثمائة وستين صنماً تماثيل منصوبة حول الكعبة فأخذ
 يضربها بمعول لأنها كانت تعبد من دون الله وكان يقول جاء الحق
 وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً وما يبدىء الباطل وما يعيد ثم أمر
 بفتح باب الكعبة وعندما دخلها وجد صورة لنبي الله إبراهيم عليه
 السلام وصورة لنبي الله إسماعيل عليه السلام وهما يستقسمان بالأزلام
 فأبى أن يصلي في داخلها حتى تطهر من تلك الصور وقال لعنهم الله ما
 استقسم إبراهيم وإسماعيل بالأزلام قط . إذن لم تكن التماثيل تعبد من
 دون الله عندما أمر بها نبي الله سليمان عليه السلام ولكن عندما
 عبدها الناس من دون الله وجب أن يتطهر الكون كله من كل شريك
 يعبد من دون الله عز وجل ، وإن كان نبي الله سليمان عليه السلام أمر
 بعمل التماثيل ولكنه لم يأمر بعبادتها فقد كان ذلك في شرع من قبلنا
 ونسخ ذلك في شرعنا ، والناس عندما تعظم عظيماً تقيم له تماثلاً
 ورسول الله ﷺ أعظم العظماء وأشرف الخلق عندما كان يأتي على
 أصحابه قام له بعض الناس وقوفاً فقال لا تقوموا لي كما تقوم الأعاجم
 إنما أنا عبد الله ورسوله ، وهو الذي كان يدعو الله عز وجل ويقول

اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، وعندما قبضه الله عز وجل وقف الصديق ﷺ وسط الناس وقال أيها الناس من كان يعبد مُحمداً فإن مُحمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .

ودين الإسلام إنما حرم التماثيل التي لها ظل بكل أشكالها وإن كانت لحيوان فإن الهندوس يعبدون البقر ويصنعون لها تماثيل كما أن المجوس يعبدون النار ولأن النصارى يعبدون عيسى ومريم من دون الله ويجعلون لهما تماثيل وصلباناً لذلك نهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ التماثيل والصور التي لها ظل سداً للذرائع ومنعاً أن تتخذ مع مرور السنين آلهة تعبد من دون الله كما اتخذت بعد نبي الله سليمان عليه السلام فقال رسول الله ﷺ الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تمثال ولا كلب ، وكذلك قال إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصنعون تلك التماثيل يقال لهم أحيوا ما صنعتم ، سيطلب منه أن ينفخ الروح في هذا التمثال الذي صنعه وما هو بنافع فيه الروح التي هي فرق بين الحياة والموت فكان هنا التشديد على الصور التي لها ظل أي التماثيل المجسمة والأصنام على أي صورة كانت ، ورسول الله ﷺ يقول جاءني جبريل فاستأذن عليّ فقلت ادخل يا جبريل - وكان ذلك قبل تحريم الصور - فقال كيف أدخل وعندك ستر فيه تصاوير فإن كنت لأبد فاعلاً فاقطع رأسه أو اجعله بساطاً " من هنا علمنا أن التمثال يجوز إذا قطعنا رأسه بمعنى أن يكون ناقصاً ليس فيه كمال وإذا كانت ستارة وبها تصاوير وتماثيل نقطعها ونجعلها وسائد نضع عليها أيدينا أو ننام عليها أو نجعلها بساطاً ، وهناك تماثيل وصور هي لعب للأطفال مثل العرائس أو الحصان وما شابهه ولكن من رحمة الإسلام وسعته لم يحرم الله هذه اللعب والدمي وما جعل لها تشويه فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت كانت لي

بنات ألعب بها في بيت رسول الله ﷺ مصنوعة من القطن أو الليف وكان لي صواحب يتقمعن إذا رأين رسول الله ﷺ خوفاً منه وكان يسر بهن إذا جئن يلعبن معي " فلم ينهى رسول الله ﷺ عن اللعب واللهو للأطفال بهذه الدمي وقد دخل عليها في يوم من الأيام وفي يدها تلك العرائس فقال لها ما هذه يا عائشة قالت بناتي ألهو بهن وقال وما هذا قالت فرس قال وله جناحان قالت يا رسول الله ألم تعلم أن نبي الله سليمان كان له خيل لها أجنحة فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجره ، فلم يحرم رسول الله ﷺ هذه الدمي واللعب فإنها ممتحنة بذاتها لأنها في يد الأطفال يلهون بها ويلعبون ، وكذلك قالت دخل علي رسول الله ﷺ وقد اشترت نمركة عليها تصاوير فرأيت الكراهية في وجه رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله أتوب إلى الله عز وجل وإلى رسوله فقال ما هذه النمركة قالت اشتريتها نتوسدها أي نجلس عليها أو ننام عليها فقال لها يا عائشة إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصنعون هذه الصور يقال لهم أحيوا ما خلقتم وإن البيت الذي فيه تماثيل لا تدخله الملائكة " فكان في ذلك التشديد ثم كانت بعد ذلك الإباحة فأصبح التحريم ينصب على التمثال الذي له ظل فمن أين أتينا بها لأن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها روت لنا القصة قالت كان لنا ستر فيه تمثال طائر أي صورة طائر فكان الداخل إذا دخل يستقبله أي كانت واضحة أمام باب البيت قال لي رسول الله ﷺ حوليه فإنني كلما رأيته تذكرت الدنيا ما قال لها قطعيه إنما قال لها حوليه حتى لا يكون في مدخل الباب ولأن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان لعائشة رضي الله عنها قيراط فيه تصاوير فقال لها رسول الله ﷺ أميطيه فإنه ما زالت تصاويره تعرض لي في صلاتي ، ما منعها أن تضعه ولكن أمرها أن تجعله في مكان بعيداً عن مكان صلاته حتى لا يشغله عن الصلاة فقال رسول الله ﷺ إلا ما كان رسماً في ثوب فكان من هنا

استثناء التصاوير التي ليس فيها شيء من الأمور التي نهى عنها فكانت الصور التي نجدها في المجلات والصحف وما شابهها ، كل هذه الصور قال رسول الله ﷺ فيها إلا ما كان رقم في ثوب أي الصور العادية التي ليس فيها تعظيم ولكن لا نعلقها ، وأشدها تحريماً صور عيسى وأمه مريم عليهما السلام وكذلك صور كل ما يُعبد بأي شكل من الأشكال أو يُعظم عند أي ملة من الملل فإنه يحرم على المسلم أن يعظمها ويعلقها حتى ينأى بنفسه عن أي شبهه من الشرك ، ومثلها أيضاً الصور التي تكون لإنسان له مكانة أو منزلة دينية أو اجتماعية مثل صور الأولياء أو الرؤساء والزعماء والملوك لأن لها تعظيماً وتوقيراً عند بعض الناس ، ومثلها الصور التي تثير الغرائز في النفوس بأي شكل من الأشكال كأن تكون صور لنساء يظهر فيها مفاتن ويسلط عليها الضوء فتكون الإثارة أشد في النفس ، وأما الصور الفوتوغرافية مثل التي نحتاجها لاستخراج بطاقة أو جواز سفر أو ما شابهه فليس فيها شيء لأنها ليست رسماً ولكنها حبس للضوء وما كانت فيها مناظرة لخلق الله عز وجل فإنها تُطبع بمواد كيميائية على ورق وليس للإنسان أن يقول فيها إنها صنعته أو أنه خلق وصور أحسن من خلق الله فإن من أظلم الناس وأشدّهم عذاباً من ادعى أنه يخلق كخلق الله عز وجل وإن ادعى ذلك فليخلق الذرة إن استطاع ، وإن رسول الله ﷺ عندما أباح لنا ما كان رقم في ثوب ما كان صورة ورسماً في لوحة فإنه كان رحيماً بنا فلولا أنه أجازها لنا ما أجزت الصور الفوتوغرافية التي نقضي بها مصالحنا ، ولكن علينا أن نتعامل بكل حذر مع الصور والتماثيل فإن رسول الله ﷺ كما يقول علي بن أبي طالب عليه السلام قال كنا في جنازة فقال رسول الله ﷺ من ينطلق إلى المدينة فلا يدع فيها وثناً إلا كسره ولا قبر إلا سواه بالأرض ولا صورة إلا لطخها يقول علي بن أبي طالب عليه السلام

فانطلقت ثم عدت إلى رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله لم أجد وثناً إلا كسرته ولم أجد قبراً إلا سويته بالأرض ولم أجد صورة إلا لطختها فقال رسول الله ﷺ فمن عاد فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ " وعن خلفان بن حصين رضي الله عنه قال : قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبعثك على ما بعثني به محمد ﷺ لا تجعل صورة إلا طمسها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته " علينا أن ننظف بيوتنا ونزينها ولكن نبتعد كل البعد عن التماثيل والصور التي ذكرناها فإنه كما جاء عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تمثال " أما النطافة والتزيين فإنها من سنة رسول الله ﷺ الذي يقول إن الله طيب يحب الطيب فنجعل بيوتنا طيبة ولا نتشبه باليهود ولا نستتر الحائض بصور فإن رسول الله ﷺ يمنع الستر المصور على الحائض وقال إن الله عز وجل قال : من أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة ، فليخلقوا شعير ، في البخاري ومسلم .

الحدود

يقول قائل : لست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد وتقوى الله خير الزاد زخراً وعند الله للأتقى مزيد ، فليست السعادة في جمع الكنوز والأموال ولكن السعادة في اطمئنان القلب وراحة البال التي توصل إلى رضا الله عز وجل ، ويقول رسول الله ﷺ من نفث عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفث الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله عز وجل يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده " لأن في ذكر الله عز وجل ودراسة كتابه علماً وتعليماً يطمئن به القلب ويتفقه الناس في أمور دينهم فيكون لهم السعادة به في الدنيا والآخرة ، ورسول الله ﷺ يقول في حديث رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنه فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ، وذلك لأن الفقيه على درجة أكبر من درجة العابد لأن العابد قد يعبد الله عز وجل تقليداً أما الفقيه فإنه على علم وبصيرة فكل حركاته وسكناته في سبيل الله عز وجل ، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت تقول يرحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين ، ومن الفقه أن نتعلم الحدود في دين الإسلام فإن رسول الله ﷺ يقول إن لله عز وجل حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم فلا تبحثوا عنها ثم تلا قول الله عز وجل ﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۚ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ مريم 64 والحدود في دين

الإسلام ليس الغرض منها كما يُشاع وكما يروج الذين يحاولون نقض الدين بأن يغيروا من الحقائق ويجعلوها نقمة على الإنسان وهى فقط تقطيع الأيدي وقتل الناس ولكن الحدود في دين الإسلام جواهر وزواجر تجبر الخطأ الذي قد يقع فيه المسلم فإن كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون والله عز وجل يقبل توبة العبد فإنه رؤوف رحيم بعباده وكذلك هى زجراً للناس عن اقتراف هذه الآثام التي نهى الله عنها وما كان النهي عنها إلا لأنها تؤدي وتلحق ضرراً بالآخرين لا يقتصر الإثم فيها على ظلم النفس فقط إنما يتعداها إلى ظلم الناس من حوله فإن الحدود هى حق لله أراد الله عز وجل بها صيانة المجتمع حتى يعيش فيه الناس آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم فلا تنتهك الحقوق فيه فتثير الضغائن في نفوس الناس فكان من هنا تحريم الخمر وجعل لها حداً وتحريم الزنا وجعل له حداً وتحريم السرقة ولها حداً ليأمن الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم وكذلك جعل حد للحراية وحداً للردة وحداً للقذف كل هذه الحقوق حقاً لله عز وجل بمعنى إنها حق للمجتمع حتى يكون مترابطاً المؤمنون فيه كأنهم نسيج واحد فإن المؤمن للمؤمن كالبنیان المرصوص يشد بعضه بعضاً وإذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر والذي يبين أن الحدود حق للمجتمع قول رسول الله ﷺ حيث قال مثل القائم على حدود الله والراتع فيه كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب طائفة منهم أسفلها وأصاب طائفة منهم أعلاها فكان الذين في أسفلها إذا أرادوا الماء مروا على الذين من فوقهم فقالوا فيما بينهم لو أننا خرقتنا خرقاً في نصيبنا ولا نؤذي إخواننا - هؤلاء القوم في أسفل السفينة قالوا فيما بينهم إننا كلما احتجنا الماء مررنا عليهم فنؤذيهم فإذا خرقتنا خرقاً في السفينة نأخذ منه الماء ولا نؤذي إخواننا فكانت نيتهم وغرضهم ألا يؤذوا جيرانهم وشركائهم في

السفينة فكان ذلك تفسيراً سقيماً منهم لذلك قال رسول الله ﷺ - فلو تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعاً ولو أخذوا على أيديهم لنجوا وسلموا جميعاً " من هنا كانت الحدود حق من حقوق المجتمع .

رسول الله ﷺ لم يغادر الدنيا حتى بين لنا كل صغيرة وكبيرة في هذا الدين حتى لا تختلط الأمور ويضطرب الناس كل حسب فهمه فإنه عندما علمنا هذه الحدود والزواج أمرنا بأمور فيها فإذا وقع إنسان في معصية لها حد من الحدود فماذا يصنع هل يقول إني فعلت كذا وكذا هل يفضح نفسه ؟ إن دين الإسلام قبل أن يأمر الحاكم بتنفيذ الحد أمر الذي يقع في المعصية بأمور ، قال رسول الله ﷺ كل أمتي معافى إلا المجاهرين وإن من المجانة أن يعمل العبد عملاً في الليل فيبيت يستره ربه ثم يصبح فيقول فعلت البارحة كذا وكذا " الذي يفعل أمر من الفاحشة يستغفر الله ويتوب إليه لا يفاخر بها ويعلنها على الناس لأنه بذلك يكون قد أشاع الفاحشة في الأرض والله عز وجل يستر العبد مرة ومرة ومرة حتى إذا كانت هذه المعصية عادة يفضحه الله على رؤوس الأشهاد ، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء برجل سارق مثبت السرقة والحد فيه بقطع اليد فجاءت أم ذلك السارق فقالت له والله يا أمير المؤمنين إنه أول مرة يسرق فقال لها كذبتى لو كانت أول مرة لستره الله عز وجل ، فإن الله عز وجل يستر العبد حتى يمهل التوبة وحتى يكون ابناء له ينظر هل يرتكبها ثانية أم يتوب إليه ، ورسول الله ﷺ يقول من أتى هذه القاذورات فليستتر بستر من الله فإن من أبدى لنا صفحته أقمنا عليه الحد " دين الإسلام يأمر العصاة والمذنبون أن يستتروا ولا يفضحوا أنفسهم ويحاولوا أن يستغفروا الله عز وجل ويتوبوا إليه فما كان رسول الله ﷺ يريد قطع الأيدي ولا يريد جلد الناس ورجمهم وقطع رؤوسهم ولو

كان دين الإسلام يقول ذلك لأمر من فعل فاحشة أن يأتي يعلنها ويطلب تنفيذ الحد عليه ولكن كان النهي عن إعلانها حتى لا يقام عليه الحد حتى يعود الناس إلى الله راشدين ، ومن رأى إنسان يرتكب خطأ ماذا يجب عليه هل يفضحه ويعين عليه الشيطان أم يأخذ بيده يحاول أن يعيده إلى الرشد والصواب بالرفق واللين كما أمرنا بذلك رسول الله ﷺ عندما جاءه رجل في يوم وقال يا رسول الله إني أذنبت ذنباً عظيماً فما قال خذوه اقطعوا يده أو رأسه أو اجلدوه إنما قال له قال الله عز وجل ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذَكَرْتُمُ لِلذَّاكِرِينَ﴾ هود 114 فالمسلم مطالب في هذه الحالة أن يستر ولا يفضح وعن عبد الله بن عباس ؓ قال : قال رسول الله ﷺ من ستر عورة أخيه المسلم في الدنيا ستر الله عورته يوم القيامة " ستر أي خطأ يراه في أخيه المسلم إذا وجده يقترب فاحشة أو ذنباً لا يشنع به بل يحاول أن يأخذه إلى الطريق المستقيم بأن يستر عليه لذلك يقول رسول الله ﷺ من ستر عورة أخيه المسلم في الدنيا ستر الله عورته يوم القيامة ومن فضح أخيه المسلم في الدنيا فضحه الله عز وجل وإن كان في جوف بيته ، الذي يشنع بالناس ويفضحهم سوف يجد من يشنع به ويفضحه فإن كل إنسان معرض للوقوع في الخطأ وعيناك إن أبدت إليك معاييباً فدعها وقل يا عين لي معاييب وللناس أعين ، وعبد الله بن عمر ؓ يقول صعد رسول الله ﷺ المنبر يوماً فقال يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفضي الإيمان إلى قلبه - نحن كلنا نقول إنا أهل الإسلام وذلك باللسان بينما منا من قلبه خال من الإيمان فليس الإسلام وحده إنما إسلام باللسان وإيمان بالقلب - لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه في رحله " لأنه كما تدين تدان فمن يتبع أخطاء الناس ويكشف سترهم وزلاتهم سوف يفضحه الله عز وجل

حتى وإن كان داخل بيته ، كان هنا الأمر الأول أن نستتر على أنفسنا وكان الأمر الثاني أن نستتر على من يقع في المعصية من إخواننا إذا رأيناه والأمر الثالث من ارتكب هذا الخطأ مرة ومرة ومرة فأصبحت عادة عنده فضبط وهو يسرق مثلاً هل نأخذه إلى الحاكم ليقيم عليه الحد ؟ يقول رسول الله ﷺ يجب أن نعطيه فرصة فقد جاء في حديث رواه عمرو بن شعيب رضي الله عنه عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ تعافوا الحدود فيما بينكم فإنه إذا وصل إلينا فقد وجب الحد " أي على الناس أن تتعافى وتسامح فيما بينها قبل أن يكون أمام الحاكم أو القاضي فبذلك نعطيه فرصة للتوبة ولا نعين الشيطان عليه وهذا الأمر حدث من رسول الله ﷺ عندما جاءه صفوان بن أمية رضي الله عنه بلس سرق ثوبه فجاء به إلى رسول الله ﷺ ومعه البينة والدليل على السرقة وفي هذه الحالة لا بد من إقامة الحد عليه فأمر رسول الله ﷺ بقطع يده فقال صفوان بن أمية يا رسول الله تقطع يده في ثوب قيمته عدة دراهم إنني أسامحه فيه فقال له رسول الله ﷺ كان ذلك أولى قبل أن تأتيني به ، من هنا نعلم أن التسامح والعفو عن المخطيء يكون قبل الذهاب إلى الحاكم أو القاضي أما إذا وصل الأمر إلى الحاكم فلا شفاعة فيه بل يجب إقامة الحد عليه لأن رسول الله ﷺ يقول من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله عز وجل " لأن هذا المجرم عندما وصل الأمر به إلى الحاكم فإنه مجرم محترف للإجرام وقد نفدت فيه كل الحيل حتى أن الله عز وجل أراد به جزاءً وفاقاً في هذه الحالة إذا وصل المجرم إلى الحاكم بجريمته لا يشفع فيه أحد فإن رسول الله ﷺ يقول من شفع في حد من حدود الله فقد ضاد الله لأنه في هذه الحالة يكون إقامة الحد زجراً للآخرين الذي علموا بجريمة هذا المجرم ، لذلك كان رسول الله ﷺ يقول حداً يُقام في الأرض بحقه أزكى بها من مطر أربعين صباحاً " ورسول الله عندما

جاءوه بالمرأة المخزومية التي كانت تسرق جيرانها فأمر بقطع يدها فجاءه اسامة بن زيد رضي الله عنه مستشفعاً لها فقال له أتشفع في حد من حدود الله يا اسامة إنما هلك من كان قبلكم كانوا إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وإذا سرق فيهم القوي تركوه " لذلك شدد رسول الله ﷺ في إقامة الحدود على الجميع فقال أقيموا الحدود على القريب والبعيد ولا تخافوا في الله لومة لائم " فإذا ما وصل الأمر إلى الحاكم والجريمة مكتملة الأركان هل ينفذ الحد هكذا على قوله ؟ إن دين الإسلام الذي يريدون تشويه جماله ماذا يقول في هذا الأمر ، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ إدروا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله فإن الأمير لأن يخطيء في العفو خير له من أن يخطيء في العقوبة " فلننظر إلى هذا المبدأ في القضاء وإلى كمال وجمال التشريع في هذا الدين يقول رسول الله ﷺ إدروا الحدود ما استطعتم فقد كان يأتيه الزاني ويقر بذنبه فيقول له لعلك ما فعلت يا رجل فيقر يقول له لعلك فاخذت لعلك قبلت لعلك لامست لعلك كذا لعلك كذا فيقر هو يريد له أن ينجو من العقوبة وكذلك يأتيه السارق فيقول له قل ما سرقت حتى يدفع عنه الحد ، من ذلك نعلم أنه ليس للحاكم أن يقطع اليد هكذا ولكن يحاول بكل سبيل أن يجد مخرجاً ينجيه من العقوبة فهذا المجرم قد وصل إلى مرحلة الرعب من تنفيذ الحد ولعلها تكون رادعة له ثم يجعل رسول الله ﷺ القاعدة في القضاء أن الخطأ في العفو بأن يعفو الأمير أو الحاكم أهون وأخف وخير له من أن يخطأ في العقوبة فمهما كان هناك احتمال ولو واحد في الألف أن يكون هذا المجرم بريء فيحكم الأمير بالعقوبة وتكون خاطئة ونفذها في بريء فيكون هنا الظلم الذي عاقبته خطيئة

لذلك قال رسول الله ﷺ لأن يخطيء الأمير في العفو خير له من أن يخطيء في العقوبة .

إن الحدود في دين الإسلام جواهر وزواجر وهي حق لله عز وجل وبها تنتظم شئون الناس في الحياة ويأمنوا على أنفسهم فهي ردع للظالمين وحماية وأمناً للمظلومين فهي حق للمجتمع بكل أفرادهِ ، والحدود في دين الإسلام ينتظم تحت لواءها سبعة أمور هي الزنا والقذف والسرقة وشرب الخمر والبغي والحراقة والردة وغير هذه من الجرائم ليست لها حدود ولكن لها تعذيرات جعلت لإمام المسلمين فيما يراه زجراً وعقوبة للعصاة

لا تقربوا الزنا

يقول الله عز وجل ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد 28 وكذلك يقول الله عز وجل ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ البقرة 152

إن ذكر الله عز وجل فيه الخير كل الخير يجعل الإنسان في معية الله عز وجل وأفضل ما يكون ذلك الذكر في بيت من بيوت الله عز وجل الذي يقول ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ النور 36

يقول رسول الله ﷺ اتقي المحارم تكن أعبد الناس - أي تتقي كل ما حرمه الله عز وجل تكن اعبدهم فكان ميزان العبادة هنا بالتقوى تتقي المحارم تكن أعبد الناس ثم يقول وارض بما قسمه الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلي جارك تكن مسلماً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً " وكذلك يقول رسول الله ﷺ الحرام بين والحلال بين وبينهما أمور متشابها فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيها إلا إن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله محارمه ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب " والنية هى الميزان الذي جعله الله عز وجل في جسد ابن آدم لذلك جعل الله عز وجل الحدود في دين الإسلام لتكون زواجر وجوابر تجبر الخطأ وترجر عن فعله ومن هذه الحدود حد الزنى ولنعلم أن الله عز وجل قبل أن يأمر بجرم المحصن الذي يقع في هذا المحظور نهانا رسول الله ﷺ عن أمور من شأنها أن تتأى بنا عن الوقوع في هذا الخطأ الجسيم فقد جاء شاب إلى رسول الله ﷺ

يوماً وقال إذن لي في الزنا أي رخصه لي وأحلّه لي فهم أصحاب رسول الله ﷺ بالرجل فقال رسول الله ﷺ وهو المعلم والمربي قال لهم دعوه ثم أخذ ذلك الشاب بالرفق واللين قال له أترضاه لأملك قال لا قال أترضاه لأختك قال لا قال كذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم وأخواتهم ثم قال له أترضاه لعمتك أو لخالتك أو كذا أو كذا وذلك الشاب يرد ويقول لا قال رسول الله ﷺ كذلك الناس لا يرضون ثم ضرب على صدره ودعا له بالهداية فكان ذلك الشاب كما يقول عن نفسه والذي بعث محمداً بالحق رسولاً ما حدثني نفسي به بعدها أبداً ، كان ذلك تهذيباً وإصلاحاً من رسول الله ﷺ لشأن هذا الشاب وكان كذلك إصلاحاً للنفوس وترضية للناس ، ورسول الله ﷺ يحذرننا من هذه الخطيئة ويقول وهو يخطب الناس يا أيها الناس اتقوا في الزنى ستة خصال ثلاثة في الدنيا وثلاثة في الآخرة أما التي في الدنيا - كانت هذه الثلاثة من الزواجر التي تمنع أصحاب العقول السليمة والنفوس الطيبة أن تقع في ذلك المحذور قال - في الدنيا يذهب البهاء أي نضارة الوجه وحمرة تذهب نجد من يفعله شاحب الوجه وفيه سواد ويصيبه الهزال والكآبة ثم قال ويورث الفقر فقد بشر الزاني بالفقر ولو بعد حين فإن ذلك الداء إذا أصاب انسان فإنه يدفعه لأن ينفق كل غال ونفيس في سبيل ارضاء شهوته ولو صرفها في حلال لكفته زوجة واحدة صالحة في الحلال تكون من الطيبات المؤمنات تكون قرة عين له في الدنيا ومن الحور العين في الآخرة ولكنهم يلجأون إلى الحرام فتوعدهم الله عز وجل بالفقر في الدنيا مهما يكن ماله لا بد أن يذوق الفقر ثم كانت الثالثة وينقص العمر لماذا لأنه يصيب صاحبه بالأمراض التي يصعب علاجها ومنها ما ظهر حديثاً ولم يجدوا له علاجاً مرض الإيدز ويموت بسببه الكثير من الناس كل يوم ، ثم كانت الثلاثة التي في الآخرة أولها سخط الله عز وجل وما بالناس بسخط الله هل يستطيع أحد أن يدفعه أو

يقف أمامه هل يستطيع أن يقف أمام رب العزة وهو لم يأتِ أمره ولم ينتهي بنهيه والثانية سوء الحساب أي أنه يحاسب حساباً عسيراً على كل كلمة وكل حركة وسكنة وعلى كل كبيرة وصغيرة والثالثة وعذاب النار يكون مسكنه في النار ، ورسول الله ﷺ يقول لنا أن ذلك الوباء اللعين إذا كان في شخص فإنه ينزع منه الإيمان فقال إذا زنى العبد أو شرب الخمر نزع الله الإيمان منه كما يخلع أحدكم قميصه من رقبتة - شبه الإيمان بالقميص الذي نرتديه فمن أصابه ذلك الداء اللعين كأنه خلع قميصه وتجرد من ملابسه فكيف يكون حاله ، والله عندما نهانا عن هذا الداء لم يقل لنا لا تزنوا وإنما قال ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ الإسراء 32 قال لا تقربوه وهي أغلظ وأشد لذلك دين الإسلام حرم كل مقدمات هذا العمل وما يؤدي إليه وما يساعد على فعله حتى لا يقع المحذور وأول ما نهى عنه الاختلاء بين الرجال والنساء فإن الخلوة بين الرجل والمرأة هي أول ما يؤدي إلى وقوع هذا الأمر ولا يقول أحد عن نفسه إني أملك من أمر نفسي وأحكمها فلا أقع في ذلك الأمر ولا تقول واحدة مثل ذلك ففي هذا الأمر لا يملك أحد من نفسه أو من الشيطان شيئاً لذلك كان التحريم للخلوة فقال رسول الله ﷺ لا يخلون رجل بامرأة وليس معها ذو محرم منها فإن ثالثهما الشيطان " أنت قد تكون تقي وهي كذلك ولكن الثالث وهو الشيطان فاجر ، وفي حديث رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال إياكم والخلوة بالنساء ولا تدخلوا على النساء إلا مع ذي محرم " وفي حديث آخر يقول إياكم والدخول على النساء قالوا يا رسول الله أرأيت الحمى قال الحمى الموت " فكان الحمى هنا هم أقارب الزوج مثل الأخ وابن العم وابن الخال وأي رجل يقرب للزوج لا يدخل على الزوجة وهي منفردة وكذلك ابن خالته وابن عمها وابن عمتها وابن خالته فإن من أكثر الحوادث والوقوع في البلاء بسبب تهاون الناس في هذه الأمور التي أمرنا بها رسول الله ﷺ ،

وكان النهي عنها في دين الإسلام لثلاثة أسباب أولاً لأنه إذا هلك الدين لا تأمن المعصية إذا هلك دين واحد من الإثنين لا تأمن المعصية فإن المعصية قد تحدث وثانيها هلاك الزوجة بفراق الزوج إذا تحركت الغيرة في نفسه والوساوس في ذهنه وكان الثالث من هذه المهالك البلاء في المجتمع بسوء الظن تطرق الباب تجد رجلاً مع امرأة فقد يلعب الشيطان برأسك لماذا كان الباب مغلقاً عليهما قد يكون وقع شيء بينهما ولكن رسول الله ﷺ يقول دع ما يريبك إلى ما لا يريبك والذي يضع نفسه في موضع التهم متهم ، لأنه وضع نفسه في مواضع الشبهات هو الذي تسبب في أن يتكلم الناس عنه ويتهمون له لذلك لا يكون حياء في الدين فإذا أتى أخو الزوج أو قريبه وهو غير موجود فللزوجة أن تقول له زوجي غير موجود ولا تدخل لا حياء فيها فإنها أوامر في دين الإسلام يجب أن نلتزم بها منعاً لانهيار العلاقات بين الناس ومنعاً لهدم الأسر وحتى لا يدخل الشيطان في أمة محمد ﷺ ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول لا يدخلن رجل على مغيبة إلا ومعه رجل أو رجلان " أي امرأة زوجها مسافر هو غائب للسفر خارج البلاد فيجب أن تصان زوجته ولا تنتهك حرمة فلا يدخل على زوجته إنسان حتى وإن كان من أولياء الله الصالحين وكان التشديد في هذه الأمور حتى تُصان الحقوق وتُصان حرمان الناس وحتى لا يكون هناك مدخل للشيطان وإذا كان في البيت ناس فلا بأس في الدخول عليها سداً للذريعة ومنعاً للظن ومنعاً للقليل والقال ، والأمر الثاني الذي منعه دين الإسلام لأنه مدخل من مداخل الزنا هو النظرة فقد قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام يا علي إنما لك الأولى وليست لك الثانية " فكان في ذلك رحمة بالناس لأنهم معرضون لوقوع نظرهم على شيء من ذلك وقد سئل رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة فقال له اصرف بصرك " وكذلك يقول رسول الله ﷺ النظرة سهم من سهام ابليس من تركها مخافة الله عز وجل أبدله إيماناً يجد له حلاوة في

قلبه، والله عز وجل يقول ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۖ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ النور 30 بدأ بالمؤمنين وقال لنا أن نغض الأبصار ثم قال ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ النور 31 ثم جاء بالنساء فإن النظر من النساء إلى الرجال له نفس الوضع والتأثير من نظر الرجال إلى النساء ولنعلم أن هذه النظرة التي ننظرها ونتشبع منها قد تجر علينا وبال فإنك تنظر إلي شيء قد لا تستطيع أن تتأله فيولد الكبت عندك ويضيق به صدرك ولكن من لم ينظر ويتمعن لا يجد ذلك في نفسه لأنه لم ينظر ابتغاء رضا الله ، والنظر سواء كان من رجال إلى رجال أو من نساء إلى نساء كذلك له نفس التأثير لذلك قال رسول الله ﷺ لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة هذا بالنسبة للرجال في بعضهم وهذا بالنسبة للنساء في بعضهن لا تتعري امرأة وسط نساء وتقول أنا مثلهم ولا يتجرد رجل وسط الرجال ويقول أنا وسط أخوة لي فإن ذلك منهي عنه في شريعة الإسلام ثم قال رسول الله ﷺ ولا يفضي الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد ، معنى ذلك أن لا ينام الرجل مع الرجل وعليهما غطاء واحد ولا تنام امرأة مع امرأة بغطاء واحد لأن ذلك له تأثير على نفوس كل منهما وقد تتلامس الأجساد فيكون التأثير أشد مما قد يؤدي إلى الوبال وما نهانا رسول الله ﷺ إلا عن كل قبيح من الأمر ولم يأمرنا إلا بكل طيب حلال جميل فيه الخير كله فنهانا عن كل أمر يؤدي أو ييسر الوصول إلى الزنا الذي هو أشد وطأة عند الله عز وجل من الشرك فقال رسول الله ﷺ ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله عز وجل من نطفة يضعها رجل في رحم لا يحل له ، كانت هذه المنزلة الثانية بعد الشرك والعياذ بالله .

الخمير

يقول رسول الله ﷺ ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة " كانت هذه الثلاثة درجاتها في دين الإسلام كدرجة الجهاد في سبيل الله لأن رسول الله ﷺ قال بعدها فذلكم الرباط فذلكم الرباط ، فمن كان يريد كل هذا الخير فليحرص على هذه الثلاثة لأن فيها الخير كل الخير ، وكما قال رسول الله ﷺ المسجد بيت كل تقي وضمن الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى الجنة ، وأفضل البقاع على الأرض بعد مكة والمدينة أي غير بيت الله الحرام ومسجد رسول الله ﷺ وبعد المسجد الأقصى هي المساجد لذلك يكون الجلوس في المسجد وتلقي العلم وبذله وذكر الله عز وجل هو البنية الأساسية التي يقوم عليها دين الإسلام حيث يتعلمون أمور دينهم فيكنوا لبنات صالحة في بناء المجتمع المسلم ، ورسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يبلغ صحابته أمراً عظيماً أو يعظهم ويرشدهم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ويعلمهم أحكام هذا الدين وشرائعه كان يأمر مناد أن ينادي في الناس بالأذان فيجتمعوا في المسجد ، وفي يوم من الأيام أمر عبد الرحمن بن عوف ؓ أن يؤذن في الناس فاجتمع الناس فقال لهم أيها الناس لا تجلسن أحدكم متكاً على أريكته ويقول إن الله لم يحرم إلا ما جاء في القرآن - ولنعلم أن القرآن نزل مجملاً والذي شرحه وبينه وفصله هو رسول الله ﷺ - ألا إني أمرت ونهيت عن أشياء هي مثل ما في القرآن وأكثر - هل كان رسول الله ﷺ يأمر وينهى من تلقاء نفسه

لا والله فإنه ما كان ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ولذلك أمر الله عز وجل الأمة بأن تأتمر بما يأمر به رسول الله ﷺ وتنتهي عما نهى عنه فإن الله عز وجل يقول ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء 65 وكان ذلك في الذي يقع بين الناس وبعضهم بعضاً ينظرون ماذا قال الله عز وجل وماذا قال رسوله في مثل هذا الأمر ، والله عز وجل يقول ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۚ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ الأحزاب 36 ليس هناك هوى أو مزاج أو وجهه نظر أو رأي حتى لا يقول إنسان آخذ بهذا الحكم ولا آخذ بذلك فذلك لا يكون في دين الإسلام والله عز وجل أنزل شريعته لتسود وتقود ليحكم الله عز وجل به بين العباد فليس هناك حق لمحق أن يترك شرع الله ويحكم بهواه ومن فعل ذلك معروض أمره على الله وسوف يحاسبه حساباً عسيراً وإن الله عز وجل ما كان يترك أمره بين الناس ولكن لا بد من الجزاء والحساب ، ورسول الله ﷺ بين لنا أمور الدين وأوضحها ومن هذه الأمور الحدود التي ينتظم تحتها سبعة أمور هي الزنى والقذف والسرقه والسكر والحراة والبغي والردة بينما الجرائم التي سواها فيها قصاص من العباد للعباد وكان فيها التعذيرات متروكة للحكام يحكمون فيها بعد أن ينظروا في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ويحكمون قدر المستطاع بمثلها.

ومن هذه الأمور السبعة التي فيها الحد هي الخمر ، والخمر ما حرمت في مكة وما نزل بشأنها تحريماً قطعياً إلا في السنة السادسة من الهجرة وليس معنى ذلك أن هذا الأمر لم يكون منتقداً ومنبوذاً يأباه بعض الناس فإنه كان هناك من الناس من يحرمها على نفسه حتى وهو

في الجاهلية قبل أن يسلم منهم عباس بن مرداس لم يكن يشربها حتى قالوا له إنها تدفع عنك البرد أو تزيد من حيويتك وغيرها من ميزات فلم يشربها وقال لهم ما لي بالجهل واضعه في بطني فأصبح سيداً في قومي وأمسي سفيهم ، قال لهم ما كان لي أن آتي بالجهل اعتبرها جهلاً لأنها تذهب بالعقل وإن كان رشيداً لأنها تغطي على العقل وتعطل التفكير السليم فيكون بدونها عاقلاً سيداً وسط قومه بينما إذا شربها اختل تفكيره وأصبح يهذي فيسخررون منه فيكون سفيهاً بينهم بالليل ، وكذلك كان يقول رجل من الرجال شربت الخمر حتى ضل عقلي وكذلك الخمر تفعل بالعقول ، أي أنه شرب الخمر حتى ضل لم يعرف الأبيض من الأسود ولا يميز بين الخطأ والصواب .

وأصحاب رسول الله ﷺ كانوا يسألونه فيها لذلك قال الله عزوجل ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾ البقرة 219 كان رد الآية على أسئلة جاءت من هؤلاء الناس والناس لا تسأل إلا إذا كان لأمر جلل هم يرون أن دين الإسلام يحض على الفضائل في كل أمر ويأمر بالحكمة وينهى عن الرذائل بكل أشكالها فكانوا يقولون يا رسول الله ما تقول في الخمر فلما نزلت هذه الآية امتنع بعض الناس وقالوا إن فيها إثم كبير فإذا قال الله فيها إثم كبير فلا يحل لنا أن نشربها ، ولم يمتنع بعض الناس وقالوا فيها منافع وذلك لأن الآية لم يكن فيها تحريم قطعي فشربها شارب وكان يصلي بالناس فقرأ قل يا أيها الكافرون فقال أعبد ما تعبدون أخرجته من الإيمان إلى الشرك ومن اليقين إلى الضلال لأنه لا يعلم ولا يعي ما يقول فنزلت الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ ۖ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ النساء 43 وعندما

نزلت هذه الآية أيضاً قال ناس نشربها إذا كنا في وقت بعيد عن وقت الصلاة وإذا اقترب وقت الصلاة انتهينا عنها واستمروا في شربها ، حتى كان يوم من الأيام كان علي بن أبي طالب عليه السلام أعد جملين حتى يساعد نفسه على مهر فاطمة بنت محمد رضي الله عنها وكان حمزة عم رسول الله ﷺ في بيت يشرب الخمر وعنده من يغني وعندما لعبت الخمر برأسه خرج إلى الناقتين فحرهما فذهب علي عليه السلام إلى رسول الله ﷺ وقص عليه ما كان فيأتي رسول الله ﷺ إلى حمزة عليه السلام وقد ثمل واحمرت عيناه وجميعنا نعلم أن حمزة هو أسد الله وأسد رسوله ولكنه في هذه الحالة التي هو فيها إذا به يقول لرسول الله ولعلي ما أنتم إلا عبيد لأبي إذا كان يقول ذلك لرسول الله ﷺ فقد أخرجته الخمر عن الإسلام لأن من قالها في حق رسول الله فقد خرج عن ملة الإسلام لذلك نزل قول الله عز وجل «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» المائدة 90 – 91 كان هدف الشيطان دائماً وأبداً أن يغوي الناس ويصرفهم عن العبادة وفي شرب الخمر وسيلة إلى ذلك الهدف ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه انتهينا يا ربنا انتهينا يا ربنا ، وعندما صدرت الأوامر من رسول الله ﷺ بتحريم الخمر ما خرج الناس يتساءلون فيما بينهم ما الذي حرم أي نوع من أنواع الخمر هل كذا فقط أم كذا وكذا ولكنهم كما قال أنس بن مالك رضي الله عنه قال حرمت الخمر ولم يكن للعرب شيء أنفع لهم منها - كانت تجارتهم فيها كثيرة ما كان عندهم شيء ينتفعون به أكثر منها من بيعها وشراءها وصناعتها - وما حرم عليهم شيء أشد منها - لأنهم كانوا بدرجة من الإدمان تمنعهم أن يقلعوا عنها لأن الخمر تؤثر في الجهاز العصبي

للإنسان مباشرة وتعطل عمل خلاياه فلا يستطيع أن يتخلص منها بسهولة إلا من رحم ربي الذي يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمُحمد ﷺ نبياً ورسولاً فيؤمن بآيات الله إذا كان فيها أمر ونهي عنها - ثم يقول أنس بن مالك ﷺ وكانت خمرهم الطبيخ وإني قائم على أبو طلحة وفلان وفلان أسقيهم جاء رجل وقال حرمت الخمر فقال أبي طلحة ﷺ يا أنس اهرق هذه القلاع ، لم ينتظر ولم يفكر ولم يتيقن من كلام الرجل وكذلك ما سألوا بعدها وما راجعوا فيها امتثلوا للأمر بمجرد سماعه ، هذا الحديث يقول لنا أن أي شيء أمرنا به في دين الإسلام يجب أن نمثل له إذا علمنا أن رسول الله ﷺ قال كذا فإن القول هو ما قال رسول الله ﷺ ، ولنعلم أن الخمر هذه كانت من أصناف يشربونها على عهد رسول الله ﷺ ولكن الخمر كانت كلمة عامة ينطوي تحتها كل ما يعمل عملها ورغم أن عمر بن الخطاب ﷺ صعد على منبر رسول الله ﷺ وقال أيها الناس حرمت الخمر وهي من التمر والعنب والعسل والشعير والحنطة ، حدد خمسة أشياء كانوا يصنعون منها الخمر وقتها ثم قال والخمر ما خامر العقل فهو خمر ، ورسول الله ﷺ يقول كل مسكر أي أنه لم يحدد أصنافاً أو مواد بعينها قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام .

وقد يقرأ بعض الناس آيات تحريم الخمر وإنها من الكبائر فلا يجدوا فيها تحريماً ولكن الذي شرحها هو رسول الله ﷺ حتى إن عمر وأبو بكر وصحابة آخرين كانوا يتباروا ويقولون ما هي أكبر الكبائر فلم يصلوا فيها إلى شيء فأرسلوا إلى عبد الله بن عمر ﷺ كي يستطلعوا رأيه هل عنده علم بها فقال عبد الله بن عمر أكبر الكبائر الخمر قالوا كيف تقول ذلك بيقين فقال لقد سمعت رسول الله ﷺ يقص

عن ملك من ملوك بني اسرائيل أخذ يخير رجل بين أمور فقال إما أن تقتل أو تزني أو تأكل لحم الخنزير أو تشرب الخمر فاختر الرجل أن يشرب الخمر وهو يظن أنها أقل الأمور وأخفها يقول رسول الله ﷺ وعندما شربها قتل وزنى وأكل لحم الخنزير أي فعل كل ما أمره به هذا الملك ثم قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ومن شرب الخمر لا تقبل له صلاة أربعين ليلة وإن مات وفي مثانته شيء منها حرمت عليه الجنة وإذا مات في أربعين ليلة مات ميتة الجاهلية " حتى وإن كانت المثانة ليس بها قطرة من خمر لأنه مات قبل أن تمضي الأربعين ليلة التي لا يقبل له فيها صلاة ، لذلك كان صحابة رسول الله ﷺ يعدون شاربوا الخمر مع المشركين .

ورسول الله ﷺ يقول من مات وهو مدمن الخمر مات كعابد وثن ، فمات وهو مشرك بالله عز وجل ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن أي ينتفي عنه الإيمان حين يشربها ، وكذلك يقول رسول الله ﷺ من زنى أو شرب الخمر نزع منه الإيمان كما ينزع أحدكم القميص من رأسه " خلع منه الإيمان لأن هذا الجرم يعد من أكبر الكبائر فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر ومن شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وعمته وخالته " من فعل هذه الأفعال فما يكون جزاؤه وعاقبته وكيف يكون حسابه ، رسول الله ﷺ يقول ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً الديوث والرجلة من النساء ومدمن الخمر قالوا يا رسول الله أما مدمن الخمر فقد عرفناه فما هو الديوث قال الذي لا يغار ممن دخل على أهله قالوا وما الرجلة من النساء قال التي تتشبه بالرجال " هؤلاء الثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً .

الخمير ثانياً

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ صلاة الرجل في جماعة تضاعف على صلاته في بيته وفي سوقه سبعاً وعشرين ضعفاً فإن الرجل إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج لا يخرج إلا للصلاة كتب له بكل خطوة يخطوها إلى المسجد حسنة ومحيت عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تزل الملائكة تصل عليه عليه سلط عليه الملائكة يقولون اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث وكان في صلاة ما حبسته الصلاة " لذلك كان للمسجد مكانة عظيمة في دين الإسلام لأن فيه تلقي العلم ومعرفة أمور الدين والتفقه فيها والله عز وجل يعطي كل إنسان على حسب جهده ونيته فإن فضله واسع ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال أوصاني خليلي - والكلام هنا والوصية لأبي الدرداء ولكنها لكل مسلم فهو أمر من رسول الله ﷺ - قال يا أبا الدرداء لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت وإن حرقت ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برأت منه الذمة ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر " لأن دين الإسلام يكرم الإنسان فقد قال الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء 70 فكان العقل هو الذي يميز الإنسان عن سائر الكائنات والخلق ، والعقل هو مدار التكليف في دين الإسلام فهو الذي يميز بين الأوامر والنواهي أما المجنون الذي فقد عقله فلا تكليف عليه ، ورسول الله ﷺ يقول رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يحتلم وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق ، أما إن كان إنسان عاقل ولكنه خرب عقله بنفسه فذلك له شأن في شرع الله لأنه مفرط في نعمة أنعمها الله عليه ، وحتى إن لم يكن مسلماً فهو يحافظ على هذا العقل بكل ما يستطيع أما من يفرط فيه ويتعمد افساده فهو

مخطيء بكل المقاييس لأن الله عز وجل هو الذي أمر بصيانة هذه النعمة والحفاظ عليها وقد أثبت العلم والخبرة والمعرفة من قديم أن الخمر تفسد العقل لذلك يشرحها رسول الله ﷺ ويقول كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ، لأن المسكرات تخامر العقل وتغطي عليه وتفقده وظيفته فقد قال قائل شربت الخمر حتى ضل عقلي وكذاك الخمر تفعل بالعقول ، وتحريم الخمر في دين الإسلام يكون لقليلها وكثيرها فإن رسول الله ﷺ قال ما أسكر كثيره فقليله حرام ، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ ما أسكر مليء الفرق منه فلميء الكف منه حرام ، معنى ذلك أن من شرب برميل من شيء فأسكره فما قيمته مليء الكف من هذا الشراب حرام وله نفس حكم البرميل والذي حرمه هو الله عز وجل والذي بينها هو رسول الله ﷺ ، وذلك التحريم يعود بالفائدة على الإنسان فإن الله غني عن عباده وعن عبادتهم إنما أمرهم ليطيعوه فمن أطاع له الجنة ومن عصى فله النار ، من هنا كانت هناك أمور ترتبت عليها حرمة الخمر إذا حدث فيها ما يجعلها خمرًا تسكر ، من هذه الأمور النبيذ ولا يتبادر إلى الذهن أن النبيذ نوع من أنواع الخمور فإن عمر رضي الله عنه عندما طعنه الطاعن جاء في كتب التاريخ أنهم أسقوه نبيذاً فالذي لا يعلم ما هو النبيذ قد يتبادر إلى ذهنه إنها من الخمر ، فإن معنى النبيذ هو الشيء الذي ينبذ في سائل فإذا وضعنا تمرًا في سائل كان ذلك يسمى نبيذاً وهو ما يعرف عندنا باسم الخشاف الذي نفضله في رمضان فإذا وضعنا تمر أو زبيب أو أي شيء في ماء أو لبن أو أي سائل يسمى ذلك المخلوط نبيذ وذلك حلال مباح نأكل منه ونشرب إلا إذا اشتد وتغيرت رائحته وتغير طعمه في هذه الحالة يكون شربه حرام ، وكذلك مثل عصير القصب فإنه وهو طازج لا شيء فيه حلال مباح ولكن إذا تركناه فترة من الوقت يوماً أو بعض

يوم يتغير لونه وطعمه وتفاعل فيه ما يتفاعل في الخمر فإنه عند هذه اللحظة يكون مسكراً له حكم المسكر فهو حرام وليس هذا من عندنا وإنما جاء في قصة رواها أبو هريرة رضي الله عنه - لأننا يجب علينا جميعاً أن نتعلم أمور ديننا حتى لا يظن أحد أن الخمر هي ما يُباع على أنه خمر فقط - قال علمت أن رسول الله ﷺ صائماً فأردت أن أنتبذ له نبيذاً حتى يفطر عليه ولما أتيته به نظر إليه ورآه يشدد كأن به فوران وتفاعل فقال اضرب بهذا عرض الحائط فإن هذا شراب من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر " لأن من يشرب الخمر فقد خرج من الإيمان إلى الشرك وإذا مات على هذه الحالة وهو مدمن لها كان مشركاً والعياذ بالله ، فعلمنا من تلك القصة أن كل منقوع في سائل يُسمى نبيذاً وقد جاء بهذا الشيء لرسول الله ﷺ ولكنه قد يكون مكث عنده فترة أدت إلى تغير في قوامه وخواصه فبعد أن كان حلال مباح صار مسكراً حرام ، وفي حديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال جاء رجل من اليمن إلى رسول الله ﷺ وسأله قال يا رسول الله عندنا شراب نصنعه من الذرة أو الشعير يسمى المذر فهل هو حرام أم حلال فقال رسول الله ﷺ أمسكرك هو قال نعم قال كل مسكر حرام وإن على الله عهداً لمن شرب المسكر في الدنيا أن يسقيه من طينة الخبال يوم القيامة قالوا وما طينة الخبال يا رسول الله قال عُصارة أهل النار " وقد جاء في حديث آخر عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه الذي كان من اليمن أيضاً فقال يا رسول الله أفتنا في شرابين نشربهما في اليمن المذر وهو من الذرة أو الشعير والبتع وهو من قرع العسل فقال رسول الله ﷺ الذي أعطاه الله جوامع الكلم كل مسكر حرام " فكان ذلك قول فصل لكل ما من شأنه أن يذهب بالعقل ويخامره فله حكم الخمر وهو حرام ، ورسول الله ﷺ يقول في حديث له انتبذوا ولا تسكروا أي أن ذلك النبيذ الذي نصنعه بأن نضع التمر أو

الزبيب في الماء أو اللبن نشرب منه كيفما شئنا ولكن عندما نجده قد اشتد وتغير وتفاعل نمسك عنه فهو في هذه الحالة له حكم الخمر يحرم شربه ، وعلي بن أبي طالب عليه السلام قال نهانا رسول الله ﷺ عن الجعة وهى شراب الشعير - وهى البيرة التى يسأل الناس عنها ليل نهار حلال أم حرام يقولون إنها خالية من الكحول أليس عندك من الحلال ما يغنيك عما فيه شبهه ولا يسأل السائل في أمر إلا إذا كان في صدره حرج من هذا الشيء لا يطمئن لحله فمثلاً إذا شرب اللبن هل يعتريه أي شك منه فهو لا يسأل عن حله أو حرمة إنما يسأل عما يشك فيه - هذه الجعة التى نهى عنها رسول الله ﷺ وجاء ذلك النهي على لسان علي بن أبي طالب عليه السلام .

أي شيء يؤثر يغيب العقل بأي صورة من الصور وبأي درجة من الدرجات سواء كان سائلاً أو صلباً أو في أي صورة أخرى فإن حكمه حكم الخمر لأن رسول الله ﷺ قال في حديث له حرمت الخمر لعينها والسكر من غيرها " الخمر لذاتها وبحالتها السائلة والسكر من غيرها فكان هذا قول شامل عام لكل ما يؤثر في العقل بكل الصور والأشكال ، وفي شرح الإمام بن تيمية رحمه الله قال إن الخمر هذه إذا وضعت في شيء جامد أصبح ذلك الشيء الجامد حرام وإذا عجن بها عجين لتؤكل فهو حرام .

إن دين الإسلام لم يحرم إلا كل خبيث وما أباح إلا كل طيب ، وإن كل شيء يهزم ويعل ذلك الجسد فهو حرام ، لذلك شريعة الإسلام جعلت للذي يتعاطى الخمر ويشربها حداً زاجراً وهو أن يجلد أربعين جلدة وعلى أيام رسول الله ﷺ لم تكن بالكرباج وإنما كانت بالنعال ليظهروا للناس مدى الجرم الذي ارتكبه صاحب العقوبة لأنه لا يختص

بالجرم لنفسه ولكن أذاه يمتد لمن حوله فينالهم منه أذى ، علي بن أبي طالب عليه السلام جعل ذلك الحد ثمانين ضربة وقال أنه إذا سكر خرج عن وعيه وإذا هذى افترى وكذب على الناس وطعن في الأعراض فكانت الثمانين حد القذف وحد الخمر ، لذلك كان عمر عليه السلام يضرب شارب الخمر ثمانين ضربة لماذا رغم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضرب أربعين ؟ قال عمر عليه السلام في فتواه أن الحد هنا يختلف على حسب الناس وقدراتهم إذا كان رجلاً قوياً يشربها ويتباهى بها متكبراً ومتحدياً لشرع الله فتكون عقوبته أشد تكون ثمانين ضربة وإذا كان إنسان زلت قدمه وأخطأ وما كان مشهوراً عنه ذلك الفعل الخبيث فإنه يضرب أربعين ضربة .

ولنعلم أننا أمرنا أن نفر ممن يشربون الخمر فراراً فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر " أي لا تجلس في المكان الذي تُرتكب فيه هذه المعصية وإذا كنت لا تملك القوة والقدرة على أن تمنع هذه المعصية وتأمّر بالمعروف فإن الإنكار هنا يكون بالقلب وهو أضعفها وأقلها لأنك إذا جلست مع من يرتكبون المعاصي فكأنك مشجع لهم ومقرراً بها لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر ، وإذا علمنا عن إنسان أنه يشرب الخمر فما حكمه وكيف نتعامل معه ؟ نتعلم ذلك من حديث رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسلموا على شربة الخمر ولا تعودوهم إذا مرضوا ولا تشيعوهم إذا ماتوا " يكون فاعل هذا الفعل منبوذ في المجتمع حتى يكون عبرة وعظة لغيره ، ولنعلم أن اليهود عليهم لعنة الله لا يزالون يحاربون أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويتفنون ليل نهار في ذلك فيسلطون على شباب

هذه الأمة المخدرات بكل أنواعها ويستحدثون كل زمن أنواعاً جديدة بمواد أشد فتكاً بالعقول حتى يخرب هذا العقل الذي ميز الله به الإنسان عن سائر خلقه فيدمر عقول أهل الإسلام فلا يقفون أمام أطماعه التي لا حد لها في أراضى وبلدان دولة الإسلام وذلك لأن هذه المواد تؤثر بالسلب على الخلايا العصبية في المخ وهى خلايا ما جعل الله عز وجل لها تبديلاً أو إحلالاً ولا تعويض لها بأي حال .

وكفى بنا أن نعلم أن تحريم هذه المواد المدمرة للعقول والأجساد وهى تؤدي إلى الموت لا محالة كان أمراً من الله عز وجل الذي يقول (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا .) النساء 29 كيف يقتل الإنسان نفسه بهذه السموم حتى يكون لها مدمناً يفعل أي شيء ليحصل عليها حتى وإن سرق وإن قتل .

ولنعلم أن رسول الله ﷺ قال لا يدخل الجنة قاطع رحم ولا مدمن

خمر

الاستعاذة وبسم الله الرحمن الرحيم

يقول قائل : رباه ها أنا ذا خلصت من الهوى واستخلص القلب الخالي هواك ، وبحثت عن سر السعادة جاهداً فوجدت هذا السر في تقواك فتركت أنسي بالحياة ولهوها ووجدت كل الأنس في نجواك .

هذا القائل يقول انه وجد السعادة في تقوى الله عز وجل فترك الدنيا ولهوها وزينتها وجعل كل همه وعمل قلبه إنما هو مناجاة الله عز وجل وذكره فإن في تقوى الله الخير كل الخير ، وتتحصل تقوى الله عز وجل بالعلم والتفقه في دين الله فإن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد فكان بعلمه في الدين أشد على الشيطان من العابد الذي لا يعلم ورسول الله ﷺ يقول لأبي ذر رضي الله عنه يا أبا ذر لأن تغدوا فتتعلم آية في كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة - كانت المائة ركعة بكل ما فيها من حسنات وجزاء وقربى من الله عز وجل إنما هي أقل من تعلم آية واحدة من كتاب الله تحيط بكل ما فيها وتعلم تفسيرها وتعمل بما علمته فيها - ولأن تغدو فتتعلم باباً من أبواب العلم عمل به أو لم لم يعمل خير لك من أن تصلي ألف ركعة " ولنعلم أن المعلم الذي نأخذ عنه هذا العلم إنما هو المصطفى ﷺ ، وأبو هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يكبر تكبيرة الإحرام ثم يلبث هنيهة ثم يمكن يسيراً بين التكبير والقراءة فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي ماذا تقول قال أقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلني بالثلج والماء والبرد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم " فكان ذلك دعاء أمرنا رسول الله ﷺ أن نستفتح به

صلاتنا ، وجاء في حديث عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال كان رسول الله ﷺ يكبر تكبيرة الإحرام ثم يقول وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له بذلك أمرت وأنا من المسلمين أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم " فكان ذلك دعاء آخر كان رسول الله ﷺ يستفتح به الصلاة قبل القراءة ، وجاء في حديث رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يقول بعد تكبيرة الإحرام وقبل قراءة الفاتحة سبحانك اللهم وبحمدك وتعالى جددك ولا إله إلا غيرك أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من نفثه ونفخه بسم الله الرحمن الرحيم " تعلمنا الاستعاذة بالله من الشيطان ليس من أجل الصلاة وإنما من أجل قراءة القرآن لأن الله عز وجل أمرنا بها فقال ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ النحل 98 – 100 وليس هناك عسر في الأمر فمن لم يستطع أن يحفظ أحد هذه الأدعية التي وردت عن رسول الله ﷺ فيكفيه أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم فمن قالها فقد استعاذ بالله من الشيطان الرجيم لأنه عدو كما قال الله عز وجل ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ فاطر 6 الله عز وجل أخبرنا أن الشيطان لنا عدو وأمرنا أن نتخذه عدواً ونحذر منه لأنه يريد لنا الهلاك والويل لأنه يدعونا لنكون من أصحاب السعير في نار جهنم وكذلك يقول الله عز وجل ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ الأعراف 27 فكان كل غرض الشيطان أن يدخل بني آدم النار معه ومن الطبيعي إذا كان لديك عدو من الإنس أن

تتقيه وتبتعد عنه وتدفعه عن نفسك بكل وسيلة إما باللين أو بالعنف والله عز وجل يقول ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ فصلت 34 - 36 وكلمة الشيطان مشتقة من شطن أي بعد أو من شاط أي من النار والجحيم فإذا كان من النار وجب علينا أن نبتعد عنه ولا نتبعه فإن عدو الإنس علينا أن ندفعه إما باللين أو العنف والسلاح لأننا نراه ونعرفه ونتعامل معه ولكن العدو الذي لا نراه بينما هو يرانا فيماذا ندفعه ؟ ندفعه بأن نستعيذ بالله منه لأن الله عز وجل يراه ويرانا فنستعيذ به وهو القوي العزيز الجبار الذي لا يُقهر جبار السماوات والأرض الذي بيده الملك والملكوت ، وإذا كان هناك من الناس من ملكوا القوة واتخذوا الذرة سلاحاً فتاكاً يرهبون به غيرهم فإنهم لم يتفكروا من خالق هذه الذرة ومن أعطى للعالم علمه الذي وصل به إلى هذا السلاح إنما كل ذلك بإرادة الله عز وجل فلنعلم جميعاً أننا إذا استعذنا بالله عز وجل من الشيطان الرحيم فإننا نستعيذ بمن لا يُقهر نستعيذ بالذي يملك النفع والضرر ، والله عز وجل يقول ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۚ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ يونس 107 عبد الله بن عباس ؓ قال كنت رديف رسول الله ﷺ فقال لي يا غلام أعلمك كلمات فاحفظها احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعت الأمة على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلام وجفت الصحف "

يا من ألوذ به فيما أأمله وأعوذ به مما أحاذره لا يجبر الناس
عظماً أنت كاسره ولا يهيضون عظماً أنت جابره يا رب العالمين .

الإستعاذة من الشيطان الرجيم تكون مستحبة عند البعض
وكانت فرضاً عند آخرين وهي فرضاً بنص الآية فهي واجبة ، ثم إذا
استعذت بالله من الشيطان الرجيم تتلو آية بسم الله الرحمن الرحيم وهي
آية في كتاب الله في أول سورة الفاتحة ، وكذلك قيل إنها آية في كل
سورة من سور القرآن وكذلك كانت جزء من آية في سورة النحل فعن
قبيصة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أنزلت عليّ آية لم تنزل على نبي قبلي
إلا سليمان بن داود عليهما السلام بسم الله الرحمن الرحيم " من نص
هذا الحديث نعلم أن البسمة آية في كتاب الله عز وجل وكانت بعض
آية عندما نزلت على نبي الله سليمان عليه السلام في قول الله عز وجل
﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ . إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ النمل 29 – 30 فكانت هنا جزء من آية في
سورة النمل ، وفي حديث رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال كان رسول
الله ﷺ لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم "
أي أنه كان لا يعرف إنها بداية سورة جديدة حتى ينزل عليه بسم الله
الرحمن الرحيم ، وفي سورة التوبة لا توجد بسم الله الرحمن الرحيم لأنه
قيل أن سورة الأنفال وسورة براءة أو التوبة سورة واحدة وقيل لأن سورة
براءة اشتملت في آياتها الأولى على غلظة على المشركين فلم تبدأ بها لأن
فيها رحمة من رب العالمين بينما أول آيات براءة فيها طعناً لأهل الشرك
ولعنأ لهم ، وعثمان بن عفان رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن بسم الله
الرحمن الرحيم قال هي اسم من أسماء الله عز وجل – ذلك الاسم
المركب قال عنه رسول الله – ليس بينه وبين اسم الله الأعظم الذي إذا

دُعي به أجاب إلا كما بين سواد العين وبياضها " وبسم الله الرحمن الرحيم فيها نجاة من كيد الشيطان فعن اسامة بن عمير رضي الله عنه قال كنت رديف رسول الله ﷺ على دابته فعثرت به فقلت تعس الشيطان فقال رسول الله ﷺ لا تقل تعس الشيطان لأنك إذا قلتها انتفخ الشيطان وقال إنما صرعته بقوتي ولكن قل بسم الله الرحمن الرحيم فإنك إن قلتها تصاغر حتى يكون مثل الذبابة " كذلك تفعل هذه الآية البسيطة في الشيطان .

وقد نجد خلافاً بين بعض الناس في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة الجهرية وافتتاح القراءة بها بصوت عال أم في السر ولنعلم أن كلاهما صحيح فإن من أخذ بوجوب قراءة البسملة جهرًا في الصلاة الجهرية أخذها من حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه ونقله الإمام الشافعي رحمه الله وعمل به فإن أبا هريرة رضي الله عنه صلى بالناس إماماً فجهر بها ثم بعد أن سلم قال إني أشبهكم صلاة برسول الله ﷺ أي أنه قال أنه صلى كما كان يصلي رسول الله ﷺ ، والإمام أبو حنيفة وأحمد بن حنبل والإمام مالك رضي الله عنهم لا يجهرون بها وكانوا يقرؤونها سراً فمن هنا كان من أسر بها على صواب والذي يجهر بها ما أخطأ وما بطلت صلاته هذا صحيح وهذا صحيح ولكن هناك أصح من الصحيح الذي أقره مذهب الثلاثة لأنهم جاءوا بها من حديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يستفتح الصلاة بالتكبير ويستفتح القراءة بالحمد لله رب العالمين " وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال صليت خلف رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان وعلي وكلهم كان يستفتح القراءة بالحمد لله رب العالمين " من هنا فإن ثلاثة مذاهب أخذت بهذين الحديثين بينما الشافعي أخذ بحديث أبي هريرة وهو حديث واحد

وكلها أحاديث صحيحة ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال من أراد أن ينجيه الله عز وجل من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وهي تسعة عشر حرف يجعل الله عز وجل بكل حرف جنة من أحدهم " أي يجعل الله عز وجل بكل حرف من حروفها وقاية ودفاع من واحد من زبانية ههنا التسعة عشر الذين هم عليها ، ولا ينبغي للمسلم أن يخاف أو يهاب من الشيطان لأنه كما يقول الله عز وجل عنه إن كيد الشيطان كان ضعيفا فمن أراد أن يقهر الشيطان فعليه ببسم الله الرحمن الرحيم في كل أمر وقبل كل شيء وقبل كل فعل أو قول فهي نجاة له من كل شر ووقاية وحماية له من كل شيطان ، وكذلك قراءة سورة البقرة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سورة البقرة لا تقرأ في بيت فيه شيطان إلا خرج منه ، وكذلك يقول في آية الكرسي من قرأها تتحى عنه الشيطان وقد قال ذلك الشيطان لأبي هريرة رضي الله عنه قال له إذا أردت أن يتحى عنك الشيطان فاقراً آية الكرسي فإنك إن قرأتها لا يقربك شيطان حتى تصبح فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد صدقك وهو كذوب .

الإستعاذة والبسملة مطلوبة ولها فضلها العظيم في الصلاة وفي غير الصلاة في كل أمور المسلم حتى قبل أن يدخل الخلاء وبعد أن يخرج منه ، وإذا دخل المسجد وإذا خرج منه وفي أدق أمور الحياة يستفتح كل أمره ببسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

قائمة المراجع

- 1 - القرآن الكريم
- 2 - صحيح البخاري .
- 3 - صحيح مسلم .
- 4 - جمع الجوامع : السيوطي .
- 5 - تفسير القرآن العظيم : لابن كثير .
- 6 - الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي .
- 7 - التفسير المنير : لوهبة الزحيلي ؟
- 8 - الزواجر عن اقتراف الكبائر : لابن حجر .
- 9 - خلق المسلم : للشيخ محمد الغزالي .
- 10 - نهاية الارب في فنون الأدب : للنويري ؟
- 11 - سيرة بن هشام .
- 12 - البداية والنهاية : لابن كثير .
- 13 - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : لابن تغري بردي .
- 14 - إعلام الساجد بأحكام المساجد : لمحمد بن عبد الله الزركشي .
- 15 - سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد : للإمام محمد بن يوسف الشامي .
- 16 - تاريخ العلم : لديورانت .
- 17 - صحيح الجامع الصغير : لمحمد ناصر الدين الألباني .

- 18- فقه السيرة : للشيخ محمد الغزالي .
- 19- الرسول القائد : للواء محمد شيت خطاب .
- 20- قادة الفتح الإسلامي : للواء محمد شيت خطاب .
- 21- حياة الصحابة : لمحمد يوسف الكندهلوي .
- 22- اضمحلال الإمبراطورية الرومانية : لإدوارد جيبون .
- 23- أسد الغابة في معرفة الصحابة : لابن كثير .
- 24- صفوة الصفوة : لابن الجوزي .

تابع قائمة المراجع

- 25- الموسوعة العربية الميسرة .
- 26- جند الله : لسعيد حوى .
- 27- شعب الإيمان : للبيهقي .

فهرس الكتاب

- 1
- 2
- 3
- 4 - اصطلاحات فقهية .
- 5 - العبادات والمعاملات .
- 6 - عبادة الله عز وجل .
- 7 - الوضوء .
- 8 - الغسل .
- 9 - ما يحل للجنب وما يحرم .
- 10 - التيمم .
- 11 - المسح على الجورب .
- 12 - السواك .
- 13 - المساجد .
- 14 - حرمة المسجد وحسن الخلق .
- 15 - تحية المسجد .
- 16 - الأذان والإقامة .
- 17 - فضل الأذان .
- 18 - إقامة الصلاة .

- 19- الإمام .
- 20- وساوس الشيطان .
- 21- مواقيت الصلاة .
- 22- النصف من شعبان .
- 23- القبلة .
- 24- النبي ﷺ وستر العورة .
- 25- كيفية الصلاة .
- 26- أوقات النهي عن الصلاة .
- 27- أماكن لا يُصلى فيها .
- 28- الخاطر في الصلاة .
- 29- الله عز وجل .
- 30- السترة أمام المصل .
- 31- الصلاة .
- 32- صلاة التطوع .
- 33- السنن الراتبة .
- 34- الصلاة في البيت .
- 35- إقامة الصلاة .
- 36- قيام الليل .
- 37- صلاة الوتر .

- 38- صلاة الضحى .
- 39- التوبة .
- 40- صلاة التساييح .
- 41- سجود السهو .
- 42- الركعة الزائدة .
- 43- كُتب عليكم الصيام .
- 44- من أحكام الصيام .
- 45- صيام التطوع .
- 46- أيام لا تُصام .
- 47- زكاة الفطر .
- 48- ليلة القدر .
- 49- الأخلاق ورمضان .
- 50- صوم رجب .
- 51- صيام عاشوراء .
- 52- العشر من ذي الحجة .
- 53- مع أيام العيد .
- 54- الحج والاضحية .
- 55- الحج وتكفير الذنوب .
- 56- ما يقوم مقام الحج .

- 57- العبادات وحسن الخلق .
- 58- الدعاء .
- 59- من الزكاة .
- 60- كتم النعمة .
- 61- الأمانة .
- 62- البيع والشراء .
- 63- القرض .
- 64- الظلم .
- 65- الكسب الطيب .
- 66- الربا الذي حرمه الإسلام .
- 67- اللقطة .
- 68- السرقة .
- 69- الهبة .
- 70- القسم .
- 71- اليمين الغموس .
- 72- النذر من قديم .
- 73- بر الوالدين .
- 74- الأصدقاء .
- 75- تحية أهل الإسلام .

- 76- عيد الميلاد .
- 77- توفير اللحية .
- 78- العناية بالشعر .
- 79- حديث الذباب .
- 80- كتم النعمة .
- 81- لا عدوى ولا طير .
- 82- الصور والتماثيل .
- 83- الحدود .
- 84- لا تقربوا الزنا .
- 85- الخمر .
- 86- الإستعاذة وبسم الله الرحمن الرحيم .

كتب صدرت للمؤلف

1. حضارة الإسلام وحضارة الغرب .
2. كرامة الإنسان وحقوقه في الإسلام .
3. صمود الإسلام عبر القرون والأعوام .
4. يا غرب هذه عطور من سيرة الرسول .
5. مختصر كتاب صمود الإسلام .
6. القرآنيون والسنة .
7. در منشور حول الرسول ﷺ
8. سيهزمون ويولون الدبر .
9. قذائف الحق تدمغ البهائية .
10. مختصر كتاب سيهزمون ويولون الدبر .
11. كرامة القوارير وحقوقهن في الإسلام .
12. يا غربي ويا شرقي هذه أسنان المفتاح .
13. أيام وليالي رمضان ياقوت ومرجان .
14. الإسلام يقود الحاكم والمحكوم .
15. مع المرسلين نصلح الدنيا بالدين .
16. آيات الكون وأحوال الآخرة .
17. ريحان من آيات الرحمن .
18. من الإرهابي ؟

19. درر المسلمين .

كتب تحت الطبع

1 . مقدسات المسلم .

2 . نجوم دولة الإسلام .

3 . حروب الفرنج .

4 . يا غرب هذا نور من شمائل الرسول .

5 . تغريد المنابر .